Shawkat A. Al-Atroushi



الحياة الفكرية في مصر خلال العصر الأيوبي

الدكتور
شوكت عارف الأتروشي




رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الحياة الفكرية في مصر
خلال العصر الأيوبي

- **الحياة الفكرية في مصر خلال العصر الأيوبي**
- **د. شوكت محمد عارف**

الطبعة الأولى 2007

منشورات:



المملكة الأردنية الهاشمية

عمان- شارع الملك حسين- مجمع الفحيص التجاري

تلفاكس: 0096264647550

خلوي: 00962795265767

ص. ب: 712773 عمان 11171- الأردن

جمهورية العراق

بغداد- شارع السعدون- عمارة فاطمة

تلفاكس:0096418170792

خلوي: 009647504616988 00964662549245

خلوي: 009647901403225 009647702152755

E-mail: dardjlah@ yahoo.com

❖ رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2006/11/3118)

❖ رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر: 2006/11/3734

ISBN 9957 -478 -25 - 7 (ردمك)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

سورة المجادلة - من الآية (11)



الإهداء

إلى روح والدتي ......

مع الدعاء لها بالرحمة والغفران

شكر وعرفان

بدءا الحمد لله الذي وفقني في إكمال متطلبات هذا الكتاب فقد استمدت منه العون فكان لي خير معين ولا يسعني جزاء للإحسان إلا أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان لمن تمت هذه الأطروحة تحت إشرافه الأستاذ الدكتور دريد عبد القادر نوري لما بذله من جهد وما قدمه من إرشادات علمية وتوجيهات سديدة أغنت الأطروحة وكان لها أبلغ الأثر في إظهارها بهذا المستوى العلمي. فجزاه الله عني كل خير.

كما أتقدم بالشكر والامتنان إلى كل الأساتذة الأفاضل الذين تتلمذت على أيديهم في السنة التحضيرية وفي مقدمتهم الأستاذ الدكتور أرسن موسى رشيد ، والدكتور حسام الدين النقشبندي، وإلى كل الأساتذة الآخرين الذين لهم فضل في مسيرة تطوير الدراسات العليا في قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة صلاح الدين.

ومن واجب العرفان علي أن أتقدم بشكري وتقديري إلى الأخوة الأفاضل الذين حظيت منهم برعاية كريمة أخص منهم الدكتور محمد صالح طيب، والدكتور نوزت احمد عثمان، والأخ محسن الدوسكي، والدكتور عبد الله محمود طه المولى الذي صوب الأطروحة لغويا ، والدكتور محمد عبد الله الذي قام بترجمة الملخص العربي إلى الإنكليزي، وإلى كل موظفي وموظفات مكتبة الآداب، والمكتبة المركزية ومكتبة كلية الشريعة في دهوك وأربيل والموصل جزاهم الله خير الجزاء، وهو ولي التوفيق وله الحمد أولا وآخرا.

المؤلف



الفهرس

المقدمة 15

تحليل أهم موارد البحث 19

المدخل / لمحة تاريخية عن الأحوال السياسية والفكرية في مصر قبيل قيام الدولة الأيوبية 29

الفصل الأول

العوامل المؤثرة في الحياة الفكرية في مصر خلال العصر الأيوبي

أولا: الموقع الجغرافي والتواصل التاريخي 47

ثانيا: الدين الإسلامي 49

ثالثا: مساهمة الأيوبيين في الحياة الفكرية 51

رابعا: دعم الأيوبيين للعلم والعلماء 68

خامسا: حرية الفكر والتسامح 87

سادسا: الرحلات العلمية 95

سابعا: التحدي الصليبي 107

الفصل الثاني

العلوم الدينية

أولا: علوم القرآن الكريم 115

ثانيا: علم الحديث 134

ثالثا: علم الفقه 156

رابعا: التصوف 182

الفصل الثالث

العلوم اللغوية والاجتماعية

أولا: علوم اللغة العربية وآدابها 193
ثانيا: التاريخ 226
ثالثا: الجغرافية وأدب الرحلات 242

الفصل الرابع

العلوم العقلية

أولا: العلوم الطبية 253
ثانيا: علم الكلام والفلسفة 275
ثالثا: العلوم الرياضية 284
رابعا: الفلك 295
خامسا: الكيمياء 300
سادسا: الموسيقى 305

الفصل الخامس

المراكز التعليمية

أولا: الكتاتيب (مراكز التعليم الأولّي) 315
ثانيا: المساجد والجوامع 320
ثالثا: المدارس 332
رابعا: دور الحديث 357
خامسا: الخانقاهات والأربطة والزوايا 359
سادسا: البيمارستانات 365
سابعا: المكتبات وخزائن الكتب 369

الخاتمة 379

الملاحق.. 383

المراجع 389





الرموز المستخدمة في الأطروحة

الرمز	معناه
ت	توفي
ج	جزء
د.ت	دون تاريخ
د.م	دون مكان طبع
س	سنة
ص	صفحة
ط	طبعة
ع	عدد
فص	فصل
ق	قسم
ك	كردي
م	ميلادي
مج	مجلد
هـ	هجري

No.,	Number
P.,	Page
PP.,	Pages
Univ.,	University
Vol.,	Volume

المقدمة ونطاق البحث

تناولت هذه الدراسة (**الحياة الفكرية في مصر خلال العصر الأيوبي 567ـ648هـ / 1171ـ1250م**) انطلاقا من اعتبارات عديدة لعل في مقدمتها الرغبة في دراسة التاريخ الأيوبي باعتباره حلقة من حلقات التاريخ الإسلامي التي لعب فيها الكرد دورا قياديا متميزا، وإدراكا في الأهمية دراسة التاريخ الحضاري للمسلمين تعمدت الكشف، عن المزيد من الجوانب المشرقة في تاريخ هذه الأمة.

وقد وقع اختياري على بلاد مصر دون غيرها من البلاد التي شملها الحكم الأيوبي رغبة في استيضاح وكشف الاتجاهات الفكرية الجديدة التي برزت بعد قضاء صلاح الدين الأيوبي على الدولة الفاطمية والوقوف على حجم الدعم الذي لقيه العلماء ورجال الفكر من السلاطين الأيوبيين وأمرائهم، وكذلك التعرف على المؤسسات العلمية التي استحدثها الأيوبيون وطبيعة الأنشطة العلمية التي اطلعت بها، وإلى أي مدى واكبت الحياة الفكرية الأحداث السياسية والحربية الساخنة، وهل كانت الحروب الصليبية قد شكلت عائقا أمام الحركة الفكرية وتطورها إلى ما هنالك من الاستفسارات التي يمكن أن تثار في هذا الخصوص مما وجده المؤلف فيه أهمية تم توضيحها في هذه الدراسة.

ولاشك أن موضوع هذه الدراسة يستمد أهميته إذا ما أدركنا أن أغلب الدراسات التاريخية عن مصر خلال الحقبة موضوع البحث قد انصبت على الجانبين السياسي والحربي دون أن يحظى الجانبان الحضاري والفكري بما يتناسب وأهميته في تاريخ تلك المرحلة. وجاء عدم عناية المؤرخين بالتعرف على النواحي الحضارية نتيجة اهتمامهم بما كان بين الصليبيين والمسلمين من حروب استأثرت في المقام الأول باهتمامهم، ومن ثم يمكن القول أن دراسة الحياة الفكرية في تلك الحقبة الزمنية تحمل من الميزات والمبررات ما يجعلها أهلا لموضوع الكتاب.

واحتوى الكتاب على تمهيد وخمسة فصول فضلا عن الخاتمة والملاحق، حيث تناول التمهيد لمحة تاريخية لطبيعة الأحوال السياسية والفكرية في مصر قبيل قيام الدولة الأيوبية.

وتطرق **الفصل الأول** ـ للعوامل المؤثرة في الحياة الفكرية أثناء عهد الأيوبيين حيث تضافرت عوامل عديدة لازدهار الحركة الفكرية منها: موقع مصر المهم وطبيعتها الجغرافية ومناخها الجيد الذي جعلها محطة جذب للعلماء والأدباء، كما أن عامل الأمن والاستقرار الذي شهدته مصر مقارنة مع غيرها من البلاد كان دافعا آخر لازدهار الأنشطة العلمية.

كما تطرق هذا الفصل إلى دور السلاطين الأيوبيين وأمرائهم في دعم الحركة العلمية من خلال مساهماتهم المباشرة في الكثير من الأنشطة العلمية، وكذلك دعمهم المادي والمعنوي للعلم والعلماء وبنائهم للعديد من المؤسسات التعليمية وفي مقدمتها المدارس فضلا عن انتاجاتهم لقدر كبير من التسامح وحرية الفكر مع رعاياهم.

كما تمت دراسة الرحلات العلمية باعتبارها من العوامل المؤثرة التي ساعدت على تبادل الخبرات العلمية من خلال لقاء العلماء في مصر والتي أدت بدورها إلى زيادة النشاط العلمي فيها، كما تم التطرق إلى الحروب الصليبية وأثرها على مجمل الحركة الفكرية.

وتناول **الفصل الثاني** ـ بحث العلوم الدينية التي شملت علوم القرآن الكريم والحديث النبوي، والفقه والتصوف مع بيان علماء مصر الذين عنوا بتلك العلوم وأسهموا في نهضتها من خلال ما قدموه في ذلك الجانب مع بيان موقف الأيوبيين منها.

أما **الفصل الثالث** ـ فقد بحثنا فيه العلوم اللغوية والاجتماعية، وشملت العلوم اللغوية على النحو واللغة والصرف والعروض والأدب، وفي ميدان العلوم الاجتماعية تم التطرق إلى إسهام علماء مصر في الفكر التاريخي وتطويرهم

الدراسات التاريخية من خلال التأليف في أنواع التدوين التاريخي، كما تمت دراسة علم الجغرافية وأدب الرحلات وإسهام علماء مصر فيها.

أما **الفصل الرابع** فقد خُصِّص لبحث العلوم العقلية وبيان الدور الرائد لبعض علمائها وإسهاماتهم الجادة فيها لاسيما وأن الكثير من تلك العلوم قد وضعت موضع التطبيق من أجل خدمة الفرد والمجتمع، ومن أبرز تلك العلوم التي تم بحثها: علوم الطب والصيدلة وعلم الفلسفة والعلوم الرياضية والفلك والكيمياء والموسيقى.

واختتمت الكتاب **بالفصل الخامس** ـ الذي خُصِّص لبحث مراكز الحياة العلمية والتي كانت مقرا للعلماء والأدباء تجري فيه مختلف الفعاليات العلمية وشملت على مكاتب التعليم الأوّلي، أو ما كان يطلق عليها بالكتاتيب والجوامع والمساجد، كما تم الحديث بإسهاب عن المدارس باعتبارها أحد أهم المنجزات الحضارية وإحدى أهم الوسائل التي اعتمدها الأيوبيون في مصر من أجل نشر الفكر السني، ومن المراكز العلمية الأخرى التي شملها هذا الفصل البيمارستانات والخانقاهات والأربطة فضلا عن المكتبات وخزائن الكتب بأنواعها وقد تم إبراز حجم مشاركة كل منها مع درجة شيوعها وطبيعة الأنشطة العلمية التي نهضت بها مع ذكر لأبرز العلماء الذين ارتبطوا بها.

وعلى صعيد المنهج فقد تم اتباع منهج يقوم على الوصف والتحليل والاستنتاج قدر المستطاع استنادا إلى النصوص التاريخية كلما دعت الحاجة إلى ذلك.

وختاما أرجو أن أكون قد وفقت، فيما سعيت لأجله، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وهو رب العرش العظيم.

المؤلف



تحليل لأهم موارد الكتاب

من أجل إعطاء هذه الدراسة بعدها العلمي، فقد تطلب إعدادها الاعتماد على مصادر ومراجع متنوعة ما بين كتب تاريخية وجغرافية ورحلات وتراجم وسير وكتب دينية وأدبية ولغوية، وكان بعضها في غاية الأهمية لاسيما تلك التي عاش مؤلفوها في مصر أو ترددوا إليها وعاشوا ردحا من عمرهم فيها ونقلوا في مؤلفاتهم ما شاهدوه أو سمعوه، وقد ارتأى المؤلف اختيار نماذج من تلك المصادر بغية تحليلها وبيان مدى الإفادة منها وسيتم تناولها وفق موضوعاتها وقدمها الزمني.

أولا: المصادر الأولية

أ ـ كتب التراجم والطبقات والسير:

تعد هذه الكتب في مقدمة المصادر التي أفادت البحث، لكونها تعنى بالجوانب الحضارية والفكرية أكثر من غيرها، من خلال تركيزها على تراجم العلماء والأدباء وإبراز جهودهم العلمية، وذكر لرحلاتهم ومؤلفاتهم، مما يجعلها قوية الصلة بموضوع الدراسة مما لا يمكن الاستغناء عنها. ومن هذه المصادر نذكر:

كتاب **(الاعتبار)** لأسامة بن منقذ الشيزري (ت 584هـ/ 1188م) وهو من كتب السير الذاتية لأحد علماء ذلك العصر ممن عاشوا سنين غير قليلة في البلاط الفاطمي بمصر (539ـ549هـ/ 1144ـ1154م) كما عاصر الأيوبيين وتحدث عن رعاية صلاح الدين له كغيره من رجالات الفكر، وقد ترك ابن منقذ عددا من المؤلفات في الأدب والشعر والتاريخ لا يزال الكثير منها في عداد الكتب المفقودة لعل من أبرزها ديوانه الشعري الذي كان صلاح الدين مغرما به[1].

وأفاد البحث أيضا من كتاب **(النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو ما**

(1) العماد الأصفهاني، سنا البرق الشامي، اختصار البنداري، تحقيق: رمضان ششن (بيروت : 1971)، ق1/ 228.

يعرف بسيرة صلاح الدين) للقاضي بهاء الدين بن شداد (ت 632هـ/ 1234م) وتكمن أهميته في التعرف على سيرة صلاح الدين عن قرب من قبل أحد أعيان ذلك العصر المقربين والمرافقين له في الحقبة الأخيرة من حياته (584-589هـ/ 1188-1193م)، ونظرا لكونه من ندماء صلاح الدين فإنه لم يكن محايدا في الكثير من الأحيان على عكس ابن أبي طي الذي كان مستقلا عن نور الدين محمود وصلاح الدين لذلك لم يضطره أن يكون مجاملا كما كان ابن شداد والعماد الأصفهاني[1]. ولكن رغم ذلك أورد ابن شداد بحكم قربه من صلاح الدين الكثير من الروايات التي يمكن من خلالها التعرف على شخصيته كقائد ومجاهد وراع للعلم والعلماء.

وكتاب **(أنباء الرواة على أنباه النحاة)** من تصنيف جمال الدين علي بن يوسف القفطي (ت 646هـ/ 1248م)، وأفادنا عند الحديث عن علوم العربية وآدابها وكتاب **(التكملة لوفيات النقلة)** للحافظ عبد العظيم المنذري (ت 656هـ/ 1258م) ويعد من المصادر المهمة التي لا يمكن إهمالها أو غض الطرف عنها لاسيما وأن مؤلفه كان من مشاهير محدثي مصر خلال العصر الأيوبي، وإليه انتهت مشيخة دار الحديث الكاملية بالقاهرة لمدة طويلة تقرب من عشرين سنة[2].

وقد أراد المنذري من (تكملته) أن تكون ذيلا على كتاب **(وفيات النقلة)** لأبي الحسن علي بن المفضل المقدسي (ت 611هـ/ 1214م) لذلك ابتدأ من حيث انتهى المقدسي حيث بدت أخباره بوفيات سنة 582هـ/ 1185م وترجم للعديد من المحدثين والفقهاء والمؤرخين والأدباء وغيرهم، كما ذكر الكثير من المؤسسات التعليمية في مصر من مساجد ومدارس وكتاتيب مما لا نجده في المصادر الأخرى، ومما يؤخذ عليه أن غالبية ترجماته قد جاءت مقتضبة.

---

(1) جزيل عبد الجبار الجومرد، "الأسرة الأيوبية ودورها في تثبيت حكم صلاح الدين في مصر 564-567هـ" مجلة التربية والعلم، جامعة الموصل، كلية الآداب، ع(8)، 1989، ص114.

(2) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعبر من حوادث الزمان (بيروت: 1977)، 4/ 107.

وقدم المؤرخ أبو شامة المقدسي (ت 665هـ/ 1266م) معلومات قيمة وثمينة عن الجوانب الحضارية والعلمية في كتابه **(تراجم القرنين السادس والسابع الهجري أو ما يعرف بالذيل على الروضتين)** وتبرز أهميته في معاصرة مؤلفه للأحداث لذلك فهو كثيرا ما ينقل عن علماء التقى بهم أو درس على أيديهم أو حضر جنائزهم والصلاة عليهم[1].

ويعد كتاب **(عيون الأنباء في طبقات الأطباء)** لابن أبي أصيبعة (ت668هـ/ 1269م) من المصادر المهمة التي أفادنا في مجال الحديث عن الطب والعلوم العقلية الأخرى، وفيه معلومات مفصلة عن مشاهير الأطباء على اختلاف طبقاتهم وانتماءاتهم البلدانية، وقد أفدنا كثيرا من البابين الرابع عشر والخامس عشر واللذين خصصهما المؤلف للحديث عن أطباء مصر والشام وكثيرا ما تعرض في سياق حديثه لعلاقة الأطباء مع السلاطين الأيوبيين مما مكننا التعرف على حجم الدعم والرعاية التي أولاه الأيوبيون للطب والأطباء[2].

ومن كتب التراجم المهمة أيضا كتاب: **(وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان)** لابن خلكان (ت 681هـ/ 1282م) وهو من أشهر كتب التراجم وأضبطها[3]. كما تمت الاستفادة من مؤلفات الحافظ الذهبي (ت 748هـ/ 1347م) ولعل من أشهرها: **(تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام)** وهو من أضخم مؤلفاته واوسعها تناول فيه تاريخ مشاهير الأعلام من بدء الهجرة النبوية حتى سنة 700هـ/ 1300م وضم الكتاب نحو **"أربعين ألف ترجمة"**[4] مما لا نجده في كتاب سبقه

(1) أبو شامة، تراجم القرنين السادس والسابع والهجريين المعروف بالذيل على الروضتين، عني بنشره عزت العطار الحسيني (بيروت: 1974)، 66،142،161، 162،163،164، 177...

(2) ابن أبي اصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء (بيروت: 1979)، ص ص574، 576،581،583،...

(3) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا (بيروت: 1997)، 1/ 538 (المحقق).

(4) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري (بيروت: 1997) ص9 (المحقق).

أو جاء بعده وكان مصدرا لمعظم المؤرخين ممن جاءوا بعده مثل الصفدي وابن شاكر الكتبي والسبكي وابن كثير وغيرهم.

ومن مصنفات الذهبي الأخرى **(سير أعلام النبلاء)** و**(العبر في خبر من غبر)** و**(المعين في طبقات المحدثين)** و**(تذكرة الحفاظ)** و**(الإعلام بوفيات الأعلام)** ويذكر أن مفهوم التاريخ عند الذهبي يتصل اتصالا وثيقا بالحديث، وظهر ذلك جليا على مؤلفاته ومنهجه التاريخي مما يعطيه الكثير من المصداقية في نقل الخبر والرواية. كما أفادت الدراسة من مؤلفات الصفدي (ت 764هـ/ 1362م) ومن أبرزها **(الوافي بالوفيات)** و**(نكث الهميان في نكت العميان)**.

ويعد كتاب **(طبقات الشافعية الكبرى)** لتاج الدين السبكي (ت 771هـ/ 1369م) من الكتب المهمة ذات القيمة العلمية التي أفادتنا في معظم جوانب الدراسة حيث ترجم السبكي للعديد من المحدثين والفقهاء والمؤرخين والأدباء من الشافعية، وكانت معلوماته وافية حيث ذكر شيوخ المترجم لهم ونشاطاتهم العلمية ومؤلفاتهم وكل ما يتصل بسيرتهم.

واستقى السبكي معلوماته من مصادر شتى سبقته منها والده، كما نقل عن المصادر المختلفة مثل **(الكامل)** لابن الأثير (ت 630هـ/ 1232م) و(تاريخ أربل) لابن المستوفي (ت637هـ/ 1239م) و**(الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية)** لأبي شامة المقدسي و**(وفيات الأعيان)** لابن خلكان فضلا عن مؤلفات الذهبي .

ومن كتب التراجم الأخرى التي أفادت منها الدراسة كتاب **(طبقات الشافعية)** للأسنوي (ت 772هـ/ 1370هـ) و**(الذيل على طبقات الحنابلة)** لابن رجب الحنبلي (ت795هـ/ 1392م) وكتاب **(غاية النهاية في طبقات القراء)** لابن الجزري الدمشقي (833هـ/ 1429م) و **(طبقات المفسرين)** و**(بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة)** وكلاهما للسيوطي (ت 911هـ/ 1505م) و**(طبقات المفسرين)** للداوودي (ت945هـ/ 1538م) وهو مصري من تلاميذ السيوطي وقد رتب تراجمه على حروف المعجم و**(الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية)**

للمناوي (ت 952هـ/ 1545م) و(**الطبقات الكبرى المسماة لواقح الأنوار في طبقات الأخيار**) للشعراني (من ق 10هـ/ 16م) وغيرها كثير.

ب ـ التواريخ العامة والمحلية:

وهي كثيرة ومتنوعة وتأتي في الأهمية بعد كتب التراجم والطبقات، فهي إلى جانب تركيزها على تسجيل الأحداث والوقائع السياسية والاهتمام بأخبار الملوك وعلاقاتهم، فإنها لا تخلو من ذكر العلماء ورجال الفكر، كما لا تخلو من إشارات عن الجوانب العلمية والحضارية. ومن أهم تلك المصادر:

كتاب (**الكامل في التاريخ**) لابن الأثير ويعد من أشهر كتب التاريخ العامة وعاصر مؤلفه جانبا مهما من أحداث الحقبة موضوع البحث واستقى بعض معلوماته من خلال مشاهداته المباشرة، وقد أفادنا في بعض الجوانب السياسية والحضارية وذكر لبعض أعلام مصر ومؤسساتها العلمية.

ويعد كتاب (**مرآة الزمان في تاريخ الأعيان**) لسبط ابن الجوزي (ت654هـ/ 1256م) من المصادر المهمة التي أفادت الدراسة في كثير من جوانبها، وتكمن أهميته كون المؤلف أحد أبرز علماء عصره، وسبق له أن زار مصر سنة 641هـ/ 1243م وعقد بها مجالس للوعظ والتقى بالعديد من علمائها[1] ونقل لنا أخبارهم، كما بين جهودهم في الأنشطة السياسية والعلمية وتمتاز رواياته بالتنوع واعتمد في نقل بعضها عن من سبقه مثل ابن شداد لاسيما فيما يتعلق بسيرة صلاح الدين[2].

وقدم أبو شامة المقدسي في كتابه (**الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**) مادة تاريخية قيمة عن العصر الأيوبي، وتمتاز الكثير من رواياته بالدقة كونه شاهد عيان، كما اعتمد في نقل رواياته على المؤرخ الحلبي ابن أبي طي الذي صنف كتاب (**كنز الموحدين في سيرة صلاح الدين**) ورغم أنه يعتبر من الكتب

(1) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، (حيدر أباد الدكن:1952)، ج8، ق2/ 741.

(2) المصدر نفسه، ج8، ق1/ 433.

المفقودة فقد اقتطف أبو شامة المقدسي الكثير من النصوص الهامة منه لاسيما فيما يتعلق عن الأسرة الأيوبية وتحركاتهم وإنجازاتهم[1] وقدم معلومات مهمة عن علماء وأدباء ذلك العصر، وتحدث عن الإجراءات التي اتخذها صلاح الدين من أجل ترسيخ الفكر السني بمصر وأسهب في الحديث عن مكتبة القصر الفاطمي وما آل إليه مصيرها بعد زوال الدولة الفاطمية، إلى ما هنالك مما له صلة بموضوع الدراسة.

وكذلك (**تاريخ مختصر الدول**) لابن العبري (ت685هـ/ 1286م) وهو ملخص لكتابه الكبير (**تاريخ الأزمنة المطول** أو **تاريخ الدول السرياني**).

وأفادت الدراسة بدرجة كبيرة من كتاب (**مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**) لابن واصل الحموي (ت 697هـ/ 1297م) الذي يعتبر أوفى كتاب لتاريخ دولة بني أيوب، حيث قدم مؤلفه روايات أصيلة وقيمة كونه عاصر تلك الحقبة وألم بأحداثها وكان على اتصال وثيق مع الأمراء الأيوبيين وقدم وصفا دقيقا لمجالسهم التي كانوا يعقدونها ويحضرها العديد من العلماء، ونقل بعض رواياته عن المصادر التي سبقته مثل القاضي الفاضل، وابن الأثير وابن شداد والعماد الكاتب الأصفهاني، وأبو شامة في الروضتين وغيرها، ونقل عنه جميع المؤرخين الذين عاشوا بعد القرن السابع الهجري كاليونيني وأبو الفداء والذهبي وابن الفرات والمقريزي وابن تغري بردي وغيرهم.

ومن المصادر الأخرى نذكر: (**كتاب ذيل مرآة الزمان**) لليونيني (ت726هـ/ 1325م) وابتدأ بتدوين حوادثه من سنة 654هـ/ 1256م، و(**المختصر في أخبار البشر**) لأبي الفداء (ت 732هـ/ 1331هـ) ولا يتعدى كونه ملخصا لتاريخ ابن الأثير.

ومن المصادر الأخرى (**تاريخ الدول**) للحافظ الذهبي و(**مرآة الجنان وعبرة اليقظان**) لليافعي (ت 768هـ/ 1366م) ورتب المؤلف حوادثه على السنوات،

(1) الجومرد، الأسرة الأيوبية ودروها...، ص114.

واعتمد كثيرا على ابن خلكان والـذهبي، وكتـاب **(البداية والنهاية)** لابـن كـثير الدمشقي (ت 774هـ/ 1272م) فضلا عن كتـب المقريـزي (ت 845هــ/ 1441م) ومن أهمها: **(أتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا)** و**(السلوك لمعرفة دول الملوك)** وكتاب **(النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة)** لابن تغري بـردي (ت 874هـ/ 1469م) وهو من التواريخ المحلية وتأثر مؤلفه بمنهج المقريزي حيث جعل مصر محور اهتمامه، وهو نادرا ما يهتم بالإسناد أو ذكر المـصدر الـذي ينقـل عنـه وأغلب تعليقاته موجزة، كما يمتاز أسلوبه بالركاكـة والعاميـة وكثـرة الأخطـاء في النحـو وهـو الأسـلوب الـذي طغـى علـى كتـاب عـصره، ويفتقـر إلى الحياديـة والموضوعية في بعض الأحيان فتعاطفه مع الفاطميين مثلا جعله يقلل من أهمية ما حققه صلاح الدين في مصر[1] إلا أنه يبقى مع ذلك من المصادر المحلية المهمة حيث ترجم المؤلف بإسهاب لعدد كبير من علماء مصر وأدبائها.

ج ـ كتب الجغرافية والرحلات والخطط:

وقدمت بعض هذه المصادر معلومات نادرة في غاية الأهميـة عـن الجوانـب الاقتصادية والحضارية لمصر ووصف لمدنها ومراكزها العلمية، وفي مقدمتها نـذكر كتاب: رحلة ابن جبير (ت 614هـ/ 1217م) وكتاب **(الإفادة والاعتبار في الأمور المـشاهدة والحـوادث المعاينـة بـأرض مـصر)** لموفـق الـدين البغـدادي (ت 629هـ/ 1231م) و**(زبدة كشف الممالك وبيان الطـرق والمـسالك)** لابـن شـاهين الظاهري (ت 873هـ/ 1468م) ومن كتب الخطط نذكر **(الانتصار لواسـطة عقـد الأمصار)** لابن دقماق (ت 809هـ/ 1406م) و **(المواعظ والاعتبار بـذكر الخطـط والآثار)** للمقريزي وهو أشـبه مـا يكـون بـدائرة معـارف عامـة في تـاريخ مـصر وجغرافيتها وأحوالها العامة، والكتاب عبارة عن كنز لا ينضب من المعلومات عن مصر من جميع النواحي، وامتاز مؤلفه بالحياد العلمي والدقـة والوضـوح والنظـرة الشاملة الرحبة.

---

(1) ابن تغردي بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (القاهرة: د/ ت)، 6/ 71.

د ـ كتب الأدب واللغة ودواوين الشعراء:

وقدمت هذه المصادر معلومات جيدة عن علاقة الشعراء بالسلاطين الأيوبيين من خلال القصائد الكثيرة في مدحهم، ودور الأيوبيين في دعم وتشجيع علوم اللغة العربية وآدابها فضلا عن مساهماتهم في تلك العلوم، وفي دور الأدب لاسيما الشعر في ميدان التعبئة للجهاد ضد الصليبيين ووصف المعارك ومن أبرز تلك الكتب: **(ديوان العماد الأصفهاني)** و**(خريدة القصر وجريدة العصر)** وكلاهما للعماد الكاتب الأصفهاني (ت 597هـ/ 1200م) و**(المطرب من أشعار المغرب)** لأبي الخطاب عمر بن دحية (ت 633هـ/ 1235م) و**(الكافية في النحو)** و**(الأمالي النحوية)** لأبي عمرو بن عثمان الحاجب (ت 646هـ/ 1248م) و**(الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة)** لأبي الحسن علي بن موسى الأندلسي (ت685هـ/ 1286م).

هـ ـ مصادر أخرى متنوعة:

كما أفادت الدراسة من مصادر متنوعة كالكتب الدينية والطبية وموسوعات العلوم واللغة والمصادر التي تعنى بجوانب التربية والتعليم إلى ما هنالك مما له صلة بموضوع الدراسة: مثل **(أدب الإملاء والاستملاء)** للسمعاني (ت562هـ/ 1166م)و **(علوم الحديث)** لابن صلاح الشهرزوري (ت 643هـ/ 1245م) و**(إحصاء العلوم)** ، وكتاب **(الموسيقى الكبير)** للفارابي (ت 339هـ/ 950م)، و**(الفهرست)** لابن النديم (ت 385هـ/ 995م)، و**(مفاتيح العلوم)** للخوارزمي (ت 387هـ/ 997م)، و**(مفتاح العلوم)** ليوسف بن محمد السكاكي (ت 626هـ/ 1228م)، و**(المقدمة)** لابن خلدون (ت808هـ/ 1405م)، و**(كتاب التعريفات)** للجرجاني (ت 816هـ/ 1413م)، و**(كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون)** لحاجي خليفة (ت 1067هـ/ 1656م).

ثانيا: المراجع الثانوية

كما أفاد المؤلف من المراجع الحديثة والرسائل الجامعية والبحوث

والدوريات لاسيما تلك التي تخصصت بدراسة الجوانب الحضارية والفكرية لتلك الحقبة نخص منهم بالذكر: حمزة عبد اللطيف في كتابه (**الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي**) واحمد احمد بدوي في كتابه (**الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام**)، حيث قدما جهدا طيبا يشكران عليه إلا أنهما لم يتمكنا من الغور في الكثير من التفاصيل الدقيقة الخاصة بجوانب الحياة الفكرية بسبب اتساع الرقعة الزمنية والمكانية لدراستيهما، كما لم يكونا موفقين في إبراز جهود الأيوبيين ودعمهم للحركة الفكرية بمصر فضلا عن عدم تطرقهما بشكل منفصل إلى العوامل المؤثرة على سير الحركة الفكرية مما بدا أنه بحاجة إلى تحديد زماني ومكاني لكي يمكن تناول الموضوع بتفصيل أدق وهو ما سعينا من أجله.

ومن المراجع المهمة الأخرى نذكر (**دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية**) لسعيد عبد الفتاح عاشور وآخرون، و(**دراسات في حضارة الإسلام**) للمستشرق هاملتون جب، و(تاريخ الأدب العربي) لكارل بروكلمان و(**الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي في مصر والشام**) لمحمد سعيد كيلاني وغيرها مما هو مثبت في قائمة المصادر والمراجع.



المدخل

لمحة تاريخية عن الأحوال السياسية والفكرية في مصر قبيل قيام الدولة الأيوبية

قبل الشروع بدراسة جوانب الحياة الفكرية بمصر في العصر الأيوبي من المفيد أن نستعرض بشكل موجز طبيعة الأحوال السياسية والفكرية قبيل قيام الدولة الأيوبية للتأكيد على حقيقة التواصل الحضاري بين الدولتين الفاطمية والأيوبية رغم التباين والاختلاف بينهما في الكثير من الجوانب، ويمكن أن نعزو ذلك إلى أن النتائج والآثار الفكرية والثقافية لسياسة الدول لا تظهر بين عشية وضحاها، كما أنها لا تختفي بمجرد انتهاء حكم تلك الدول، ومن ثم من الصعوبة بمكان تقييم الانشطة الفكرية والعلمية بمصر خلال العصر الأيوبي بمعزل عن العصر الذي سبقه.

الأحوال السياسية

شهد العالم الإسلامي في القرن 6هـ/ 12م كثيراً من الانقسام والتمزق السياسي، إذ كانت تحكمه قوى مختلفة ومتناقضة فيما بينها، وكثيراً ما كان الصراع سمة ذلك التناقض، وكان أن دخلت الخلافتان العباسية في بغداد، والفاطمية في القاهرة (358-567هـ/ 969-1171م) في منازعات مذهبية وسياسية أنهكت قواهما، لذلك لم يكن بمقدورهما تأمين الاستقرار السياسي في البلاد، ومعالجة الاضطرابات والمشاكل الداخلية التي عصفت بوحدة العالم الإسلامي.

كما لم يكن باستطاعتهما صد ومواجهة الحملات الصليبية التي استهدفت البلاد الإسلامية، وهددت كيانها، وتسببت بالكثير من الويلات.[1]

(1) للتفاصيل ينظر : السيد الباز العريني، الشرق الأدنى في العصور الوسطى، الأيوبيون (بيروت: 1967)، ص ص9-27؛ دريد عبد القادر نوري، سياسة صلاح الدين الأيوبي في بلاد مصر والشام والجزيرة (بغداد : 1976)، ص48-62.

وعلى قدر تعلق الأمر بمصر، فقد اتسم العهد الفاطمي في بدايته منذ انتقال الفاطميين إلى مصر سنة 358هـ/ 1969م وحتى أواخر عهد الخليفة المستنصر (427-478هـ/ 1035-1094م) بقوته وازدهاره، وحقق الفاطميون كثيراً من النجاحات السياسية والعسكرية، وتمكنوا من توطيد حكمهم في مصر، كما بسطوا نفوذهم على كثير من الأقطار الإسلامية، فتبوأت مصر في تلك المرحلة من حكمهم مكانة متميزة، وصارت البلاد تنعم بالرخاء والاستقرار، كما شهد كثيراً من مظاهر الرقي والازدهار في الحياة الاجتماعية والثقافية[1].

بيد أن الدولة الفاطمية أخذت تسير نحو الضعف والتدهور مع تقادم الوقت، وما أن حلّ القرن 6هـ/ 12م حتى أخذت تلوح في الأفق إمارات زوالها، وبدأ الضعف يدب في أوصالها، إذ كانت الدولة تعيش في آخر مراحل شيخوختها، وهو ما تعارف عليه المؤرخون بالعهد الثاني من العصر الفاطمي[2].

وفي هذا العهد شهدت مصر كثيراً من الأحداث الخطيرة، ودخل الفاطميون في صراع مستمر مع ثلاث قوى، فكان عليهم أن يقضوا على المناوئين لهم في الداخل، كما كان عليهم أيضاً أن يردوا هجمات الصليبيين على السواحل والمدن الإسلامية، وألا يمكنوهم من السيطرة عليها، فالصليبيون خطر دائم عليهم، وكان من أبرز الأسباب التي أدت إلى سقوط دولتهم. كما كان عليهم أن يحسبوا حساباً للدولة العباسية التي كانت تمثل الخصم التقليدي المنافس لهم.[3]

ومما زاد من تفاقم الأوضاع هو ضعف الخلفاء الفاطميين الذين أصبحوا

(1) للتفاصيل ينظر : محمد جمال الدين سرور، مصر في عصر الدولة الفاطمية (القاهرة : 1960)، ص ص27-72؛ حسن ابراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب وسورية وبلاد العرب (القاهرة: 1964)، ص ص149-169.

(2) سرور، مصر في عصر الدولة الفاطمية، ص87 ؛ ب.هـ. نيوباي، صلاح الدين وعصره، ترجمة. ممدوح عدوان (دمشق : 1993)، ص25.

(3) بنيامين التطيلي، رحلة بنيامين التطيلي، ترجمة عزرا حداد (بغداد: 1945)، ص173؛ أحمد شلبي، التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، (القاهرة : 1967)، 5/ 138.

يعيشون في عزلة، وتضاءل سلطانهم كثيراً أمام نفوذ الوزراء الذين استأثروا بالسلطة دون الخلفاء[1].

ولأهمية منصب الوزارة فقد أصبح مجالاً للتنافس بين كبار رجال الدولة الذين أخذوا في كثير من الأحيان يتلاعبون بمقدرات الدولة، ولو أدى ذلك إلى الاستعانة بالغزاة الصليبيين كما فعل الوزير ضرغام بن سوار اللخمي (قتل في 559هـ / 1202م)، أو الاستعانة بالزنكيين، كما فعل غريمة الوزير شاور بن مجير الدين (ت 563هـ/ 1167م) الذي وصل دمشق سنة 559هـ/ 1163م والتمس المعونة العسكرية من نور الدين محمود أمير الدولة الزنكية بالشام، (541-569هـ/ 1146-1173م) ليتمكن بها من التصدي لخصمه الوزير ضرغام ومن تحالف معه من الصليبيين، ووعد شاور نور الدين بأن يتنازل له عن ثلث خراج مصر، إضافة إلى إقطاعات الجيش، وأن يكون تحت إمرته[2].

ونظراً لإدراك نور الدين أهمية مصر، وكونها تمثل مفتاح السيطرة على المنطقة ولأهميتها في الجهاد ضد الصليبيين[3]، فقد عزم على التدخل رغم أنه تردد في بادئ الأمر نتيجة تخوفه من خطر الصليبيين في الطريق بينه وبين مصر، وكذلك شكه في إخلاص شاور له[4].

وأوكل نور الدين قيادة الجيش إلى أسد الدين شيركوه بن شاذي

(1) المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (القاهرة : د/ ت)، 1/ 440 ؛ سرور، مصر في عصر الدولة الفاطمية، ص87.

(2) ابن الاثير، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل، تحقيق : عبد القادر أحمد طليمات (مصر الجديدة: 1963)، ص120؛ ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق، جمال الدين الشيال (القاهرة : 1953)، 1/ 138.

(3) (W.R.) Stevenson, The Crusaders in the east, (Cambridge, 1907), P.187.

(4) ابن الاثير، الكامل في التاريخ (بيروت : 1982)، 11/ 298 ؛ الباهر، ص121 ؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق، احسان عباس (بيروت : 1970)، 2/ 444 ؛ ابن واصل، مفرج الكروب، 1/ 138 ؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا باخبار الائمة الفاطميين الخلفا، تحقيق - محمد حلمي أحمد (القاهرة :1973) 3/ 264.

(ت564هـ/ 1169) ، وابن أخيه صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب (ت 589هـ/ 1192م) اللذين تمكنا من دخول مصر، وعندما وصلوا بلبيس[1] لقيهم ناصر الدين همام-أخو ضرغام- على رأس جيش كبير ودارت بين الطرفين معركة انتهت بانتصار أسد الدين شيركوه، الذي سار بعدها إلى القاهرة، فدخلها في أواخر جمادي الآخرة من سنة 559هـ/ 1163م فخرج ضرغام منها هارباً، فلحق به رجال شاور وتمكنوا من قتله، وعاد شاور إلى الوزارة ثانية في رجب من السنة نفسها[2].

وكما توقع نور الدين محمود فان شاور ما أن تمكن من استعادة الوزارة حتى تنكر لعهوده، وكتب إلى أسد الدين يطلب منه العودة إلى الشام، الا أن الاخير لم يجبه إلى ذلك، وطالبه بما سبق أن قطعه من وعود، ولكن شاور تمادى في الرفض، وأصر على خروج أسد الدين الذي أرسل فرقة من جيشه استولت على بلبيس[3].

وعندما أدرك شاور عجزه عن مقاومة شيركوه بعث إلى الصليبيين يطلب منهم مساعدته، ويخوفهم من امتلاك نور الدين لمصر، فسارعوا إلى نجدته، الأمر الذي أجبر نور الدين محمود على غزو ممتلكاتهم في الشام لكي يشغلهم عن مساعدة شاور، الا أن ذلك لم يمنعهم من المسير نحو مصر يتقدمهم آموري ملك بيت المقدس، واتجهوا صوب بلبيس التي كان يتمركز فيها شيركوه، وحاصروه بها نحو ثلاثة أشهر، ولكنهم لم ينالوا منها شيئاً رغم قلة الاستعدادات بها[4].

---

(1) بلبيس: مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ [الفرسخ الواحد يساوي ثلاثة أميال أو ستة كيلومترات] على طريق الشام. ياقوت الحموي، معجم البلدان، (بيروت: د/ ت)، 1/ 479.

(2) ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص121 ؛ الكامل في التاريخ، 11/ 299؛ ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب (بيروت : 1996)، ص344 -345 ؛ ابن واصل، مفرج الكروب، 1/ 139 ؛ المقريزي، اتعاظ 3/ 268.

(3) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 11/ 299 ؛ ابن العديم، زبدة الحلب، 2/ 345 ؛ ابن العبري، تاريخ الزمان، ترجمة.الأب اسحق ارملة (بيروت: 1986)، ص177 ؛ ابن واصل، مفرج الكروب، 1/ 140.

Lanepool, "Saldin and the fall of the kingdom Jerusalem (London: 1898), p.42.

(4) ابن الاثير، الباهر، ص122 ؛ الكامل في التاريخ، 11/ 300 ؛ أبو شامة، الروضتين، 1/ 335 ؛ ابن واصل، مفرج الكروب، 1/ 140 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية (بيروت : د/ ت) 12/ 253؛ العريني، الشرق الادنى، ص33.

وعندما بلغ الصليبيون أنباء انتصارات نور الدين في الشام أدركوا خطورة الأمر، ورأوا أنه لابد من العودة إلى الشام لاسيما بعد أن قام نور الدين محمود بإرسال أحد كوادره مع كمية من الغنائم من الشام إلى بلبيس لإرباك الصليبيين وإجبارهم على الانسحاب[1]، فراسلوا أسد الدين شيركوه في الصلح، وتسليم ما بيده لشاور، وتم الصلح في ذي الحجة من سنة 559هـ/ 1163م وعاد شيركوه على أثرها إلى الشام[2]. الا أنه بقيت تراوده فكرة العودة ثانية إلى مصر "**وكان عنده من الحرص على ذلك كثير**"[3].

كما لم يتخل نور الدين محمود عن مشروعه في الاستيلاء على مصر، والتي لا غنى عنها في جهاده ضد الصليبيين، وبقي يتحين الوقت المناسب لذلك، وتهيأت الفرصة أمامه ثانية عندما أرسل إليه الخليفة العباسي لضرورة الاستيلاء على مصر[4]، كما استنجد به الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله (555-567هـ/ 1160-1171م) الذي أرسل اليه يشكو من استبداد وزيره شاور وظلمه، كما استغاث به من الصليبيين طالباً مساعدته وعونه لصدهم عن مصر[5].

وكان أن استجاب نور الدين لهذا الطلب فسيّر حملته الثانية إلى مصر في ربيع الأول سنة 562هـ/ 1196م بقيادة أسد الدين شيركوه، وكانت تضم نحو الفي فارس، فالتقى مع القوات الصليبية والفاطمية عند منطقة البابين -قرية جنوب مدينة المنيا في محافظة أسيوط في شماليها وسط مصر- وكانت النتيجة انتصار شيركوه، وقد أبلى صلاح الدين في هذه المعركة بلاءً حسناً[6].

---

(1) ابن الأثير، الكامل، 7/ 173؛ ابن العديم، زبدة الحلب، 2/ 321؛ أبو شامة، الروضتين، 1/ 167.

(2) ابن الاثير، الكامل، 11/ 300 ؛ ابن العديم، زبدة الحلب، 2/ 348 ؛ أبو شامة، الروضتين، 1/ 336 ؛ ابن واصل، مفرج الكروب، 1/ 140.

(3) ابن الاثير، الكامل، 11/ 324.

(4) ابن الاثير، الكامل، 7/ 106؛ ابن تغريب بردي، النجوم، 5/ 306؛ اليافعي، مرآة الجنان، 3/ 295.

(5) سبط بن الجوزي، مراة الزمان، جـ8، ق1/ 268 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 5/ 348.

(6) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 11/ 325 ؛ سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، جـ8، ق1/ 268-269؛ ابن واصل، مفرج الكروب، 1/ 150-151 ؛ ابن خلدون، العبر وديوان المبدأ والخبر في تاريخ العرب العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر (بيروت: 1988)، 4/ 78.

وسار أسد الدين بعد هذه المعركة إلى الاسكندرية، وما أن وصلها، حتى سارع من بها من السكان إلى تسليمها له -بسبب ميلهم إلى المذهب السني حيث كانوا في غالبيتهم من المغاربة المالكيين- فاستناب بها ابن أخيه صلاح الدين وعاد هو إلى الصعيد[1].

وتمكن صلاح الدين بفضل تعاون أهالي الاسكندرية معه من التصدي بحزم للهجوم الصليبي الفاطمي المعاكس الذي استهدف إعادة السيطرة على المدينة، والقضاء على صلاح الدين، غير أنهم لم يفلحوا رغم شدة الحصار وقسوته[2].

وبعد فشل الحصار جنح الصليبيون ومعهم شاور إلى طلب الصلح، فوافق عليه صلاح الدين نظراً لقلة الأرزاق والمؤن، وكذلك بسبب الارهاق الذي أصاب أهالي الاسكندرية نتيجة الحصار الشديد المضروب عليهم. وقضى الاتفاق أن ينسحب الصليبيون من كل مصر، وينسحب أسد الدين شيركوه بقواته إلى الشام، غير أن الصليبيين لم ينسحبوا الا بعد أن اتفقوا سراً مع شاور بأن يكون لهم بالقاهرة مندوب أو شحنة[3]، وأن تكون لهم حامية تحرس أبواب المدينة وأسوارها، هذا بالاضافة إلى الزامهم شاور بدفع مئة الف دينار سنوياً[4].

ولم تستقر الاوضاع بمصر طويلاً، إذ بدأ الصليبيون المقيمون بمصر بمراسلة

---

(1) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 11/ 326 ؛ سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، جـ8، ق1 / 269 ؛ أبو شامة، الروضتين، 1/ 365؛ ابن واصل، مفرج الكروب، 1/ 151 ؛ ابن كثير، البداية، 12/ 252.

(2) ابن الاثير، الكامل، 11/ 326 ؛ أبو شامة، الروضتين، 1/ 365 ؛ ابن واصل، مفرج الكروب، 1/ 152.

Stevenson, op.cit. P.191.

(3) الشحنة: إحدى الوظائف التي استحدثها السلاجقة وتوكل لمتوليها الحفاظ على الامن ورئاسة جهاز الشرطة وهي شديدة القرب من الوظائف العسكرية ينظر : ابن المعمار، كتاب الفتوة، تحقيق، مصطفى جواد، (بغداد :1958)، ص43، سوادي عبد محمد، الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في بلاد الجزيرة الفراتية (بغداد : 1989)، ص449.

(4) ابن الاثير، الباهر، ص134 ؛ الكامل في التاريخ، 11/ 327 ؛ ابن واصل، مفرج الكروب، 1/ 152 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 12/ 253.

ملكهم آموري الأول يستدعونه لدخولها، فرفض في بادئ الأمر، ولكنه عاد إلى إجابة طلبهم، هذا بالإضافة إلى ما قام به بعض أعيان الدولة الفاطمية الناقمين على شاور من الاتفاق مع آموري الأول على دخول مصر ومساعدتهم[1].

وسار آموري الأول على رأس جيش كبير إلى مصر فنزل بلبيس، واستولى عليها في صفر سنة 564هـ/ 1168م، ثم سار منها إلى القاهرة، وذكر ابن الاثير أن أهلها قاوموا الصليبيين ببسالة خوفاً من التعرض للمصير السيئ الذي تعرض له أهل بلبيس[2].

أما شاور فيبدو أنه شعر بحرج الموقف أمام الصليبيين. فأمر باشعال النار في الفسطاط خوفاً من أن يملكها الصليبيون. بعد أن طلب من أهلها الانتقال إلى القاهرة[3].

ونظراً لصعوبة الموقف، وعجز شاور عن وقف التقدم الصليبي، عاود العاضد مراسلة نور الدين محمود يستغيث به، ويطلب النجدة منه[4].

ولا عجب أن تأتي الامدادات من بلاد الشام بسرعة، إذ لم يكن من الممكن أن يترك نور الدين الصليبيين يستولون على مصر، لذلك سارع إلى تجهيز قوة كبيرة بقيادة أسد الدين شيركوه ومعه صلاح الدين، ووصلت الحملة في ربيع الأول سنة 564هـ/ 1168م وتمكنت من السيطرة على الموقف، وعندما دخل أسد الدين القاهرة

---

(1) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 11/ 336 ؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، 2/ 445 ؛ ابن واصل، مفرج الكروب، 1/ 156.

(2) الكامل في التاريخ، 11/ 336 ؛ ابو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، 1/ 390؛ ابن واصل، مفرج الكروب، 1/ 157.

(3) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 11/ 336 ؛ سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، جـ8، ق1/ 275 ؛ ابن واصل، مفرج الكروب، 1/ 157 ؛ العليمي، الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل (النجف الاشرف : 1968)،1/ 311.

(4) ابن الاثير، الباهر، ص138 ؛ الكامل في التاريخ، 11/ 336-337 ؛ سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ق1/ ص275؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ص350؛ ابن واصل، مفرج الكروب، 1/ 158؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، 3/ 293.

رحّب به أهلها، والتفوا حوله وخلع عليه العاضد خلع الوزارة، ولقبه الملك المنصور، وذلك في جمادي الآخرة من سنة 564هـ/ 1169م[1]، وبذلك تحقق ما كان يصبوا اليه نور الدين محمود الذي لم يكد يسمع بانتصار أسد الدين حتى غمرته الفرحة، وبعث رسله بالبشائر إلى مختلف البلاد[2].

لم يبق أسد الدين شيركوه طويلاً في الوزارة الفاطمية إذ أدركته المنية في 22 من جمادي الآخرة من سنة 564هـ/ 23 آذار 1169م، وذلك بعد شهرين وخمسة أيام من توليه الوزارة[3]. وكاد أن يقع الخلاف بين العسكر الشامي فيمن يتولى الوزارة، وانتهى الأمر باختيار صلاح الدين الأيوبي، ولقي هذا الاختيار قبولاً لدى الخليفة العاضد الذي منحه لقب الملك الناصر[4].

وقد أظهر صلاح الدين بعد توليه الوزارة الفاطمية كفاءة ومقدرة عالية، وبدأ يعمل على تهيئة الأجواء لانقلاب شامل في الحياة السياسية والاقتصادية، والفكرية، وكانت تحدوه الرغبة في إرجاع مصر إلى الولاء العباسي[5]، فأخذ يتدبر الأمور، ويعد العدة لهذه الغاية، وكان لإجراءاته الاقتصادية، والغائه الضرائب والمكوس

---

(1) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 11/ 340 ؛ البنداري، سنا البرق الشامي،ق1/ 78 ؛ أبو شامة، الروضتين، 1/ 396 ؛ ابن واصل، مفرج الكروب، 1/ 163 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 5/ 388.

(2) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 11/ 338 ؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، جـ8، ق1/ 278 ؛ ابن واصل، مفرج الكروب، 1/ 160.

(3) ابن الاثير، الكامل، 11/ 341 ؛ ابن شداد، النوادر السلطانية، ص40 ؛ سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، جـ8، ق1 / 278 ؛ ابن واصل، مفرج الكروب، 1/ 167 ؛ العليمي، الانس الجليل، 1/ 312.

(4) ابن الاثير، الكامل، 11/ 344 ؛ البنداري، سنا البرق الشامي، ق1/ 81 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 6/ 6؛ عبد الله ناصح علوان، صلاح الدين الأيوبي بطل حطين ومحرر القدس (القاهرة- 1983)، ص29.

(5) هاملتون جب، صلاح الدين الأيوبي، دراسات في التاريخ الإسلامي، ترجمة يوسف أيبش (بيروت : 1973)، ص197-198، ناصر عبد الرزاق عبد الرحمن، صلاح الدين الأيوبي في الدراسات الاستشراقية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1992، ص219.

الفاطمية[1]، وبذله الأموال والهبات للناس، فضلاً عن انتهاجه لسياسة العدل والتسامح أن أحبه المصريون[2].

ولم يشأ صلاح الدين التعجيل في قطع الخطبة للخليفة العاضد لدين الله الفاطمي لإدراكه خطورة ذلك، بيد أن نور الدين محمود أخذ يلح عليه للتعجيل بذلك، فقطع صلاح الدين خطبة العاضد، وأمر أن يخطب باسم الخليفة العباسي المستضيء بأمر الله (566-575هـ/ 1170-1179م) وذلك في الجمعة الثانية من محرم سنة 567هـ/ 1171م[3].

ومما لا شك فيه أن سقوط الخلافة الفاطمية كان حدثاً خطيراً في تاريخ العالم الإسلامي بوجه عام، وفي تاريخ مصر بوجه خاص، فهاهي دولة الفاطميين تنهار بعد قرنين من الزمان تقريباً لتعود إلى العالم الإسلامي وحدته الفكرية، وتصبح الخلافة العباسية هي الخلافة الوحيدة التي يدين لها العالم الإسلامي بولائه الروحي، لذلك لا غرابة إذا أقيمت الاحتفالات في بغداد تعبيراً عن شعور الفرح بذلك النصر الذي تحقق للخلافة العباسية، إذ كان نور الدين قد بعث إلى الخليفة العباسي رسلاً يبشرونه بذلك، فرد عليه الخليفة المستضيئ بإرسال الخلع والتشريفات له، ولصلاح الدين ومنها الاعلام والرايات السود شعار العباسيين[4].

وخلاصة القول أن مصر في القرن 6هـ/ 12م كانت قد شهدت أواخر الخلافة الفاطمية، في وقت كانت تعاني فيه من الضعف والانحلال، وتسودها الفتن والاضطرابات، ويهددها الصليبيون، فصار من السهل على الدولة الزنكية في الشام

---

(1) ابو شامة، الروضتين، 1/ 443 ؛ المقريزي، الفاظ الحنفا، 3/ 319.

(2) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 11/ 344.

(3) ابن الاثير، الكامل، 11/ 368 ابن العديم، زبدة الحلب، ص354 ؛ سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، جـ8، ق1/ 285 ؛ أبو شامة،الروضتين، 1/ 493 ؛ ابن العبري، تاريخ الزمان، ص187 ؛ العليمي، الانس الجليل، 1/ 314 ؛ القرماني، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ (بيروت :د/ ت)، ص194، شاكر أحمد أبو بدر، الحروب الصليبية والاسرة الزنكية (بيروت :1972)، ص349-350.

(4) ابن الاثير، الكامل، 11/ 371؛ الباهر،ص157، البنداري، سنا البرق الشامي، ق1/ 117.

أن تتدخل فيها وتفتحها بقيادة الأيوبيين الذين يرجعون بأصولهم إلى الكرد الروادية[1].

ـ الأحوال الفكرية

عانت مصر قبيل قيام الدولة الأيوبية كثيراً من المشاكل والويلات بسبب الاضطرابات الداخلية الناجمة عن ضعف الخلفاء الفاطميين، وصراع الوزراء والقادة على السلطة،فضلاً عن تعرض البلاد لأزمات اقتصادية، كذلك تعرضها للحملات الصليبية المتلاحقة – كما رأينا آنفاً – على أن ذلك لم يمنع من نشاط الحركة العلمية، وانتشار الثقافة.

ولم تكن مصر في وسط تلك الظروف بمعزل عن محيطها الإسلامي، وبقيت الوحدة الثقافية تشدها مع الأمصار الإسلامية الأخرى، وظلّت أواصر الثقافة والوشائج الروحية قائمة بينها، ولم تستطع عوادي الزمن، ولا تلك الصراعات والخلافات السياسية والمذهبية أن تحول دون تطور وازدهار المعرفة، ولعلنا لا نغالي إذا قلنا أن التفكك السياسي الذي أصاب العالم الإسلامي آنذاك - بالرغم من نتائجه السلبية – كان سبباً في حركة علمية واسعة انتظمت العالم الإسلامي آنذاك.

ففي ذلك العصر المضطرب انتشرت المراكز الثقافية، ونمت تبعاً لتعدد المراكز السياسية واختلافها، فقد كان من أثر قيام كثير من الدول التي استقلت عن الخلافة العباسية أن نشطت الحركة الفكرية، وراجت الثقافة، وزخر بلاط

(1) الروادية: بطن من بطون قبيلة الهذبانية التي انتشرت حول مدينة جنزة –تعريب كنجة– الواقعة بين شروان وأذربيجان وقد نزح الأيوبيون من بلدة يقال لها دوين في آخر عمل أذربيجان من جهة آران وبلاد الكرج. للمزيد ينظر: ياقوت، معجم البلدان، 3/ 151، ابن الأثير، الكامل، 11/ 341؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، 7/ 139ـ140؛ ابن كثير، البداية، 12/ 259؛ اليافعي، مرآة الجنان، 3/ 439؛ نوري، سياسة صلاح الدين، ص62ـ64؛

Encyclopedia Britannic (ART: Ayyubids), (London: 1966), Vol.2, P.928.

؛ حسام الدين النقشبندي،

هذه الدول بالعلماء والأدباء إذ دأبت تلك الأمصار الإسلامية المستقلة على التنافس فيما بينها في تشجيع رجال العلم والأدب ، فأجزلت لهم العطاء بقصد جذب اكبر عدد منهم، حتى بالغ بعضها كثيراً في إكرامهم، والاحتفاء بهم، فكان من نتيجة ذلك أن أَمّ العلماء هذه الأمصار، وقصدوها، وكثرت الرحلة في طلب العلم، فساعد ذلك على ترابط علمي متين، نشأ عنه تفاعل ثقافي بين تلك الأقطار على تباعدها.

وساهم الفاطميون في ذلك النشاط بنصيبٍ وافر، فقد عنوا بنشر الثقافة العلمية والأدبية، إلى جانب عنايتهم بالثقافة المذهبية التي تتصل بدعوتهم، حتى غدت مصر في عهدهم محط أنظار العلماء والأدباء [1].

ومن مظاهر الحياة العلمية في العهد الفاطمي كثرة المراكز الثقافية المتمثلة بالمساجد والجوامع التي غدت معاهد للعلم لما كانت تقوم به من دورٍ كبير في إحياء الثقافة ونشرها، وما كان يعقد فيها من حلقات العلم، ومجالس الدرس على اختلافها.

ولعل من أهم تلك الجوامع، الجامع الأزهر بالقاهرة [2]، إذ كان له أثر كبير في هذا الشأن، حتى فاقت شهرته الجوامع الأخرى في مصر، لاسيما بعد أن تحول في عهد الخليفة العزيز (365-386هـ / 975 -996م) إلى جامعة تدرس فيها العلوم والآداب، فضلاً عن كونه مركزاً نشطاً للدعوة الفاطمية [3].

كما عرف العصر الفاطمي نوعاً من الجمعيات العلمية على غرار تلك التي أنشئت في بغداد، مثال ذلك (**دار العلم**) التي أنشأها الخليفة الحاكم بأمر الله سنة

---

(1) حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، ص 421.

(2) سمي الجامع بالأزهر نسبة إلى الزهراء وهو من أقدم الجوامع الفاطمية واشهرها، شيده جوهر الصقلي قائد الخليفة المعز لدين الله (341 -365 هـ / 952 - 975م) بعد دخوله مصر، وقد شرع ببنائه سنة 359 هـ / 969م وتمّ افتتاحه في السابع من رمضان سنة 361 هـ / 972 م. للمزيد ينظر : المقريزي، المواعظ والاعتبار، 2/ 273.

(3) المصدر نفسه، 2/ 273 ؛ سرور، مصر في عصر الدولة، ص 218.

395 هـ/ 1004م، وتسمى أحياناً (**بدار الحكمة**)، والتحق بها كثير من الفقهاء والنحاة والأطباء وغيرهم. وأجرى الخليفة الحاكم بأمر الله ومن جاء بعده من الخلفاء الأرزاق على من بها من العلماء، وتم تزويدها بما تحتاج إليه من الكتب في سائر العلوم والآداب، وأبيح للناس التردد والانتفاع بها، وجعل فيها ما يحتاجونه من الحبر والأقلام والورق [1].

واتخذت دار العلم في البداية طابعاً حراً، فدعي إليها الفقهاء من الشيعة والسنة، ثمّ ما لبث أن تغير دورها وأصبحت مركزاً للدعاية الفاطمية لاسيما بعد تنامي روح مناهضة لفكر الدولة الإسماعيلي. ويبدو أن الطابع الحر الذي اتخذته هذه المؤسسة في البداية لم يكن في الواقع إلا ستاراً للغاية الأصلية التي أنشئت هذه الدار لتحقيقها، وهي بث الدعوة الفاطمية بطريقة منظمة تمتزج فيها النظريات والاراء الفلسفية بالاصول والمبادئ المذهبية، لتكون أبعد أثراً في غزو الاذهان والعقائد [2]. ولتحقيق هذه الغاية فقد كان داعي الدعاة [3] هو الذي يشرف على سير الدراسة فيها، وهو الذي يرتب لها الشيوخ والاساتذة طبقاً لما يرسم من الخطط والغايات [4].

وظلت دار العلم مفتوحة إلى سنة 516 هـ / 1122م ثمّ اغلقت بعض الوقت، وفتحت في عهد الخليفة الآمر باحكام الله (495-525هـ / 1101-1130م) في موضعٍ مخالف لموضعها الاول [5].

(1) المقريزي، المواعظ والاعتبار، / ،هاينز هالم، الفاطميون، وتقاليدهم في التعليم، ترجمة سيف الدين القصير (دمشق / 1999)، ص 118.

(2) محمد عبدالله عنان، الحاكم بأمر الله واسرار الدعوة الفاطمية (القاهرة : 1959)، ص 264.

(3) **داعي الدعاة** – من المناصب الدينية ورتبته تلي قاضي القضاة ويتزيا بزيه، ولا بد ان يكون عالماً بمذاهب الشيعة وله نواب في سائر البلاد ويحضر اليه فقهاء الشيعة بدار العلم وتجمع أحيانا وظيفتا قاضي القضاة وداعي الدعاة لرجل واحد. القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشا (بيروت: 1987)، 3/ 55؛ المقريزي، المواعظ، 1/ 403.

(4) المقريزي، المصدر نفسه، 1/ 460.

(5) المقريزي، المصدر نفسه، 1/ 459 ؛ هالم، الفاطميون، ص 132، سرور، مصر في عصر الدولة

ولكي تؤدي المؤسسات العلمية دورها المنشود كان من البديهي ان يعنى الفاطميون بالمكتبات لانها من أدوات رقي العلم، واسباب نشره، ومن أجل ذلك حرصوا على انشاء المكتبات الضخمة، وجمعوا الآلاف من الكتب التي تتصل بمختلف ضروب المعرفة واودعوها فيها، وزودوها بالمؤلفات النادرة والنفيسة، حتى فاقت المكتبات في عهدهم مكتبات العالم الإسلامي وتميزت عن غيرها، فصارت مثلاً في عدد الكتب، وقيمتها، وتنظيمها، ومن الامثلة على ذلك، مكتبة القصر الفاطمي التي أنشأها الخليفة الحاكم بأمر الله والحقها بدار العلم سنة 395 هـ / 1004م [1]، وكانت الغاية من اقامتها كغيرها من دور العلم خدمة الفكر الإسماعيلي ونشره بين الناس بالدرجة الاساس [2]. وقد وصفت هذه المكتبة بأنها " من عجائب الدنيا " [3] ومفخرة من مفاخر العصر الفاطمي[4]، بما حوته من الكتب[5].

وضمت مكتبة القصر كتباً فريدة ونادرة لبعض الكتب، وكان لبعضها نسخ كثيرة وبالغت المصادر في ذكر أعداد بعضها فعلى سبيل المثال، قيل أن بها نحو الف ومائتان وعشرون نسخة من تاريخ الطبري وهو رقم كبير لا يعقل كما قيل أن بها نحو مائة نسخة من كتاب الجمهرة في اللغة لابن دريد (ت321هـ/ 933م)،

الفاطمية، ص 221.

(1) المقريزي، اتعاظ الحنفا، 2/ 56.

(2) المقريزي، المصدر نفسه، 2/ 175 هامش (1) المحقق.

(3) أبو شامة، الروضتين، 1/ 200، المقريزي، المواعظ والاعتبار، 1/ 409.

(4) زكي محمد حسن، كنوز الفاطميين (بيروت :1981)، ص28.

(5) بالغت المصادر المصادر في تقدير ما بهذه المكتبة من الكتب فعلى سبيل المثال ذكر ابو شامة انها كانت تضم نحو مليوني كتاب، بينما قدر المقريزي عدد الكتب بنحو مليون وستمائة الف كتاب، اما ابن واصل فقدر عدد كتبها بمائة وعشرين الف مجلد وتبدو رواية ابن واصل الأرجح. للمزيد ينظر ابو شامة، الروضتين، 1/ 200، ابن واصل، مفرج الكروب، 1/ 203 ؛ المقريزي، المواعظ، 1/ 409 ؛ اتعاظ الحنفا، 3/ 331.

اما كتاب العين للخليل بن احمد الفراهيدي (ت 175هـ/ 791م) فقد وجد له عندهم نيف وثلاثون نسخة، منها نسخة بخط الخليل نفسه[1].

وكانت مكتبة القصر حسبما وصفها المقريزي تضم أربعين خزانة (قاعة)، وأنّ احدى هذه الخزائن كان بها نحو ثمانية عشر الف كتاب من العلوم العقلية[2]. وقد أثثت جميع تلك القاعات تأثيثاً حسنا لتكون مكانا ملائماً للمطالعة، والنسخ، وعقد الحلقات الدراسية، فكانت أشبه ما تكون بجامعة قائمة بذاتها[3].

ومن الجدير بالذكر ان الدولة الفاطمية كانت حريصةً في توجهاتها الفكرية على ان تطبع الشعب والمجتمع بمصر بطابعها الخاص، وان تصوغ الحياة الثقافية والعلمية له وفقاً لمناهجها ورسومها. على أن هذه السياسة لم يكتب لها النجاح في كثير من الاحيان، اذ لم يتقبل المصريون الفكر الإسماعيلي الباطني واعتبروه طارئاً على بلادهم [4]، ولعل أهم دوافع عدم تقبل المصريين للفكر الفاطمي هو أنه كان قد فرض عليهم بالقسر وكل شيء يفرض بالقوة يزول بزوال المؤثر.

من هنا فقد كان للاضطرابات السياسية التي شهدتها مصر في نهاية العصر الفاطمي أن هيأت حالة من الانتعاش للفكر السني ممثلة بمذاهبه المعروفة. ومن مظاهر ذلك الانتعاش ان شهد النصف الاول من القرن 6هـ / 12م انشاء مدرستين سنيتين هما : **المدرسة الحافظية** – ويقال لها ايضاً **المدرسة العوفية** وتنسب إلى وزير الخليفة الحافظ رضوان بن ولخش (531-533هـ / 1136-1138م) وكان سني المذهب، يعزى اليه بناؤه اول مدرسة للمذهب المالكي في

(1) ابو شامة، الروضتين، 1/ 200 ؛ المقريزي المواعظ، 1/ 408، اتعاظ الحنفا، 3/ 331، محمد ماهر حمادة، المكتبات في الاسلام، نشأتها وتطورها ومصائرها (بيروت :1981)، ص 118.

(2) المواعظ والاعتبار، 2/ 409 ؛ محمد محمود ادريس، دراسات في التاريخ والحضارة الإسلامية (القاهرة: 1984)، ص 31 ؛ حسن، تاريخ الدولة، ص 432.

(3) فتحية النبراوي، تاريخ النظم والحضارة الإسلامية (جدة :1987)، ص 229.

(4) موريس كروزيه، تاريخ الحضارات العام، ترجمة، يوسف اسعد داغر، (بيروت :1965)، 3/ 211.

الاسكندرية سنة 532 هـ / 1138م [1].

وجاء اختياره لمدينة الاسكندرية لكونها أصلح من القاهرة لاشاعة الفكر السني فيها، حيث كان يسكنها الكثير من علماء السنة لاسيما من المغاربة كالفقيه المالكي ابي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي (ت 520هـ / 1126م) صاحب التعليقة في الخلاف، وكتاب سراج الملوك[2] وغيره من المغاربة والاندلسيين[3].

ونص المرسوم الخاص بانشائها على ان تنحصر الدراسة فيها بالعلوم الشرعية، وان يتولى الاشراف عليها الفقيه أبو طاهر بن عوف بن اسماعيل بن مكي (ت581هـ/ 1185م)[4] وإليه نسبت المدرسة في وقت لاحق.

اما المدرسة الثانية فهي المنسوبة إلى الملك العادل ابي الحسن علي بن السلاّر الكوردي (544 – 548 هـ / 1149-1153م) وزير الخليفة الظافر (544-549هـ / 1149 –1154 م) / وكان ابن السلار شافعياً بنى مدرسته في الاسكندرية سنة 546 هـ/ 1151 م [5] عندما كان والياً عليها قبل ان يلي الوزارة، وفوض تدريسها إلى الفقيه المحدث ابي طاهر أحمد بن محمد السلفي الاصفهاني (ت576هـ/ 1180م) الذي بقي فيها مواظباً على التدريس حتى وفاته[6].

---

(1) المقريزي، اتعاظ الحنفا، 1/ 167

(2) المقريزي، اتعاظ الحنفا، 3/ 88 ؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان،4/ 262؛ ابن تغري بردي، النجوم،5/ 231.

(3) ينظر على سبيل المثال : ابن بشكوال، كتاب الصلة، (القاهرة :1966) ج 1، 35 ؛ ج2/ 92، ج3 / 132، 139، 149،185، ج6 / 322، 323، ج9 / 539،593.

(4) ينظر نص المرسوم: القلقشندي، صبح الاعشى 10/ 464 –466.

(5) ابو الفداء، المختصر في أخبار البشر (بيروت: 1997)، 2/ 98 ؛ ابن فضل الله العمري، التعريف بالمصطلح الشريف (بيروت :1988) ص200 (هامش المحقق) ؛ اليافعي، مرأة الجنان، 3/ 221؛ المقريزي، السلوك،1/ 174.

(6) ابن خلكان، وفيات، 3/ 417؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، تحقيق بشار عواد معروف ومحيي هلال السرحان (بيروت: 1988)، 23/ 23؛ المقريزي، اتعاظ، 3/ 198.

ولا ريب ان انشاء هاتين المدرستين كان بحد ذاته تحولا مهما في سياسة الفاطميين تجاه الاتجاهات الفكرية الأخرى المخالفة لهم.

ومن الجدير بالذكر ان هاتين المدرستين بقيتا تمارسان دورهما في العصر الأيوبي، حيث كانتا محل عناية الأيوبيين، وتصدر التدريس فيهما نخبة من العلماء[1]. كما ارتادهما الكثير من طلبة العلم في مقدمتهم السلطان صلاح الدين وأبناؤه [2] والذين لم تثنهم مشاغلهم الحربية لتوطيد حكمهم، ومحاربة الصليبيين عن المساهمة في الانشطة العلمية، فضلاً عن دعمهم للعلوم والآداب فغدت مصر في عهدهم مركز الريادة الفكرية على صعيد البلاد الإسلامية كما سنرى.

(1) ينظر على سبيل المثال: المنذري، التكملة لوفيات النقلة، تحقيق بشار عواد معروف، (بيروت-1988) 1/ 450، 3/ 579؛ الاسنوي، طبقات الشافعية، تحقيق كمال يوسف الحوت (بيروت: 1987)، 1/ 129، 2/ 101.

(2) ينظر: البنداري، سنا البرق، 1/ 242، ابو شامة، الروضتين، 1/ 68؛ ابن واصل، مفرج، 2/ 56، المقريزي، السلوك، 1/ 173.

الفصل الأول

العوامل المؤثرة في الحياة الفكرية في مصر خلال العصر الأيوبي

أولا: الموقع الجغرافي والتواصل التاريخي

ثانيا: الدين الإسلامي

ثالثا: مساهمة الأيوبيين في الحياة الفكرية

رابعا: دعم الأيوبيين للعلم والعلماء

خامسا: حرية الفكر والتسامح

سادسا: الرحلات العلمية

سابعا: التحدي الصليبي



الفصل الأول

العوامل المؤثرة في الحياة الفكرية في مصر خلال العصر الأيوبي

أولا: الموقع الجغرافي والتواصل التاريخي.

لاشك أن ازدهار الحياة الفكرية في مصر خلال العصر الأيوبي يعود إلى جملة عوامل لعل في مقدمتها: أهمية مصر من حيث موقعها الجغرافي وتوسطها بين مشرق العالم الإسلامي ومغربه[1]، في الإقليمين الثالث والرابع وفق تقسيمات بعض الكتاب المسلمين[2]، فضلا عن تمتعها بثروات اقتصادية وبشرية كبيرة[3].

وأسهب البلدانيون والمؤرخون المسلمون في وصفها وعدت من البلاد الغنية "**المليئة بالخيرات**"[4]، ولكثرة مواردها المتنوعة[5] كان لمصر مكانتها المميزة بين البلاد الإسلامية[6] حتى عدها البعض بأنها "**غوث العباد**"[7] كما وصفها القلقشندي بأنها "**أرض الله المباركة**"[8].

وكان لنهر النيل أثره البين في غنى مصر وقيام أقدم الحضارات الإنسانية فيها،

(1) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة (بيروت: د/ ت)، ص39.

(2) ياقوت، معجم البلدان، 5/ 137؛ النويري، الإلمام بالأعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الإسكندرية، تحقيق: عزيز سوريال عطية، (حيدر آباد الدكن: 1973)، 3/ 342.

(3) فهمي توفيق مقبل، الفاطميون والصليبيون (بيروت: 1980)، ص19.

(4) التطيلي، رحلة بنيامين التطيلي، ص175.

(5) مؤلف مجهول، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تحقيق يوسف الهادي، (القاهرة-1999)، ص131.

(6) الظاهري، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تحقيق بولص راويس، (باريس-1894)، ص9.

(7) النويري، الإلمام، 3/ 342.

(8) ينظر: صبح الأعشى، 8/ 117.

وجاء عن هيرودوتس أن "**مصر هي هبة النيل**"[1] فلولاه لتحولت البلاد إلى أرض جرداء قاحلة، وقد أسهب المسعودي (ت 346هـ/ 957م) في مدح مصر ونيلها، ومن جملة ما قاله أن: "**نيلها عجب وأرضها ذهب وخيرها جلب وملكها لمن سلب، ومالها رغب..**"[2].

وكان لاعتدال مناخ مصر وبعده عن التطرف والتقلب في درجات الحرارة[3] أن ترك بصماته على السكان الذين امتازوا بالبساطة والوضوح والبعد عن التعقيد والالتواء في التفكير لذلك لم يكن المصريون يميلون إلى الفلسفة كثيرا[4].

ولقد لخص القلقشندي محاسن مصر وأسباب رحلة الناس إليها بقوله: "**أما محاسنها فلا شك أن مصر مع ما اشتملت عليه من الفضائل وحفت به من المآثر أعظم الأقاليم خطرا، وأجلها قدرا، وأفخمها مملكة، وأطيبها تربة، وأخفها ماء وأحسنها ثمارا، وأعدلها هواء، وألطفها ساكنا لذلك ترى الناس يرحلون إليها وفودا، يفدون عليها من كل ناحية، وقل أن يخرج من دخلها أو يرحل عنها من ولجها مع ما اشتملت عليه من حسن المنظر وبهجة الرونق..**"[5].

ولا يخفى أن مصر ورد ذكرها في القرآن الكريم في أكثر من آية بصريح العبارة تارة وبإيماء تارة أخرى من ذلك قوله تعالى ﴿وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ﴾[6] وقوله تعالى **﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾**[7] وقوله تعالى **﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ**

(1) طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (القاهرة: 1956)، ج2، ق1/ 4.

(2) ينظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر (بيروت: 1981)، 1/ 375، وانظر: العبدري، رحلة العبدري، تحقيق علي إبراهيم الكردي (دمشق: 1999) ص312-314.

(3) ابن دقماق، الانتصار لواسطة عقد الأمصار (بيروت: د/ت)، ج4، ق1/ 3، النويري، الإلمام 3/ 342.

(4) عبد اللطيف حمزة: الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي (القاهرة: 1968)، ص13.

(5) صبح الأعشى، 3/ 309.

(6) القرآن الكريم، سورة يوسف، آية (99).

(7) القرآن الكريم، سورة الزخرف، آية (51).

﴿بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرْ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1] ولا يعلم بلد من البلدان غير مكة والمدينة المنورة وبيت المقدس أثنى الله عليها بهذا الوصف غير مصر، فهي الأرض المباركة التي قصدها الكثير من الأنبياء والصحابة والأولياء على مر العصور[2].

كما أن فيها الكثير من المزارات والمشاهد والقبور[3]، مما شد المسلمين للرحيل إليها من أجل الاستقرار والسكن فيها. سكنها خلال العصر الفاطمي أجناس مختلفة من أرجاء العالم الإسلامي فكان منهم المغاربة والسودان والأرمن والكورد والترك والصقالبة... الخ[4]، وقد بقي هذا التنوع البشري ماثلا للعيان خلال العصر الأيوبي وكان له أثره في إغناء الحياة الفكرية والتي أخذت طابعا إسلاميا عالميا وتجاوزت طابعها المحلي الضيق كما سنرى.

ثانيا: الدين الإسلامي:

لقد كان للدين الإسلامي بالغ الأثر على الحياة الفكرية في المجتمع الإسلامي من خلال حثه معتنقيه على طلب العلم والتعلم، وفي القرآن الكريم إشارات كثيرة بهذا الصدد منها قوله تعالى مخاطبا رسوله الكريم ﷺ ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[5] ولو كان هناك شيء أكرم من "العلم" لخاطب الله به رسوله أن يطلبه منه عندما أمره بالدعاء في الآية المذكورة.

---

(1) القرآن الكريم، سورة يونس، آية (87)، وانظر سورة البقرة، آية (61)، سورة الأعراف، آية (137)، سورة يوسف، آية (55).

(2) للمزيد ينظر: البستي، مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، تحقيق: مرزوق إبراهيم (بيروت: 1987)، ص93ـ197، الشيرازي، طبقات الفقهاء، تحقيق إحسان عباس (بيروت ـ 1981)، ص77ـ78.

(3) للتفاصيل عن هذه المشاهد والمزارات ينظر: ابن جبير، رحلة ابن جبير، (بيروت: د/ ت)، ص49ـ52، الظاهري زبدة كشف الممالك، ص37ـ38، العبدري، رحلة العبدري، ص319ـ329.

(4) ناصر خسرو، سفر نامة، ترجمة احمد خالد البدلي (الرياض: 1983)، ص100.

(5) القرآن الكريم، سورة طه، آية (114).

ولا يخفى أن طلب العلم له أهمية كبيرة في حياة المسلمين إذ أن طالب العلم بما يكتسبه من علم تكون له مكانة رفيعة في المجتمع: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[1] وقوله تعالى ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾[2] إلى غيرها من الآيات التي ترفع من شأن العالم وبالتالي ترفع منزلته عند الله تعالى.

كما جاء في الحديث النبوي: "من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة"[3]، وقوله ﷺ: "من خرج في طلب العلم كان في سبيل الله حتى يرجع"[4] وقوله كذلك: "طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة"[5].

كما يتضح تأثير الإسلام على الحركة الفكرية من خلال ما أتاحه من روح التسامح والمناخ الفكري الحر، والذي مكن العلماء وأصحاب الفكر من الإسهام في إثراء الحضارة الإسلامية في كافة مجالاتها فقد قدم أبناؤه من كافة قومياتهم ومذاهبهم ما بهر العالم من نتاج فكري كان نواة للعلوم الحديثة[6].

وخلال العصر الأيوبي كان للدين الإسلامي أثر بارز على الحياة العلمية ونستطيع القول بأنه كان المحرك والموجه لها، وتصدر الفكر الديني الحياة العلمية وبدا المسلمون متحمسين لتفهم أصول دينهم والأبعاد الحقيقية له لاسيما أن ذلك العصر قد شهد تحديا خطير وهو التحدي الصليبي الذي استهدف المسلمين أرضا ودينا وثقافة، ومن ثم كان الالتجاء إلى الدين باعتباره يمثل إحدى الوسائل الرادعة لهذا التحدي لاسيما أن الصليبيين قد سعوا إلى تمرير مشروعهم الاستعماري من خلال

(1) القرآن الكريم، سورة المجادلة، آية (11).

(2) القرآن الكريم، سورة زمر، آية (9).

(3) البخاري، صحيح البخاري، تحقيق محب الدين الخطيب ومحمد عبد الباقي (بيروت: د/ ت)، 1/ 27.

(4) النووي، رياض الصالحين، تحقيق: شعيب الأرنووط (بيروت: 1991)، ص525.

(5) ابن ماجة، سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (القاهرة: 1952)، 1/ 81.

(6) النبراوي، تاريخ النظم، ص179.

الدين[1].

وقد أدت الحماسة للدين الإسلامي من جهة، وحرص الأيوبيين على تفهم روحه وتعاليمه من جهة أخرى إلى عكوف المسلمين على دراسة العلوم الشرعية كعلوم القرآن والحديث والفقه فضلا عن العلوم الأخرى التي تمكنهم من الوقوف بوجه أعدائهم.

ولو لم يكن الدين الإسلامي لما أقبل الناس على حلقات العلم في المساجد حيث كانوا يترددون إليها للصلاة وتلقي العلوم، وعرف عن الأيوبيين أنهم كانوا شديدي الاهتمام بإحياء ودعم العلوم الدينية باعتبارها طريق التعبئة المعنوية اللازمة لمقاومة الصليبيين[2]، وكان هدف صلاح الدين الأيوبي كما يرى المستشرق هاملتون جب هو "**أن يعيد الكيان الإسلامي في ظل دولة موحدة وأن يبعث ذلك الكيان مجددا لا تحت حكمه هو وإنما بأن يعود إلى حكم الشريعة**"[3].

ثالثا: مساهمة الأيوبيين في الحياة الفكرية

لقد ساهم الأيوبيون في الحياة الفكرية ابتداء بالسلطان صلاح الدين الأيوبي ومن أعقبه في حكم مصر على مدى ثمانية عقود (567ـ648هـ/ 1171ـ1250م) سعى خلالها الأيوبيون إلى خلق واقع فكري جديد يساير منطلقاتهم السياسية على اعتبار أنهم يمثلون رد الفعل الديني السني الذي أحدثه السلاجقة الأتراك من قبل[4].

وجاءت مساهمة الأيوبيين في الحياة العلمية وتشجيعهم للعلم والعلماء انطلاقا من إيمانهم بالدين الإسلامي الذي حث على طلب العلم، كما أن الأيوبيين وفي مقدمتهم السلطان صلاح الدين الذي يعد مؤسس الدولة الأيوبية في مصر، كانوا

(1) خاشع المعاضيدي وآخرون، الوطن العربي والغزو الصليبي (بغداد: 1981)، ص22.

(2) قاسم عبدة قاسم، ماهية الحروب الصليبية (الكويت: 1990)، ص221.

(3) دراسات في حضارة الإسلام، ترجمة إحسان عباس وآخرون (بيروت: 1974)، ص133.

(4) بيكر (C.H.Becker) مادة (الأيوبيين) دائرة المعارف الإسلامية، إعداد احمد الشنتناوي وآخرون، (بيروت د/ ت)، 3/ 225.

بحاجة إلى إعلان ثورتهم الفكرية في البلاد التي خضعت لهم للقضاء على الآثار التي خلفتها الدولة الفاطمية بما يتلاءم مع النهج الوحدوي الذي سار عليه نور الدين محمود زنكي في الشام من أجل توحيد الجبهة الإسلامية وتحشيد طاقات المسلمين لمواجهة الأخطار الخارجية، كالخطر الصليبي الداهم بعد أن فشلت دولتا الخلافة العباسية في بغداد، والفاطمية في القاهرة في القيام بمثل هذه المهمة[1].

ومما هو جدير بالذكر أن مصر كانت تمثل إحدى حلقات الصراع وإحدى أهم مرتكزات التوجه الإسلامي والصليبي مما شكل ضرورة واضحة وملحة لتوجيه الإمكانيات الفكرية وتوظيفها في ذلك الصراع الذي تعدى كونه صراعا عسكريا إلى صراع حضاري[2].

وهكذا فقد انعكس وجود الأيوبيين في مصر على واقع الحياة الثقافية والعلمية التي بدت بلون فكري مغاير لما كانت عليه من قبل في ظل الدولة الفاطمية،وبلغت درجة كبيرة من الازدهار نتج عنه نبوغ الكثير من النخب العلمية في شتى فروع المعرفة، لاسيما الدينية منها[3]. ولم تدخر السلطة الأيوبية جهدا لتكوين طبقة من المتفقهين في العلوم الدينية والأدبية وغيرها من العلوم، الذين أصبحوا سندا للدولة الإسلامية[4].

وتجسد الدعم الأيوبي للنهضة الفكرية من خلال تشجيع العلماء وتقريبهم والإغداق عليهم بالأموال وإعطائهم المناصب الرفيعة، كما تجسد من خلال مشاركة السلاطين وأمرائهم للنشاطات العلمية والأدبية وحسبنا أن معظم السلاطين والأمراء

---

(1) ستيفن رانيسمان، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني (بيروت: 1969)، 3/ 149.

(2) أنتوني ويست، الحروب الصليبية، ترجمة محمود نديم (بغداد: 1967)، ص175، قاسم، ماهية الحروب الصليبية، ص182.

(3) السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (بيروت: 1983)، ص138، يوسف درويش غوانمة، إمارة الكرك الأيوبية، (عمان: 1980)، ص352.

(4) ج. ت. نياني، تاريخ أفريقيا العام، أفريقيا من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر، (بيروت:1988)، 4/ 377.

الأيوبيين في مصر كانوا من المستنيرين الذين تبنوا وشجعوا وساهموا في النهضة الفكرية بكل اتجاهاتها[1].

لقد وجد الأيوبيون أنهم بأمس الحاجة إلى العلم لأنه يفتح أذهانهم وينور طريقهم ويطلعهم على تجارب الآخرين فضلا عن زيادتهم وقارا، فالعلم كما يقول ابن الطقطقي (ت709هـ/ 1309م): "**يزين الملوك أكثر مما يزين السوقة**"[2]، مما حدا بأغلب الأيوبيين أن يكونوا من أهل العلم، وفي ذلك يقول العماد الكاتب الأصفهاني (ت 597هـ/ 1200م): "**لقد كان لملوك بني أيوب في مجالسة الفضلاء في كل علم زينة وزي**"[3].

ولما كانت الدولة الأيوبية امتدادا للدولة الزنكية فلا غرابة أن ينتهج سلاطينها في مصر ذات النهج الذي سار عليه الزنكيون لاسيما السلطان نور الدين محمود الذي وصفته المصادر بالتقوى والنزاهة وآداب الملك ورعايته للعلماء وتشبهه بهم[4]، فقد كانت مجالس صلاح الدين "**حافلة بأهل العلم والفضل، منزهة عن اللهو والهزل**"[5]، وكان محبا للعلماء حريصا على مصاحبتهم، ودعوتهم إلى مجالسه الخاصة للاستماع إليهم والمشاركة معهم والتداول في مختلف العلوم، في غاية التواضع حتى أن من جالسه لا يشعر أنه مجالس للسلطان[6]. ولم يكن صلاح الدين قائدا عسكريا، ومجاهدا

---

(1) نيكيتا ايليسيف، الشرق الإسلامي في العصر الوسيط، ترجمة منصور أبو الحسن (بيروت: 1986)، ص474.

(2) الفخري في الآداب السلطانية (حلب: 1997)، ص13.

(3) الأصفهاني، خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق: شكري فيصل (دمشق: 1968)، ج3، ق3/ 77.

(4) للتفاصيل عن سيرة نور الدين محمود ينظر: ابن قاضي شهبه، الكواكب الدرية في السيرة النورية، تحقيق: محمود زايد (بيروت: 1971)، حسين مؤنس، نور الدين محمود، سيرة مجاهد صادق (القاهرة: 1959)، عماد الدين خليل، نور الدين محمود، رحلة في تكوين حاكم مسلم (بغداد: 1979).

(5) العماد الأصفهاني، سنا البرق الشامي، اختصار البنداري ق1/ 56، سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ق1/ 426، أبو شامة، الروضتين، 2/ 217.

(6) الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق محمد محمود صبيح، (القاهرة: 1965)، ص657، سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ق1/ 426، أبو شامة، الروضتين، 2/ 217.

في ساحات الوغى وحسب بل كان رائدا من رواد العلم نعته الخليفة العباسي المستضيء بأمر الله بـ"**العالم العادل المجاهد المرابط**"[1] ومدحه القاضي الفاضل محي الدين أبو علي عبد الرحيم البيساني (ت596هـ/ 1199م) بقوله: "**الحمد لله الذي جعله ذا يومين، يوم يسفك دم المحابر تحت قلمه، ويوم يسفك دم الكافر تحت علمه، ففي الأول يطلب حديث المصطفى ﷺ فيجعل أثره عينا لا تستتر، وفي الثاني يجعل لنصره شريعته، فيجعل عينه أثرا لا يظهر**"[2]

وتلقى السلطان صلاح الدين علومه ومعارفه على جماعة من كبار علماء وشيوخ عصره كالإمام أبي الحسن علي بن إبراهيم بن المسلم الأنصاري، والعلامة النحوي أبي محمد عبد الله بن بري (ت 582هـ/ 1186م)، والشيخ أبي الفتح محمود بن احمد بن علي المعروف بابن الصابوني (ت 581هـ/ 1185م)، والمحدث الحافظ أبي طاهر احمد بن محمد السلفي الأصفهاني (ت 576هـ/ 1180م)، والفقيه أبي الطاهر إسماعيل بن مكي بن عوف (ت581هـ/ 1185م) والشيخ أبي المعالي مسعود بن محمد النيسابوري (ت578هـ/ 1182م) والأمير أبي المظفر أسامة بن منقذ الكناني، والفقيه المؤرخ بهاء الدين أبي المحاسن يوسف المعروف بابن شداد[3].

وقد عرف عن السلطان صلاح الدين أنه كان معظما لشعائر الدين مولعا بالعلوم الشرعية من حديث وفقه وسواهما مبغضا للعلوم الفلسفية والمنطق[4]، تلقى

---

(1) الحنبلي، شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق ناظم رشيد (بغداد: 1978)، ص188.

(2) أبو شامة، الروضتين، 2/ 90.

(3) المنذري، التكملة لوفيات النقلة، 1/ 183ـ184، الذهبي، العبر في خبر من غبر، تحقيق أبو هاجر محمد بسيوني زغلول (بيروت: 1985)، 3/ 99ـ100، اليافعي، مرآة الجنان، 3/ 333ـ334، السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ومحمد الطناحي (القاهرة: 1970)، 3/ 24، الزبيدي، ترويح القلوب في ذكر ملوك بني أيوب، تحقيق صلاح الدين المنجد (بيروت: 1983)، ص68.

(4) الأصفهاني، الفتح القسي، ص656، ابن شداد، النوادر السلطانية، ص10، سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ق1/ 427، ابن كثير، البداية والنهاية، 13/ 5، سيدة إسماعيل الكاشف، صلاح الدين الأيوبي (بيروت: 1986)، ص25.

ثقافته الأولى في مدينة بعلبك التي قضى فيها فترة صباه وظهرت لديه الميول الدينية باكرا[1]. وكان من عادته بعد أن يستيقظ من منامه أن يصلي ويجلس خلوة لتلاوة القرآن ثم مطالعة شيء من كتب الحديث والفقه[2]، وكان شافعي المذهب مهتما بنشر المذهب السني في مملكته[3]، ويروي ابن شداد أن السلطان استدعاه في بعض خلواته ليقرأ عليه شيئا من كتب الحديث والفقه وذكر أنه قرأ عليه مختصرا في الفقه لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الرازي (ت 606هـ/ 1209م)[4].

وكان صلاح الدين شديد الرغبة في سماع الحديث "**وعنده علم ومعرفة به**"[5]، لذلك كان إذا ما بلغه عن شيخ رواية عالية استدعاه إلى مجلسه ليسمع منه وإذا كان الشيخ ممن لا يطرق أبواب السلاطين ويتحاشى الحضور في مجلسهم سعى إليه بنفسه[6]. وكان قد اغتنم وجوده في الإسكندرية سنة 572هـ/ 1176م فتوجه للسماع على المحدث الحافظ أبي طاهر احمد بن محمد السلفي وبصحبته ولديه الأفضل علي والعزيز عثمان[7]. وفي سنة 577هـ/ 1181م تردد إلى الفقيه أبي الطاهر إسماعيل بن مكي بن عوف، وسمع موطأ مالك[8]، وفي القاهرة سمع من المحدث تاج الدين محمد

(1) صلاح الدين الشريف، الحكم الأيوبي في الشرق الأوسط (اللاذقية: 1998)، ص127.

(2) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص28.

(3) الأصفهاني، الفتح القسي، ص660، ابن شداد، النوادر، ص41، أبو شامة، الروضتين، 22/ 218.

(4) النوادر السلطانية، ص28، أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، 2/ 174.

(5) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 12/ 97، ابن شداد، النوادر، ص9، سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ق1/ 426، ابن كثير، البداية، 13/ 5.

(6) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص9، سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ق1/ 427، الحنبلي، شفاء القلوب، ص62.

(7) ابن شداد، النوادر، ص9-10، البنداري، سنا البرق، ق1/ 242، أبو شامة، الروضتين، ص268-269، ابن واصل، مفرج الكروب، 2/ 56، المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، 1/ 173.

(8) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ق1/ 366، ابن واصل، مفرج الكروب، 2/ 112، اليافعي، مرآة الجنان، 3/ 317، المقريزي، السلوك، 1/ 187.

بن عبد الرحمن بن احمد المسعودي (ت 584هـ/ 1188م)[1].

وبلغ من حرص صلاح الدين على سماع الحديث أن سمع وهو في أرض المعركة[2]. ويروي مرافقه ابن شداد أن حديث الجهاد كان من أحب الأحاديث إلى نفس السلطان وأقربها إلى روحه ووجدانه لا يمل منها ولا يسأم بحيث ما كان له من حديث إلا فيه ويضيف: **"أن الرجل إذا ما أراد أن يتقرب إليه يحثه على الجهاد أو يذكر له شيئا من أخباره"**[3]. وقد ألفت له كتب عديدة في الجهاد منها كتاب ألفه ابن شداد مكونا من ثلاثين كراسة ذكر فيه آداب الجهاد والآيات والأحاديث التي وردت في فضله وما أعده الله تعالى للمجاهدين، وكان صلاح الدين معجبا به ولازم مع أبنائه على مطالعته[4]، كما أخرج له ابن شداد سنة 583هـ/ 1187م جزءا في الحديث أورد فيه أذكارا من البخاري وقرأه عليه بنفسه[5].

وكان صلاح الدين إلى جانب ذلك حافظا لكتاب الله، عالما بما فيه عاملا به[6]، محافظا على تلاوته كما كان يحب سماعه، وكان يستقرئ من يحضره في الليل واشترط على من يؤمه في الصلاة أن يكون عالما في القرآن متقنا لحفظه، وكان رقيق القلب عند سماعه وقراءته للقرآن تدمع عيناه خشوعا[7].

كما حفظ كتاب **"التنبيه"** في الفقه الشافعي للفقيه إبراهيم بن علي الشيرازي

---

(1) السبكي، طبقات الشافعية، 4/ 340، احمد احمد بدوي، الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام (القاهرة: 1954)، ص149.

(2) ابن شداد، النوادر، ص21، ابن كثير، البداية، 13/ 5، الذهبي، الأمصار ذوات الآثار، تحقيق قاسم علي سعد (بيروت: 1986)، ص62.

(3) النوادر السلطانية، ص21، أبو شامة، الروضتين 22/ 221، ابن واصل، مفرج الكروب، 2/ 254.

(4) ابن شداد، النوادر، ص23، أبو شامة، الروضتين، 2/ 221، عبد العزيز، سيد الأهل، صلاح الدين (بيروت: 1961)، ص13.

(5) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 22/ 385.

(6) ابن شداد، النوادر، ص13.

(7) ابن شداد، النوادر، ص9؛ علوان، صلاح الدين، ص137.

(ت476هـ/ 1083م) وكان يعتقد أن كل فقيه يحفظها[1]. وأخذ صلاح الدين عقيدته من مشايخ عصره وتفهم ما يحتاج إلى تفهمه فقد كان فقيها مشاركا للعلماء ومدليا بآرائه التي دلت على سعة علمه[2]، جمع له الفقيه أبو المعالي مسعود بن محمد النيسابوري ما يحتاج إليه في الفقه كتابا وكان من شدة حرصه عليه يعلمه أولاده الصغار[3].

وترجع عناية الأيوبيين بالفقه إلى أمور كثيرة أهمها اهتمامهم بالجلوس في مجالس القضاء، ومن ثم كانوا حريصين أن يعرفوا الفقه الإسلامي وأصوله ومذاهبه حتى يتمكنوا من مشاركة القضاة في إصدار أحكامهم في القضايا التي ينظرون فيها بحضرتهم.

بالإضافة إلى ما سبق كان صلاح الدين شأنه شأن أغلب سلاطين بني أيوب مولعا بالكتب على اختلافها وكان يجيز مؤلفيها بسخاء ولم يكن يعطي الجائزة اعتباطا وإنما ينظر فيها، فإذا لم يتوسم بها نفعا نبذها، ألف له الشيخ شيت بن إبراهيم بن محمد المعروف بابن الحاج القناوي (ت 599هـ/ 1202م) كتاب "**تهذيب الواعي في إصلاح الرعية والراعي**"[4].

كما صنف له الفقيه أبو الفضائل عبد الرحمن بن عبد الله الشيزري (ت589هـ/ 1193م) كتاب "**المنهج المسلوك في سياسة الملوك**" ورتبه على عشرين بابا وأشاد في مستهله بصلاح الدين ومما جاء فيه: "**لما كان المولى الملك الناصر صلاح الدين والدنيا.. ممن يرى الأدب وفضله، ويؤثر العلم وأهله، جمعت له هذا الكتاب وهو يحتوي على طرائف من الحكمة وجواهر من الأدب وأصول في السياسة، وتدبير**

(1) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 21/ 282، السبكي، طبقات الشافعية، 7/ 24.

(2) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص7، بدوي، الحياة العقلية، ص6.

(3) ابن شداد، النوادر، ص7، أبو الفداء، المختصر، 2/ 148، ابن كثير، البداية، 13/ 5، الزبيدي، ترويح القلوب، ص68.

(4) الصفدي، نكت الهيمان في نكت العميان (القاهرة: 1911)، ص69، السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحويين (بيروت: د/ ت)، ص267، سيد الأهل، صلاح الدين، ص130.

الرعية، ومعرفة أركان المملكة، وقواعد التدبير"[1].

وصنف له مرضي بن علي الطرسوسي (ت 589هـ/ 1193م) كتاب دعاه "**تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة من الحروب الأسواء ونشر أعلام الأعلام في العدد والآلات المعينة على لقاء الأعداء**"، وهو كما يبدو من المصنفات العسكرية فقد تضمن فصولا مهمة في تنظيم العساكر، كما تضمن فصولا نافعة في صناعة الأسلحة فجاء أشبه ما يكون بموسوعة عسكرية شاملة[2].

وألف له قاضي العسكر ابن شداد كتاب "**النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية**" وعرض فيه معلومات واسعة ومفصلة عن سيرته وإنجازاته لاسيما في السنوات التي رافقه فيها بين عامي (584ـ589هـ/ 1188ـ1193م) وذكر أهم الخصال التي اشتهر بها صلاح الدين كالكرم والشجاعة والحلم والصبر والعفو عند المقدرة والتزامه بأداء الفرائض وحبه للجهاد في سبيل الله فضلا عن ذكر الوقائع التاريخية المعاصرة له[3]. ويبدو من خلال سرده لسيرة السلطان صلاح الدين مدة مجاملته له([4]).

ومن الكتب الأخرى المهمة التي صنفت لصلاح الدين كتاب "**الفتح القسي في الفتح القدسي**" ألفه أبو عبد الله محمد بن أبي الفرج الأصفهاني المشهور بالعماد الكاتب (ت597هـ/ 1200م) وتناول فيه الأحداث التاريخية والإجراءات التي اتخذها صلاح الدين في معاركه الجهادية لاسيما منذ تحريره للقدس الشريف سنة 583هـ/ 1187م، ورغم مجاملة العماد لصلاح الدين إلا أنه من المصادر المهمة نظرا لما تضمن من معلومات واسعة ونصوص فريدة من نوعها، كما تميز الكتاب بأسلوبه

---

(1) ينظر: المنهج المسلوك في سياسة الملوك، تحقيق علي عبد الله الموسى (الزرقاء: 1987)، ص154ـ159.

(2) محمد بشير العامري، "ولع صلاح الدين الأيوبي بالمؤلفات التاريخية والعسكرية"، مجلة دراسات تاريخية، بغداد، ع(3)، 2001، ص60.

(3) ينظر: النوادر السلطانية، ص4.

(4) الجومرد، "الأسرة الأيوبية ودورها في تثبيت حكم صلاح الدين في مصر"، مجلة التربية والعلم، ع(8)، 1989، ص114.

البلاغي الرفيع[1]، وصنف القاضي الأسعد بن مماتي (ت 606هـ/ 1209م) كتابا في سيرته[2].

وكان لصلاح الدين معرفة بالأدب واللغة[3] وكان على عادة سلاطين بني أيوب مولعا بالشعر يستحسن الجيد منه ويحفظه ويردده من ذلك حفظه لديوان "**الحماسة**" لأبي تمام الطائي[4]، كما كان مولعا بديوان شعر الأمير مؤيد الدولة أسامة بن مرشد بن منقذ الشيزري وهو لشغفه به يفضله على ما سواه[5].

وافتتح العماد الكاتب الأصفهاني القسم الثالث من كتاب "**خريدة القصر وجريدة العصر**" والمتعلق بشعراء الشام بذكر شعراء بني أيوب ممن كان لهم حب في الشعر أو ممن لهم القدرة على نظمه، وابتدأ بذكر صلاح الدين حيث امتدحه وذكر أنه على الرغم من كونه لم يقرض الشعر إلا أنه كان: "**ناقدا، خبيرا، ونافذا بصيرا.. يعجبه اللفظ السهل.. ويحفظ قصائد القدماء**"[6]. صنف له العلامة الفقيه النحوي تاج الدين محمد بن هبة الله الحموي المصري (ت599هـ/ 1202م) أرجوزة سماها: "**حدائق الفصول وجواهر الأصول**" نظمها للسلطان منها:

حكيت منها أعدل المذاهب	لأنه أشهى مراد الطالب
جمعها للملك الأمين	الناصر الغازي صلاح الدين
عزيز مصر قيصر الشام ومن	ملكه الله الحجاز واليمن
ابن الأجل السيد الكبير	أيوب نجم الدين ذي التدبير[7]

(1) ينظر: الفتح القسي في الفتح القدسي، ص32 (المحقق).

(2) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 1/ 211، ابن كثير، البداية، 13/ 53.

(3) أبو شامة، الروضتين، 2/ 224، الحنبلي، شفاء القلوب، ص65.

(4) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج21/ 282، ابن كثير، البداية، 13/ 5.

(5) ابن منقذ، كتاب الاعتبار (بيروت: 1981) ص(ط) (المحقق)، البنداري، سنا البرق الشامي، ق1/ 288.

(6) خريدة القصر، ج6، ق3/ 78.

(7) الذهبي، تاريخ الإسلام، ص415، السبكي، طبقات الشافعية، 7/ 23ـ24.

كما صنفت عدة كتب في مدح السلطان منها: كتاب "**مدائح الملك الناصر**" للشيخ الحسن بن علي بن إبراهيم الجويني (ت 607هـ/ 1203م) وكتاب "**أنيس الجليس في التجنيس**" لأبي علي بن الحسن المعروف بشميم الحلي (ت 601هـ/ 1204م)[1].

ومدح الطبيب الشاعر عبد المنعم بن عمر بن عبد الله الغساني الجلياني (ت602هـ/ 1205م) من أهل جليانه بالأندلس السلطان صلاح الدين في قصائد أشهرها: "**التحفة الجوهرية**"[2]، وتسمى أيضا "**منادح الممادح وروضة المآثر والمفاخر في فضائل الملك الناصر**" أتمها سنة 569هـ/ 1173م[3].

ورغم حالة القلق التي أصابت مصر والمنطقة طيلة العصر الأيوبي وانشغال الأيوبيين بحروب الجهاد المقدسة فإنه يمكن القول أن ذلك العصر كان عصر إحياء للفكر والثقافة الإسلامية كما كان عصر إحياء سياسي، فما من سلطان أو أمير أيوبي إلا وأحاط نفسه بحاشية انخرط فيها جماعة من أهل الفكر، وراح الأيوبيون وأمراؤهم يتبارون في تشجيع حملة العلم والأدب ومناصرة رجاله[4].

وكانت المناظرات والمجالس العلمية إحدى أهم القنوات التي نهل الأيوبيون منها معارفهم، وحرصوا على حضورها ليس فقط من أجل التفقد والوقوف على ما يجري بل من أجل الفائدة والمشاركة فيها، كما كانوا يجدون فيها متعة، من هنا فقد جمع الكثير من سلاطين بني أيوب بين الكفاءة القيادية والفكرية.

من جهة أخرى حرص الكثير من العلماء على حضور مجالس السلاطين الخاصة التي كانت تعقد بانتظام، كما هو الحال في مجالس السلطان صلاح الدين التي كانت تعقد في أيام محددة كل اثنين وخميس في مجلس عام يحضره العلماء من القضاة

---

(1) ياقوت الحموي، معجم الأدباء (بيروت: 1980)، 13/ 56 ابن خلكان، وفيات الأعيان، 3/ 339.

(2) ابن أبي اصيبعة، عيون الأنباء، ص630.

(3) المصدر نفسه، ص635.

(4) رانسيمان، الحروب الصليبية، 3/ 148.

والفقهاء والمتصوفة وغيرهم[1]، وكذلك مجالس الملك الكامل محمد بن الملك العادل (ت 635هـ/ 1237م) والتي كانت تعقد في القلعة بالقاهرة في ليالي الجمع من كل أسبوع[2].

ويقدم المؤرخ ابن الأثير رواية تفيد التعرف على طبيعة تلك المجالس في عهد نور الدين محمود ومن ثم مقارنتها مع مجالس السلطان صلاح الدين فيروي أن الحافظ ابن عساكر الدمشقي (ت 571هـ/ 1176م) حضر مجلس صلاح الدين فرأى فيه من اللغو بحيث لم يستطع التحدث مع السلطان لكثرة اختلاف المتحدثين مما جعله يتغيب عن المجلس السلطاني ولما سأله صلاح الدين عن سبب تغيبه أجابه قائلا: "**نزهت نفسي عن مجلسك فإنني رأيته كبعض مجالس السوقة لا يسمع فيه لقائل ولا يرد جواب متكلم، وقد كنا بالأمس نحضر مجالس نور الدين فكنا كما قيل: كأنما على رؤوسنا الطير تعلونا الهيبة والوقار**"[3] فأوصى السلطان عندها أصحابه بالالتزام بآداب المجلس[4].

كما روى بن أبي أصيبعة (ت 668هـ/ 1229م) عن جده أنه حضر ذات مرة مجلس السلطان صلاح الدين في القدس فوجده حافلا بأهل العلم الذين كانوا يتذاكرون في أصناف العلوم والسلطان محسن الاستماع إليهم[5].

واقتدى الملك العزيز عثمان (589ـ595هـ/ 1193ـ1198م) بوالده في حبه للعلم وسعيه من أجل تحصيله، وسبق له أن سمع الحديث والفقه من شيوخ

(1) ابن شاهنشاه الأيوبي، مضمار الحقائق وسر الخلائق، تحقيق حسن حبشي (القاهرة: 1968)، ص53، ابن شداد، النوادر، ص13.

(2) ابن واصل، مفرج الكروب، 5/ 164ـ165، ابن كثير، البداية، 13/ 149، اليافعي، مرآة الجنان، 4/ 72، المقريزي، السلوك، 1/ 381.

(3) التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، ص173.

(4) ينظر: المصدر والصفحة نفسها.

(5) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص337.

الإسكندرية بصحبة والده وأخيه الأفضل علي[1].

كما كان للعزيز عثمان اهتمامات شعرية فقد صنف له الأديب راجي بن عطاء المصري كتاب: "**الشعراء العصرية بالديار المصرية**"[2]، وكان الناس يحبونه لعدله واستقامته وسخائه وهو أول من ولد بمصر وتولى حكمها من بني أيوب[3].

أما أخوه الملك الأفضل علي فقد ولد هو الآخر بمصر سنة 566هـ/ 1169م وعندما بلغ الرابعة عشرة من عمره أنابه والده في حكم مصر في كفالة عمه تقي الدين عمر وفي سنة 582هـ/ 1186م أقطعه أبوه دمشق وعندما توفي أخوه العزيز سنة 595هـ/ 1198م أرسل إليه أمراء مصر يستدعونه لأتابكية الملك المنصور بن العزيز وكان للملك الأفضل يد طولى في النثر والإنشاء فضلا عن نظمه الشعر[4]، كما كان حسن الخط شرع في نسخ مصحف بخطه[5].

وكان الأفضل كثير التردد إلى الشيخ تاج الدين أبو اليمن زيد بن حسن الكندي (ت613هـ/ 1216م)، وكان إماما في اللغة والنحو وغيرها من فنون العلم، ومن جملة ما قرأه عليه كتاب "**المفصل**" لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت 538هـ/ 1143م)[6].

ومن الشعر المنسوب إلى الملك الأفضل أبياته المأثورة التي كتبها إلى الخليفة العباسي الناصر لدين الله (575ـ622هـ/ 1179ـ1225م) يشكو فيها ظلم عمه الملك

---

(1) المنذري، التكملة، 1/ 320، الذهبي، العبر، 3/ 111، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، تحقيق محمد حسن الشماع (البصرة: 1969)، مج4، ج2/ 144.

(2) ابن سعيد المغربي، الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة، تحقيق: إبراهيم الأبياري (مصر: 1967)، ص66.

(3) ابن خلكان، وفيات، 3/ 251، أبو الفداء، المختصر، 2/ 184، المقريزي، السلوك، 1/ 257.

(4) أبو شامة، الذيل، ص145، ابن واصل، مفرج الكروب، 4/ 157، اليافعي، مرآة الجنان، 4/ 42.

(5) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ق2/ 637، أبو شامة الروضتين، 2/ 229، ابن واصل، مفرج الكروب، 3/ 40، المقريزي، السلوك، 1/ 233.

(6) ابن كثير، البداية، 13/ 71.

العادل أبي بكر وأخيه العزيز لما أخذا منه دمشق وأخرجاه منها قسرا وأعطوه صرخد ـ قلعة من أعمال دمشق ـ بدلا من ذلك:

مولاي أبا بكر وصاحبه ... عثمان قد غصبا بالسيف حق علي
وهو الذي كان قد ولاه والده ... عليها فاستقام الأمر حين ولي
فخالفاه وحلا عقد بيعه ... والأمر بينهما والنص فيه جلي
فانظر إلى خط هذا الاسم ... لقي من الأوائل ما لاقى من الأول[1]

كما أوردت المصادر نماذج أخرى من شعره[2]، من ذلك على سبيل المثال جملة أبيات قالها في الغزل:

وقبلت خدا للحبيب موردا ... بروح أفدي منه خدا موردا
فمن حر أنفاسي علا فوق خده دخان ... فخالوه عذارا فزردا[3]

وقد عرض ذات مرة إحدى قصائده على عماد الدين الكاتب الأصفهاني فمدحه قائلا: "**لله درك ما أبدع هذا المعنى وألطف هذه الطريقة وأكرم هذه السجية**"[4].

أما الملك العادل سيف الدين أبو بكر ـ أخو صلاح الدين ـ (596ـ615هـ/ 1199ـ1218م) فعلى الرغم من مشاغله السياسية الكثيرة كان محبا للعلم مكرما لأهله[5]، سمع الحديث من شيوخ مصر كالحافظ أبي طاهر احمد السلفي والفقيه أبي الطاهر بن عوف وغيرهما وحدث بالشام والقاهرة[6]. ومما

---

(1) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ق2/ 638، ابن العبري، تاريخ مختصر الدول (بيروت: 1958)، ص237، ابن واصل، مفرج، 4/ 157، ابن الفوطي، تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق محمد الكاظم (طهران: 1416هـ)، 2/ 104.

(2) ينظر على سبيل المثال: أبو شامة، الروضتين، ج2/ 248؛ ابن واصل، مفرج الكروب، 3/ 37؛ الداوداري، كنز الدرر، 7/ 276.

(3) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج22/ 216.

(4) ابن واصل، مفرج الكروب، 3/ 37.

(5) المقريزي، السلوك، 1/ 312، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، مج5، ج1/ 232.

(6) المنذري، التكملة، 2/ 430، المقريزي، السلوك، 1/ 310، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، مج5،

حدث به الجزء السابع من المحامليات عن الحافظ السلفي[1] ألف له الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي كتابا في أصول الدين بعنوان: "**تأسيس التقديس**" وبعثه إليه من خراسان[2].

كما أهدى إليه العلامة عبد اللطيف بن يوسف بن محمد البغدادي المنعوت بالموفق (ت629هـ/ 1231م) كتابه الشهير "**الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة وفي الحوادث المعاينة بأرض مصر**" وقد دونه بناء على مشاهداته الحية عندما كان بمصر بين أعوام (600ـ603هـ/ 1203ـ1206م) ، وذكر في مقدمته أن الغاية من تأليفه كي يكون الملك العادل على دراية بما يجري في البلاد وكي لا يختفي شيء من العلوم الجليلة[3].

ويمكن أن نعزو قلة مساهمات الملك العادل في النهضة الفكرية إلى انصرافه إلى الحياة السياسية ومحاولاته في تثبيت دعائم الحكم له ولبنيه الذين نهضوا بالعلم وأخذوا منه بنصيب وافر وفي مقدمتهم ابنه الملك الكامل محمد (615ـ635هـ/ 1218ـ1237م) الذي أناب عن والده في حكم مصر نحو عشرين عاما قبل أن يستقل بها بعد وفاة أبيه[4].

لقد كان عهد الملك الكامل زاهرا عمرت في أيامه ديار مصر وتمتعت بالأمن ووصف الملك الكامل بالشجاعة والشهامة وحسن التدبير ، باشر أمور دولته بنفسه[5]، فكان أن ازدهرت العلوم والآداب في عصره[6] ، فقد كان راعيا للعلماء على اختلاف

= ج1/ 232.

(1) الذهبي، الأمصار ذوات الآثار، ص64.

(2) ابن خلكان، وفيات الأعيان، 5/ 76، المقريزي، السلوك، 1/ 312، حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (بيروت: 1994)، 1/ 291.

(3) ينظر: الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر (بغداد: 1987)، ص4.

(4) كما امتد حكمه إلى حران وآمد وتملك دمشق قبل وفاته بشهرين ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، 5/ 81؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات في أخبار من ذهب (بيروت: د.ت)، 5/ 172.

(5) أبو الفداء، المختصر، 2/ 263، الحنبلي، شفاء القلوب، ص299ـ300.

(6) الحنبلي، شفاء القلوب، ص300، المقريزي، السلوك، 1/ 381.

فنونهم، يسعى إلى مصاحبتهم ومجالستهم وسماع مناظراتهم[1]، وكان يبيت عنده بالقلعة في القاهرة كل ليلة جمعة جماعة من أهل العلم ، حيث تنصب لهم أسرة بجانب سريره ليسامرونه وينادمونه في العلوم والآداب، وهو يحاورهم ويناقشهم وكأنه واحد منهم، حيث كانت له اهتمامات شتى بالعلوم الدينية والأدبية ، فضلا عن العلوم العقلية[2].

وفيما يتعلق بالعلوم الدينية عرف عن الكامل شغفه بسماع الحديث النبوي والعمل على حفظه وتعلمه وروايته فقد أخرج له المحدث أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد المجيد الصفراوي (ت 636هـ/ 1238م) أربعين حديثا سمعها من جماعة[3]، كما حدث بالإجازة عن الشيخ أبي محمد عبد الله بن بري النحوي وغيره من شيوخ مصر[4]، وكانت له تعليقات حسنة على صحيح مسلم[5].

وتصف المصادر الملك الكامل محمد بأنه كان ذكيا جيد الفهم، ملما بعدة فنون من حديث وفقه ونحو، وكان من عادته إذا حضر العلماء مجلسه ناظرهم وامتحنهم بمسائل من العلوم التي يتقنونها فإذا أجابوا الجواب الصحيح المرضي قربهم وحظوا عنده بالمنزلة والجاه[6]، من ذلك اختباره للمحدث أبي الخطاب عمر بن حسن بن علي الأندلسي المعروف بابن دحية (ت 633هـ/ 1235م) بعدما اتهم بالمجازفة في النقل حيث طلب منه الكامل أن يعلق له على كتاب "**شهاب الأخبار في الحكم من الأمثال والآداب**" في الأحاديث النبوية للقاضي أبي عبد الله محمد بن سلامة القضاعي الشافعي (ت 454هـ/ 1062م) فعلق عليه كتابا طعن على بعض الأحاديث التي وردت فيه

---

(1) المنذري، التكملة، 3/ 485، ابن واصل، مفرج الكروب، 5/ 164، الذهبي، العبر، 3/ 223ـ224، ابن الفوطي، مجمع الآداب، 4/ 55ـ56.

(2) ابن العميد، أخبار الأيوبيين (دمشق: 1958)، ص36؛ ابن واصل، مفرج الكروب، 5/ 164ـ165، اليافعي، مرآة الجنان، 4/ 72، المقريزي، السلوك، 1/ 381، ابن العماد، شذرات الذهب، 5/ 72.

(3) الذهبي، الأمصار ذوات الآثار، ص63، الصفدي، الوافي بالوفيات، 1/ 191.

(4) المنذري، التكملة، 3/ 485، المقريزي، السلوك، 1/ 380.

(5) الذهبي، الأمصار ذوات الآثار، ص63، ابن كثير، البداية، 13/ 149، الحنبلي، شفاء القلوب، 299.

(6) ابن واصل، مفرج الكروب، 5/ 158، أبو الفداء، المختصر، 2/ 263، المقريزي، السلوك، 1/ 381.

وصحح البعض الآخر وتكلم على الأسانيد ولما وقف الملك الكامل على ذلك قال له بعد مضي عدة أيام قد ضاع مني ذلك الكتاب فعلق لي مثله ففعل ولم يكن عنده مسودة الكتاب الأول فجاء كلامه مناقضا لما ذكر في الكتاب الأول فعلم عندها الكامل صحة ما نقل عنه فما كان منه إلا أن عزله عن دار الحديث[1].

واختبر مرة أخرى في إحدى مجالسه في دمشق النحوي زين الدين أبا الحسن يحيى بن معطي (ت 628هـ/ 1230م) صاحب الألفية في مسائل بالنحو فلما استحسن جوابه قربه ودعاه القدوم إلى مصر فسافر وتصدر بجامع عمرو بن العاص لإقراء الأدب وقرر له راتبا جيدا حتى حسنت أحواله بعدما كان يعاني الفقر[2].

ويمكن أن نعزو اهتمام الملك الكامل بالعلوم اللغوية لا سيما النحو[3] إلى كونها كانت مادة أساسية من مواد الثقافة آنذاك وهي وسيلة لدراسة العلوم الشرعية[4].

أما اهتمامه بالشعر فبدأ واضحا من خلال تذوقه الشعر وحفظه له[5]، فضلا عن نظمه الخاص، طلب مرة من ابن دحية أن يصنف له كتابا يجمع فيه شيئا من شعر أهل المغرب فصنف له كتاب "**المطرب من أشعار أهل المغرب**"[6] وقد أوردت المصادر

---

(1) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ق2/ 198، ابن واصل، مفرج الكروب، 5/ 167، الذهبي، تذكرة الحفاظ (بيروت: 1958)، 4/ 1422، ابن كثير، البداية، 13/ 145.

(2) ابن خلكان، وفيات الأعيان، 7/ 197، ابن واصل، مفرج الكروب، 5/ 158ـ159، الذهبي، العبر، 3/ 201ـ202، جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية (بيروت: 1996)، 2/ 58.

(3) القفطي، أنباء الرواة على أنباء النحاة (القاهرة: 1952)، 2/ 22.

(4) ذكرى عزيز الصائغ، عصر الملك الكامل، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1988، ص16.

(5) المقريزي، درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري (دمشق: 1995)، ق1/ 373، الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس (بيروت: 1980)، ص257.

(6) أبو الخطاب بن دحية، المطرب في أشعار أهل المغرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري وماجد عبد المجيد واحمد احمد بدوي (القاهرة: 1954)، ص1.

التاريخية نماذج من شعره منها قوله:

لأوحشت من مغاني القوم أوطان	ولا خلا منهم أشل ولا بال
وأين ما نزلوا في الحالتين معا	فإنهم في سويد القلب سكان[1]

ومن شعره ما كتبه إلى أخيه الملك الأشرف حين كان على دمياط:

يا مسعفي إن كنت حقا مسعفي	فأرحل بغير تفند وتوقف
واطو المنازل والديار ولا تنخ	إلا على باب المليك الأشرف
قبّل يديه لاعدمت وقل له	عني بحسن تعطف وتلطف
إن تأت صنوك عن قريب تلقه	ما بين حد مهند ومثقف
أو تبط عن إنجاده فلقاؤه	يوم القيامة في عراص الموقف[2]

ونظرا لما تمتع به الملك الكامل من المرونة وسعة الأفق فقد سمح للمسلمين من إقامة المناظرات العلمية والمحاورات الدينية مع الصليبيين ، وكانت له علاقات ثقافية مع صاحب صقلية الإمبراطور فردريك بربروسا المعروف باهتماماته العلمية وكان قد بعث ذات مرة إلى الملك الكامل بعدة أسئلة حول مسائل تتعلق بالطب والهندسة فأجاب عنها الكامل بعد استشارته للعلماء المقربين منه[3]، ومما لاشك فيه أن وجود تلك المحاورات والمراسلات بين الجانبين كان لها نتائجها الإيجابية على كلا الطرفين.

وكانت وفاة الملك الكامل سنة 635هـ/ 1237م بمثابة بداية لانحلال الدولة الأيوبية سياسيا[4]، حيث لم يتمكن خلفاؤه من الارتقاء إلى مستوى المسؤولية الإدارية والحنكة

(1) ابن واصل، مفرج الكروب، 5/ 168، الصائغ، عصر الملك الكامل، ص170.

(2) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق بشار عواد معروف (بيروت: 1997)، ص136.

(3) المقريزي، السلوك، 1/ 354.

(4) سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك (بيروت: 1972)، ص97.

السياسية التي بلغها، وكان أن تجدد الخلاف والنزاع بين أمراء البيت الأيوبي[1]، وعندما آلت السلطة العليا في مصر إلى ابنه العادل الثاني لم يكن مؤهلا للاستمرار في الحكم طويلا، كما لم تكن لديه مساهمات علمية تذكر فقد كان منشغلا عن مصالح الدولة باللهو مما أثار حفيظة الأمراء في مصر الذين تمكنوا من عزله سنة 637هـ/ 1239م واتصلوا بالصالح نجم الدين أيوب للمجيء إلى مصر لحكمها[2]. وعلى الرغم من طول الحقبة التي حكم فيها الملك الصالح نجم الدين نسبيا (637ـ647هـ/ 1240ـ1249م) فإن كثرة المشاكل السياسية والحربية التي استجدت في عهده لم تسمح له في مخالطة العلماء ومجالستهم وغلبت عليه الطبيعة العسكرية البحتة لذلك "**لم يكن لديه ميل إلى العلم ومطالعة الكتب**"[3].

وعندما ارتقى ابنه الملك المعظم تورانشاه عرش مصر سنة 647هـ/ 1249م لم يكن موفقا كأبيه في إدارة البلاد إلا أن المؤرخين أثنوا عليه من الناحية العلمية فقد كان ملما بمسائل الفقه والأصول والخلاف، كما كان أديبا شاعرا[4]، مغرما بمجالسة أهل العلم، جرت بين يديه مباحثات ومناظرات في أنواع العلوم[5]، وسبق له أن تلقى بعض معارفه على جده الملك الكامل الذي كان يحبه لميله إلى العلم[6].

رابعا: دعم الأيوبيين للعلم والعلماء

نال العلماء في مصر دعما من الأيوبيين الذين سعوا إلى بناء دولتهم على أسس فكرية جديدة من خلال استقطابهم العلماء ودعمهم والإغداق عليهم بالأموال والجرايات وإعطائهم المناصب الرفيعة إدراكا منهم أن العلماء وفي مقدمتهم

(1) للتفاصيل ينظر: سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ق2/ 707، الداوداري، كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور (القاهرة: 1972)، 7/ 328، السيد الباز العريني، الشرق الأدنى ص133.

(2) المقريزي، السلوك، 1/ 295.

(3) المقريزي، السلوك، 1/ 442، الحنبلي، شفاء القلوب، ص381.

(4) السبكي، طبقات الشافعية، 8/ 134ـ136، حمزة، الحركة الفكرية، ص152.

(5) المقريزي، السلوك، 1/ 448.

(6) المقريزي، السلوك، 1/ 449.

الفقهاء ورجال الدين هم "**قادة الرأي العام**"[1] وبمثابة النخب أو الصفوة الاجتماعية التي لها مكانتها البارزة في المجتمع الإسلامي لذا حرص الأيوبيون على تهيئة الظروف الملائمة للنشاط الفكري والثقافي ضمن إطارها الاسلامي باعتبار أن ذلك هو طريق التعبئة اللازمة لدحر الصليبيين ومن حالفهم[2].

لقد كان العصر الأيوبي عصر إحياء للفكر والثقافة الإسلامية ، كما كان عصر إحياء سياسي فقد عملوا كل ما من شأنه ، كسب العلماء إلى صفهم وأصبح العلماء في كثير من الأحيان بمثابة مستشارين للسلطة وصار الارتباط الوثيق بين السلطة الأيوبية والعلماء مصدر لقوة الدولة في مواجهة الأزمات والمخاطر الخارجية والداخلية فكانوا خير معين وسند لها.

وتنبه الأيوبيون في خضم المشاكل والحروب التي واجهتهم إلى حقيقة العلاقة القوية التي كانت تربط العلماء بعامة الناس لذا سعوا جاهدين إلى كسب وضمان ولائهم فبقدر ما كان العلماء يقدمون الدعم للدولة بقدر ما ازدادت قدرتهم على كسب العامة إلى جانبهم من منطلقات دينية لا سيما وأن العصر هو عصر جهاد، الأمر الذي أثمر عن علاقة ذات نمط خاص كثيرا ما تم فيه المزاوجة بين صاحبي القلم والسيف على اعتبار أنهما "**أداة لصاحبه يستعين بها على أمره**"[3].

ويمكن القول أن دعم الأيوبيين للعلماء جاء انطلاقا من نزعة ذاتية طوعية فقد كان أغلب الأيوبيين الذين تعاقبوا على حكم مصر من المستنيرين[4]، كما جاء هذا الدعم نظرا لحاجتهم إلى مشورة العلماء فأضحى وجودهم بجانب السلطة ضرورة من ضرورات ذلك العصر في ظل التحديات التي كانت تعيشها مصر وعموم العالم الإسلامي. من هنا فقد أحاط الأيوبيون وأمراؤهم أنفسهم بنخبة من الفقهاء الذين

(1) جب، دراسات، ص135، محمد رحيل غرايبة، "**جهود صلاح الدين في إحياء المذهب السني في مصر والشام**"، مجلة الحكمة، الرياض ع(12)، 1418هـ، ص312.

(2) قاسم، ماهية الحروب الصليبية، ص221.

(3) ابن خلدون، المقدمة (بيروت: 1988)، ص203.

(4) حمزة، الحركة الفكرية، ص149.

كانوا لا يفارقونهم في حلهم وترحالهم[1].

ومما ساهم في نجاح الأيوبيين وصلاح الدين على وجه الخصوص مراعاتهم التوازن بين التيارات الاسلامية المختلفة من المتصوفة ، وأصحاب الحديث ، واصحاب الكلام ، وأصحاب المذاهب المختلفة.

كما حرصوا على إشراكهم في حملاتهم العسكرية من أجل رفع الروح المعنوية للمقاتلين، فعندما تقدم الأمير أسد الدين شيركوه إلى مصر صحبه عدد من الفقهاء منهم الفقيه الواعظ شرف الإسلام عز الدين بن عبد الهادي (ت 570هـ/ 1174م)[2]، وكذلك الفقيه ضياء الدين عيسى بن محمد الهكاري (ت 585هـ/ 1189م) وكان قد تقدم عنده حتى أصبح يؤمه في الصلوات[3].

وعرف عن نجم الدين والد صلاح الدين (ت 568هـ/ 1172م) محبته للعلماء والمتصوفة ومصاحبته لهم، من العلماء الذين صحبهم عند قدومه إلى مصر الشيخ جمال الدين محمود بن احمد بن علي المعروف بابن الصابوني (ت 581هـ/ 1185م) وذكر أبو شامة المقدسي أنه كانت تربطهما "**صحبة أكيدة ومحبة عظيمة بحيث ما كان يصبر عنه ساعة واحدة**"[4] كما كانت تربطه علاقات حميمة مع العماد الكاتب الأصفهاني[5] وكان كثير الإحسان إلى رجال الدين والمتصوفة وإليه تنسب الخانقاه النجمية في بعلبك[6].

وسار السلطان صلاح الدين على نهج أبيه فقد كان راعيا لأهل العلم

(1) الشيزري، المنهج المسلوك، ص118، (مقدمة المحقق).

(2) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة (القاهرة: 1953)، 3/ 370، ابن العماد، شذرات الذهب، 4/ 286.

(3) المنذري، التكملة، مج1/ 123، الغساني، العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق، شاكر محمود عبد المنعم (بيروت: 1970)، ص208، السبكي، طبقات الشافعية، 7/ 256.

(4) الروضتين، 2/ 195.

(5) أبو شامة، الروضتين، 1/ 144.

(6) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 11/ 394، اليافعي، مرآة الجنان، 3/ 290، البدليسي، شرف نامة، ترجمة محمد جميل الملا احمد الروزبياني (أربيل: 2001)، ص175

والأدب متواضعا معهم، أحاط نفسه بمجموعة من العلماء من أبرزهم: الفقيه عيسى الهكاري والقاضي الفاضل، والعماد الكاتب الأصفهاني، وقاضي العسكر بهاء الدين ابن شداد والفقيه الواعظ زين الدين أبو الحسن علي بن إبراهيم المعروف بابن نجية الواعظ (ت599هـ/ 1202م) وغيرهم ممن كانوا جزءاً من المجلس الاستشاري الذي يقف وراء صنع القرارات(1)، فقد عرف عن السلطان صلاح الدين أنه لم يكن ليقدم على اتخاذ قرار حاسم دون الأخذ بمشورة العلماء المقربين منه كالفقيه عيسى الهكاري الذي رافقه في معظم رحلاته وكان كثيرا ما يستشيره ويعول على رأيه(2).

ومما هو جدير بالذكر أن الفقيه عيسى كان له الفضل الكبير على صلاح الدين فقد كان له دور مشهود في توطيد الحكم له بمصر بعد وفاة عمه أسد الدين شيركوه حيث تمكن بذكائه وحنكته السياسية من إقناع الأمراء المتنافسين مثل عين الدولة الياروقي وسيف الدين علي بن المشطوب، وشهاب الدين الحارمي ـ خال صلاح الدين ـ بالتخلي عن تولي الوزارة المصرية لصلاح الدين(3)، وقد حفظ صلاح الدين له هذه الخدمة فحظي عنده بالتقدير والتكريم فصار من أكابر أمراء دولته(4). قدم له السلطان بعد معركة حطين الكثير من الإقطاعات المحررة من بينها إنعامه عليه بنابلس

(1) سلطان جبر سلطان، الدور السياسي للعلماء المسلمين أبان الحروب الصليبية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1999، ص44.

(2) كثيرة هي المواقف التي اعتمد فيها صلاح الدين على الفقيه عيسى منها على سبيل المثال لا الحصر: استشارته له عند حصار الموصل سنة 581هـ/ 1185م عندما خرجت مجموعة من النسوة مع ابنة عم نور الدين محمود للتشفع في رفع الحصار إلا أن الفقيه عيسى أشار إليه بعدم إجابتهن فردهن خائبات بناء على مشورته. ينظر: ابن الأثير، الكامل، 11/ 511ـ512، ابن خلكان، وفيات، 3/ 497.

(3) للتفاصيل: ينظر: ابن العديم، زبدة الحلب، ص352، أبو شامة، الروضتين، 1/ 161، ابن واصل، مفرج الكروب، 1/ 169، المقريزي، اتعاظ الحنفا، 1/ 309ـ310.

(4) أبو الفداء، المختصر، 2/ 163، السبكي، طبقات الشافعية، 7/ 256.

وأعمالها[1]، كما سبق لصلاح الدين أن افتداه من الأسر الصليبي الذي وقع فيه سنة 573هـ/ 1177م بمبلغ ستين ألف دينار[2].

كما حاول الأيوبيون الاستفادة من مختلف الكفاءات المخلصة وفي مقدمتهم القاضي الفاضل الذي كان مشهورا بجودة الأسلوب وحسن الكتابة لذلك تولى ديوان الإنشاء[3]، وكان من العلماء المقربين ممن حظوا باحترام صلاح الدين وأبنائه وكثيرا ما كان صلاح الدين يستشيره ويركن إلى قوله ومشورته[4]، ولم يكن ليرد له طلبا فكما تروي المصادر كان "**سلطانه مطاع والسلطان له مطيع**"[5] وصار في مكانته يضاهي الوزراء الكبار، وهو المشار إليه "**بالسيف والقلم**"[6] لازم السلطان وكان "**عضده وصاحب سره ومن أكابر أمراء دولته**"[7] مدحه السلطان صلاح الدين في إحدى مجالسه الحافلة بقادته وأشاد بدوره وقال مخاطبا الحضور: "**لا تظنوا إني ملكت البلاد بسيوفكم بل بقلم القاضي الفاضل**"[8].

وقد حفظ أبناء صلاح الدين للقاضي الفاضل مكانته ونال على أيديهم جاها

(1) الأصفهاني، الفتح القسي، ص24، المقريزي، السلوك، 1/ 209.

(2) ابن الأثير، الكامل، 11/ 443، الذهبي، دول الإسلام، تحقيق محمد شلتوت (القاهرة: 1974)، 2/ 86_87، السبكي، طبقات الشافعية، 7/ 256، العليمي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، 2/ 144.

(3) **ديوان الإنشاء**: من الدواوين المهمة في الدولة نظرا لطبيعة المهمات التي تؤدى فيه والتي تجعل من صاحبها حفيظا لأسرار الدولة في مكاتباتها الداخلية والخارجية، ومن المميزات التي ينفرد بها صاحب ديوان الإنشاء عن غيره من الموظفين هو مثوله أمام السلطان في أي وقت شاء. للمزيد ينظر: الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص99، ابن خلدون المقدمة، ص95، المقريزي، الخطط المقريزية، 2/ 243.

(4) المنذري، التكملة، 1/ 352، ابن الساعي، الجامع المختصر في عنوان التواريخ والسير، تحقيق: مصطفى جواد (بغداد: 1934)، 2/ 29، اليافعي، مرآة، 3/ 367.

(5) الغساني، العسجد المسبوك، ص257، المقريزي، السلوك، 1/ 228.

(6) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ق1/ 434، المقريزي، السلوك، 1/ 228.

(7) ابن الأثير، الكامل، 12/ 24، السبكي طبقات الشافعية، 7/ 167.

(8) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ق2/ 472، ابن العماد، شذرات الذهب، 4/ 327.

ومالا كثيرا[1]، فبعد وفاة صلاح الدين وزر لأبنه الملك الأفضل وإليه انتهت صناعة الإنشاء[2]، كما خدم بعد ذلك الملك العزيز عثمان[3].

أما القاضي الفقيه المؤرخ ابن شداد فقد نال لدى البيت الأيوبي ما لم ينله أحد من قبله[4]، فقد كان مطاعا عندهم لعلو منزلته العلمية، ويذكر أن ابن شداد نشأ بالموصل وبها تلقى ثقافته ثم وفد إلى السلطان صلاح الدين فأقبل عليه وولاه قضاء العسكر وكان أحد المرافقين له في رحلاته وحضر معه فتح بين المقدس وكان السلطان يستشيره في أدق الأمور وأخطرها، كما فوض إليه القضاء بحلب فضلا عن التدريس بالمدرسة الصلاحية بالقدس[5]، وكانت بينهما مودة كبيرة ويتضح ذلك من خلال عدة مواقف منها على سبيل المثال وصفه للحظات استقبال السلطان له بعد أن طالت غيبته عنه حيث يقول: "**ولقيني ملقى ما رأيت أشد من بشره .. ولقد ضمني إليه، ودمعت عيناه..**"[6].

بعد وفاة السلطان صلاح الدين انتقل ابن شداد إلى خدمة الملك الظاهر غازي ـ صاحب حلب (تـ 613هـ/ 1186م) ثم ابنه الملك العزيز غياث الدين أبي المظفر محمد (ت634هـ/ 1236م) وحظي برعايتهما[7]، وبلغ ما يتحصل له من إقطاعاته الكثيرة التي منحها له الملك الظاهر غازي ما يزيد على مائة ألف درهم في السنة[8].

---

(1) ابن الساعي، الجامع المختصر، 9/ 28، ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء (بيروت: 1980)، 2/ 395ـ396.

(2) الذهبي، دول الإسلام، 2/ 105.

(3) ابن واصل، مفرج الكروب، 3/ 12، الذهبي، تاريخ، ص247، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، مج3، ج2/ 184.

(4) أبو الفداء، المختصر، 2/ 257.

(5) ابن الجزري، غاية النهاية، 2/ 395.

(6) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص242.

(7) ابن واصل، مفرج الكروب، 5/ 89، الداوداري، كنز الدرر، 7/ 312.

(8) ابن خلكان، وفيات الأعيان، 7/ 89ـ90، ابن واصل، مفرج الكروب، 5/ 91، أبو الفداء، المختصر، 2/ 257، الداوداري، كنز الدرر، 7/ 312.

وبلغ من دعم السلطان صلاح الدين ورعايته لأصحابه من العلماء تفقده لهم، وإذا ما غاب أحدهم لأمر معين كان يتوق شوقا لرؤيته ففي سنة 583هـ/ 1157م عرض للعماد الكاتب الاصفهاني مرض جعله يتغيب مرة فلما عاد وكان السلطان نازلا على القدس فاستقبله بحرارة وسأله قائلا: "**أين كنت ولم أبطأت وقد كنا في انتظارك والسؤال عن أخبارك**"[1].

وكان إذا ما انقطع القاضي الفاضل عن السلطان قام العماد الكاتب مقامه حيث كانا يتناوبان في خدمته في ديوان الإنشاء[2]، ويتحدث العماد الكاتب عن مكانته لدى صلاح الدين فيقول: "**وكنت لصلاح الدين إماما في الصلوات ومستشارا في المشورات**"[3] ويشير في موضع آخر إلى المودة التي كانت بينهما قائلا: "**ولم يزل يستهدني نظمي ونثري ويشعرني أنه يميل إلى شعري**"[4].

ويذكر أن العماد الكاتب كانت بينه وبين والد صلاح الدين نجم الدين أيوب وعمه أسد الدين شيركوه معرفة قديمة وكان لبروزهما في دولة نور الدين محمود أن شجع العماد الكاتب للمجيء إلى الشام في سنة 562هـ/ 1196م[5] فاتصل بنور الدين محمود وتولى له ديوان الإنشاء وعلت منزلته عنده[6]، ثم تعرف على صلاح الدين فقربه وصار من "**الصدور المعدودين كالوزراء العظام**"[7] وكثيرا ما أشاد برعايته له من

---

(1) الأصفهاني، الفتح القسي، ص45.

(2) ابن كثير، البداية والنهاية، 13/ 31، اليافعي، مرآة الجنان، 3/ 493، ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، (بيروت: 1987)، 1/ 374.

(3) ينظر: الفتح القسي، ص346.

(4) أبو شامة، الروضتين، 1/ 146.

(5) الأصفهاني، خريدة القصر، ج6، ق3/ 15، أبو شامة، الروضتين، 1/ 144.

(6) الأصفهاني، خريدة القصر، ج6، ق3/ 41-42، أبو الفداء، المختصر، 2/ 190، ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، 1/ 375.

(7) الأسنوي، طبقات الشافعية، 2/ 185، ابن قنفذ، كتاب الوفيات، تحقيق: عادل نويهض (بيروت: 1983)، ص299، النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس (بيروت: 1990)، 1/ 311.

ذلك قوله: "**فتلقاني الملك الناصر برحبه، ورفع خطوتي من الحضيض وأهدى الصحة لرجائي المريض... وحكمني في ديوانه، وعول في سلطانه علي حتى أصبح السعود في جميع المقاصد من أحلافي..**"[1].

ولم ينس صلاح الدين بعد تحقيقه لأهدافه السياسية في مصر دعم العلماء ومساندتهم له في جهوده نذكر منهم: الفقيه الشافعي المتصوف نجم الدين محمد بن الموفق بن سعيد الخبوشاني (ت 587هـ/ 1191م) فقد كان صلاح الدين "**مجيبا له إلى كل ما يستدعيه ويقضي له من الحوائج ما يقتضيه**"[2] وكان الخبوشاني أحد فقهاء الشافعية المقربين الذين ساندوا صلاح الدين في جهوده من أجل القضاء على الدولة الفاطمية وساهموا في نشر وتثبيت دعائم الفكر السني في مصر وله مواقف مشهودة مع صلاح الدين الذي كان يعتقد في علمه وكراماته[3]، وكان قد وكل إليه سنة 572هـ/ 1176م بناء مدرسته المعروفة بالصلاحية بالقاهرة وأطلق له الأموال اللازمة لبنائها، كما فوض إليه التدريس بها[4].

كما حظي الفقيه اليسع بن عيسى بن حزم الغافقي الأندلسي (ت 575هـ/ 1179م) بتقدير صلاح الدين فهو أول من تجاسر وخطب للخلفاء العباسيين على منابر مصر، فكان صلاح الدين يرى له ذلك "**ويسمع إلى قوله وشفاعته**"[5].

ونال الفقيه ابن نجية الواعظ الحنبلي مكانة محترمة عند صلاح الدين وأبنائه من بعده نظرا لدوره المساند في الكشف عن واحدة من أخطر المؤامرات التي تعرض لها

---

(1) الأصفهاني، خريدة القصر، ج6،ق3/ 14.

(2) الأصفهاني، الفتح القسي، ص577، أبو شامة، الروضتين، 2/ 195.

(3) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، مج4، 2/ 51، ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، 1/ 378.

(4) الأصفهاني، الفتح القسي، ص577، البنداري، سنا البرق الشامي، ق1/ 241، أبو شامة، الروضتين، 1/ 268، الحنبلي، شفاء القلوب، ص93.

(5) الذهبي، العبر في خبر من غبر، 31/ 67، اليافعي، مرآة، 3/ 304، ابن العماد، شذرات الذهب، 4/ 250.

صلاح الدين سنة 569هـ/ 1173م من قبل بقايا أتباع الدولة الفاطمية[1]، وقد حرص صلاح الدين وأبناؤه على حضور مجالس وعظه، وكان يسميه بعمرو بن العاص لرجاحة عقله[2]، وأنعم عليه بالكثير من الأموال فعاش في رفاهية وتنعم ، وتروي المصادر أنه كان "**يعمل في داره من الأطعمة ما لا يعمل في دور الملوك**"[3].

لقد كان للعلماء في ذلك العصر الكلمة النافذة وكان من بينهم من ذاع صيته لعلمه وشد إليه الرحال من قبل الخاصة والعامة من أجل الإفادة والتزود بالمعرفة كالحافظ أبي طاهر احمد بن محمد السلفي "**وكان أوحد زمانه في علم الحديث**"[4]، والفقيه أبي الطاهر إسماعيل بن مكي بن عوف الإسكندراني[5].

ويروى عن الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد بن علي المقدسي (ت 600هـ/ 1203م) الذي كان واعظا وخطيبا مشهورا أن الناس بمصر كانوا يزدحمون على مجالس وعظه لاسيما في أيام الجمع حيث يتزاحم الناس حوله ولا يقدرون من المشي من شدة الزحام[6].

ولم يقتصر دعم صلاح الدين للعلماء المقربين منه وحسب ، وإنما شملت رعايته جميع العلماء بغض النظر عن مذهبهم أو دينهم فقد اشتهر بكرمه الواسع مع أهل العلم حيث خصص لهم الرواتب والمنح والهدايا ، وكان كثير الاعتناء

---

(1) للتفاصيل ينظر: ابن الأثير، الكامل، 11/ 398ـــ399، أبو شامة الروضتين، 1/ 220، الذهبي، دول الإسلام، 2/ 84، المقريزي، السلوك، 1/ 162ـ163.

(2) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ق2/ 515، الداوودي، طبقات المفسرين (بيروت: د/ت)، ا/ 391، ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، 1/ 437.

(3) أبو شامة، الذيل، ص35، الذهبي، تاريخ الإسلام، ص400، ابن كثير، البداية والنهاية، 13/ 35.

(4) ابن صلاح الشهرزوري، طبقات الشافعية، تحقيق محي الدين علي نجيب، (بيروت: 1992)، 1/ 385، الذهبي، سير أعلام النبلاء، 21/ 9.

(5) الذهبي، تذكرة الحفاظ، 4/ 1336، سير أعلام النبلاء، 21/ 122.

(6) الذهبي، تذكرة الحفاظ، 4/ 1377، ابن رجب الحنبلي، الذيل على طبقات الحنابلة، 4/ 14.

بترفيههم في معيشتهم[1]، وكان أكثر ما يصل عطاؤه إلى المجاهدين والعلماء[2]، حتى قيل أن أرزاق العلماء وأرباب العمائم قد أقطعهم أقطاعا وراثيا تجاوز مائتي ألف دينار في السنة فضلا عما كان يخصهم من الهدايا والمنح بين الحين والآخر ولم يكن ليخيب من يقصده[3].

ويروي ابن شداد رواية دلت على حرص صلاح الدين على تكريم كل من يفد إليه من العلماء ففي سنة 584هـ/ 1188م زار أحد الفقهاء من أهل التصوف صلاح الدين ثم غادر دون توديعه فلما علم بذلك عاتب القاضي ابن شداد وقال له: "**كيف يطرقنا مثل هذا الرجل وينصرف عنا من غير إحسان يمسه منا**"[4] وأمر بضرورة البحث عنه فما كان من ابن شداد إلا وأرسل إلى قاضي دمشق ليبحث عنه فلما وجده أرسل إليه وخلع عليه بمركوب لائق مع ثياب كثيرة[5].

وكان صلاح الدين حريصا على أن يشمل جميع العلماء في دولته برعايته ودعمه حتى أولئك الذين كانوا يخالفونه في الرأي كالقاضي كمال الدين أبي الفضل محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري (ت 572هـ/ 1176م)[6] فعندما فتح صلاح الدين دمشق سنة 570هـ/ 1174م سار إلى داره وخاطبه: "**أنا مشيت إليك لأزيل ما في خاطرك من الوهم وأعرفك أن ما في قلبي لك نكرة، فطب نفسا وقر عينا فالأمر أمرك والبلد بلدك**"[7] متغاضيا بذلك عن الخلافات التي كانت بينهما أيام نور الدين محمود

(1) مجهول، في ذكر الدولة الأيوبية وغيرها، ورقة 17، البدليسي، شرفنامة، ص189.

(2) ابن شداد، النوادر، ص82؛ الذهبي، سير أعلام، 21/ 288.

(3) المصدر نفسه ، ص41.

(4) النوادر السلطانية، ص32.

(5) المصدر نفسه، ص32.

(6) للتفاصيل ينظر : درويش يوسف حسن ، الاسرة الشهرزورية ودورها السياسي والحضاري (489-630هـ) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة صلاح الدين ، 1998ص ص49-52)

(7) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ق1/ 40، أبو شامة الروضتين، 1/ 263، الذهبي، العبر، 3/ 63، ابن العماد، شذرات، 4/ 243.

عندما كان صلاح الدين رئيسا للشحنة حيث كان القاضي كمال الدين يعارضه في الأحكام فلم يؤاخذه السلطان عما صدر منه في حقه بل أكرمه واستشاره وصار من قضاته[1] كما أحسن إلى ابن أخيه القاضي ضياء الدين القاسم بن يحيى بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري (ت 599هـ/ 1202م) فعندما قصد الأخير مصر منحه صلاح الدين الكثير من الهدايا وإعطاه دارا فاخرة في القاهرة[2]. وكان رسوله إلى دار الخلافة سنة 580هـ/ 1184م[3].

كما أحسن صلاح الدين إلى أسامة بن منقذ الشيزري واستدعاه من محل أقامته في حصن كيفا ـ من أعمال آمد ـ سنة 570هـ/ 1174م وأعطاه دارا في دمشق مع ضيعة كانت له في الأصل من أعمال المعرة[4]، وكان صلاح الدين يحل عليه كلما كان في دمشق مستأنسا بأدبه وشعره، وقد أشار ابن منقذ إلى تلك الرعاية الكريمة وأثنى على السلطان قائلا: "**فناداني إليه الملك الناصر صلاح الدنيا والدين، سلطان الإسلام والمسلمين.. فاستنقذني من أنياب النوائب برأيه الجميل، وحملني إلى بابه العالي بإنعامه الفاخر الجزيل، ونفذ علي كرمه، فعطاياه تطرقني وأنا راق وتسري إلي وأنا محتسب قاعد فأنا من إنعامه كل يوم في مزيد..**"[5].

وسار على نهج صلاح الدين من أعقبه من السلاطين فقد كان الملك العزيز عثمان في غاية السماحة والكرم والرفق بالرعية والإحسان إليهم[6]، وكان للعلماء عنده "**حرمة ورعاية كبيرة**"[7] وكان حريصا على استمالة أصحاب والده من العلماء

(1) ابن واصل، مفرج الكروب، 2/ 50، الذهبي، سير أعلام، 2/ 60، ابن العماد، شذرات، 4/ 243.

(2) أبو شامة الروضتين، 1/ 262، ابن واصل، مفرج الكروب، 2/ 50، حسن ، الاسرة الشهرزورية ، ص56.

(3) ابن شاهنشاه، مضمار الحقائق، ص184، السبكي، طبقات الشافعية، 7/ 272ـ273.

(4) البنداري، سنا البرق الشامي، ق1/ 228.

(5) الاعتبار، ص ص213ـ214.

(6) أبو الفداء، المختصر، 2/ 184.

(7) ابن خلكان، وفيات الأعيان، 7/ 91، علي نجم عيسى، حلب في العهد الأيوبي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1999، ص123.

ومنهم الفقيه أبن نجية الواعظ الذي كان يرجع إليه في استشاراته ويخاطبه بالقول: "**إذا رأيت مصلحةً في شيء فاكتب بها فأنا ما أعمل إلا برأيك**"[1]، ونال من جهته الدعم المادي، أعطاه ذات مرة ما يزيد على أربعة آلاف دينار ليتمكن من تسديد ما عليه من ديون[2].

وعندما علم الملك العزيز بمقدم القاضي الفاضل ودخوله مصر خرج لاستقباله وقربه وعظم شأنه عنده وكان يميل إليه وأجلسه محل والده يستشيره في أمور دولته[3].

وكان العزيز عثمان لا يرد طلبا للفقيه المالكي أبي طاهر إسماعيل بن عبد الجبار بن أبي الحجاج (ت 610هـ/ 1213م) وإبقاؤه على ديوان الجيش خلفا لوالده[4]، وممن اتصل به كذلك الطبيب الجمال عثمان بن هبة الله بن احمد بن أبي الحوافر (ت 619هـ/ 1222م) لازمه وأقام معه بمصر فولاه رئاسة الأطباء وكان "**كثير الإحسان إليه والإنعام عليه**"[5].

ولم يشذ الملك العادل أبو بكر عن غيره من الأيوبيين في التودد إلى العلماء ومحاولة كسب ودهم ورضاهم بكافة الوسائل ، ومنها حضوره لمجالس وعظهم، وأشارت المصادر أنه كان يحضر مجالس الفقيه الواعظ ابن الجوزي وبصحبته عدد من العلماء منهم العلامة الفقيه جمال الدين محمود بن احمد الحصيري (ت 636هـ/ 1238م)[6].

وأسند الملك العادل المناصب المهمة في دولته إلى العلماء وبرز في عهده الوزير العالم صفي الدين أبو محمد عبد الله بن علي بن شكر (ت 622هـ/ 1225م) وكان

(1) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، 3/ 437.

(2) الذهبي، العبر، 3/ 126، ابن العماد، شذرات الذهب، 4/ 341.

(3) ابن واصل، مفرج الكروب، 3/ 12، الذهبي، تاريخ، ص247، ابن الفرات، تاريخ، مج3، ج2/ 184.

(4) المنذري، التكملة لوفيات النقلة، 2/ 287ـ288.

(5) ابن ابي أصيبعة، عيون الأنباء، ص585، الذهبي، تاريخ، ص468.

(6) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ق2/ 649، أبو شامة، الذيل، ص165، سلطان، الدور السياسي، ص58.

فقيها بالمذهب المالكي محبا للعلم وأهله[1] ولم يلبث أن تغير عليه في أواخر أيامه وأعرض عنه ثم استرضاه الملك الكامل وقلده الوزارة، فشغل منصبه بكفاءة عالية نظرا لإلمامه بقوانين الوزارة ولما مات لم يستوزر أحدا بعده[2].

واشتهر الفقيه أبو القاسم عبد المجيد بن صاعد بن سلامة المنعوت بالشمس (ت613هـ/ 1216م) كونه أحد المقربين من العادل وله "**الحرمة العظيمة والمنزلة الكريمة**"[3]، أما الفقيه جمال الدين يونس بن بدران المصري (ت 623هـ/ 1226م) فقد أسند إليه الملك العادل عدة مناصب منها قاضي القضاة، ووكالة بيت المال بدمشق كما أصبح سفيره إلى دار الخلافة وغيرها من البلاد[4].

ونال الطبيب موفق الدين بن أبي سليمان بن داود (ت 613هـ/ 1216م) احترام الملك العادل وتقديره، وفي أحد الأيام بينما كان الطبيب خارجا من بين القصرين شاهده الملك العادل فأرسل إليه بغلة ثم رافقه إلى دار الوزارة[5]، وزادت مكانة الطبيب ابن أبي سليمان عند ابنه الملك الكامل إلى الحد الذي أسكنه معه بالقصر بالقاهرة[6].

وكان الطبيب رشيد الدين بن أبي أصيبعة (ت 616هـ/ 1219م) ـ عم ابن أبي أصيبعة مؤلف **(عيون الأنباء في طبقات الأطباء)** ـ أحد المرافقين للملك العادل أينما حل ورحل ، وأخصه براتب مجز مع الكثير من المنح والهدايا التي كان يمنحه إياها بين

(1) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ق2/ 677، أبو شامة، الذيل، ص115، ابن كثير، البداية، 13/ 109،136، ابن تغري بردي، النجوم، 6/ 280، النعيمي، الدارس، 2/ 333ـ334.

(2) ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص27، أبو الفداء، المختصر، 2/ 263، المقريزي، السلوك، 1/ 201.

(3) ابن الصابوني، تكملة إكمال الإكمال، ص63.

(4) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ق2/ 643، أبو شامة، الذيل، ص148، ابن كثير، البداية، 13/ 114.

(5) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص589.

(6) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه ، ص589

الحين والآخر[1].

أما الطبيب مهذب الدين عبد الرحيم بن علي المعروف بابن الداخور (ت628هـ/ 1230م) فقد نال من جهة الملك العادل الكثير من المال والجاه وحصل منه أثناء إشرافه على معالجته من مرض ألم به سنة 610هـ/ 1213م سبعة آلاف دينار مصرية[2]. وعندما مرض أبنه الكامل محمد عالجه الطبيب الداخور فكافأه العادل باثني عشر ألف دينار مصرية وأربع عشرة بغلة مطوّقة بأطواق الذهب، كما ولاه رئاسة الأطباء بمصر والشام[3].

لقد تمتع العلماء بمكانة اجتماعية كبيرة لدى العامة والخاصة[4]، ومن مظاهر دعم الأيوبيين للعلماء حضورهم في تشييع جنائزهم فعلى على سبيل المثال عندما توفي الفقيه الشافعي أبو الفتح شهاب الدين محمد بن محمود الطوسي سنة 596هـ/ 1199م ازدحم العامة من أهل مصر على جنازته وكان يتقدم المشيعين الملك العادل وأبناؤه وكبار رجال دولته[5].

وعندما رأى الكامل محمد جنازة العالم النحوي أبي الحسن يحيى بن معطي (ت628هـ/ 1231م) وليس معها إلا النفر اليسير غضب على الفقهاء بمصر والقاهرة لعدم مشاركتهم في تشييعها وكاد يقدم على معاقبة بعضهم[6].

ويصف السبكي تشييع جنازة الفقيه محمد بن الحسين بن عبد الرحمن الأنصاري سنة 633هـ/ 1235م بأن مصر لم تشهد جنازة كجنازته لكثرة الخلق بها ولم يكن

(1) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص738.

(2) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص730.

(3) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص731، النعيمي، الدارس، 2/ 100ـ101.

(4) الذهبي، العبر، 3/ 116، ابن العماد، شذرات الذهب، 4/ 328.

(5) أبو شامة، الروضتين، 2/ 240، الذيل، ص19، الذهبي، تاريخ، ص269، ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، 1/ 376.

(6) ابن واصل، مفرج الكروب، 5/ 160.

الكامل محمد حينها بمصر فأنابه ابنه الملك العادل (الثاني)[1]. وشهد جنازة الحافظ عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح الشهروزي (ت 643هـ/ 1245م) الكثير من الأمراء والناس "**وحمل نعشه على الرؤوس**"[2].

ولو تتبعنا مكانة العلماء في ذلك العصر لوجدناها تفوق كل مكانة، بل حتى مكانة الأمراء أنفسهم، وإذا ما تعرضوا لمحنة ساندهم الشعب.

ويلاحظ أن بعض العلماء كانوا عازفين عن المال والدنيا بحكم تمسكهم بالدين لذلك تقشف بعضهم في حياته كالفقيه الأديب عبد العزيز بن احمد بن عبد الله الديريني (ت694هـ/ 1294م)[3] بينما امتنع آخرون عن أخذ الهدايا والأموال تورعا فعلى سبيل المثال: كان الملك العادل يبعث بالأموال إلى الشيخ عبد الرحمن اليمني (ت 640هـ/ 1242م) فلا يقبلها[4]، أما الفقيه أبو عبد الله محمد بن الحسين بن رزين العامري (ت 680هـ/ 1281م) فقد تولى مناصب عدة كالقضاء ووكالة بيت المال والتدريس إلا أنه امتنع عن أخذ الجامكية (**الراتب**) مقابل ذلك[5]. وفضل كغيره من العلماء أن يحصل على قوته من كسب يده وكان من العلماء من امتهن مهنا خاصة فكان منهم **العطار**[6]، **والبزاز**[7]، **والجزار**[8]، **والحداد**[9]، **والتاجر**[10]. واشتهر الملك

(1) ينظر: طبقات الشافعية، 8/ 55.

(2) أبو شامة، الذيل، ص176، الداوودي، طبقات المفسرين، 1/ 384.

(3) الداوودي، طبقات المفسرين، 1/ 310، ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، 2/ 36.

(4) أبو شامة، الذيل، ص136.

(5) الأسنوي، طبقات الشافعية، 1/ 293، ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، 1/ 479، الداوودي، طبقات المفسرين، 2/ 140.

(6) المنذري، التكملة، 1/ 440، ابن العماد، شذرات، 5/ 457.

(7) المنذري، التكملة، 1/ 114،186.

(8) الذهبي، العبر، 3/ 341، ابن العماد، شذرات الذهب، 5/ 364.

(9) المنذري، التكملة، 3/ 117.

(10) المصدر نفسه ، 3/ 63، 114، 217، 219، 257.

الكامل كونه من أكثر الملوك الأيوبيين رعاية للعلم والعلماء، وكان لولعه الشديد بعلم الحديث أن تقدم لديه المحدثون ومنهم على سبيل المثال: الحافظ أبو الخطاب عمرو بن دحية[1] وأخوه الحافظ عثمان بن الحسن بن دحية (ت 634هـ/ 1236م)[2]، ويعزى إلى الملك الكامل بناؤه دار الحديث الكاملية بالقاهرة سنة 621هـ/ 1224م[3] وهي ثاني دار حديث بعد تلك التي بناها نور الدين محمود في دمشق[4].

وعرف عن الملك الكامل ولعه بمجالسة العلماء وسماع مناظراتهم[5] تقرب إليه عدد منهم: كالفقيه الشيخ صدر الدين أبو الحسن محمد بن حمويه الجويني (ت 617هـ/ 1220م) وإليه كانت مشيخة الخانقاه الصلاحية والمشهد الحسيني بالقاهرة ونال صدر الدين الجويني الوجاهة لدى الأيوبيين لاسيما لدى الملك الكامل الذي سيره رسولا إلى الخليفة العباسي يستنجده على الإفرنج إلا أن المنية عاجلته بالموصل[6].

وكان لصدر الدين أربعة من الأبناء هم: عماد الدين محمد (ت 636هـ/ 1238م) ومعين الدين الحسن (ت 643هـ/ 1245م)، وكمال الدين احمد (ت 640هـ/ 1242م)، وفخر الدين يوسف (ت 647هـ/ 1249م) وكانوا من أخص الناس بخدمة الملك الكامل ومن أكابر أعيان دولته، وسبب تقدمهم عنده أنهم كانوا أخوة له في الرضاعة ، ونال كل منهم فضيلتي السيف والقلم حيث أسندت إليهم

---

(1) أبو شامة، الذيل، ص142، أبو الفداء، المختصر، 2/ 263، الذهبي، تذكرة الحفاظ، 4/ 1422.

(2) ابن واصل، مفرج الكروب، 5/ 167، الذهبي، سير أعلام، 23/ 27، ابن كثير، البداية، 13/ 146؛ السيوطي، بغية الوعاة، ص322.

(3) أبو شامة، الذيل، ص142، ابن واصل، مفرج، 5/ 162، السيوطي، تاريخ الخلفاء (بغداد: 1987)، ص457.

(4) ابن قاض شهبة، الكواكب الدرية، ص37، الصائغ، الملك الكامل، ص197.

(5) ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص36، ابن واصل، مفرج الكروب، 5/ 158، أبو الفداء، المختصر، 2/ 263.

(6) ابن واصل، مفرج الكروب، 4/ 91، الذهبي، العبر، 3/ 175، ابن كثير، البداية، 13/ 93، السبكي، طبقات، 8/ 97، ابن العماد، شذرات، 5/ 77.

مشيخة الخانقاه الصلاحية والتدريس فضلا عن تولي قيادة الجيوش[1].

وخلع الكامل على فخر الدين يوسف لقب الأمير[2]، وكان فاضلا متأدبا له مشاركات في فنون كثيرة[3] وإليه كانت قيادة الجيوش في عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب، وإذا كان الملك الصالح قد تغير عليه حينا وقام بسجنه فإنه ما لبث أن أطلق سراحه وأنعم عليه وجعله نائب السلطنة، وإليه يعزى حفظ مصر وتسيير شؤونها بعد وفاة الملك الصالح نجم الدين وكانت نهايته أن استشهد بالمنصورة في حربه مع الصليبيين[4].

وكغيره من الأيوبيين أوكل الملك الكامل الكثير من المناصب والمهام إلى العلماء فعلى سبيل المثال أوكل إلى الفقيه الزاهد محمد بن الحسين بن عبد الرحمن الأنصاري (ت633هـ/ 1235م) مهمة إصلاح ذات البين مع أخيه الملك الأشرف موسى[5].

وأسند إلى الأديب إبراهيم بن نصر بن طاقة الحموي الأصل المعروف بابن الفقيه (ت638هـ/ 1240م) نظر الأحباس بمصر ونظر الدواوين بالأعمال القوصية[6]. أما الشاعر الأديب عبد الله بن المختار بن محمد بن شريف المعروف بقاضي دارا (ت 641هـ/ 1243م) فقد أوكلت إليه دواوين قوص وأسوان[7]، وأوكل إلى الشاعر جمال

(1) أبو شامة، الذيل، ص125، ابن واصل، مفرج الكروب، 5/ 169ـ170، أبو الفداء، المختصر، 2/ 264، المقريزي، السلوك، 1/ 382.

(2) ابن خلكان، وفيات الأعيان، 3/ 237، السبكي، طبقات، 8/ 263.

(3)ابن واصل، مفرج الكروب، 5/ 170، ابن كثير، البداية، 13/ 178.

(4) ابن واصل، مفرج الكروب، 5/ 170، اليونيني، ذيل مرآة الزمان (حيدر آباد الدكن: 1955)، 2/ 215، ابن كثير، البداية، 13/ 178، السبكي، طبقات، 8/ 363ـ364.

(5) السبكي، طبقات الشافعية، 8/ 48ـ49.

(6) قوص : بالضم ثم بالسكون وهي مدينة كبيرة وواسعة قصبت سعيد مصر بينها وبين الفسطاط إثنا عشر يوما وهي محط التجار القادمين من عدن. ياقوت معجم البلدان 4/ 413.

(7) ابن الشعار، قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، تحقيق: نوري حمودي القيسي ومحمد نايف

الدين بن مطروح (ت649هـ/ 1251م) نظر الخزانة كما أسند إليه الملك الصالح ديوان الجيش[1].

ومن المقربين إلى الملك الكامل أيضا: الفقيه أبو محمد عبد الله بن أبي المعالي بن عبد العزيز الدمياطي المعروف بابن البوري (ت 639هـ/ 1241م)[2]، والشاعر الكاتب أبو الحسن علي بن يحيى بن الحسن بن ثابت الأسدي الحلي الواسطي (ت 641هـ/ 1243م)[3] والنحوي سليمان بن محمد بن علي اليمني (ت 650هـ/ 1252م) وكان من ندماء الملك الكامل وحضر الكثير من مجالسه الخاصة[4].

ولم يكن الملك الكامل محمد ليبخل على العلماء بالأموال من أجل كسب ودهم ورضاهم[5]، وكان لدعمه للعلم والعلماء أن دفع بالكثير منهم للسفر إلى مصر والإقامة بها مكرمين. وممن وفد إلى مصر في عهده نذكر الأديب الشاعر احمد بن السيد بن شعبان بن محمد الأربلي (ت631هـ/ 1233م) وكان من أصحاب الأمير مظفر الدين كوكبري (586ـ630هـ/ 1190ـ1233م) ـ أمير أربل ـ الذي تغير عليه واعتقله ثم أفرج عنه فسافر على أثرها إلى الشام ودخل في خدمة الأيوبيين ثم قصد مصر وتقدم عند الملك العادل وعظمت منزلته عند ابنه الكامل واختص به وصار من ندمائه المقربين، ثم ما لبث أن تغير عليه الكامل فسجنه سنة 618هـ/ 1221م ثم أفرج عنه وأعاده إلى ما كان عليه وجعله رسوله إلى الإمبراطور الصليبي سنة

الدليمي (الموصل: 1992)، 3/ 182، الذهبي، تاريخ، ص99ـ100.

(1) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ق2/ 788، ابن واصل، مفرج الكروب، 1/ 197ـ198، ابن كثير، البداية، 13/ 182، ابن تغري بردي، النجوم، 7/ 28.

(2) ابن الصابوني، تكملة إكمال الإكمال، ص72ـ73.

(3) ابن كثير، البداية والنهاية، 13/ 164.

(4) ابن الصابوني، تكملة إكمال الإكمال، ص92، اليماني، إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين، تحقيق عبد المجيد دياب، (الرياض: 1986)، ص136.

(5) ابن واصل، مفرج، 5/ 160، الحميري، الروض المعطار، ص257.

626هـ/ 1228م[1].

وعندما كان الملك الكامل بدمشق التقى بالعالم النحوي أبي الحسن يحيى بن معطي ورغبه بالسفر إلى مصر وقرر له راتبا جيدا يقوم بكفايته وتحسنت أحواله وكان قبل قدومه مصر يعاني الفقر وضنك العيش[2].

وفي سنة 632هـ/ 1234م وفد إليه العلامة قاضي القضاة أفضل الدين محمد بن ماء ورد بن عبد الملك الخونجي (ت 646هـ/ 1248م) ـ نسبة إلى خونج[3] من أعمال أذربيجان بين مراغة وزنجان ـ وكان ملما بعلوم عدة كالطب والفلسفة والمنطق فضلا عن العلوم الشرعية وفي عهد ابنه الملك الصالح تولى الأفضل الخونجي قضاء القضاة بمصر كما فوض إليه التدريس بالمدرسة الصالحية بالقاهرة[4].

ولم تثن المشاغل السياسية والحربية الملك الصالح نجم الدين أيوب عن دعم الحركة العلمية في بلاده وتهيئة الأسباب اللازمة لها، ففي عهده بنيت المدارس الصالحية بالقاهرة[5]، كما عرف بحبه لأرباب العلم وشملهم برعايته وأجرى عليهم الأرزاق والرواتب[6] وتقدم عنده عدد من العلماء نذكر منهم الشيخ أبا العوالي مرتفع بن جزيل الذي صنف له كتابا سماه "**سبيل الرشاد في فضل الجهاد**"[7].

(1) ابن واصل، مفرج الكروب ، 5/ 164ـ165، اليونيني، ذيل، 2/ 214ـ215، الصفدي، الوافي بالوفيات، 7/ 63ـ64، الذهبي، تاريخ، ص38ـ39، سليمان الصائغ، تاريخ الموصل (بيروت: 1928)، 2/ 108ـ109.

(2) أبو شامة، الذيل، ص160، ابن واصل، مفرج الكروب، 5/ 159ـ160.

(3) خونج : مدينة في آخر حدود أذربيجان من جهة الجنوب وتسمى بـ خونا أيضا. ياقوت ، معجم البلدان 2/ 500.

(4) أبو شامة، الذيل، ص182، ابن واصل، مفرج الكروب، 5/ 160، ابن قنفذ، كتاب الوفيات، ص320، السيوطي، حسن المحاضرة، 1/ 120.

(5) أبو الفداء، المختصر، 2/ 286، الداوداري، كنز الدرر، 7/ 331، المقريزي، السلوك، 1/ 443.

(6) المقريزي، السلوك، 1/ 442، الحنبلي، شفاء القلوب، ص381.

(7) خليفة، كشف الظنون، 2/ 27؛ ناظم رشيد، "النشاط العلمي والأدبي في عهد الأسرة الأيوبية"، آداب

والكاتب الصاحب بهاء الدين أبا الفضل زهير بن محمد المهلبي (ت656هـ/ 1258م) وكان من أعز أصحابه لازمه عندما كان بالشام وكان الصالح لا يطلع على سره غيره[1].

والفقيه ظافر بن نصر بن ظافر بن هلال الحموي الأصل المصري الدار الشافعي (ت677هـ/ 1278م) نال ثقة الملك الصالح ووكلت إليه وكالة بيت المال بمصر وأوصى على فراش الموت ولده ومماليكه إقراره على وكالة بيت المال[2].

ومن أصحابه أيضا: القاضي بدر الدين يوسف بن الحسن الزرزاري المعروف بقاضي سنجار (ت 663هـ/ 1264م) وكان قد توجه إلى مصر سنة 638هـ/ 1240م فلما وصلها أكرمه الصالح نجم الدين غاية الإكرام[3] كما تلقى الملك الصالح قدوم الشيخ عز الدين بن عبد السلام إلى مصر "**بالإكرام العظيم والاحترام التام**" وقلده قضاء مصر والوجه القبلي والخطابة بجامع عمرو بن العاص كما مكنه من الأمر والنهي في البلاد[4].

خامسا: حرية الفكر والتسامح

أحد العوامل التي كانت وراء ازدهار الحياة الفكرية في مصر هي أن الأيوبيين كانوا أكثر ميلا من الفاطميين إلى التسامح مع من يخالفهم في الرأي والاعتقاد طالما كان ذلك لا يتعارض مع الشرع الإسلامي الحنيف أولا، ولا يهدد أمن الدولة ثانيا لذلك نجد الأيوبيين رغم انتمائهم إلى المذهب السني الشافعي فإنهم لم يكونوا متعصبين

الرافدين، ع(8)، بغداد، 1977، ص446.

(1) الذهبي، المختار من تاريخ ابن الجزري، تحقيق خضير عباس المنشداوي (بغداد: 1988)، ص252، المقريزي، السلوك، 1/ 444.

(2) الكتبي، عيون التواريخ، 21/ 204ـ205.

(3) ابن واصل، مفرج الكروب، 5/ 302؛ الذهبي، العبر، 3/ 309؛ ابن العماد، شذرات الذهب، 5/ 313.

(4) ابن واصل، مفرج الكروب، 5/ 303، ابن كثير، البداية، 13/ 236، أبو الفداء، المختصر، 2/ 272، الأسنوي، طبقات الشافعية، 2/ 84ـ85، المقريزي، السلوك، 1/ 411.

له، كما أنهم لم يجبروا أحدا من رعاياهم على ترك عقيدته أو مذهبه من أي ملة كان أو من أي دين.

والملاحظ أن إلغاء الخلافة الفاطمية نفسها قد تم بمنتهى الهدوء ولم يحدث أي اضطراب سياسي أو عسكري أو ردة فعل جراء ذلك التغيير، وعلى حد تعبير ابن الأثير: "**لم ينتطح بها عنزان**"[1]، بل على العكس قوبل إلغاء الخلافة الفاطمية من قبل سواد المصريين بالارتياح التام[2]، إلا أن بعض المنتفعين من المرتزقة والجنود الذين تضرروا من ذلك التغيير السياسي وخسروا مناصبهم ومراكزهم أوشكوا على القيام بتمرد لإعادة مجد الفاطميين بالتعاون مع الصليبيين، ولكن سرعان ما قضي على مخططهم سنة 569هـ/ 1173م[3]، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الحنكة والحكمة السياسية التي أبداها صلاح الدين من جهة، وأيضا على مدى التأييد الذي حظي به صلاح الدين من قبل المصريين نظرا لتعمق المذهب السني في نفوسهم ورفضهم لمذهب التشيع الذي لم يكن منتشرا بدرجة كبيرة وبقوا ينظرون إليه بأنه مذهب طارئ دخيل يجب مقاومته[4].

ووجد السلطان صلاح الدين بعد إلغائه الخلافة الفاطمية ضرورة القيام بحركة إصلاح شاملة لبناء دولته على أسس من العدالة والتسامح والوحدة الفكرية والأخلاقية التي سبق أن صاغ دعائمها السلطان نور الدين محمود في بلاد الشام، والسعي لتقوية تلك الأسس والدعائم لخدمة أهداف الوحدة ورص الصفوف في دولة

(1) الباهر، ص156.

(2) ابن واصل، مفرج الكروب، 1/ 198، مهدي قادر خضر، الأمن في مصر والقاهرة في العصر الأيوبي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة صلاح الدين، 2002، ص46، كروزيه، تاريخ الحضارات العام، 3/ 212.

(3) للمزيد ينظر: ابن الأثير، الكامل، 11/ 398ـ399، البنداري ، سنا البرق الشامي، ق1/ 148ـ149، أبو شامة، الروضتين، 1/ 220، أبو الفداء، المختصر، 2/ 133، الذهبي، العبر، 3/ 58، المقريزي، السلوك، 1/ 162ـ163.

(4) نياتي، تاريخ أفريقيا العام، مج4/ 377، حمزة، الحركة الفكرية، ص13.

موحدة [1]. ومن ثم كانت الحكومة والنظام الذي أقامه صلاح الدين في مصر وبلاد الشام إسلاميا في إطاره وطابعه العام أكثر من كونه محليا.

وبدأ تسامح الأيوبيين واضحا وجليا في الكثير من المواقف، فعندما قام صلاح الدين بإقصاء القضاة الاسماعيلية سنة 566هـ/ 1170م لم يتعرض لأحدهم بسوء انطلاقا من إيمانه بأن التعصب يتعارض مع روح الإسلام السمحة: كما أنه كان مدركا بأن التعصب المذهبي أو الشخصي يصاحب الجهالة والجمود الفكري [2] وهو ما لا يرضاه لذلك سعى إلى إشاعة روح الحرية والقانون والابتعاد عن التعصب بكافة أشكاله وألوانه [3].

لقد كان مبدأ العدالة والتسامح نزعة أصيلة في نفس صلاح الدين وسجية من سجاياه التي طالما أشاد بها المؤرخون [4]، وكان مبدؤه في التعامل مع الغير هو الصدق في القول والوفاء به حتى مع أعدائه الصليبيين [5]. ومن ثم فلا ضير إن اكتسبت سيرته السمحة محبة الناس بما في ذلك الشيعة ويمكن تأكيد ذلك ببساطة من خلال الروايات العديدة التي أوردها أبو شامة المقدسي نقلا عن المؤرخ الحلبي ابن أبي طي (ت 630هـ/ 1232م) الذي لم يكن مجاملا لصلاح الدين في رواياته كغيره من المؤرخين مما يدل أن صلاح الدين لم يكن متعصبا أو مضطهدا لهم [6] كما نظر إليه أعداؤه الصليبيين نظرة إعجاب لشهامته وفروسيته وسمو أخلاقه [7].

ومن مظاهر التسامح أيضا أن أهل الذمة من اليهود والنصارى كان يطبق معهم

(1) نيوباي، صلاح الدين وعصره، ص10ـ11، قلعجي، صلاح الدين، ص445.

(2) محمد المطوي العروسي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب (تونس: 1954)، ص111.

(3) البرشاندور، صلاح الدين الأيوبي، ترجمة محمد قاضي (تهران: 1335هـ)، ص77.

(4) الأصفهاني، الفتح القسي، ص657، رانسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، 3/ 148، نيوباي، صلاح الدين، ص8.

(5) مجهول، ذكر الدولة الأيوبية، ورقة 17، جب، صلاح الدين، ص195 ، علوان ، صلاح الدين ، ص75.

(6) جب، دراسات، ص122.

(7) Helen, O., Clery, The peqasus Book of Eygpt (London: 1968), P.,35.

مبدأ العدالة، وكان الأيوبيون معهم في غاية التسامح، وكان لهم حق اختيار رئيس أو بطريك بمحض إرادتهم[1].

وكانت لهم محاكمهم الخاصة التي يحتكمون إليها[2]. ولم يتعرض الأيوبيون لكنائسهم وأديرتهم التي أصبحت خلال ذلك العصر مراكز للعبادة والدراسة معا[3]، وكانت لكثير منهم مساهماتهم الفكرية إلى جانب المسلمين لاسيما في مجال العلوم العقلية وكثيرا ما قرأ المسلمون على علماء من أهل الذمة أو بالعكس ، كما تولى بعض اليهود والنصارى بعض الأعمال والمناصب الإدارية[4].

وعلى النقيض من ذلك كانت الدولة الفاطمية من أشد الدول الإسلامية حرصا على أن تطبع الشعب والمجتمع بطابعها الخاص وأن تصوغ روح الشعب وعقليته وتفكيره وحياته وفقا لمناهجها ورسومها[5] لذلك كانت سياستهم تقوم في بعض الأحيان على التعصب الفكري وانتهاج المواقف المتصلبة لغرض فرض فكرهم الاسماعيلي التي لم تكن تحظى بالتأييد لدى عامة المصريين، وتعرض العلماء السنة للكثير من الضغوط والأذى النفسي والمعنوي فعلى سبيل المثال أشار المقريزي نقلا عن المسبحي (ت 420هـ/ 1029م) أن الفاطميين قاموا سنة 381هـ/ 991م بمعاقبة أحد أنصار السنة وطيف به المدينة من أجل أنه وجد عنده كتاب "**الموطأ**" لمالك بن أنس ﷺ[6].

كما تدخل الفاطميون في المؤسسات التعليمية إذ عينوا اتجاها مذهبيا خالصا ليكون موضع الدراسة ورتبوا فيها خيرة رجالهم للإشراف عليها لتكون منابر ومراكز لبعث ونشر الدعوة الفاطمية، كما تدخلوا في الكثير من المؤسسات الإدارية لاسيما

(1) ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص20ـ21؛ المقريزي، السلوك، 1/ 302ـ303.

(2) نيوباي، صلاح الدين، ص43.

(3) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص58.

(4) نياني، تاريخ أفريقيا، 4/ 379.

(5) عنان، الحاكم بأمر الله الفاطمي، ص349.

(6) الخطط المقريزية، 4/ 157، حمزة، الحركة الفكرية، ص38.

الجهاز القضائي واشترطوا فيمن يتولى منصب قاضي القضاة العمل بالمذهب الإسماعيلي[1]. لذلك تعرض الكثير من القضاة على أيديهم للتصفية أو العزل كما حدث لقاضي القضاة أبي عبيد الله محمد بن ميسر بعد اتهامه بالتهجم على الفاطميين[2].

أما القاضي احمد بن علي بن محمد المعروف بالرشيد بن الزبير الأسواني (ت562هـ/ 1196م) فقد انتقم منه الوزير شاور بن مجير بن نزار - وزير العاضد الفاطمي (555- 567هـ/ 1160-1171م) ولم يكتف بصلبه بل حاول التشهير به والطواف به في الأسواق بحجة تآمره على الفاطميين واتصاله بأسد الدين شيركوه وصلاح الدين أثناء دخولهما مصر[3].

وكان بعض علماء السنة يدارون الدولة الفاطمية خوفا من بطشها وسطوتها، وجاء عن الذهبي في ترجمته للحافظ عبد الغني بن سعيد الأزدي المصري (ت409هـ/ 1018م) "**وكان اتصاله بالدولة مداراة لهم، وإلا فلو جمح عليهم لاستأصله الحاكم خليفة مصر..، ولكن داوم على مداراة القوم ومداهنتهم**"[4].

وفي عهد المستنصر بالله الفاطمي منع الإمام الحافظ أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد بن عبد الله الحبال المصري (ت 482هـ/ 1089م) من عقد مجالس رواية الحديث حيث كان الفاطميون قد منعوه وأخافوه وهددوه فامتنع من الرواية[5].

ومن مظاهر محاربة الفاطميين للمذهب السني هو التعرض للمساجد

---

(1) ابن الجزري، غاية النهاية، 1/ 71؛ احمد شلبي، تاريخ التربية الإسلامية (القاهرة: 1976)، ص419.

(2) المقريزي، اتعاظ الحنفا، 3/ 162-163، سلطان، الدور السياسي، ص28.

(3) ياقوت، معجم الأدباء، 4/ 51، ابن خلكان، وفيات الأعيان، 1/ 161، ابن العماد، شذرات الذهب، 4/ 197.

(4) ينظر: سير أعلام النبلاء، 13/ 169؛ اليافعي، مرآة الجنان، 3/ 22؛ ابن العماد، شذرات الذهب، 3/ 188-189.

(5) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 17/ 271؛ الأمصار ذوات الآثار، ص114 (المحقق).

والجوامع والأضرحة وسبهم للصحابة الكرام[1]، وكذلك التعرض لقوافل الحجيج وإيذائهم[2].

ولم تكن سياسة التغيب ومنع حرية التعبير عن الرأي والمعتقد موجهة ضد المسلمين السنة وحسب، بل لقد لقي أهل الذمة من اليهود والنصارى الكثير من التضييق والاضطهاد لاسيما في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله الذي تميز بشذوذه النفسي ومزاجه المتقلب، ففي عهده أكره الكثير من أهل الذمة على ترك معتقداتهم وكثرة مضايقتهم وهدم كنائسهم وأديرتهم[3]. ومنعهم من إقامة شعائرهم الدينية[4] وألزمهم بعدم التشبه بالمسلمين في لباسهم وضرورة شد الزنار في وسطهم، وأن تكون الصلبان المعلقة على صدورهم من الخشب، وأن لا يركبوا الخيول عدا البغال والحمير إلى غير ذلك من الإجراءات القاسية[5] التي قادت الكثير من أهل الذمة للتظاهر بالمذهب الإسماعيلي طلبا للسلامة وتخلصا من عنت الفاطميين ورجال دولتهم[6].

وكان للاضطراب السياسي الذي أصاب مصر في أخريات الدولة الفاطمية نتيجة الصراعات على السلطة أثره في تراجع الحركة الفكرية[7] ولم يعد بمقدور الفاطميين في ظل ظهور بوادر التهديد الصليبي منذ عهد الخليفة أبي القاسم احمد المستعلي (487ـ495هـ/ 1094ـ1101م) من انتهاج سياسة الانفتاح والمرونة، بل زاد من نهجهم التصلبي حيث لجأوا إلى العنف إزاء من يخالفهم في الرأي والاعتقاد وإلى

---

(1) المقريزي، اتعاظ، 2/ 54.

(2) المقريزي،المصدر نفسه ، 2/ 54.

(3) المقريزي، المصدر نفسه، 2/ 48، 2/ 94، رانسيمان، تاريخ الحروب، 1/ 58، كروزيه، تاريخ الحضارات، 3/ 212.

(4) المقريزي، المصدر نفسه، 2/ 71.

(5) ينظر: المقريزي، المصدر نفسه ، 2/ 76، 81، 85، 86، 93، 94، 100.

(6) المقريزي، المصدر نفسه ، 2/ 94، 136، 176، فاطمة مصطفى عامر، تاريخ أهل الذمة في مصر الإسلامية، (القاهرة: 2000)، 2/ 193.

(7) بدوي، الحياة العقلية، ص5.

تصفية المخالفين لهم[1]. وما أن حل عهد الخليفة العاضد حتى كانت الفوضى قد شملت جميع مرافق الحياة تقريبا وبدء التهديد الصليبي تتضح معالمه أكثر فأكثر، ودخل الصليبيون طرفا ثالثا في النزاع الداخلي الذي كان يدور بين الخليفة ووزرائه[2].

أما العصر الأيوبي فقد كان عصر حرية وتسامح تجاه المذاهب والأديان المختلفة، وكان ذلك وحده كفيلا بانتعاش الحركة الفكرية ذلك أنه حال دون طغيان احد المذاهب التي يتخذ من السلطة وسيلة للضغط على الأفكار الحرة، كما أنه مهد لظهور المواهب والكفاءات والتنافس فيما بينها، والتنافس أساس كل تقدم.

يضاف إلى ما سبق أن الأيوبيين على الرغم من انشغالهم بحروب الجهاد، كان لهم ولع شديد بالعلوم والمعارف إلى جانب عنايتهم بالإدارة والسياسة وقد حملتهم هذه الأمور كلها إلى الاهتمام بمختلف العلوم العقلية والنقلية على حد سواء مما أدى إلى نشاط الحركة العلمية وإلى الرقي الفكري.

وكان لحرية الفكر والتسامح التي عمل الايوبيون على اشاعتها ان تجرأ العلماء في كثير من الاحيان على اتخاذ مواقف جريئة والوقوف بوجه السلاطين والأمراء ، والتصدي للتجاوزات التي كان يقوم بها البعض منهم لمحاولاتهم التدخل في شؤون القضاء ، على سبيل المثال كان القاضي جمال الدين عبد الصمد بن محمد الحرستاني (ت614 هـ/ 1214م) يخاطب الملك العادل أبو بكر أنا لا أحكم إلا بالمتاب والسنة ، ولن أسألك القضاء وإن شئت وإلا فأنظر غيري"[3].

ورغم الضغط الذي مارسه الملك المعظم على القاضي جمال الدين الحرستاني للاستحواذ على تركة احد التجار – ويدعى ابن القوام – بعد ان ادعى ان الأخير كان يتجر بماله الخاص ، لكن القاضي طلب منه ان يحلف بأنه يستحق هذه التركة ، فرفض

---

(1) الذهبي، الأمصار ذوات الآثار، ص114ـ115 (المحقق).

(2) الداوداري، كنز الدرر، 7/ 13؛ ابن تغري بردي، النجوم، 5/ 3.

(3) سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان ، مجلد 8 ج2/ 191، سلطان الدور السياسي ، ص56.

المعظم ذلك فأجابه القاضي "والله لا أسلمك حتى تحلف"[1].

كما مارس العلماء النقد السياسي لتصرفات البعض من السلاطين والأمراء ، وتجلى ذلك في الكثير من المواقف ، فعندما شعر الشيخ عبد الرحمن التميمي (ت620هـ / 1242م) بتقصير الملك العادل عن أداء واجبه تجاه الصليبيين دخل عليه فاستنكر تهاونه هذا[2]، واتخذ الواعظ محمد بن محمود شهاب الدين الطوسي (ت596هـ / 1218) لهجة أكثر حدة وتشهيرا فقد دخل على الملك العادل وبحضور وزيره ابن شكر فقال له "أنت فرعون"[3].

ويعد عز الدين بن عبد السلام (ت 660هـ/ 1282م) أشجع من مارس النقد السياسي في ذلك العهد ، ولم يكن ليخش سطوة الملوك ، وكثيرة هي المواقف التي تصدى فيها للأمراء ، وثمة حوار طريف بينه وبين الملك الصالح نجم الدين أيوب له دلالاته السياسية والتربوية الملحوظة فبعد أن علم الشيخ بوجود إحدى الحانات لبيع الخمور توجه إلى الملك الصالح في معسكره وكان يستعرض جنوده استعدادا لإحدى المعارك فخاطبه بصوت عال وعلى مرآى ومسمع من جنوده : يا أيوب ما حجتك عند الله إذا قال لك ألم أبوّ لك ملك مصر ثم تبيع الخمور ، فقال له الملك الصالح : هل جرى هذا فقال الشيخ عز الدين : نعم الحانة الفلانية يباع فيها الخمور وغيرها من المنكرات وأنت تتقلب في نعمة هذه المملكة ، (فأجابه) يا سيدي هذا أنا ماعملته هذا من زمان أبي فقال الشيخ : أنت من الذين يقولون إنا وجدنا آباءنا على أمة[4]، ولما سئل عن سبب التشهير بالصالح أمام جنده قال : "**أردت ان أهينه لئلا تكبر عليه نفسه فتؤذيه**"[5].

يتضح مما سبق أن الفقهاء والوعاظ ورجال الدين كانوا في مقدمة من أفادوا من

---

(1) السبكي ، طبقات ، 5/ 99.

(2) أبو شامة ، الذيل ، ص136.

(3) سبط ابن الجوزي ، مرآة ، 8، ج2/ 476 ؛ أبو شامة الروضتين ، 2/ 240.

(4) السبكي ، طبقات 5/ 81، سلطان ، الدور السياسي ، ص52.

(5) السبكي ، المصدر نفسه 5/ 81.

ذلك التسامح حيث أخذ أصحابها يجاهرون بكل ما يجول في خواطرهم أو يعتقدون أنه الصواب بعد أن ضعف التعصب الفكري وساد جو من الوئام والتسامح بينها، وكما يرى المستشرق نيوباي فقد تداخلت خلال العصر الأيوبي "**العقائد والتقاليد ونشأت عنها عادات جديدة وتقاليد أخرى انصهرت في كل كبير ضاعت فيه إلى حد كبير الشعوب وطقوسها في الدولة الجديدة**"[1].

سادسا: الرحلات العلمية

كانت الرحلات العلمية رافدا مهما من روافد الحركة الفكرية في مصر طيلة العصر الأيوبي، فقد استقطبت القاهرة والإسكندرية وغيرها من المدن المصرية أفواجا من العلماء وطلبة العلم الذين وفدوا إليها من أنحاء العالم الإسلامي للإقامة فيها والتقاء العلماء والاشتغال على أيديهم والتباحث معهم والإفادة في مختلف العلوم ومن ثم كانت للرحلات العلمية دور كبير في ازدهار النشاط الفكري في مصر وعموم العالم الإسلامي لأنها وسيلة من وسائل تبادل الأفكار والمعارف بين العلماء فضلا عن نشوء علاقات وثيقة بينهم أدت إلى خدمة النهضة العلمية في مصر.

وكانت ظاهرة الرحلة في طلب العلم قد برزت بشكل ملفت مع اتساع رقعة الدولة الإسلامية وعلى وجه التحديد منذ القرن (2هـ/ 8م) وتنامت حركة هذه الرحلات في القرون التالية[2]، وكان لها أبلغ الأثر في توثيق الأواصر بين حواضر العالم الإسلامي وربط المشرق الإسلامي بمغربه وإلغاء الحدود والموانع بين الأقاليم وجعل العالم الإسلامي أشبه بالمدينة الواحدة تنطوي قلوب أبنائه على مبادئ واحدة وتعاليم متماثلة[3].

وكان طلبة العلم وغيرهم لا يلقون عنتا أو مشقة في الانتقال بحرية وكان المسلم حيثما تنقل داخل حدود مملكة الإسلام يجد نفسه بين إخوان له وأينما ألقى عصا

(1) ينظر: صلاح الدين وعصره، ص9.

(2) محمود إسماعيل، تاريخ الحضارة الإسلامية (الكويت: 1990)، ص188.

(3) صبحي الصالح، علوم الحديث ومصطلحه (دمشق: 1959)، ص51.

الترحال من غزنة وبخارى شرقا إلى غرناطة غربا وجد الجامع الذي يؤدي فيه فريضة الصلاة والرباط الموقوف على إيوائه وإطعامه أو المدرسة التي يتلقى فيها علوم دينه ودنياه، وكان أينما حل عد من مواطني ذلك البلد[1]، واكتسب النسبة إليها، من هنا فقد اكتسب بعضهم عدة نسب بلدانية لإقامتهم في أكثر من مدينة أو إقليم من ذلك على سبيل المثال ما ورد عن الفقيه أبي إسحاق بن إبراهيم المصري (ت 596هـ/ 1199م) والذي عرف بالعراقي بعد إقامته في العراق مدة[2]، كما نسب المحدث الشهير أبو محمد عبد الغني عبد الواحد المقدسي الأصل إلى عدة بلاد فقد اشتهر بالمقدسي الدمشقي المصري[3]. ومن ينظر في كتب التراجم يجد ما لا حصر له من هذه الأمثلة[4].

وكان للإسلام موقف إيجابي في تشجيع الرحلات العلمية من خلال حثه على طلب العلم ولأهمية الرحلات العلمية في حياة المسلمين أفرد العلامة ابن خلدون (ت808هـ/ 1405م) في مقدمته المشهورة بابا خاصا بين فيه أثر الرحلة في ازدهار المعارف سماه: "**الرحلة في طلب العلوم ولقاء مشايخه**"[5] فالرحلة ضرورية لما ينجم عن ذلك من كمال التعلم فقد كان السائد أن طالب العلم لا يكتمل علمه إلا بالرحلة والاغتراب[6] وكان العالم يقيم بعدد الرحلات التي قام بها أو بعدد المدرسين والشيوخ

---

(1) بنيامين التطيلي، رحلته، ص13 (مقدمة المحقق)، عبد الجبار حامد احمد، الحياة الفكرية في الموصل خلال القرن الرابع والخامس الهجريين، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1992، ص87ـ88، سيد الأهل، صلاح الدين، ص144ـ145.

(2) ابن الصلاح، طبقات الشافعية، 1/ 320، المنذري، التكملة، 1/ 355، الذهبي، العبر، 3/ 114، السبكي، طبقات الشافعية، 7/ 37.

(3) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ق2/ 519، الذهبي، العبر، 3/ 129، اليافعي، مرآة الجنان، 3/ 378.

(4) ينظر على سبيل المثال: المنذري، التكملة، 2/ 99، 234، 379، الذهبي، العبر، 3/ 135، 148، اليافعي، مرآة الجنان، 4/ 4.

(5) ينظر: المقدمة، ص744، شلبي، التربية الإسلامية، ص318.

(6) ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (حيدر آباد الدكن: 1934)، ص70،

الذين تلقى منهم علومه، وكانت "**الموسوعية**" هي الصفة الملازمة للكثير منهم[1]، وكان ذلك دافعا لطلاب العلم للرحلة والتوغل في أصقاع الأرض المختلفة للقاء أكبر عدد من الشيوخ والذين قد يصل عددهم إلى بضع مئات[2]، ولم تكن الرحلات العلمية وقفا على طلاب الحديث والفقه بل شمل كذلك طلاب العلوم اللغوية والفلسفية والطب وغيرها[3].

ومن الملاحظ أن تدفق العلماء إلى مصر شهد تصاعدا مطردا مع قيام الدولة الأيوبية حيث نزلها الكثير من الفقهاء والمتصوفة والعلماء من سائر المذاهب والفنون بحيث يعجز الإنسان عن حصرهم وقد أكد المؤرخون هذه الحقيقة من ذلك ما ذكره سبط بن الجوزي أثناء زيارته لمصر سنة 641هـ/ 1244م فذكر أنه وجد الإسكندرية كغيرها من حواضر مصر "**معمورة بالعلماء**"[4].

ولاشك أن إقبال العلماء على مصر والذين كانوا بمثابة طلبة علم متجولين يعود إلى جملة عوامل كان في مقدمتها: الأهمية السياسية والفكرية التي تشكلها مصر في نظر المسلمين، وتوسطها بين المشرق الإسلامي ومغربه، فضلا عن عمقها التاريخي، وتمتعها بالاستقرار الأمني أكثر من غيرها من البلاد، بالإضافة إلى وجود عدد كبير من العلماء الأجلاء فيها.

وقد هانت مشاق السفر وصعوباتها أمام الكثير من المسلمين من أجل تحقيق أكثر من هدف وغاية فقد جمع بعضهم بين الرغبة في الاستحصال المعرفي والتقاء

القنوجي، أبجد العلوم، تحقيق احمد شمس الدين (بيروت: 1999)، 1/ 159.

(1) ميسون هاشم مجيد، أوضاع بلاد الشام قبيل الغزو الصليبي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1996، ص176.

(2) الصفدي، أعيان العصر، 1/ 201ـ202، المقريزي، السلوك، 1/ 473، عاشور، مصر في عصر دولة المماليك، ص194.

(3) شلبي، تاريخ التربية الإسلامية، ص320.

(4) مرآة الزمان، ج8، ق1/ 741، وانظر: الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص9، الذهبي، الأمصار ذوات الآثار، ص170، الحميري، الروض المعطار، ص460.

الشيوخ والقيام بالأعمال التجارية وأداء فريضة الحج إلى ما هنالك ومن الذين قدموا مصر للعلم والتجارة نذكر على سبيل المثال لا الحصر: النحوي سعد بن الحسن بن سليمان الحراني (ت580هـ/ 1184م)[1] والمحدث المقرئ التاجر أبا الفتوح محمد بن أبي الحسن علي بن المبارك البغدادي (ت 612هـ/ 1215م)[2] والمحدث أبا عبد الله محمد بن أبي المعالي عماد بن محمد الجزري الحراني (ت 632هـ/ 1234م)[3]، والمحدث العراقي أبا القاسم يحيى بن نصر التميمي التاجر السفار (ت 650هـ/ 1252م)[4]. ومن ينظر في كتب التراجم يجد من الأمثلة التي لا حصر لها[5].

ويلاحظ أن العلماء في رحلاتهم كثيرا ما كانوا يلتقون بعلماء من بلدان أخرى ويتدارسون معهم، ومن الطبيعي أن تلك اللقاءات كان لها أثر في تقوية وتعزيز الفكر والثقافة واكتساب المعرفة، وكان بعضهم يكتفي برحلة واحدة، بينما كان لبعضهم الآخر أكثر من رحلة كالمحدث أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن السبتي (ت 625هـ/ 1227م) والذي سبق له أن قدم المشرق ودخل مصر مرتين كان آخرها سنة 578هـ/ 1182م[6]، وكذلك الحافظ أبي حفص عمر بن محمد الدمشقي المعروف بابن الحاجب (ت 630هـ/ 1232م) حيث قدم مصر مرتين[7]. ومنهم الفقيه فخر الدين علي بن احمد المراكشي (ت 638هـ/ 1240م) فقد قدم مصر وأقام بها مدة ثم توجه لأداء فريضة الحج وعاد إلى بلاده المغرب قبل أن يعود ثانية إلى مصر ليستقر بها

(1) السيوطي، بغية الوعاة، ص252.

(2) المنذري، التكملة، 2/ 342، الذهبي، تاريخ الإسلام، ص117.

(3) المنذري، التكملة، 3/ 383، الذهبي، العبر، 3/ 214، ابن العماد، شذرات الذهب، 5/ 155.

(4) الذهبي، العبر، 3/ 266، المقريزي، السلوك، 1/ 478، ابن العماد، شذرات الذهب، 5/ 253.

(5) ينظر على سبيل المثال: المنذري، التكملة، 1/ 271، 438، مج2/ 125،161،234،416، مج3/ 143،217، الذهبي، العبر، 3/ 105، 148، 162، 214، الصفدي، أعيان العصر، 1/ 38.

(6) المنذري، التكملة، 3/ 219، الذهبي، تاريخ الإسلام، ص218.

(7) المنذري، المصدر نفسه ، 3/ 346، الذهبي، المصدر نفسه، ص373.

حتى وفاته[1]. وكان طلبة العلم يتلقون في الغالب دروس العلـم في بلادهـم أولا ثـم بعد ذلك تبدأ رحلتهم إلى الأقطار المختلفة فعلى سبيل المثال: تلقى الفقيـه ربيعـة بـن الحسن الحضرمي (ت609هـ/ 1212م) تعليمه الأولي في بلاد اليمن ثم شـرع برحلتـه التي شملت البصرة، وبغداد وهمذان وأصبهان وغيرها من الحواضـر وكـان قـد قـدم مصر سنة 572هـ/ 1176م وأقام بها حتى وفاته[2].

ويلاحظ أن الكثير من الوافدين إلى مصر خلال تلك الفترة فضلوا الإقامـة بهـا ولم يرجعوا إلى بلادهم وتولى بعضهم مناصب رفيعة في الدولة، بينمـا تـصدر آخـرون للتدريس والخطابة والوعظ[3].

كما ضمت الرحلات العلمية عددا من العلمـاء المـصريين الـذين خرجـوا مـن بلادهم في طلب العلم وفيما أمضى بعضهم حياته خارج مصر، أقفل آخرون بالرجوع إلى مصر لينشروا العلم الذي اكتسبوه ، كالرحلة التي قام بهـا الفقيـه أبـو محمـد عبـد السلام علي بن منصور الكناني الدمياطي (ت 619هـ/ 1222م) رحل إلى بغداد وتفقه بها ورحل منها إلى واسط وقرأ بها القراءات ثم عاد بعدها إلى بلده دمياط وتـولى بهـا القضاء والتدريس[4]، كما رحل المقرئ عبد الـرحمن بـن أبـي المجـد فاضـل بـن علـي الأسكندراني (ت 630هـ/ 1232م) إلى خـارج مـصر ومـر بعـدة مـدن منهـا بغـداد، وواسط ثم عاد إلى بلاده[5].

ومن المصريين من لم يرجع إلى بلاده كالفقيه عبد القوي بن عبد الخالق الكنـاني المعروف بالمصري (ت 602هـ/ 1205م) حيث سافر إلى بلاد ما وراء النهر وأقـام بهـا

---

(1) المنذري، المصدر نفسه، 3/ 560.

(2) المنذري، المصدر نفسه، 2/ 252، السبكي، طبقات الشافعية، 8/ 144.

(3) ينظر على سبيل المثال: المنذري، المصدر نفسه، 3/ 213، 455، 578، 605، الذهبي، المختـار مـن تـاريخ ابن الجزري، ص180، الأسنوي، طبقات الشافعية، 2/ 85، 249.

(4) المنذري، التكملة، 3/ 71ـ72، الذهبي، تاريخ الإسلام، ص404.

(5) المنذري، المصدر نفسه، 3/ 330.

حتى وافته المنية ببخارى[1] أما الفقيه عبد الواحد بن إسماعيل الدمياطي (ت 613هـ/ 1216م) فقد رحل إلى دمشق وأقام بها[2]، ومنهم أيضا المفسر المقرئ النحوي علي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي (ت 643هـ/ 1245م) ولد بسخا من قرى مصر الغربية سنة 558هـ/ 1162م ورحل إلى القاهرة والإسكندرية وسمع من شيوخها ثم تحول من مصر إلى دمشق وسكنها وأقرأ الناس بها حتى وفاته[3].

ومما هو جدير بالذكر أن طلبة العلوم الدينية وعلى وجه الخصوص المحدثون كانوا في مقدمة من اهتموا بالرحلات العلمية ومن ثم فلا ضير أن يكون لقب **(الرحال)** و **(الجوال)** و**(السفار)** وقفا على كبار المحدثين ممن تحملوا المشاق وجالوا في الآفاق طلبا للحديث[4].

كما ضمت الرحلات عددا غير قليل ممن تخصصوا في العلوم العقلية كالطب والهندسة إلى ما هنالك من العلوم فساهموا في ازدهار الحياة العلمية في مصر وممن رحل إليها العلامة عبد اللطيف بن أبي العز يوسف البغدادي (ت 629هـ/ 1231م) والذي برع في علم الطب والفلسفة والكلام والمنطق والتاريخ، تردد إليه الطلبة بمصر وكان كثير الاشتغال لا يترك وقتا من أوقاته دون النظر في الكتب والتصنيف[5].

كما وفد إلى مصر العلامة الفقيه أبو الحسن سيف الدين الآمدي (ت 631هـ/ 1233م) جاء إلى مصر سنة 592هـ/ 1195م واشتغل بالتدريس ، وكان حنبليا في بادئ أمره ثم انتقل إلى المذهب الشافعي ، ومن الجدير بالذكر أن الآمدي لم يبق طويلا بمصر حيث اضطر إلى مغادرتها بعد ان اتهمه فقهاء القاهرة بفساد العقيدة

(1) المنذري، المصدر نفسه ، 2/ 95، الذهبي، تاريخ الإسلام، ص116.

(2) المنذري، المصدر نفسه، 2/ 364، الذهبي، المصدر نفسه، ص148.

(3) أبو الفداء، المختصر، 2/ 279، السبكي، طبقات الشافعية، 8/ 297، الداوودي، طبقات المفسرين، 1/ 430ـ431.

(4) للتفاصيل ينظر: الرحلة في طلب الحديث، الفصل الثاني، المبحث الثاني، ص97ـ102.

(5) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 22/ 320، الأسنوي، طبقات الشافعية، 1/ 131، المقريزي، السلوك،1/ 207.

ونظموا محضرا بقتله فاضطر إلى مغادرتها إلى دمشق ، وله مؤلفات كثيرة في أصول الدين والفقه والمنطق والخلاف وتصدر لتدريس العقليات بالجامع الظافري بالقاهرة وتصفه المصادر بأنه أحد أذكياء العالم في زمانه[1].

ومن الأعلام الكورد نذكر: الحافظ الفقيه تقي الدين أبا عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري المعروف بابن الصلاح (ت 641هـ/ 1245م) وكان إماما في الفقه والحديث والتفسير والأصول والنحو، تفقه على والده بشهرزور ثم رحل إلى الموصل ومنها إلى بغداد ونيسابور ومرو ودمشق وحلب ومصر[2]. والفقيه الأديب جمال الدين عمر بن إبراهيم بن أبي بكر الهذباني الأربلي (ت 677هـ/ 1278م)[3] وغيرهم كثير حيث من المعروف أن الأحداث المفزعة التي حلت ببلاد الكورد خلال القرنين (6ـ7هـ/ 12ـ13م) كانت دافعا لهجرة خلق كثير كان في مقدمتهم نخب من الأعيان والعلماء الكورد من مختلف اختصاصاتهم إلى بلاد الشام ومصر لتؤدي هناك دورها في استمرار البناء الحضاري الإسلامي. ويذكر أن وجود الكورد في مصر يرقى إلى حقبة سابقة للاحتلال الصليبي والمغولي إلا أن أهميتهم زادت بعد أن صاروا يمثلون أغلبية جيوش صلاح الدين[4].

ولم تكن الحروب الحادثة لتعيق رحلة الناس من مكان إلى آخر فقد اعتاد الناس عليها، وكانت المصالح التجارية قد فرضت على المسلمين والصليبيين التعامل مع الأحداث وفق ما تمليه عليهم تلك المصالح[5].

وكانت آفاق الأرض في ذلك الوقت مفتحة الأبواب، لاسيما في المشرق الإسلامي حيث اتصلت مصر والشام أيما اتصال، وكان المسافرون يغدون ويروحون

(1) أبو شامة، الذيل، ص161، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 6/ 285.

(2) أبو شامة، الذيل، ص175، الذهبي، تذكرة الحفاظ، 4/ 143، الداوودي، طبقات المفسرين، 1/ 382ـ383، ابن العماد، شذرات الذهب، 5/ 222.

(3) الكتبي، عيون التاريخ، 21/ 202، الأسنوي، طبقات، 12/ 80، المقريزي، السلوك، 2/ 115.

(4) جب، صلاح الدين الأيوبي، ص171ـ172، قاسم، ماهية الحروب الصليبية، ص200.

(5) Hans Mayer, The crusades (London: 1965), P.126.

فيما بينها، وقد أشار الرحالة ابن جبير إلى هذه الحقيقة مستغربا بقوله: ".. **واختلاف القوافل من مصر إلى دمشق على بلاد الإفرنج غير منقطع.. وتجار النصارى أيضا لا يمنع أحد منهم ولا يعترض، وللنصارى على المسلمين ضريبة يؤدونها في بلادهم.. وتجار النصارى أيضا يؤدون في بلاد المسلمين على سلعهم والاتفاق بينهم والاعتدال في جميع الأحوال، وأهل الحرب مشتغلون بحربهم والناس في عافية والدنيا لمن غلب ولا تعترض الرعايا ولا التجار فالأمر لا يفارقهم في جميع الأحوال سلما أو حربا وشأن هذه البلاد أعجب من أن يستوفي الحديث عنه؟**"[1].

وتميزت الإسكندرية عن غيرها من مدن مصر كونها مركزا تجاريا تدفق إليها التجار من أهل الشرق والغرب حتى أصبحت المدينة سوقا عالمية فيها مختلف البضائع وذاع صيتها في العالم آنذاك[2].

ومن الدوافع المهمة التي ساهمت في زيادة تدفق الوافدين إلى مصر الرعاية المتميزة التي حظي بها الوافدين من قبل السلطة الأيوبية التي لم تدخر جهدا لتوفير كافة مستلزمات الإقامة والراحة لهم، وقد أشاد الرحالة ابن جبير بالسلطان صلاح الدين لرعايته المتميزة للقادمين إلى مصر وبلاد الشام من خلال اتخاذه لعدد من الإجراءات من أهمها إلغائه المكوس والضرائب التي كانت تجبى من الحجيج منذ أيام الفاطميين والتي كانت قد أثقلت كواهل الكثير منهم وكان من يمتنع عن دفعها يعرض نفسه لأشد العقوبات[3].

كما أقام صلاح الدين العديد من دور العلم من مساجد ومدارس وأربطة ووقفها على القادمين الغرباء، وكانت مرافق الغرباء في مصر أكثر من أن تحصى[4]،

---

(1) رحلة ابن جبير، ص201، سيد الأهل، صلاح الدين، ص145.

(2) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشي، (القاهرة: 1995)، 4/ 69.

(3) وكان مقدار هذه الضريبة بالدينار المصري نحو سبعة دنانير ونصف، وكانت تعادل خمسة عشر دينارا مغربية أو ما كانت تسمى بالمؤمنية على كل شخص. ينظر: ابن جبير، رحلته، ص55، وأنظر: العبدري، رحلته، ص216ـ217.

(4) ابن جبير، رحلته، ص199.

وكان جامع ابن طولون بالقاهرة أحد أهم الجوامع التي كان صلاح الدين قد خصصها للمغاربة ليأووا إليه ويتلقوا فيه معارفهم[1].

وقد اتسع اعتناء السلطان بهؤلاء الوافدين بتهيئه كل ما يحتاجونه كالحمامات ودور العلاج ووكل لخدمتهم الأطباء والمرافقين يتفقدون أحوالهم، كما خصص لهم أرزاقا يومية تمثلت في تقديم خبزتين لكل إنسان مهما بلغ عددهم عدا ما عينه لهم من زكاة العين[2].

ونتيجة لتلك الرعاية المتميزة دعا ابن جبير أبناء جلدته من المغاربة للمجيء إلى المشرق وتحديدا إلى مصر والشام وخاطبهم بالقول: "فمن شاء الفلاح من نشأة مغربنا فليرحل إلى هذه البلاد ويتغرب في طلب العلم فيجد الأمور المعينات كثيرة فأولها فراغ البال من أمر المعيشة، وهو أكبر الأعوان وأهمها فإذا كانت الهمة وجد السبيل إلى الاجتهاد، ولا عذر للمقصر إلا من يدين بالعجز والتسويف فذلك لا يتوجه هذا الخطاب إليه وإنما المخاطب كل ذي همة يحول طلب المعيشة بينه وبين مقصده في وطنه من الطلب العلمي فهذا المشرق بابه مفتوح لذلك فادخل إليها أيها المجتهد بسلام.."[3].

يستشف من نص ابن جبير أن المغاربة ـ وبضمنهم الأندلسيين والأفارقة ـ كانوا يتوقون إلى المشرق من أجل تلقي العلوم والآداب فيها لعلو مكانتها العلمية بالنسبة إلى بلادهم وقد أكد العلامة ابن خلدون هذه الحقيقة عندما قارن بين أهل المشرق والمغرب فأشار صراحة إلى أن أهل المشرق على الجملة أرسخ في صناعة العلم من أهل المغرب ففيها الأمصار العظيمة التي هي بمثابة معادن العلم والتي لم ينقطع فيها سند التعليم مثل بغداد، والبصرة، والكوفة، والقاهرة وإليها كانت الرحلة منذ عهود

(1) ابن جبير، المصدر نفسه ، ص ص52ـ53.

(2) ابن جبير، المصدر نفسه ، ص46، محمد نزار حميد الدباغ، المشرق العربي الإسلامي من خلال رحلة ابن جبير، الأحوال السياسية والعمرانية (578هـ/ 581م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة الموصل، 2001، ص79.

(3) رحلة ابن جبير، ص200، أمينة البيطار، تاريخ العصر الأيوبي (دمشق: 1981)، ص201.

مبكرة[1].

كما ويتضح من النص آنف الذكر أن مشاق الطريق وتكاليفها المادية كانت تحول في كثير في الأحيان في رحلة طلبة العلم منفردين لاسيما أولئك الذين كانوا يعانون من ضنك العيش، وفي كتب التراجم ذكر لمعاناة الكثير منهم[2]. لذلك فإن الغالبية منهم كانوا ينتهزون فرصا خاصة للخروج في قوافل جماعية كتلك التي تخرج في مواسم الحج السنوية للتقليل من تكاليف الرحلة وللتغلب على مشاق الطريق وما قد يواجهونه من المخاطر، وكان قسم من طلبة العلم يتابع رحلته بعد أداء فريضة الحج إلى البلاد التي يريدها.

وكانت المدن المصرية في مقدمة الحواضر الإسلامية التي اكتظت بالوافدين من العلماء المغاربة والأندلسيين والأفارقة، وذكر أبو العباس الغبريني (ت 714هـ/ 1314م) عددا كبيرا من المغاربة الذين رحلوا إلى المشرق خلال القرن (7هـ/ 13م) وكان من بينهم من مر بمصر واستوطنها مثل الفقيه: أبي زكريا يحيى بن أبي علي المشهور بالزواوي (ت611هـ/ 1214م)[3]، والمحدث النحوي أبي الخطاب

(1) المقدمة، ص548-549، وانظر: ابن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق: محمد بن عبد الكريم (تونس: د/ ت)، 2/ 817، محمود رزق سليم، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي (القاهرة: 1962)، 3/ 13.

(2) من ذلك على سبيل المثال ما ذكرته المصادر عن المحدث الشهير أبي طاهر السلفي إنه كان يجول في البلاد حافيا على قدميه في طلب الحديث . وذكر الذهبي أن النحوي عيسى بن عبد العزيز الجزولي (ت607هـ/ 1210م) عانى الفقر في رحلته من المغرب إلى مصر وبقي فقيرا طيلة مدة إقامته ورجوعه إلى المغرب، للمزيد ينظر: سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ق1/ 361، أبو شامة، الذيل، ص186، الذهبي، سير أعلام النبلاء، 21/ 497، المقريزي، السلوك، 1/ 174، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 6/ 87، الحميري، الروض المعطار، ص137.

(3) ينظر: عنوان الدراية فيمن ببجاية من العلماء في المائة السابعة، تحقيق: عادل نويهض (بيروت: 1969)، ص127.

عمر بن دحية الكلبي[1] والفقيه أبي العباس احمد بن عثمان المليـاني (ت 644هـ/ 1246م)[2].

وكانت لمواكب الحج السنوية أبلغ الأثر في إثراء الحياة العلمية، وفي تلاقح الأفكار، وفي تمتين الصلات وتوثيقها بين مصر وغيرها من البلاد الإسلامية عموما، وبينها وبين أقاليم المغرب خصوصا. فقد تعرف الوافدون من خلال المشاهدة والمخالطة على المسلمين في مصر، وتشبعوا بثقافاتهم وأفكارهم لاسيما وأن مصر لم تكن مجرد محطة للعبور وإنما تجاوز الأمر إلى ما هو أبعد فقد كان يتوجب على هذه المواكب الإقامة في مصر حقبة من الوقت قد تصل إلى بضعة أشهر انتظارا لموعد رحيل ركاب الحجاج المصري[3].

وعلى الرغم من عدم وجود إحصائيات دقيقة لإعداد الحجاج إلا أنه يمكن القول أن أعدادهم قد بلغت عدة آلاف في كل سنة فقد أشار المقريزي في حوادث سنة 744هـ/ 1304م أن عدد الحجاج المغاربة قد بلغ أكثر من عشرة آلاف حاج وهو ضعف عدد حجاج الأفارقة لتلك السنة والذين بلغ عددهم خمسة آلاف حاج[4].

وقد انقطع الكثير منهم أثناء فترة تواجده في مصر إلى تلقي العلوم والآداب التي كانت مزدهرة فيها وإلى التقاء شيوخها البارزين، وكان بعضهم من قدم مصر واشتغل بالتدريس في مدارسها وجوامعها وفضل الإقامة بها كالعلامة أبي القاسم بن فيرة بن خلف الرعيني الشاطبي الأندلسي (ت 590هـ/ 1193م) والذي دخل مصر سنة 572هـ/ 1176م وأقام بالقاهرة وتصدر لإقراء القرآن واللغة النحو في المدرسة الفاضلية ـ نسبة إلى منشئها القاضي الفاضل ـ وإليه انتهت رئاسة الإقراء في زمانه

(1)المصدر نفسه ، ص269.

(2)المصدر نفسه ، ص188ـ189.

(3) محمد محمد أمين، "علاقات دولتي مالي وسنغاي بمصر في عصر سلاطين المماليك (1250هـ/ 1517م)"، مجلة دراسات أفريقية، القاهرة،ع(4)، 1975، ص292.

(4) السلوك لمعرفة دول الملوك (القاهرة: 1958)، ج2، ق3، 654.

وانتفع به جماعة كبيرة من المصريين[1].

وأخيرا لابد من الإشارة إلى أن عناية العلماء بالإجازات أو ما يسمى اليوم بالشهادات العلمية، والسعي للحصول على أكبر عدد منها كان له أبلغ الأثر في تنشيط الرحلات العلمية حيث لم يكن طلاب العلم في ذلك العصر يكتفون بما يتلقونه من الدروس على أحد الشيوخ بل كان أكثرهم يتنقل من شيخ إلى آخر، ومن مدينة إلى أخرى[2]، وكان طالب العلم إذا ما أتم دراسته أجاز له شيخه ذلك وكتب له إجازة بذكر اسمه وشيخه ومذهبه وتاريخ الإجازة[3].

ويمكن أن تمنح الإجازة دون السماع والقراءة على الشيخ لذلك فقد كان من بين العلماء الراحلين ممن تخصص في حمل الإجازات لأصحابها ومن ذلك ما كان يقوم به المحدث أبو الحسن علي بن النفيس البغدادي (ت 640هـ/ 1242م) المشهور بالإجازاتي لسعيه في حمل الإجازات لطالبيها، وكان كثير التردد بين بغداد والإسكندرية ليس له مهنة سواها[4].

وهكذا فقد عملت الرحلات العلمية على التبادل الثقافي، وعلى تأصيل الإسلام النقي في دراسة علوم الحديث النبوي الشريف وغيرها من العلوم الدينية والنقلية، وظهر في تراث مصر مؤثرات مشرقية من بلاد الشام والعراق وخراسان وكذلك مؤثرات من بلاد المغرب والأندلس.

(1) أبو شامة، الذيل، ص7، الذهبي، العبر، 3/ 102، اليافعي، مرآة الجنان، 3/ 353، السيوطي، بغية الوعاة، ص379.

(2) الصفدي، أعيان العصر، 1/ 201، عبد الله الفياض، الإجازات العلمية عند المسلمين (بغداد: 1967)، ص108.

(3) عاشور، مصر في عصر دولة المماليك، ص194.

(4) ابن المستوفي، تاريخ أربل، تحقيق: سامي بن السيد خماس الصقار (بغداد: 1980)، ق1/ 461، المنذري، التكملة، 3/ 599.

سابعا: التحدي الصليبي

على الرغم من النتائج السلبية الكثيرة التي خلفتها الحروب الصليبية على العالم الإسلامي[1]، إلا أنها لا تنفي أن تكون باعثا على تطور الحركة الفكرية في المجتمعين الإسلامي والغربي معا، ويمكن أن نعزو ذلك إلى حقيقة الحروب الصليبية التي تعدت كونها مجرد صراع عسكري، بل كانت صراعا وصداما بين عالمين مختلفين وبين ثقافتين وديانتين وفلسفتين متباينتين مما أدى في المحصلة إلى خروج الجانبين المتقاتلين من الحرب بنتائج سلبية وإيجابية[2].

وقد تجلت النتائج والاستجابات التي خلفتها تلك الحروب في مستويات سياسية، وعسكرية واقتصادية عديدة فضلا عن النتائج والاستجابات الحضارية التي كان مردودها إيجابيا لكلا الطرفين، إذ من المعروف أنه في عصور الفوضى وعدم الاستقرار السياسي تتفتح الأذهان، وتنمو العبقريات فقد نبغ خلال ذلك العصر المضطرب عدد كبير من العلماء والأدباء ممن ذاع صيتهم والذين ساهموا بإبداعاتهم ونتاجاتهم المختلفة في تواصل الحركة الفكرية وتطورها، كما يعود إليهم الفضل في إفاقة المجتمع الإسلامي من سباته، وبعث الحمية في نفوس أبنائه واستنهاض الهمم ورص الصفوف للتوجه نحو "**جهاد الكفرة الأضداد**"[3].

وخلال العصر الأيوبي وبفعل ما استجد من ظروف وتحديات تأكد ثقل القوة التي تمثلها مصر في العالم الإسلامي فزادت أهميتها في نظر المسلمين كونها أصبحت الجبهة الجنوبية التي طالما سعى المسلمون إلى تأمينها من العدوان الصليبي المتربص بها[4].

(1) للتفاصيل عن نتائج الحروب الصليبية ينظر: قاسم، ماهية الحروب الصليبية، ص181ـ227، المعاضيدي، الوطن العربي والغزو الصليبي، ص271، وما بعده.

(2) أنتوني ويست، الحروب الصليبية، ص176، قاسم، ماهية الحروب، ص182.

(3) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، تحقيق أمدروز (بيروت: 1908)، ص148، المعاضيدي، الوطن العربي، ص103.

(4) شاندور، صلاح الأيوبي، ص69.

وكانت لسيطرة صلاح الدين على مصر وإلغائه للخلافة الفاطمية سنة 567هـ/ 1171م إيذانا بعودة مصر إلى أحضان السلطة الروحية للخلافة العباسية والتي كان صلاح الدين يدين لها بالولاء والطاعة وظهر هذا الولاء واضحا في العديد من الرسائل التي كان السلطان يبعثها إلى الخليفة العباسي باعتباره الممثل الشرعي لوحدة المسلمين[1] ، مما أثار ارتياحا وبهجة في نفوس المسلمين، وشاعت البشائر بهذه العودة الميمونة[2]، ونظمت العديد من الأشعار والقصائد[3]، وأشاد العلماء بصلاح الدين وعده عبد الرحمن الشيزري (ت589هـ/ 1193م) بأنه: "**محي دولة أمير المؤمنين، أدام الله دولته وحرس على الإسلام مهجته**"[4].

وألف ابن الجوزي (ت 597هـ/ 1200م) كتابا سماه: "**المصباح المضيء خلافة المستضيء**"[5] مما يعني أن سقوط الخلافة الفاطمية لم يكن حدثا عابرا أو انقلابا عاديا، وإنما كان حدثا خطيرا في تاريخ مصر وعموم العالم الإسلامي، فقد أعيدت للخلافة العباسية بعضا من هيبتها المفقودة، وأقيمت الاحتفالات ابتهاجا بهذه المناسبة في بغداد العاصمة، وباشر الخليفة العباسي بإرسال الخلع والأعلام والرايات السود ـ شعار العباسيين ـ إلى كل من نور الدين محمود وصلاح الدين[6].

وفي ظل سيطرة الأيوبيين على مصر وحكمهم لها اكتمل شمل الإسلام والذي استمد منه المسلمون في مصر وغيرها من البلاد الإسلامية مبادئ السلوك وأطر

(1) للمزيد ينظر: القاضي الفاضل، رسائل القاضي الفاضل، دراسة وتحقيق علي نجم عيسى (الموصل: 2001)، ص63، 111، 205.

(2) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبد القادر عطا (بيروت: د/ ت)، 18/ 196، ابن الأثير، الكامل، 11/ 371، البنداري، سنا البرق الشامي، ق1/ 113، الداوداري، كنز الدرر، 7/ 48.

(3) أبو شامة، الروضتين، 1/ 200 وما بعدها؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، 7/ 159ـ162.

(4) المنهج المسلوك في سياسة الملوك، ص157.

(5) تم تحقيقه من قبل ناجية عبد الله إبراهيم (بغداد: 1977).

(6) البنداري، سنا البرق، ق1/ 117، أبو شامة الروضتين، 1/ 199، الذهبي، دول الإسلام، 2/ 80.

التفكير والجهاد ونستطيع القول أن قيام الدولة الأيوبية في مصر قد قرب بين المشرق الإسلامي ومغربه . لاسيما بعد أن تداعت الدولة الفاطمية في بداية القرن 6هـ/ 12م حيث كانت تمر بآخر مراحل شيخوختها[1] وأصبح خلفاؤها في غفلة عما يجري من حولهم، ولم يدركوا حقيقة الحركة الصليبية إلا بعد فوات الأوان، وغدا الخليفة الفاطمي طيفا من الوهم لا يملك من الوجود إلا لقب الخليفة، والأكثر من ذلك أن تحولت مصر إلى بؤرة للمؤامرات والدسائس والحروب وكان منصب الوزارة كما يقول ابن الأثير: "**لمن غلب والخلفاء من وراء الحجاب وقل أن وليها أحد بعد الأفضل إلا بحرب**"[2].

وبعد القضاء على الخلافة الفاطمية سعى صلاح الدين إلى اتخاذ إجراءين رئيسيين **الأول** ـ هدف فيه إلى تعزيز أمن مصر من خلال تقوية وتعزيز المنشآت الدفاعية والشروع ببناء قلعة حصينة على جبل المقطم، وكذلك قيامه ببناء سور حجري كبير يحيط بالفسطاط والقاهرة إلى جانب تدعيم الأسطول وشحنه بالرجال والعدة ليتمكن من مقارعة الصليبيين[3].

أما الاتجاه **الثاني** فهدفه تعزيز الإصلاح الديني عن طريق إنشاء المدارس ومراكز العلم الأخرى التي تعنى بتخريج الفقهاء والمحدثين والمفسرين وسواهم من رجال الدين ممن حظوا بتقدير الأيوبيين لنفوذهم الواسع في المجتمع ولكونهم "**قادة الرأي العام**"[4].

لذا فقد حرص الأيوبيون على استقطاب العلماء ومجالستهم ومذاكرتهم وإعطائهم المناصب القيادية إدراكا منهم لمكانة العلماء بوصفهم الصفوة الاجتماعية

---

(1) مؤنس، نور الدين محمود، ص283، نيوباي، صلاح الدين وعصره، ص25، كاشف، صلاح الدين الأيوبي، ص11.

(2) ينظر ، الكامل في التاريخ، 11/ 185.

(3) البنداري، سنا البرق الشامي، ق1/ 109، سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ق1/ 338، أبو شامة، الروضتين، 1/ 269، ابن واصل، مفرج الكروب، 2/ 113.

(4) جب، دراسات في حضارة الإسلام، ص135.

التي تتملك القدرات الفكرية التي يسير المجتمع بمقتضاها فحرصوا على تهيئة الظروف والإمكانيات الملائمة للنشاط الفكري لاسيما وأن مصر كانت إحدى مرتكزات الصراع مع الصليبيين إذ كان الأعداء يرون في مصر بأنها "**مفتاح السيطرة على المنطقة برمتها**"[1] مما جعل من تطورها الفكري على جانب كبير من الأهمية وذلك لأن التحدي العسكري رافقه تحد حضاري فكان لابد من الاستجابة الحضارية والمتجسدة في الأنشطة الفكرية التي كانت ماثلة في مصر طيلة ذلك العصر.

ونستطيع القول أن مصر أصبحت خلال العصر الأيوبي معقلا مهما للحضارة الإسلامية[2] وإليها انتقلت زعامة الحركة العلمية من بغداد بعد أن حمى الله مصر من تخريب المغول ـ التتار ـ الذين اجتاحوا المشرق الإسلامي مع بداية القرن 7هـ/ 13م ووصلوا في حملاتهم المدمرة إلى بلاد الشام والجزيرة[3]، وعاشت مصر في "**هدوء نسبي**" مقارنة مع غيرها من البلاد الإسلامية فعلى الرغم من تعرضها لهجمات الصليبيين بين الحين والآخر بيد أن عدم تمكنهم من احتلالها أو الاحتفاظ بها مثلما حدث في بلاد الشام جعل التأثيرات السلبية عليها قليلة، وكان لذلك أثره في خلق جو من الاستقرار، وزيادة أعداد الوافدين إليها، كما حدث في عام 493هـ/ 1099م عندما "**رحل عالم لا يحصى عددهم من البلاد الشامية فرارا من الفرنج والغلاء**"[4] كما ارتحل إليها آخرون من بلاد صقلية والأندلس بعد أن تمكن منها الإفرنج الصليبيون[5].

(1) نيوباي، صلاح الدين وعصره، ص25؛ مقبل، الفاطميون والصليبيون، ص168.

(2) قاسم، ماهية الحروب الصليبية، ص205، عاشور، مصر في عصر دولة المماليك، ص190.

(3) ترجع بدايات ظهور التتار (المغول) إلى سنة 615هـ/ 1218م عندما اجتاحوا بخارى وسمرقند وتوجهوا غربا حيث تمكنوا في فترة وجيزة من القضاء على الدولة الخوارزمية ووصلت غاراتهم إلى العراق والشام والجزيرة الفراتية، وقد أسهب المؤرخون في وصف حملاتهم المدمرة. للتفاصيل ينظر: ابن الأثير، الكامل، ابن واصل، مفرج الكروب، 4/ 34، ابن الوردي، 2/ 134، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص467.

(4) المقريزي، اتعاظ الحنفا، 1/ 25.

(5) اليافعي، مرآة الجنان، 3/ 161.

وكان من بين القادمين إلى مصر الكثير من العلماء وطلبة العلم الذين استقر بهم المقام في البلاد بعد أن وجدوا فيها البيئة الصالحة لتلقي العلم، وكان من نتائج ذلك أن ازدهرت العلوم والمعارف فيها وأصبحت مصر مركزا وملاذا للعلم والعلماء تنافس بغداد وقرطبة، وقد أكد المؤرخ الأندلسي ابن الأزرق (ت 896هـ/ 1491م) على هذه الحقيقة بقوله: "**إن العلم والتعلم إنما هو بالقاهرة من بلاد مصر لاستبحار عمرانها واستحكام حضارتها. من أيام صلاح الدين الأيوبي.. وارتحل إليها الناس في طلب العلم من العراق والمغرب ونفقت أسواق العلوم وزخرت بمعارفها**"[1].

لقد كان للحروب الصليبية تأثير واضح على عموم الحياة الفكرية لاسيما العلوم الدينية وكذلك الأدب، والتاريخ ونشط الشعراء والكتاب في ذلك العصر لتدوين الأحداث والمعارك وتخليدها في كتاباتهم وأشعارهم، وكانت أعمال صلاح الدين العظيمة في توحيد البلاد الإسلامية ودعوته للجهاد ، وحروبه وانتصاراته المتواصلة على الصليبيين وتحريره لبيت المقدس كل ذلك بواعث دعت إلى غزارة التأليف[2].

(1) بدائع السلك، 2/ 819.

(2) محمد ماهر حمادة، دراسة وثيقة للتاريخ الإسلامي ومصادره (بيروت: 1988)، ص216.





الفصل الثاني

العلوم الدينية

أولا: علوم القرآن الكريم

أ. علم القراءات

ب. علم التفسير

ثانيا: علم الحديث

أ. الرحلة في طلب الحديث

ب. مؤلفات علم الحديث

ج. مجالس إملاء الحديث

ثالثا: علم أصول الفقه

أ. فقهاء المذهب الشافعي

ب. فقهاء المذهب المالكي

ج. فقهاء المذهب الحنفي

د. فقهاء المذهب الحنبلي

رابعا: التصوف



الفصل الثاني

العلوم الدينيـــة

من المعروف أن المسلمين بدأوا حياتهم الفكريـة والعلميـة مـن منطلـق العلـوم الدينية التي تشمل على علوم القرآن الكريم، وعلم الحديث، والفقه والتشريع، وتعـد من العلوم الشريفة والمحمودة لدى عامة المسلمين[1]، وذلك لأهميتهـا في تنظيم حيـاة المجتمع الإسلامي حيث ظهرت الحاجة إليها لأغراض عملية تتعلـق بالتـشريع لـذلك سميت بالعلوم الشرعية[2].

وقد اكتسبت تلك العلوم أهمية ملحوظة في العصر الأيـوبي وحظـي علماؤهـا بالرعاية والدعم من قبل الأيوبيين وشيد من أجلها العديـد مـن المراكـز العلميـة مـن مساجد ومـدارس ودور حـديث ومـا إلى ذلـك، وكـان لإحـساس المـسلمين بـالخطر الصليبي الداهم أن زاد من اهتمامهم بمثل تلك العلوم لدورها في حشد طاقات الأمـة الجهادية.

أولا: علوم القرآن الكريم

يعد القرآن المصدر التشريعي الأول لدى المسلمين والـذي تـستقى منـه أحكـام الإسلام وشريعته وآدابه؛ وهو أكثر من مجرد كتاب ديني يبشر بعقيـدة جديـدة[3]، لـذا فقد عني به المسلمون وعملوا علـى قراءتـه وحفظـه وتدريـسه، وتفرعـت منـه علـوم عديدة، وكان الاهتمام به أصل التعليم ، والمحور الذي يدور عليه تعلـيم الـصبيان في

---

(1) ابن قدامة المقدسي، مختصر منهاج القاصدين (دمشق: 1991)، ص20، الغزالي، إحياء علـوم الـدين (بيروت: د/ ت)، 1/ 22.

(2) ابن خلدون، المقدمة، ص551؛ إسماعيل، تاريخ الحضارة، ص189.

(3) سعيد عبد الفتاح عاشور، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية (الكويت: 1986)، ص26.

مصر وغيرها من البلاد الإسلامية[1]. وجرت العادة أن يقدم تعليم القرآن على غيره من العلوم، ومن مظاهر اهتمام العلماء به خلال العصر الأيوبي أن دأب الكثير منهم على كتابة مصاحف كثيرة بيده ووقفها على المساجد والمدارس دون أجر أو مقابل[2]، ومن علوم القرآن المهمة نذكر:

أ ـ علم القراءات:

وهو علم يبحث في صور نظم كلام الله تعالى من حيث وجوه الاختلافات المتواترة، ويختص بكيفية قراءة ألفاظه بسبب اختلاف دلالات الألفاظ العربية، والغرض منه تحصيل ملكة ضبط الاختلافات المتواترة وصون كلام الله من تطرق التحريف والتغيير[3].

وقد نشأ علم القراءات بسبب تباين لهجات العرب والذي أوجد اختلافا في النطق بحروف القرآن، وأن القرآن يشمل على ألفاظ القبائل العربية المختلفة وإن كانت ألفاظ قريش هي الغالبة تليها هذيل، وكنانة وحمير وغيرهم من قبائل الجزيرة العربية[4]، وقد ورد عن الرسول ﷺ قوله : "إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه"[5] وقد اختلف في معنى الأحرف السبعة أربعون قولا ، والحكمة في نزول القرآن على أحرف سبعة هي التيسير على الأمة الإسلامية ولو نزلت كلها

(1) عبد القادر النعيمي، دور القرآن في دمشق (بيروت: 1982)، ص8، عبد العظيم رمضان، تاريخ المدارس في مصر الإسلامية، (القاهرة: 1992)،ص170.

(2) ابن كثير، البداية والنهاية، 13/ 62.

(3) خليفة، كشف الظنون، 2/ 386، شعبان محمد إسماعيل، المدخل لدراسة القرآن والسنة والعلوم الإسلامية (القاهرة: 1980)، 2/ 167.

(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآي الفرقان (بيروت: 1985)، 1/ 44، هويدا عبد العظيم رمضان، المجتمع في مصر الإسلامية (القاهرة: 1994)، 2/ 130.

(5) أبو علي الفارسي ، الحجة للقراء السبعة ، 1/ 4 ؛ ابن الجزري ، النشر في القراءات السبعة (بيروت: د/ ت) ، 1/ 19.

على حرف واحد لشق عليهم[1].

إن تباين القراءات القرآنية قد نشأ بعد انتشار الإسلام في الأمصار مما أدى إلى تباين في نطق بعض الألفاظ[2]، وحتى لا يتسع الخرق وتمتد يد البدعة إلى قراءات القرآن فقد تناول العلماء المسلمون القراءات القرآنية بالشرح وإبراز قواعدها وأحكامها حتى أصبحت "**صناعة مخصوصة وعلما منفردا**"[3].

وقد اختلف العلماء في عدد القراءات القرآنية الصحيحة فبعضهم جعلها سبع قراءات، وبعضهم زاد عن ذلك، إلا أن المشهور منها سبع قراءات والتي عدت لدى الكثيرين بأنها أصول لعلم القراءات وما عدا ذلك عد شاذا[4] لأنها موضع جدل وخلاف بين القراء لكونها ليست لديها سند ثابت على عكس القراءات السبعة المنسوبة إلى أئمة من القراء المشهورين بالثقة كلهم من أهل العلم والدراية ومشهود لهم بالأمانة[5]، وحظي "**علم القراءات**" أسوة ببقية العلوم الدينية اهتماما من قبل الأيوبيين ويروي ابن شداد عن السلطان صلاح الدين أنه كان يحب سماع القرآن ويستقرئ من يحضره في مجلسه وكان رقيق القلب إذا سمع القرآن يخشع قلبه وتدمع عيناه "**اجتاز يوما على صبي يقرأ القرآن بين يدي أبيه فاستحسن قراءته فوقف على أبيه**

---

(1) أبو علي الفارسي ، المصدر السابق ، 1/ 6.

(2) عبد البديع صقر، التجويد وعلوم القرآن (بيروت: 1984)، ص67، عاشور، دراسات، ص32.

(3) ابن خلدون، المقدمة، ص552.

(4) ابن الجزري، غاية النهاية، 2/ 22، السيوطي، الاتقان في علوم القرآن (مصر: 1951)، 1/ 82.

(5) وهؤلاء القراء السبعة هم: عبد الله بن عامر اليحصبي (ت118هـ/ 736م) ، وابن كثير أبو محمد المكي (ت120هـ/ 738م) ، وعامر بن أبي النجود (ت 127هـ/ 744م)، وعمرو بن العلاء المازني البصري (ت 154هـ/ 770م) ، وحمزة بن حبيب الكوفي (ت 156هـ/ 774م) ، نافع بن عبد الرحمن المدني (ت169هـ/ 785م)، وأبو الحسن علي الكسائي (ت 189هـ/ 804م). للمزيد ينظر: أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة (بيروت: 2001)، مج1/ 18ـ19، السيوطي، الاتقان، 1/ 81، صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن (بيروت: 1972)، ص248ـ250، فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي (قم 1983)، 1/ 30، إسماعيل، المدخل لدراسة القرآن، 2/ 171ـ176.

مزرعة"[1].

ومن القراء الذين حظوا باحترام السلطان صلاح الدين وتقديره المقرئ أبي يحيى اليسع بن حزم الغافقي الأندلسي (ت 575هـ/ 1179م) وكان عالما يجمع بين القراءة والحديث والعلم بالأنساب والتاريخ[2].

كما حرص الملوك الأيوبيون وأبناؤهم على أخذ القراءات من علماء عصرهم منهم على سبيل المثال: الأعز شرف الدين أبو يعقوب بن صلاح الدين (ت 625هـ/ 1227م) الذي قرأ القرآن على علماء وقته وكان كثير التلاوة للقرآن[3].

وكذلك الملك المعظم عيسى بن الملك العادل (ت 624هـ/ 1226م) وكان فقيها عالما طالع كتب القراءات مثل كتاب "**الحجة في القراءات السبع**" لأبي علي الفارسي (ت377هـ/ 987م) كما يعزى إليه تشييد قبة المسجد الأقصى وخصصها للقراءات السبع، وجعل لها وقفا كبيرا ، وشارك علماء النحو في مسائل نحوية ذات صلة بالقراءات القرآنية[4].

وعلى قدر تعلق الأمر بمصر فقد كانت لها شهرتها في علم القراءات، وشاع فيها قراءة "**نافع**"[5] منذ عهد مبكر عندما بعث الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز نافع إلى مصر ليعلم أهلها القرآن فانتشرت قراءته على يد تلامذته ومنهم على وجه الخصوص: أبو

---

(1) النوادر السلطانية، ص9، سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ق1/ 427.

(2) اليافعي، مرآة الجنان، 3/ 304، ابن الجزري، غاية النهاية، 2/ 386، ابن العماد، شذرات، 42/ 250.

(3) الذهبي، تاريخ الإسلام، ص196، الحنبلي، شفاء القلوب، ص266.

(4) أبو شامة، الذيل، ص97-98، ابن واصل، مفرج الكروب، 4/ 211، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 6/ 267.

(5)أبو رويم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم ، المقرئ المدني أحد القراء السبعة كان إمام أهل المدينة، وهو من الطبقة الثالثة بعد الصحابة (رض) وقيل أن أهله من أصبهان وكانت وفاته 169هـ/ 785. للمزيد ينظر ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، 5/ 368.

عمرو عثمان بن سعيد القرشي الملقب بـ"ورش"[1] (ت 197هـ/ 812م) ومن أعقبه ومنهم أبو يعقوب يوسف بن عمر بن يسار الأزرق (ت 240هـ/ 854م) وكان قد خلف ورش في الإقراء بمصر[2]، وبقي أهل مصر ردحا لا يعرفون غير قراءة نافع ومنها انتقلت إلى بلاد المغرب والأندلس[3].

وبرز في العصر الأيوبي عدد كبير من أئمة القراء والذين كانت لهم إسهاماتهم في علم القراءات تدريسا وتأليفا وانتشرت مؤلفات بعضهم في أرجاء العالم الإسلامي وذاع صيتها وأصبحت الأساس الذي يرجع إليه طلاب القراءات ومن مشاهير قراء مصر نذكر:

المقرئ المعروف بابن البناء ، أبي حفص عمرو بن يوسف المقدسي الأصل المصري المولد والوفاة (ت 584هـ/ 1188م) أقرأ القرآن سنين طويلة وكان: "**صابرا على تعليم الطلبة وملازمتهم ليلا ونهارا**"[4]، والعلامة أبي الخير سلامة بن عبد الباقي النحوي المقرئ الضرير (ت 590هـ/ 1193م) وكان قد تصدر الإقراء بجامع عمرو بن العاص بمصر الفسطاط[5]، والمقرئ أبا القاسم بن فيرة بن خلف الشاطبي الأندلسي (ت 590هـ/ 1193م) ولد بشاطبة من بلاد الأندلس سنة 538هـ/ 1143م وكان إمام القراء في عصره وله الباع الطويل في فن القراءات والرسم والنحو والحديث والفقه[6]، قرأ القراءات في بلده قبل أن يرحل إلى المشرق ثم استوطن مصر وأكرمه القاضي الفاضل وأنزله بمدرسته الفاضلية بالقاهرة وجعله شيخها وإليه انتهت رئاسة الإقراء "**وعظم شأنه**

(1) وهو لقب خصه به نافع لشدة بياضه، ينظر: السيوطي، حسن المحاضرة، 1/ 101، فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، 1/ 35.

(2) السيوطي، حسن المحاضرة، 1/ 102.

(3) حمزة، الحركة الفكرية، ص232.

(4) المنذري، التكملة، 1/ 99، ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، 4/ 215.

(5) الصفدي، نكت الهميان، ص160، السيوطي، بغية الوعاة، ص259.

(6) المنذري، التكملة، 1/ 207-208، ابن الصلاح الشهرزوري، طبقات الشافعية، 2/ 665-666، الذهبي، العبر، 3/ 102، الصفدي، نكت الهميان، ص228، ابن الجزري، غاية النهاية، 2/ 20-21.

وبعد صيته وقصد من البلاد"[1].

وللشاطبي مؤلفات عديدة في علم القراءات منها: "**كتاب حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع**"[2]، وهي قصيدة مشهورة بين القراء وتعرف بـ"**الشاطبية**" وكان قد ابتدأ بوضعها في بلاده الأندلس ثم أتمها بالقاهرة وعدد أبياتها ألف ومئة وثلاثة وسبعون بيتا[3]، وهي اختصار لكتاب "**التيسير في القراءات السبع**" لأبي عمرو عثمان الداني (ت 444هـ/ 1052م) ليكون أسهل للحفظ[4]، وقد أصبحت القصيدة عمدة القراءات في ذلك العصر وعني الناس بحفظها وتدريسها[5].

كما ألف الشاطبي كتبا أخرى مهمة كانت فيما بعد مدار نقاش ودراسة وشرح وتعليق من جاءوا بعده ومنها: قصيدة عنوانها: "**عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد**" في رسم المصحف الشريف وتعرف بالرائية[6]. وله أيضا: "**تتمة الحرز من قراء أئمة الكنز**" في رواة القراءات السبع[7].

لقد عرف عن الإمام الشاطبي مثابرته على الإقراء حيث كان يواظب على

---

(1) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 21/ 262، ابن كثير، البداية، 13/ 10، السبكي، طبقات الشافعية، 7/ 271.

(2) وقد نشرت هذه القصيدة في كتيب صغير قام بتحقيقه الأستاذ: محمد علي خلف الحسيني (لاهور: نشريات إسلام اردوبازار: 1937).

(3) ابن الجزري، غاية النهاية، 2/ 22، المقريزي، درر العقود الفريدة، ق2/ 11، خليفة، كشف الظنون، 1/ 502، احمد عزت عثمان صالح، "العلاقات الثقافية في العالم الإسلامي في العصور الوسطى"، مجلة الفيصل، ع(116)، الرياض: 1986، ص24.

(4) خليفة، كشف الظنون، 1/ 502.

(5) العبدري، رحلته، ص85، الصفدي، نكت الهميان، ص228، ابن الجزري، غاية النهاية، 2/ 23، النعيمي، دور القرآن، ص12.

(6) أبو شامة، الذيل، ص7، الذهبي، سير أعلام، 21/ 262، السيوطي، بغية، ص379، خليفة، كشف الظنون، 2/ 164.

(7) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 21/ 263، السيوطي، حسن المحاضرة، 1/ 104.

الجلوس في مدرسته (**الفاضلية**) والناس يتسابقون للقراءة عليه وتخرج عليه عدد كبير من الأعلام منهم على سبيل المثال: ابنه أبي عبد الله محمد الشاطبي (ت 655هـ/ 1257م)[1]، والمقرئ عبد الرحمن أبو القاسم الأزدي المعروف بابن الحداد (ت 625هـ/ 1227م) وهو أول من عمل شرحا للقصيدة الشاطبية[2]، ومحمد بن عمر بن حسين الكردي (ت 629هـ/ 1231م) فقد لازمه حينا وسمع عليه "**حرز الأماني**" وأصبح من كبار القراء في دمشق[3].

وممن قرأ عليه أيضا: شيخ القراء الكمال الضرير أبو الحسن علي بن شجاع المصري (ت 611هـ/ 1214م) وكان قد صاحب الشاطبي وتزوج ابنته وإليه انتهت رئاسة الإقراء في مصر وازدحم عليه القراء[4]. وآخرين لا داعي لذكرهم[5].

ومن مشاهير القراء بمصر: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله القرشي (ت600هـ/ 1203م)[6]، والمقرئ هبة الله بن إبراهيم بن علي المعروف بابن البرهان النحاس (ت 601هـ/ 1204م)[7]، وأبو الحسن علي بن فاضل المصري الإسكندراني (ت603هـ/ 1206م)[8].

والمقرئ أبو الجود غياث بن فارس بن مكي اللخمي (ت 605هـ/ 1208م)

---

(1) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، 1/ 80، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 7/ 58، الغساني، العسجد المسبوك، ص729؛ صالح، العلاقات الثقافية، ص25.

(2) ابن الجزري، غاية النهاية، 1/ 366.

(3) أبو شامة، الذيل، ص160، ابن تغري بردي، النجوم، 6/ 277، ابن الجزري، غاية النهاية، 2/ 216، ابن العماد، شذرات الذهب، 5/ 127.

(4) الذهبي، العبر، 3/ 303، ابن العماد، شذرات الذهب، 5/ 306.

(5) ينظر على سبيل المثال: الذهبي، العبر، 3/ 254، ابن كثير، البداية، 13/ 176، ابن تغري بردي، النجوم، 7/ 24، ابن الجزري، غاية النهاية، 1/ 583، 2/ 508، السيوطي، بغية الوعاة، ص86، 323.

(6) المنذري، التكملة، 2/ 28ـ29.

(7) المنذري، المصدر نفسه ، 2/ 67.

(8) الذهبي، العبر، 3/ 135، اليافعي، مرآة الجنان، 4/ 4، ابن الفرات، تاريخ، مج5، ج1/ 57.

ويعد من كبار القراء ومشاهيرهم بعد الإمام الشاطبي، أقرأ الناس مدة طويلة، ورحل إليه خلق كثير من أهل مصر والقادمين عليها وكان: "**أكثر المتصدرين للإقراء بمصر أصحابه**"[1]، وممن تخرج عليه في هذا الفن نذكر: المقرئ أبي الثناء حامد بن أبي العباس أحمد الأرتاحي (ت612هـ/ 1215م)[2]، وعبد الظاهر بن نشوان الجذامي (ت 649هـ/ 1251م) وإليه انتهت رئاسة الإقراء في زمانه وله شرح كتاب (**العنوان**) في القراءات[3]، وعبد الرحمن بن مرهف الناشري (ت 661هـ/ 1262م)[4].

ومن أعلام القراء أيضا: المقرئ عبد الله بن عبد المحسن بن عبد الله الإسكندراني المعروف بابن الربيب (ت 621هـ/ 1224م)[5]، والمقرئ عيسى بن عبد العزيز اللخمي الإسكندراني (ت 629هـ/ 1231م) وكان قد تصدر الإقراء بالإسكندرية ومصر[6]. وصنف في القراءات جملة كتب منها: "**النقاوة المهذبة للرواية المنتخبة في جميع القراءات**" و"**صحيح الرواية**" و"**الفصل بين ألف الأصل والقطع والوصل**" وكتاب: "**حجة المقتدي وحجة المبتدي في القراءات**" و"**الاهتداء في الوقف والابتداء**" و"**الانتفاء من مشهور القراءات**" و"**التذكرة المختصرة في القراءات العشرة**" و"**غرائب القراءات وشواذ الروايات**" و"**جامع الحفاظ في اختلاف القراء في الألفاظ**" و"**التبيين فيمن يكنى أبا القاسم من المقرئين**" و"**الجامع الأكبر والبحر الأزخر**" ويحتوي على أكثر من سبعة آلاف رواية وطريقة في وجوه القراءات بالأسانيد[7].

---

(1) الصفدي، نكت الهميان ، ص25، ابن تغري بردي، النجوم، 6/ 196.

(2) المنذري، المصدر السابق ، 2/ 326.

(3) الذهبي، العبر، 3/ 263، ابن الجزري، غاية النهاية، ص291ـ292، السيوطي، بغية الوعاة، ص307.

(4) ابن تغري بردي، النجوم، 7/ 212، ابن الجزري، غاية النهاية، 1/ 379، ابن العماد، شذرات، 5/ 306.

(5) ابن الصابوني، تكملة إكمال، ص180.

(6) المنذري، التكملة، 3/ 312، الذهبي، العبر، 3/ 204، تذكرة الحفاظ، 4/ 1414.

(7) عن هذه المؤلفات وغيرها ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ص337ـ342، ابن الجزري، غاية النهاية، 1/ 609ـ611، السيوطي، بغية الوعاة، ص368ـ369، خليفة، كشف الظنون، 1/ 425، الصائغ، الملك الكامل، ص179.

والمقرئ أبو الحرم مكي بن عبد الملك الثعلبي (ت 629هـ/ 1231م) وكان نحويا مقرئا تصدر الإقراء بمصر وله: "**أرجوزة في القراءات السبع**"[1]. والمقرئ عبد الرحمن بن عبد المجيد المنعوت بالجمال الصفراوي (ت 636هـ/ 1238م) وإليه انتهت رئاسة الإقراء بالإسكندرية وله كتاب (**الإعلان**)[2]. واحمد بن علي بن محمد الأندلسي (ت 640هـ/ 1242م) وكان أحد الحاذقين في فن القراءات اختصر كتاب "**التيسير في القراءات السبع**" كما قام بشرح (**الشاطبية**)[3].

ولا يفوتنا أن نذكر المقرئ الشهير أبا الحسن علي بن محمد السخاوي (ت643هـ/ 1245م) وكانت ولادته بمصر سنة (558هـ/ 1162م) وقرأ القراءات على الإمام الشاطبي وفاق أهل زمانه، سكن القرافة حينا ثم انتقل إلى دمشق وانتهت إليه رئاسة الإقراء، وازدحم عليه الطلبة وأشهر من درس عليه: أبو شامة المقدسي الذي أخذ عنه القراءات والتفسير وفنون العربية[4].

وألف السخاوي السابق ذكره كتبا كثيرة منها: "فتح الوصيد في شرح القصيد" وهو شرح للشاطبية، ويقع في مجلدين، وله كتاب: "جمال القراء وكمال الإقراء"، وله أيضا: "الإفصاح وغاية الإشراح في القراءات السبع" و"عمدة المفيد وعدة المجيد في علم التجويد" و"الإفصاح في القراءات السبع" وغيرها من المصنفات[5].

والمقرئ رشيد الدين عبد الظاهر بن نشوان الجذامي المصري

---

(1) المنذري، التكملة، 3/ 229، الغساني، العسجد المسبوك، ص629، الذهبي، تاريخ الإسلام، ص352.

(2) المنذري، التكملة، 3/ 504، الذهبي، العبر، 3/ 227، سير إعلام، 23/ 42، ابن الجزري، غاية النهاية، 1/ 373، ابن العماد، شذرات الذهب، 5/ 180.

(3) ابن الجزري، غاية النهاية، 1/ 87، السيوطي، بغية الوعاة، ص150.

(4) الداوودي، طبقات المفسرين، 1/ 269، الأدنوي، طبقات المفسرين (المدينة المنورة: 1997)، ص235.

(5) عن هذه المصنفات ينظر: العبدري، رحلته، ص255، أبو الفداء، المختصر، 2/ 279، الذهبي، سير أعلام، 23/ 124، اليافعي، مرآة، 4/ 86، الأسنوي، طبقات الشافعية، 1/ 345، ابن الجزري، غاية النهاية، 1/ 570، خليفة، كشف الظنون، 1/ 159، 174، 466.

(ت649هـ/ 1251م)[1]، والمقرئ منصور بن سرار بن عيسى الإسكندراني (ت651هـ/ 1253م) وله نظم: "**أرجوزة في القراءات**"[2].

والمقرئ تقي الدين عبد الرحمن بن مرهف المصري (ت 661هـ/ 1262هـ)[3] وعلي بن موسى بن الدهان المصري (ت 665هـ/ 1266م) وتصدر للإقراء بالمدرسة الفاضلية[4]. والمقرئ النحوي المؤرخ عبد الرحمن بن إسماعيل بن عثمان المعروف بأبي شامة المقدسي (ت 665هـ/ 1266م) من آثاره: "**شرح القصيدة الشاطبية**" وسماها "**إبراز المعاني من حرز الأماني**" وله أيضا: "**مفردات القراء**"[5].

والمقرئ عبد الهادي بن علي (ت 671هـ/ 1272م)[6]، وفخر الدين أبو الطاهر إسماعيل بن هبة الله بن علي (ت 681هـ/ 1282م)[7]، وأبو الحسن علي بن شهاب المصري (ت 689هـ/ 1290م)[8]، وعبد الله بن منصور الإسكندراني (ت 692هـ/ 1292م)[9] وآخرين لا حصر لهم[1].

---

(1) الصفدي، نكت الهميان، ص194، الذهبي، العبر، 3/ 263، ابن الجزري، غاية النهاية، 1/ 391، السيوطي، بغية الوعاة، ص307.

(2) ابن الجزري، غاية النهاية، 2/ 312ـ313، الداوودي، طبقات المفسرين، 2/ 338، الادنوي، طبقات، ص236ـ237، السيوطي، طبقات المفسرين (تهران: 1960)، ص42.

(3) الذهبي، العبر، 3/ 302، ابن تغري بردي، النجوم، 7/ 212، ابن الجزري، غاية النهاية، 1/ 379، ابن العماد، شذرات، 5/ 306.

(4) الذهبي، الإعلام بوفيات الإعلام، 2/ 453، العبر، 3/ 313، اليافعي، مرآة، 4/ 125، ابن الجزري، غاية النهاية، 1/ 582، ابن العماد، شذرات، 5/ 32.

(5) أبو شامة، الذيل، ص39، ابن الصابوني، تكملة إكمال، ص215، ابن الجزري، غاية النهاية، 1/ 365، خليفة، كشف، 2/ 624.

(6) الذهبي، العبر، 3/ 323، ابن الجزري، غاية النهاية، 1/ 473، ابن العماد، شذرات الذهب، 5/ 334.

(7) الكتبي، عيون التواريخ، 21/ 314، ابن العماد، شذرات الذهب، 5/ 373.

(8) الذهبي، العبر، 3/ 369.

(9) الذهبي، تذكرة الحفاظ، 4/ 1477، العبر، 3/ 378، ابن الجزري، غاية النهاية، 1/ 460.

ب ـ علم التفسير:

التفسير في **اللغة** ـ هو الكشف والإظهار[2]، أما **اصطلاحا** ـ فهو علم يبحث في فهم كتاب الله وبيان معانيه بحسب الطاقة البشرية وما تقتضيه قواعد العربية والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات وغير ذلك من العلوم وغايته التوصل إلى فهم معاني القرآن واستخراج أحكامه[3].

لقد اهتم المسلمون بعلم التفسير لحاجتهم لمعرفة الآيات وفهمها وعد من "**أشرف العلوم وأعظمها أهمية**"[4] لأن موضوعه يتناول كلام الله سبحانه وتعالى، وكونه يمثل المصدر التشريعي الأول مما جعلهم يعكفون على دراسته منذ وقت مبكر لاستيضاح معاني آياته من أجل معرفة أمور دينهم ودنياهم[5]، لاسيما وأن النص القرآني ينطوي على إعجاز بياني: ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**﴾[6].

كما دعت الضرورة إلى توضيح معانيه بالنسبة إلى الشعوب غير العربية التي اعتنقت الإسلام ولم تكن على دراية تامة باللغة العربية[7].

ويذكر أن علم التفسير نشأ فرعا من فروع علم الحديث[8]. ثم أخذ ينمو

---

(1) ينظر على سبيل المثال: ابن الجزري، المصدر نفسه ، 1/ 9،12،24،82،85،114،122،182،195، 218،276،300،324،328،386،393،403،460،467،472،500،520،549،554،573،585، مج2/ 60،105،122،127،149،160،213،216،218،239،284،286،293،308،313،366،36.

(2) ابن منظور، لسان العرب (بيروت: د/ ت)، 6/ 361، محمد أمين فرشوخ، المدخل إلى علوم القرآن والعلوم الإسلامية (بيروت: 1990)، ص65.

(3) الزركشي، البرهان في علوم القرآن (القاهرة: 1957)، 1/ 33، الجرجاني، التعريفات (بيروت: 1996)، ص87، إسماعيل، المدخل لدراسة القرآن والسنة، 2/ 201ـ202.

(4) خليفة، كشف الظنون، 2/ 353.

(5) الداوودي، طبقات المفسرين، 1/ ص(أ) المحقق.

(6) القرآن الكريم، سورة آل عمران، آية (7).

(7) رمضان، المجتمع في مصر الإسلامية، 2/ 135.

(8) عبد الرحمن بدوي وآخرون، موسوعة الحضارة العربية الإسلامية (بيروت: 1995)، 2/ 155، حمزة،

ويتطور جيلا بعد جيل حتى انفصل عن الحديث وصار علما مستقلا قائما بذاته[1]، وظهرت مناهج مختلفة فيه يمكن تمييز ثلاثة رئيسية منها: الأولى ـ التفسير النقلي أو "**التفسير بالمأثور**" ويسمى كذلك التفسير بالرواية وهو تفسير القرآن بعضه ببعض من خلال آياته الكريمة أو تفسير القرآن بالنسبة للسنة المحمدية الشريفة أو تفسير الصحابة ثم التابعين وتابعي التابعين[2].

أما المنهج الثاني ـ فقد ظهر فيما بعد ويدعى التفسير بالرأي والاجتهاد المبني على أصول صحيحة ويسمى كذلك "**التفسير بالدراية**" وهو الذي يركز على العقل مع الاعتماد على ما نقل عن الرسول ﷺ وصحابته الكرام[3].

كما ظهر منهج ثالث للتفسير يدعى التفسير الإشاري أو "**التفسير الباطني**" ويقوم على تفسير القرآن وتأويله على خلاف ظاهره كتفسير المتصوفة والاسماعيلية الباطنية[4].

ونظرا لأن مهمة المفسرين لم تكن يسيرة فقد وضع العلماء شروطا يجب توافرها لمن يتصدى لتفسير القرآن من بينها ضرورة الإلمام بعدة علوم مساعدة يحتاجها المفسر في عمله مثل "**اللغة والنحو والصرف والاشتقاق والمعاني والبيان والبديع والقراءات والأصول وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والحديث والفقه إضافة إلى الموهبة التي يورثها الله لبعض عباده**"[5] فجميع هذه العلوم أساسية تنير السبيل لفهم كتاب الله تعالى.

= الحركة الفكرية، ص184.

(1) عاشور، دراسات في تاريخ الحضارة، ص38.

(2) ابن خلدون، المقدمة، ص554، الكروي، المرجع في الحضارة، ص210، فرشوخ، المدخل إلى علوم القرآن، ص71.

(3) محمد علي الصابوني، البيان في علوم القرآن (بيروت: 1970)، ص75، فرشوخ، المدخل إلى علوم القرآن، ص72ـ73.

(4) إسماعيل، تاريخ الحضارة، ص190.

(5) السيوطي، الإتقان، 2/ 175ـ181، فرشوخ، المدخل إلى علوم القرآن، ص73.

وخلال العصر الأيوبي حظي علم التفسير كغيره من العلوم الدينية من حديث وفقه باهتمام الأيوبيين وتشجيعهم حتى أصبحت مادة أساسية يتلقاه الطلاب في المساجد والمدارس[1].

وعرف أكثر المفسرين الذين ظهروا في مصر بسعة الثقافة وإلمامهم بأكثر من علم نظرا لأن عمل المفسر لم يكن بالهين وهذا ما يفسر لنا قلة تراجم المفسرين في كتب التاريخ مقارنة مع تراجم المحدثين والفقهاء، ويلاحظ كذلك أن أكثر المفسرين كانوا من الضالعين في علوم العربية، وكذلك ممن أجادوا علم القراءات والذي عده الكثير بأنه يمثل المرحلة الأولى لتفسير القرآن الكريم[2].

ومن مشاهير مفسري مصر خلال ذلك العصر نذكر: أبا القاسم عبد الغني بن الحسين المصري (ت 582هـ/ 1186م) وله "**تفسير القرآن**" الذي هو اختصار لكتاب "**ضياء القلوب في تفسير القرآن**" لأبي الفتح سليم بن أيوب الرازي[3]. ومحمد بن إبراهيم بن علي القوصي (ت 596هـ/ 1199م) وكان عالما متقنا لعلوم الفقه والنحو والحديث وقد تقلد القضاء بقوص سنين عدة[4].

والمفسر الحسن بن الخطير بن أبي الحسين النعماني (ت 598هـ/ 1201م) ـ نسبة إلى النعمانية بين بغداد وواسط ـ كان عالما بعلوم شتى ومنها التفسير واللغة والنحو والحساب والطب وغيرها، أقام بالقدس حينا ثم دخل مصر بناء على دعوة العزيز عثمان بن صلاح الدين الذي أجرى له كل شهر ستين دينارا، ومال المصريون إليه وترك مصنفات عديدة منها: "**تفسير كبير للقرآن الكريم**"[5].

ومحمد بن يوسف بن علي الغزنوي (ت 599هـ/ 1202) وله تفسير في مجلدين

(1) المنذري، التكملة، 2/ 341، ابن كثير، البداية، 13/ 148، السيوطي، بغية، ص262.

(2) علي حسني الخربوطلي، الحضارة العربية الإسلامية (القاهرة: 1975)، ص250.

(3) المنذري، التكملة، 1/ 55.

(4) السيوطي، بغية الوعاة، ص6.

(5) الداوودي، طبقات المفسرين، 12/ 135.

سماه: "**تفسير التفسير**" أبدع فيه[1]، والمفسر أبو الحسن علي بن احمد بن إبراهيم الأنصاري الأندلسي (ت 611هـ/ 1214م) وله كتاب في ناسخ القرآن ومنسوخه[2]، ومنهم: أبو الربيع سليمان بن عبد الله الهواري الجلولي (ت 612هـ/ 1215م) ـ وينسب إلى جلولا مدينة بتونس ـ وكان عارفا بالقراءات والنحو والتفسير درس بالمدرسة الصاحبية بالقاهرة مدة[3].

والشيخ نجم الدين احمد بن عمر الخيوقي الصوفي (ت 618هـ/ 1221م) شيخ خوارزم، وكان قد طاف البلاد وسكن الإسكندرية حينا ثم رحل منها إلى بلاده وله تفسير للقرآن يقع في اثني عشر مجلدا[4]، والعلامة موفق الدين عبد اللطيف البغدادي (ت629هـ/ 1231م) وكان ضليعا بأكثر من علم وغلب عليه علم الطب، صنف تفسيرا لسورة الفاتحة دعاه "**الواضحة في إعراب الفاتحة**"[5] وله كذلك "**الرد على الفخر الرازي في تفسير سورة الإخلاص**"[6].

وممن صنف كذلك في التفسير نذكر: المقرئ المفسر عيسى بن عبد العزيز الإسكندراني وله "**بيان مشتبه القرآن**"[7]، وشمس الدين احمد الخوي (ت 637هـ/ 1239م) وله "**ينابيع العلوم**" تناول فيه سبعة علوم منها علم التفسير فرغ منه

---

(1) المنذري، التكملة، 1/ 448، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 6/ 184، ابن الجزري، غاية النهاية، 2/ 286، الادنوي، طبقات المفسرين، ص209.

(2) المنذري، التكملة، 2/ 309.

(3) المنذري، المصدر نفسه، 2/ 341.

(4) السبكي، طبقات الشافعية، 8/ 26، الأسنوي، طبقات الشافعية، 2/ 186.

(5) البغدادي، الإفادة والاعتبار، ص29 (المحقق)، الذهبي، سير أعلام النبلاء، 22/ 323، الأسنوي، طبقات المفسرين، ص266، خليفة كشف الظنون، 1/ 153.

(6) القفطي، أنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: 1950)،2/ 194 هامش (3)، الذهبي، سير أعلام، 22/ 323.

(7) الذهبي، العبر، 3/ 204، تاريخ الإسلام، ص341.

سنة 630هـ/ 1232م[1].

كما ظهر في مصر عدد من المفسرين من المتصوفة الذين فسروا آيات القرآن على طريقتهم في تأويل الآيات تأويلا لا يتفق في كثير من الأحيان مع ظاهر النص كالتفسير الذي وضعه محي الدين أبو عبد الله محمد بن علي المعروف بابن عربي (ت 638هـ/ 1240م) فقد صنف تفسيرا دعاه: "**الجمع والتفصيل في أسرار معاني التنزيل**" في ستين مجلدا. وله كذلك "**المبادئ والغايات في أسرار الحروف المكنونات والأسماء والدعوات**" تعرض فيه لأسرار ما بدئت به السور من الحروف[2].

كما ألف أبو الحسن علي بن احمد الحرالي التجيبي (ت 638هـ/ 1240م) تفسيرا سماه: "**مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل**" تناول فيه علم الحروف وزعم أنه استخرج وقت خروج الدجال، ووقت طلوع الشمس من مغربها[3]. وإذا تمعنا في أقوال علماء ذلك العصر وجدنا كثيرا منهم كان يحسن الظن بتفاسير المتصوفة ويقر بقبولها.

وصنف محمد بن علي بن المفضل بن القامغار (ت 642هـ/ 1244م) كتابا دعاه: "**حروف القرآن**" وله أيضا: "**أمثال القرآن**"[4].

ومما يجدر ذكره أنه ظهرت خلال العصر الأيوبي نماذج متعددة من التفاسير سعى أصحابها أن يلقوا على تفاسيرهم ظلا من العلم الذي اشتهروا فيه فعلى سبيل المثال غلبت العناية بالقراءات على التفسير الذي وضعه المقرئ أبو الحسن علي بن محمد السخاوي والذي كان يقع في أربعة مجلدات وصل فيه إلى سورة الكهف[5] وله

(1) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، 3/ 280.

(2) الصفدي، الوافي بالوفيات، 4/ 173؛ ابن كثير، البداية، 13/ 156؛ ابن تغري بردي، النجوم، 6/ 340.

(3) الغبريني، عنوان الدراية، ص159 .

(4) الصفدي، الوافي بالوفيات، 4/ 181؛ كحالة، معجم المؤلفين، 3/ 523.

(5) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 23/ 124، الأدنوي، طبقات الشافعية، 1/ 346، ابن الجزري، غاية النهاية، 1/ 569.

أيضا: "**الطود الراسخ في المنسوخ والناسخ**"[1].

وغلبت الناحية اللغوية والأدبية على تفاسير البعض كالتفسير الذي وضعه أبو عمرو ابن الحاجب الكردي النحوي (ت 646هـ/ 1249م) المسمى "**الأمالي النحوية**" والمشهور بأمالي بن الحاجب وضمنه تفسير لبعض الآيات وفوائد شتى في النحو[2].

ومن مفسري مصر أيضا: منصور بن سرار بن عيسى الإسكندراني المالكي (ت651هـ/ 1253م) وكان من حذاق المقرئين، كما صنف تفسيرا للقرآن[3]، والمفسر عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني (ت 651هـ/ 1253م) الذي صنف كتاب "**نهاية التأصيل في أسرار التنزيل**"[4].

أما المؤرخ الشهير شمس الدين سبط بن الجوزي (ت 654هـ/ 1256م) فله كتاب في التفسير دعاه: "**معادن الأبريز في تفسير الكتاب العزيز**" وقد طغى عليه لهجة الوعظ[5]، وصنف عبد العظيم بن عبد الواحد المصري (ت 654هـ/ 1256م) كتاب "**الخواطر السوانح في أسرار الفواتح**" تناول فيه أسرار ما بدئت به السور القرآنية[6].

وربما وضع البعض تفاسير مطولة ثم عمدوا إلى اختصارها كما فعل: محمد بن عبد الله المرسي الأندلسي (ت 655هـ/ 1257م) الذي صنف كتاب "**ري الظمآن في تفسير القرآن**" في عشرين مجلدا ثم عمد إلى اختصاره في كتاب دعاه "**التفسير الأوسط**" في

(1) الداوودي، طبقات المفسرين، 1/ 429.

(2) السيوطي، بغية الوعاة، ص323، خليفة، كشف الظنون، 1/ 181.

(3) الداوودي، طبقات المفسرين، 2/ 338ـ339، الأدنوي، طبقات المفسرين، ص236، السيوطي، طبقات المفسرين، ص42.

(4) الأدنوي، طبقات المفسرين، ص237.

(5) الكتبي، فوات الوفيات (بيروت: 1974)، 4/ 357، الداوودي، طبقات المفسرين، 2/ 383، ابن جب، الذيل، 4/ 260، الأدنوي، طبقات، ص239.

(6) خليفة، كشف الظنون، 1/ 557.

عشرة أجزاء وله كذلك (التفسير الصغير) في ثلاثة أجزاء[1]، كما صنف المؤرخ المقرئ أبو شامة المقدسي كتابا دعاه "**البسملة**" ثم عمد إلى اختصاره[2]، وله مصنفات أخرى في التفسير منها "**الوجيز في أشياء من الكتاب العزيز**"[3] و"**نور المسرى في تفسير سورة الأسرى**"[4]، كما تعرض لما في القرآن من آيات متشابهة أو مشكلة حيث صنف كتابا دعاه: "**متشابه القرآن**" وآخر سماه: "**مشكلات الآيات**"[5].

ومن مفسري مصر أيضا: الفقيه العالم عز الدين بن عبد السلام الدمشقي الشافعي (ت660هـ/ 1261م) وله مجموعة مؤلفات في التفسير منها: "**التفسير الكبير**" و"**التفسير المختصر**"[6] وله "**فوائد العز بن عبد السلام**" ضمنها أجوبة تتعلق ببعض الآيات وله "**كشف الإشكالات عن بعض الآيات**"[7] و"**شرح أسماء الله الحسنى**"[8] كما صنف كتابا في "**مجاز القرآن**" اختصره فيما بعد الحافظ جلال الدين السيوطي (ت 911هـ/ 1505م) ودعاه: "**مجاز الفرسان إلى مجاز القرآن**"[9].

ولا يفوتنا ذكر المفسر أبا عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت671هـ/ 1272م) وهو من أشهر مفسري مصر، ولد بقرطبة من بلاد الأندلس وبها تلقى علومه، ثم وفد إلى مصر واستقر في الصعيد وانشغل بالعبادة والتأليف

(1) أبو شامة، الذيل، ص196، الغساني، العسجد المسبوك، ص629، السيوطي، بغية الوعاة، ص60-61.

(2) أبو شامة، الذيل، ص39، خليفة، كشف الظنون، 2/ 350.

(3) الداوودي، طبقات المفسرين، 12/ 269.

(4) أبو شامة، الذيل، ص139، الداوودي، طبقات المفسرين، 1/ 265.

(5) أبو شامة، الذيل، ص40، الداوودي، طبقات، 1/ 269.

(6) ابن كثير، البداية، 13/ 235، السبكي، طبقات الشافعية، 8/ 247، الداوودي، طبقات المفسرين، 1/ 315، الادنوي، طبقات المفسرين، ص242، ابن قنفذ، الوفيات، ص328، هامش (3).

(7) أبو شامة، الذيل، ص216، السبكي، طبقات الشافعية، 8/ 209، الداوودي، طبقات المفسرين، 1/ 320.

(8) الأدنوي، طبقات المفسرين، ص242.

(9) أبو شامة، الذيل، ص216، السبكي، طبقات الشافعية، 8/ 247، خليفة، كشف الظنون، 2/ 489.

وترك مصنفات شتى أهمها كتابه في التفسير الموسوم: "**الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآي الفرقان**" وقد وصلنا هذا التفسير كاملا، ولم يقف القرطبي في تفسيره هذا عند حدود النقل بل تعداه إلى الاجتهاد، وابتدأ تفسيره بذكر أحكام القرآن والترغيب فيه وفضل طالبه، وأسقط منه القصص والتواريخ وأثبت عوضا عنه أحكام القرآن واستنباط الأدلة وذكر القراءات والإعراب والناسخ والمنسوخ[1]. وقد اختصره فيما بعد سراج الدين عمر بن علي المشهور بابن الملقن (ت 804هـ/ 1401م)[2].

والإمام أبو عبد الله محمد بن سليمان المعافري (ت 672هـ/ 1273م) وله تفسير صغير في مجلد[3]، والمفسر محمد بن هبة الله بن جعفر الربعي (ت 674هـ/ 1277م) وكان بارعا في الفقه والتفسير ولي القضاء ببلاد الصعيد حينا[4]. وشهاب الدين احمد بن إدريس القرافي ، وهو من أشهر الفقهاء المالكية في زمانه (ت684هـ/ 1285م) وكان إماما في الفقه والأصول والتفسير[5]. والعلامة قاضي القضاة تقي الدين محمد بن الحسين بن رزين الحموي توفي بمصر سنة (680هـ/ 1281م) وهو مفسر ومحدث له كتاب "**تفسير القرآن**"[6].

واحمد بن محمد بن منصور المعروف بابن المنير الإسكندراني (ت683هـ/ 1284م) أحد الأئمة البارعين في التفسير والفقه ولد سنة 620هـ/ 1223م بالإسكندرية، من مؤلفاته "**البحر الكبير في نخب التفسير**"[7] وله كتاب "**الانتصاف من الكشاف**" ألفه في شبابه

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 1/ 4.

(2) الأدنوي، طبقات المفسرين، ص246.

(3) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 7/ 243.

(4) الداوودي، طبقات المفسرين، 2/ 267.

(5) ابن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي (القاهرة: 1956)، 1/ 215ـ217، الحميري، الروض المعطار، ص461.

(6) الذهبي، تذكرة الحفاظ، 4/ 1465، المعين في طبقات المحدثين (عمان: 1984)، ص216.

(7) اعترض أصحابه على هذه التسمية لأن البحر الكبير مالح إلا أنه رد عليهم بأن البحر محل العجائب والدرر، العبدري، رحلة العبدري، ص233، الداوودي، طبقات المفسرين، 1/ 91، خليفة، كشف

وأثنى عليه عز الدين بن عبد السلام والهدف من تأليفه الرد على الزمخشري في توجهاته ونصرته لمذهب المعتزلة وله أيضا: "**المقفى في آية الإسراء**"[1].

وعبد العزيز بن احمد بن سعيد الديريني – نسبة إلى ديرين بمصر - (ت 694هـ/ 1295م) وهو فقيه شافعي وأديب غلب عليه التصوف وهو من مشاهير المفسرين في ذلك العصر، من مصنفاته "**المصباح المنير في علم التفسير**" و"**الكفاية في تفسير القرآن**"[2] و"**الأنوار الواضحة في تفسير الفاتحة**" و"**غريب القرآن**" و"**تفسير أسماء الله الحسنى**"[3] كما نظم أرجوزة في التفسير سماها "**التيسير في علم التفسير**" في مجلدين تزيد عدد أبياتها على ألف وثلاثمائة بيت[4].

والعلامة جمال الدين محمد بن سليمان المقدسي (ت 698هـ/ 1298م) المفسر المعروف بابن النقيب ولد بالقدس سنة 611هـ/ 1214م وكان فقيها حنفيا اشتغل أكثر دهره بالتفسير، قدم مصر ودرس بالمدرسة العاشورية بالقاهرة، كما أقام بالجامع الأزهر حينا واتصف بالزهد والصلاح، وكان أكابر مصر وعامتها يترددون إليه يلتمسون منه الدعاء[5]. وله كتاب "**التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير في معاني كلام السميع البصير**" في ثمانين مجلدا[6].

الظنون، 3/ 108.

(1) السيوطي، بغية الوعاة، ص168، الداوودي، طبقات المفسرين، 1/ 91، الادنوي، طبقات المفسرين، ص252، خليفة، كشف الظنون، 3/ 108، شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات (القاهرة: 1990)، ص131ـ132، محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون (القاهرة: 1976)، 1/ 468.

(2) الأسنوي، طبقات الشافعية، 1/ 269، خليفة، كشف الظنون، 4/ 330، ضيف، عصر الدول، ص132.

(3) ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، 2/ 36، الداوودي، طبقات المفسرين، 1/ 312، الأدنوي، طبقات المفسرين، ص257.

(4) الداوودي، طبقات المفسرين، 1/ 312، الأدنوي، طبقات المفسرين، ص257.

(5) الذهبي، العبر، 3/ 392، الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر (بيروت: 1998)، 4/ 1665، الداوودي، طبقات المفسرين، 2/ 149، ابن العماد، شذرات الذهب، 5/ 442.

(6) ابن كثير، البداية والنهاية، 14/ 4ـ5، الداوودي، طبقات المفسرين، 2/ 149، عبد الجليل حسن عبد

ويعد عبد الكريم بن علي بن عمر المعروف بعلم الدين العراقي (ت704هـ/ 1304م) من علماء ذلك العصر المعدودين في علمي التفسير والفقه أصله من الأندلس، ولد بمصر سنة 623هـ/ 1227م لقب بالعراقي نسبة إلى جده لأمه الذي كان قد أقام بالعراق مدة فانتقلت النسبة إليه وقد كان لعلم الدين العراقي مشاركاته بالفقه والتفسير وأقام بالقاهرة، وتتلمذ عليه عدد غير قليل من المصريين، من مصنفاته كتابه الشهير: "**الإنصاف في مسائل الخلاف بين الزمخشري وابن المنير**"[1] دافع فيه عن تفسير الزمخشري ورد على تفسير ابن المنير المذكور آنفا.

ثانيا: علم الحديث

وهو العلم الذي يهتم بكل ما قاله الرسول ﷺ أو فعله أو رآه فأقره ولم ينكره[2]، ويعد من العلوم الفاضلة والشريفة، وهو المصدر الثاني من أصول الدين والتشريع بعد القرآن الكريم[3]، فهو الذي يفصل ما أجمله القرآن ويفسر ما يصعب على الناس فهمه منه، وتوضح مشكله وتقيّد مطلقه، وتخصص عامه وتبسط ما فيه من إيجاز وعلى هذا الأساس أصبح الحديث أساسا من أسس التشريع في العبادات والمسائل الدينية والدنيوية المختلفة[4] وانعكست أهميته على الفرد المسلم حتى قيل: "**إن الرجل إلى الحديث أحوج منه إلى الأكل والشرب**"[5].

المهدي، المدارس في بيت المقدس في العصرين الأيوبي والمملوكي (عمان: 1981)، 1/ 46.

(1) الصفدي، نكت الهميان، ص195-196، الأسنوي، طبقات الشافعية، 2/ 107، ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، 2/ 74، الأدنوي، طبقات المفسرين، ص211.

(2) الخوارزمي، مفاتيح العلوم (القاهرة: 1342هـ)، ص7، السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي (القاهرة: 1980)، 1/ 42، إحسان الشامري، الحياة العلمية زمن السامانيين (بيروت: 2001)، ص148.

(3) السمعاني، أدب الإملاء والاستملاء (بيروت: 1981)، ص3، خليفة، كشف الظنون، ص495.

(4) جولد تسهير، العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة محمد يوسف موسى (القاهرة: 1959)، ص52، عاشور، دراسات، ص49.

(5) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد (بيروت: د/ ت)، 2/ 186، الأمين الصادق الأمين، موقف المدرسة

وتعود نشأة علم الحديث إلى أغراض عملية الهدف منه خدمة التشريع واستنباط الأحكام، والاقتداء بسيرة الرسول ﷺ التي حث الله تعالى عباده على الاقتداء بها: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[1] وقوله تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[2]، لذا فقد اهتم به المسلمون ورحلوا في طلبه وألفوا في علومه المختلفة ما لا يحصى من الكتب، كما نشأ علم الحديث للتصدي لظاهرة الوضع في الحديث والرد على الوضاعين.

وقد أخذ الحديث حيزا كبيرا في مجال التأهيل الفكري خلال القرنين 6،7هـ/ 12،13م[3]، وعن أهميته ومدى اهتمام عامة علماء المسلمين به يقول المحدث الكوردي الشهير تقي الدين عثمان المعروف بابن الصلاح الشهرزوري (ت643هـ/ 1245م) ما نصه: "**علم الحديث ـ من أفضل العلوم الفاضلة، وأنفع العلوم النافعة، يحبه ذكور الرجال وفحولتهم، ويعنى به محققو العلماء وكملتهم...**"[4] وفي موضع آخر يقول: "**علم الحديث ـ علم شريف يناسب مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، وينافر مساوئ الأخلاق ومشاين الشيم وهو من علوم الآخرة**"[5] وجاء عن الإمام الشافعي ﷺ: "**من تكلم الحديث قويت حجته**"[6].

ومن مظاهر الاهتمام به خلال العصر الأيوبي تدريسه الأطفال في الكتاتيب

العقلية من السنة النبوية (الرياض: 1998)، 2/ 414.

(1) القرآن الكريم، سورة الأحزاب، آية (21).

(2) القرآن الكريم، سورة الحشر، آية (7)

(3) Nikita, Eiseeff, Nur AD-Din un Granad pring Musulmum de Syrie Autemps des Coisades (Damas: 1967), Vol.3., P.754.

(4) ينظر علوم الحديث، تحقيق نور الدين زعتر (دمشق: 1984)، ص5.

(5) المصدر نفسه، ص236، السيوطي، تدريب الراوي، 2/ 188.

(6) الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (القاهرة: 1938)، مج9/ 123.

والمساجد[1]، وذكر المنذري (ت 656هـ/ 1258م) عن والده: **كان والدي يرغبني في الاشتغال بحديث رسول الله ﷺ ويحثني عليه كثيرا ويبذل وسعه في تحصيل ما أسمعه من الكتب**[2].

وذكر أبو شامة المقدسي (ت 665هـ/ 1266م) أن شيخه تقي الدين خزعل بن عسكر المصري (ت 623هـ/ 1226م) كان يحثه على حفظ الحديث خصوصا صحيح مسلم[3].

ونظرا لأهمية هذا العلم وخطورته وضع العلماء شروطا وضوابط عديدة لمن يعنى بروايته كأن يكون صادقا، عفيفا، سالما من الكذب عدلا، ضابطا لما يرويه، حافظا متيقظا، غير مغفل فضلا عن كونه مسلما بالغا وإذا ما فقد هذه الشروط أو بعضها ردت روايته وترك حديثه[4].

ويعود الاهتمام بالحديث في مصر إلى حقبة سابقة للعصر الأيوبي فقد كانت هذه البلاد دارا للكثير من رواة الحديث من الصحابة الكرام مثل الصحابي عبد الله بن عمرو بن العاص (رض) (ت 65هـ/ 684م) ولأهل مصر عنه أكثر من مائة حديث، وكذلك الأعرج عبد الرحمن بن داود المدني (ت 117هـ/ 735م)[5].

وابتداء من النصف الثاني من القرن 6هـ/ 12م عني به طائفة كبيرة من العلماء

---

(1) ينظر على سبيل المثال: المنذري، التكملة، 1/ 70،109،115، 403،408، مج2/ 6،28،82، 143، 222،307،321،343،467،مج3/ 173،208،415،579،637.

(2) المصدر نفسه ، 1/ 263ـ264.

(3) الذيل على الروضتين، ص149.

(4) الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية (بيروت: 1986)، ص71ـ72، ابن الصلاح، علوم الحديث، ص50، السيوطي، تدريب الراوي، 1/ 379ـ385، محمد محمد أبو شهبة، دفاع عن السنة ورد شبهة المستشرقين والكتاب المعاصرين (القاهرة: 1985)، ص30ـ33.

(5) البستي، مشاهير علماء الأمصار، ص93ـ96، السيوطي، حسن المحاضرة، 1/ 54ـ64، رمضان، المجتمع في مصر، 2/ 136ـ148.

الذين اشتغلوا بالحديث رواية ودراية[1]، أما قبل ذلك فلم يكن هذا العلم يحظى بالرعاية الكافية من قبل الفاطميين فقد: "**كانت السنة غامرة ميتة في عهدهم فلما أزال صلاح الدين دولتهم أظهر السنة والرواية والآثار**"[2].

وكان أغلب رجال الحديث في العصر الأيوبي من طبقة الفقهاء[3]، وهذا أمر بديهي لاتصال الحديث بالفقه لأنه ينبوع من ينابيع التشريع، ولكن العناية به لم تقف عند طائفة الفقهاء بل أن كثيرا من الأدباء والنحويين والقراء والمؤرخين وسواهم عنوا بدراسته وروايته، وكثيرا ما كان المحدث يجمع بين الفقه والحديث والتفسير والأدب واللغة والنحو لأنها مواد يحتاج بعضها إلى بعض[4].

ويذكر أن بعض العلوم قد بدأت عند المسلمين فرعا من فروع الحديث كعلمي التاريخ والتفسير، حتى أن المؤرخين الأوائل اعتمدوا أسلوب المحدثين في الإسناد، ومثل هذا يقال عن التفسير حيث اعتمد المفسرون على ما جاء في الأحاديث النبوية في تفسير القرآن إلى أن استقل عنه[5].

ولم يقتصر الاهتمام بعلم الحديث على العلماء وحدهم بل شمل كذلك أغلب الملوك الأيوبيين وأمرائهم الذين حرصوا على تلقي الحديث على مشاهير محدثي

---

(1) علم الحديث بالرواية ـ علم يشتمل على أقوال الرسول ﷺ وأفعاله ورووياتها وضبطها وتحرير ألفاظها، أما علم الحديث بالدراية ـ فهو العلم الذي يعرف من خلاله حقيقة الرواية وشروطها وأنواعها وأحكامها وحال الرواة وشروطهم وأصناف المرويات وما يتعلق بها ومن هذه العلوم (الجرح والتعديل)، وعلم رجال الحديث وغيرها. للمزيد ينظر: السيوطي، تدريب الراوي، 1/ 40، خليفة، كشف الظنون، ص495، صبحي الصالح، علوم الحديث، ص105ـ107، سعد المرصفي، المستشرقون والسنة (الكويت: 1994)، ص28.

(2) الذهبي، تاريخ الإسلام، ص123ـ124، السخاوي، الإعلان بالتوبيخ، ص138.

(3) ينظر على سبيل المثال: المنذري، التكملة، 1/ 70،108،152،192،253،440،459،مج2/ 6،50،98،252،355،364،385،343.

(4) المنذري، التكملة، 1/ 402،مج2/ 10،مج3/ 511.

(5) عاشور، دراسات، ص53.

عصرهم[1].

أ ـ الرحلة في طلب الحديث:

لقد كانت الرحلة في طلب الحديث من أشهى أماني العلماء وأحيانا كانت الرحلة من أجل حديث واحد فعن سعيد بن المسيب (ت 150هـ/ 767م) جاء قوله: "**إني كنت لأرحل الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد**"[2] وكان من المعتاد على المحدثين أن يرحلوا من بلد إلى آخر لغرض الحصول على الأحاديث الصحيحة والبحث عن الرواة وأحوالهم وعدالتهم فضلا عن طلب العلو في الإسناد وقدم السماع[3]، فطالب الحديث حسبما يرى المحدث ابن الصلاح الشهرزوري يبقى مقصرا في عمله إن هو لم يجتهد في الرحلة بعد أن يأخذ من علماء بلده[4]، ومن دون الاجتهاد في الرحلة يكون طالب الحديث "**قد أتعب نفسه من غير أن يظفر بطائل وبغير أن يحصل في عداد أهل الحديث**"[5].

ومن ثم فلا ضير أن يشكل المحدثون نسبة عالية بين طلبة العلم ممن اهتموا بالرحلات العلمية في كل زمان ومكان بل لقد كان لقب "**الرحال**" و"**الجوال**" و"**السفار**"[6]

---

(1) عن مساهمة الأيوبيين في علم الحديث ينظر: فص1، المبحث 3، ص28-42.

(2) الذهبي، تذكرة الحفاظ، 1/ 54، السيوطي، تدريب الراوي، 2/ 233، أبو شهبة، دفاع عن السنة، ص25.

(3) ابن الأثير، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق محمد حامد (بيروت: 1983)، 1/ 14.

(4) ينظر: علوم الحديث، ص246.

(5) المصدر نفسه، ص250.

(6) عن هذه الألقاب وسواها ينظر: ابن المستوفي الأربلي، تاريخ أربل، تحقيق سامي بن السيد خماس الصقار (بغداد: 1980)، ق1/ 131، 295، سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ق2/ 511، 520، المنذري، التكملة، مج3/ 176، ابن الصابوني، تكملة إكمال، ص198، الذهبي، العبر، 3/ 208، 223، 228، 256، سير أعلام النبلاء، 21/ 385، ج22/ 71، 258، 351، تذكرة الحفاظ، 4/ 1387، اليافعي، مرآة الجنان، 4/ 56، ابن رجب، الذيل، 3/ 82، 434، السيوطي، بغية الوعاة، ص11، 60، 162. الصالح ، علوم الحديث ، ص51.

وقفا على المحدثين دون سواهم من العلماء لأنهم تحملوا المشاق وجالوا في الآفاق أكثر من غيرهم، ومن ينظر في كتب التاريخ والتراجم يجد من هذه الألقاب وسواها ما يدل على اقتران طلب الحديث بالرحلة الواسعة، فعلى سبيل المثال: عرف عن المحدث أبي عبد الله محمد بن المأمون اللهاوري (ت 603هـ/ 1206م) بأنه: "**طاف البلاد في طلب الحديث وشرق وغرب**"[1].

وعرف عن المحدث الحافظ عبد القادر بن عبد الله الرهاوي (ت 612هـ/ 1215م) بأنه رحل في طلب الحديث "**الرحلة الواسعة**" فقد سمع الكثير من الحديث في بلاده الرها[2] ثم رحل منها إلى أربل والموصل وحران وبغداد وواسط والبصرة وأصبهان وهراة[3] ونيسابور[4]، كما قدم الإسكندرية ولقي أئمتها ومنهم الحافظ أبو طاهر السلفي وحدث بها[5].

وكان الحافظ محمد بن عبد الغني البغدادي المعروف بابن نقطة (ت 629هـ/ 1231م) إحد "**المشهورين بكثرة الكتابة والرحلة**"[6]، أما المحدث الكبير علي بن منصور البغدادي المعروف بابن النجار (ت 643هـ/ 1245م) فقد وصفه الذهبي بـ"**الشيخ المسند رحلة الوقت**"[7] لأنه اشتهر برحلته الطويلة التي استغرقت نحو سبعة

---

(1) المنذري، التكملة، 2/ 122.

(2)الرها : بضم أوله مدينة للجزيرة بين الموصل والشام بينهما ستة فراسخ ياقوت معجم البلدان ، 3/ 106.

(3)هراة : بالفتح مدينة من مدن خراسان المشهورة بخيراتها الزراعية ومياهها الوفيرة واليها انتسب الكثير من اهل العلم ، ياقوت معجم البلدان 396.

(4)نيسابور : والعامة يسمونه نشاور مدن خراسان ومن اسماءها ايضا ايرانشهر ، ياقوت معجم البلدان 5/ 331.

(5) ابن المستوفي، تاريخ أربل، ق1/ 131ـ132، أبو شامة، الذيل، ص90، ابن العماد، شذرات الذهب، 5/ 50.

(6) المنذري، التكملة، 3/ 300، الذهبي، العبر، 3/ 205، ابن رجب، الذيل، 4/ 183.

(7) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 23/ 119.

وعشرين عاما زار خلالها بلادا كثيرة[1].

ووصف المحدث الحافظ يوسف بن خليل بن قراجا (ت 648هـ/ 1250م) بأنه كان أحد الحفاظ المكثرين في الرحلة، فقد تشاغل بالكسب إلى الثلاثين من عمره ثم طلب الحديث واستفرغ فيه وسعه ورحل من أجله فسمع بدمشق وبغداد وأصبهان ثم عاد إلى دمشق ورحل بعدها إلى مصر فسمع من شيوخها واستوطن آخر عمره في حلب[2].

وهكذا بالنسبة لبقية المحدثين الذين اجتهدوا في الرحلة، وتحملوا المشاق الكثيرة وضنك العيش فعلى سبيل المثال كان الحافظ أبو طاهر احمد بن محمد السلفي "**يجول في البلاد حافيا على قدميه في طلب الحديث**"[3]، وذكر ابن المستوفي عن المحدث علي بن نفيس المقدسي البغدادي المعروف بابن المكبر أنه سافر إلى الإسكندرية على رجليه، وكان قد قدم مصر أكثر من مرة[4].

ويذكر أنه كانت هناك عدة طرق لتحمل الحديث لعل من أشهرها وأوسعها انتشارا في العصر الأيوبي: **طريقة السماع** ـ وهو أن يسمع الشخص من لفظ الشيخ من كتاب أو محفوظاته، وهو أرفع الأقسام عند جمهور العلماء[5].

كما انتشرت **طريقة القراءة** ـ وذلك بأن يقرأ التلميذ حديثا واحدا أو عددا من الأحاديث من كتاب أو من حفظه والشيخ منصت يقارن ما يلقى بما في نسخته أو بما وعته حافظته، كما كانت هناك **طريقة الإجازة** ـ وهي إذن الشيخ لتلميذه برواية مسموعاته أو مؤلفاته بالإضافة إلى طرق أخرى كانت أقل انتشارا مما سبق[6].

---

(1) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 23/ 120، العبر، 3/ 249، ابن العماد، شذرات الذهب، 5/ 227.

(2) الذهبي، العبر، 3/ 262، ابن رجب، الذيل، 4/ 244ـ245، ابن العماد، شذرات الذهب، 5/ 243.

(3) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ق2/ 362، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، مج2،ج2/ 47.

(4) تاريخ اربل، 1/ 461.

(5) السيوطي، تدريب الراوي، 2/ 15، فياض، الإجازات العلمية، ص105.

(6) هناك ثماني طرق لتحمل الحديث وهي على الترتيب: السماع، القراءة، الإجازة، المناولة، المكاتبة والاعلام ، الوصية، الوجادة. للمزيد: ينظر: السيوطي، تدريب الراوي، 2/ 9ـ104، صبحي

واشتهر علماء الحديث بألقاب مختلفة يعرف منها طبقاتهم وطرق تحملهم الحديث وأشهر تلك الألقاب ـ **المسند** ـ وهو من يروي الحديث بإسناده سواء أكان عنده علم به أم ليس له إلا مجرد روايته، **والمحدث** ـ وهو أرفع من المسند بحيث عرف الأسانيد والعلل وأسماء الرجال وحفظ جملة من المتون وسمع الصحاح وكتب المسانيد كمسند احمد بن حنبل، أما لقب **الحافظ** ـ فهو أعلى الألقاب درجة، ومن صفات حامله أن يكون عارفا بسنن رسول الله ﷺ بصيرا بطرقها، مميزا لأسانيدها، يحفظ ما أجمع أهل المعرفة على صحته[1].

لقد شهد العصر الأيوبي حركة نشطة لطلاب العلم عموما والحديث خصوصا، وكانت مصر إحدى المحطات المهمة التي نزلها عدد كبير من المحدثين في مختلف أرجاء العالم الإسلامي، وكانت الإسكندرية بحكم موقعها، ومن بعدها القاهرة في مقدمة الحواضر المصرية التي نزلها الكثير من المحدثين، وإذا كان من العسير والمتعذر حصر جميع تلك التراجم في صفحات معدودة، فمن المفيد الإشارة إلى أشهرها ومنهم:

الحافظ العلامة المحدث أبو طاهر احمد بن محمد السلفي[2] (ت576هـ / 1180م) ولد بأصبهان سنة 475هـ/ 1082م وارتحل في طلب الحديث وله أقل من عشرين سنة فدخل بغداد والكوفة وتفقه على علمائها ثم حج وسمع بمكة والمدينة ثم ورد بغداد ثانية وأقام بها عامين مواظبا على العلم وارتحل إلى مدن أخرى مثل ميافارقين وخلاط وغيرها من مدن الجزيرة وبقي في الرحلة ثمانية عشر عاما يكتب

الصالح، علوم الحديث، ص86ـ103، فؤاد سزكين، محاضرات في تاريخ العلوم الإسلامية (فرانكفورت: 1984)، ص ص136ـ137.

(1) السيوطي، تدريب الراوي، 1/ 45، الصالح، علوم الحديث، ص71، احسان ذنون الثامري، الحياة العلمية زمن السامانيين (بيروت 2001)، ص148.

(2) عرف بالسلفي ـ بكسر السين وفتح اللام، وهي كلمة محرفة عن اللفظ الأعجمي (س لبه) ومعناه ثلاث شفاه لأن شفته الواحدة كانت مشقوقة فأبدلت الباء بالفاء. ينظر: السلفي، معجم السفر، تحقيق بهيجة الحسيني (بغداد: 1978)، 1/ 80 (مقدمة المحقق)، ابن خلكان، وفيات الأعيان، 1/ 107، العبدري، رحلته، ص255، الذهبي، تذكرة الحفاظ، 4/ 1298، العبر، 3/ 71، السبكي، طبقات الشافعية، 1/ 339.

الحديث والفقه والأدب والشعر وينسخ الأجزاء ما لا يحصى كثرة حتى قيل أنه كان "**شعلة نار في تحصيل الكتب ينسخ الجزء الضخم في ليلة**"[1].

وفي سنة 509هـ/ 1115م وصل الحافظ السلفي إلى دمشق وبقي بها عامين ثم غادر منها إلى مدينة صور وركب البحر إلى الإسكندرية فجاءها سنة 511هـ/ 1170م وقضى بها بقية حياته، وبنى له العادل بن السلار الكوردي (ت 548هـ/ 1153م)، وزير الخليفة الظافر الفاطمي مدرسة في الإسكندرية عرفت باسمه ونظرا لشهرة الحافظ السلفي فقد أسهبت كتب التاريخ والتراجم في ذكره والإشادة به[2]، ومما قيل في شأنه أنه لم يكن في مصر وخارجها من يضارعه في علم الحديث إليه انتهى علو الإسناد فقد كان "**أوحد زمانه في علم الحديث وأعرفهم بقوانين الرواية والتحديث**"[3] ارتحل إليه خلق كثير من داخل مصر وخارجها للسماع عليه[4]. لاسيما بعد أن زالت الدولة الفاطمية[5]، وممن ارتحل إليه السلطان صلاح الدين وأبناؤه وأمراؤه، وكانت له عندهم "**الكلمة النافذة والحرمة الوافرة**"[6].

ومن بين الألقاب التي حملها السلفي والتي دلت على علو مكانته في

---

(1) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج8،ق1/ 361، الذهبي، سير أعلام، 21/ 16.

(2) يعتبر الذهبي من أكثر المؤرخين الذين أسهبوا في ترجمته لاسيما في كتابه: سير أعلام النبلاء، ج21/ 5ـ39، وانظر: سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج8،ق1/ 361ــ362، الأسنوي، طبقات الشافعية، 1/ 339، اليافعي، مرآة الجنان، 3/ 305، ابن تغردي بردي، النجوم الزاهرة، 6/ 87، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، مج4، ج2/ 47، ابن العماد، شذرات الذهب، 4/ 255.

(3) ابن الصلاح، طبقات الشافعية، 1/ 358، الذهبي، سير أعلام، 21/ 21، تذكرة الحفاظ، 4/ 1301، السيوطي، حسن المحاضرة، 1/ 78.

(4) ينظر: المنذري، التكملة، مج1/ 105،116،136،177،193، 213 ، 245،351،429،450، مج2/ 69،99،121،255،335،362،421، مج3/ 10،43،110،116،166، 188،193،204،205،208،217،273،290،295،324،368،398،407،415،418،427،445،452459، 481،501،546،559،581،588،632.

(5) الذهبي، الأمصار ذوات الآثار، ص170ـ171، السخاوي، الإعلان بالتوبيخ، ص38.

(6) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج8،ق1/ 361، الذهبي، سير أعلام النبلاء، 21/ 24، العبر، 3/ 71، تذكرة الحفاظ، 4/ 1302، اليافعي، مرآة الجنان، 3/ 305.

الحديث لقب **"أحفظ الحفاظ"** و**"شيخ العلماء"** و**"مسند الدنيا"** و**"معمر الحفاظ"** و**"إمام المحدثين وشيخ الأعلام"** و**"حجة الرواة"**[1] وترك السلفي عددا كبيرا من المصنفات سوف نأتي على ذكرها فيما بعد. واشتهر من أهل بيته سبطه أبو القاسم عبد الرحمن بن مكي الإسكندراني (ت651هـ/ 1253م) الذي أصبح مسند الإسكندرية ومحدثها[2].

كما شملت الرحلة في طلب الحديث علماء مصر ومحدثيها الذين اجتهدوا في الرحلة داخل مصر وخارجها واكتظت بهم أمهات المدن الإسلامية لاسيما تلك التي شهدت عناية بعلم الحديث أكثر من غيرها أو التي كان فيها دور لدراسة الحديث كدمشق وبغداد والموصل وأربل، وفي كتب التراجم والطبقات ذكر لعدد منهم فعلى سبيل المثال لا الحصر ترجم المؤرخ الأربلي ابن المستوفي (ت 637هـ/ 1239م) لعدد من محدثي مصر ممن دخلوا أربل سعيا في تحصيل الحديث والسماع على كبار شيوخها، ومن بين أولئك الذين ترجم لهم: المحدث إسماعيل بن عبد الله بن عبد المحسن الأنصاري (ت 616هـ/ 1219م)[3]، والمحدث مبشر بن محمد المصري المعروف بابن القصطلاني (ت 617هـ/ 1220م) ـ نسبة إلى بلدة قصطلية بآخر الإسكندرية ـ وكان قد دخل أربل سنة 616هـ/ 1219م وبها كانت وفاته[4].

والمحدث محمد بن علي بن عبد الله الإسكندراني (ت 621هـ/ 1224)[5] والمحدث احمد بن أبي القاسم القيسي الإسكندراني (ت624هـ/ 1226م) وكان مغرما بالحديث وسماعه، دخل أربل وسمع من شيوخها ثم رحل إلى الموصل وبها كانت

(1) السلفي، معجم السفر، 1/ 43ـ44 (مقدمة المحقق).

(2) الذهبي، المعين في طبقات المحدثين، ص206، المقريزي، السلوك، 1/ 480، ابن العماد، شذرات الذهب، 5/ 253.

(3) ينظر: ابن المستوفي ، تاريخ اربل، ق1/ 165ـ166.

(4)ابن المستوفي، المصدر نفسه ، ق1/ 282.

(5)ابن المستوفي ، المصدر نفسه ، ق1/ 365.

وفاته[1] وغيرهم كثير[2].

مما سبق يتضح أن اجتهاد المحدثين وسعيهم في الرحلة من أجل الحديث لم توفر لأكثرهم فرصة للاستقرار في بلدهم طويلا حيث دأب أكثرهم على الرحلة باستمرار دون كلل، وكانت لرحلاتهم أثر في توثيق أواصر الصلات الثقافية بين بلدان العالم الإسلامي، كما أثرت الرحلات في الحديث حيث أخذت الروايات المتباينة في التقارب شيئا فشيئا حتى خيل لسامعها أو قارئها للمرة الأولى أنها رواية مصر واحد لا عدة أمصار.

ب ـ مؤلفات علم الحديث:

حرص المحدثون في العصر الأيوبي على التقيد في مؤلفاتهم بأمهات كتب الحديث المشهورة، كموطأ مالك، ومسند الإمام احمد بن حنبل فضلا عن كتب الصحاح الستة فجميعها كانت أساسا لدراسة الحديث والتأليف فيه، ولما كان أغلب المحدثين لا يميلون الخوض في العقائد الدينية أو التعمق في دراستها، فقد جاءت مؤلفاتهم دون أن يكون فيها مجال كبير للبحث، وربما يكون ذلك هو السبب الذي حدا بالمحدث ابن الصلاح الشهرزوري إلى أن يشكو في مقدمة كتابه "**علوم الحديث**" من قلة اهتمام محدثي عصره بالحديث فهم حسب قوله: "**لا يعتنون في الغالب بأكثر من سماعه غفلا، ولا يعتنون في تقييده بأكثر من كتابته عطلا [دون تحقيق] مطرحين علومه التي بها جل قدره...**"[3].

وقد تنوعت اتجاهات رجال الحديث في التأليف وكانت لهم طريقتان مشهورتان هما:

أولا: طريقة التصنيف على الأبواب ـ وتخريج الأحاديث على أحكام الفقه وغيرها وجمع ما ورد في كل حكم وكل نوع في باب على حدة[4].

ثانيا: طريقة التأليف على المسانيد ـ وجمع حديث كل صحابي على حده وإن اختلفت

---

(1) ابن المستوفي ، المصدر نفسه ، ق1/ 309.

(2) ابن المستوفي ، المصدر نفسه ، ق1/ 83،215،248،293،297،341،357،391.

(3) علوم الحديث، ص5ـ6.

(4) ابن الصلاح، علوم الحديث، ص251، السيوطي، تدريب الراوي، 2/ 224.

أنواعه مرتبين على حروف المعجم أو على القبائل أو حسب الأسبقية في الإسلام أو شرف النسب وغير ذلك[1].

ويلاحظ أن الكثير من محدثي ذلك العصر قد تصدى لدراسة وشرح أو اختصار كتب الحديث المهمة لاسيما كتب الصحاح مثال ذلك ما قام به الحافظ موفق الدين البغدادي الذي أخرج شرحا لأحاديث ابن ماجة المتعلقة بالطب[2]. كما قام المحدث ابن الصلاح الشهرزوري بتصنيف "**شرح صحيح مسلم**"[3] وصنف المحدث أبو العباس احمد بن عمر القرطبي (ت656هـ/ 1258م) كتاب "**المفهم في شرح مسلم**"[4] وقام الحافظ المنذري باختصار "**صحيح مسلم**" كما اختصر "**سنن أبي داود**" في كتاب سماه "**المجتبي**" ووضع عليه حواشي مفيدة[5]. وللفقيه عز الدين بن عبد السلام كتاب "**مختصر صحيح مسلم**"[6] وعمد المحدث عبد العزيز بن محمود المالكي المعروف بالعطار (ت 628هـ/ 1229م) إلى اختصار كتاب "**الجمع بين الصحيحين**" للحميدي[7]، وللفقيه المتصوف محي الدين ابن عربي "**اختصار صحيح مسلم**" وله أيضا "**اختصار سنن الترمذي**"[8] أما المحدث مسعود بن احمد الحارثي المصري (ت 711هـ/ 1311م) فله

(1) ابن الصلاح، المصدر نفسه ، ص253، السيوطي ، المصدر نفسه، 2/ 225.

(2) البغدادي، الإفادة والاعتبار، ص29 (مقدمة المحقق)، الأسنوي، طبقات الشافعية، 1/ 131، خليفة، كشف الظنون، 2/ 70.

(3) ابن الصلاح، علوم الحديث، ص15، الذهبي، العبر، 3/ 247، ابن حجر العسقلاني، فتح المنان بمقدمة لسان الميزان (بيروت: 1995)، ص390.

(4) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، 1/ 95، ابن كثير، البداية، 13/ 213، اليافعي، مرآة الجنان، 4/ 16؛ ابن العماد، شذرات الذهب، 5/ 274.

(5) اليونيني، المصدر السابق ، 1/ 249، ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم، ص132، الذهبي، العبر، 3/ 281، ابن كثير، المصدر نفسه ، 13/ 212، خليفة، كشف، 1/ 441.

(6) السبكي، طبقات الشافعية، 8/ 248.

(7) المنذري، التكملة، 3/ 264، الذهبي، تاريخ الإسلام، ص295.

(8) الغبريني، عنوان الدراية، ص164.

كتاب "**شرح سنن أبي داود**"[1].

من جهة أخرى عمد البعض إلى الجمع بين مصادر الحديث أو الاستدراك عليها أو استخراج بعض الفوائد من ذلك ما قام به المحدث احمد بن محمد الأموي الأندلسي (ت637هـ/ 1239م) الذي صنف كتاب "**المعلم بما زاد البخاري على مسلم**"[2] كما قام المنذري بالجمع بين الصحيحين[3]، ولمحي الدين ابن عربي المتصوف كتاب "**المصباح المنير في الجمع بين الصحاح**" في اثنين وأربعين جزءا[4].

ومن المحدثين من وقف عند شرح حديث واحد أو عدة أحاديث كما فعل المنذري الذي أخرج جزءا أورد فيه ما ورد من الحديث فيمن غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر[5]، وصنف البعض كتبا في الفضائل فقد وضع المحدث علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر الدمشقي (ت 607هـ/ 1203م) كتاب "**المستقصى في فضائل المسجد الأقصى**" اشتمل على ما جاء في الحديث عن بيت المقدس وله "**فضائل مقام إبراهيم**" و"**فضل عاشوراء والمحرم**" في ثلاثة أجزاء، وكتاب "**فضل المدينة**"[6] وصنف المؤرخ أبو المحاسن بهاء الدين بن شداد في "**فضائل الأعمال**" و"**فضائل الشام**" و"**فضائل القرآن**"[7] وألف الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي (ت 600هـ/ 1203م) عدة كتب في الفضائل منها: "**فضائل رمضان وعشرة ذي الحجة والحج ورجب**"[8].

وقد دفعت الحالة السياسية والصراع مع الصليبين الكثير من المحدثين إلى جمع

---

(1) ابن حجر العسقلاني، فتح المنان، ص396.

(2) المنذري، التكملة، 3/ 530، الذهبي، تذكرة الحفاظ، 4/ 1426، المعين، ص198، ابن العماد، شذرات الذهب، 5/ 184.

(3) الكتبي، فوات الوفيات، 2/ 376؛ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، 1/ 143.

(4) الغبريني، عنوان الدراية، ص164.

(5) السيوطي، تدريب الراوي، 1/ 179 هامش (1)، خليفة، كشف الظنون، 1/ 463.

(6) السبكي، طبقات الشافعية، 8/ 352، النعيمي، الدارس، 1/ 75.

(7) السبكي، المصدر نفسه ، 8/ 361.

(8) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج8،ق2/ 520.

الأحاديث التي تحث على الجهاد من ذلك كتاب "**تحفة الطالبين في الجهاد والمجاهدين**" من تصنيف الحافظ عبد الغني المقدسي[1] وكتاب "**فضائل الجهاد**" لابن شداد صنفه للسلطان صلاح الدين[2] كما صنف الفقيه سعد الدين أبي العوالي كتاب "**سبل الرشاد في فضل الجهاد**" وأهداه للملك الكامل محمد[3].

وسعى الكثير من المحدثين لاسيما أولئك الذين هم من طبقة الفقهاء إلى تصنيف كتب جمعوا فيها الأحاديث التي لها علاقة بالأحكام الشرعية والفقه مثال ذلك كتاب: "**الأحكام على أبواب الفقه**" و"**العمدة في الأحكام مما اتفق عليه البخاري ومسلم**" للحافظ عبد الغني المقدسي[4]، وللمحدث تقي الدين محمد بن مجد الدين القشيري المعروف بابن دقيق العيد (ت702هـ/ 1302م) كتاب "**الإلمام في أحاديث الأحكام**" صنفه في عشرين جزءا جمع فيه متون الأحاديث المتعلقة بالأحكام مجردة من الأسانيد وله كذلك "**الإمام في شرح الإلمام**"[5].

ومن مؤلفات الحديث الأخرى التي درج محدثو مصر على جمعها وتخريجها ما اصطلح على تسميته بـ"**الأربعين حديثا**" وقد اختلفت مقاصدهم في جمعها واختيارها فمنهم من جمع أربعين حديثا قدسيا، ومنهم من جمعها في الأحكام أو في العبادات أو المواعظ ومنهم من قصد إخراج ما صح سنده من الطعن، ومنهم من أحب إخراج ما طال متنه، ومن هذه المصنفات نذكر: "**الأربعين البلدانية**" للحافظ السلفي، وفيها جمع أربعين حديثا عن أربعين شيخا في أربعين مدينة[6]. وللحافظ عبد القادر بن عبد الله

---

(1) سبط بن الجوزي، المصدر نفسه، ج8،ق2/ 520، الذهبي، تذكرة الحفاظ، 4/ 1374.

(2) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص21، الذهبي، تاريخ الإسلام، ص119، خليفة، كشف الظنون، 2/ 254، عبد الله سعيد الغامدي، صلاح الدين والصليبيون (بيروت: 1985)، ص95.

(3) خليفة، كشف الظنون، 2/ 27.

(4) الذهبي، تذكرة الحفاظ، 4/ 1374.

(5) ابن حجر، فتح المنان بمقدمة لسان الميزان (بيروت: 1995)، ص395ـ396، السيوطي، حسن المحاضرة، 1/ 73.

(6) ينظر: معجم السفر، 1/ 83 (مقدمة المحقق)، الذهبي، العبر، 3/ 71، خليفة، كشف، 1/ 105.

الرهاوي (ت 612هـ/ 1215م) كتاب في مجلدين جمع فيه "أربعين حديثا" إسنادا لا يتكرر فيه رجل واحد من أولها إلى آخرها مما سمعه في أربعين مدينة[1]. وكذلك فعل المحدث محمد بن أبي الحسن علي الأنصاري (ت600هـ/ 1203م)[2]، والمحدث وجيه الدين أبو المظفر منصور الهمذاني الإسكندراني (ت 673هـ/ 1274م)[3].

وجمع الحافظ المنذري عدة أربعينات منها: "أربعون حديثا في الأحكام" و"أربعون في فضل اصطناع المعروف بين المسلمين وقضاء حوائجهم" و"أربعون في هداية الإنسان لفضل طاعة الإمام والعدل والإحسان"[4] فضلا عن مؤلفات أخرى في الحديث منها كتاب "الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ويقع في اربع مجلدات"[5]

وللحافظ محي الدين بن شرف النووي (ت 676هـ/ 1277م) "أربعون حديثا شملت على مواضع شتى التزم أن تكون صحيحة معظمها من البخاري ومسلم"[6]، وله رياض الصالحين وكذلك شرح صحيح مسلم بالإضافة إلى غيرها من هذه المصنفات[7].

وكان من عادة المحدثين أو المعنيين بسماعه ودراسته تصنيف مشيخة أو معجم لشيوخهم الذين قرأوا عليهم أو سمعوا منهم وقد اشتملت معاجم بعضهم على ذكر عدد كبير من الشيوخ من ذلك : المشيخة التي أخرجها المحدث محمد بن النجار البغدادي السابق

---

(1) المنذري، التكملة، 2/ 334، الذهبي، تاريخ الإسلام، ص104، ابن حجر، فتح المنان، ص386.

(2) المنذري، التكملة، 2/ 15.

(3) الذهبي، الإعلام بوفيات الأعلام، تحقيق مصطفى بن علي عوض (بيروت: 1993)، 2/ 457، العبر، 3/ 327، اليافعي، مرآة الجنان، 4/ 131، ابن قاضي شهبة، طبقات، 2/ 7ـ8.

(4) الذهبي، العبر، 3/ 281ـ282.

(5) حققه ونشره مصطفى محمد عمارة (القاهرة: 1987).

(6) اليافعي، مرآة الجنان، 4/ 182.

(7) ينظر على سبيل المثال لا الحصر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، 4/ 1444، 1455،1479، الصفدي، الوافي بالوفيات، 1/ 230، أعيان العصر، 3/ 1386، السبكي، طبقات الشافعية، 7/ 128، ابن حجر، فتح المنان، ص386.

ذكره والتي اشتملت على نحو ثلاثة آلاف شيخ سبق أن التقى بهم أثناء رحلته الطويلة[1].

وصنف البعض أكثر من معجم فقد كان للحافظ السلفي ثلاثة معاجم هي "**المشيخة البغدادية**" و"**معجم أصفهان**" في مجلد كبير، ومعجم ثالث لباقي البلاد سماه "**معجم السفر**" وكان يشتمل على ألفي شيخ سبق أن التقى بهم في أماكن مختلفة[2] كما صنف المحدث احمد بن عبد الله الحلواني (ت 666هـ/ 1267م) معجمين أحدهما كبير والآخر صغير[3].

وقلما نعثر على محدث دون أن يخرج لنفسه معجما يذكر فيها شيوخه فعلى سبيل المثال: أخرج الحافظ محمد بن عبد الرحمن التلمساني (ت 610هـ/ 1213م) معجم شيوخه في مجلد كبير[4] كما أخرج المحدث عبد الرحمن بن محمد الإسكندراني المعروف بالجمال الصفراوي (ت 636هـ/ 1238م) لنفسه مشيخه[5]، وذكر الحافظ شمس الدين يوسف بن خليل بن قراجا (ت 648هـ/ 1250م) في معجمه الذي سماه "**الفوائد العوالي الصحاح**" نحو خمسمائة شيخ التقى بهم وأخذ عنهم علم الحديث[6].

وتألف معجم المحدث إسماعيل بن حامد المعروف بشهاب الدين القوصي (ت653هـ/ 1255م) من أربعة مجلدات وسمي بـ"**تاج المعاجم**"[7] كما أخرج الحافظ

(1) الذهبي، العبر، 3/ 247، السبكي، طبقات الشافعية، 8/ 98، ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، 1/ 456، ابن العماد، شذرات الذهب، 5/ 226.

(2) ابن الصلاح، طبقات الشافعية، 1/ 359، الذهبي، سير أعلام، 21/ 28، تذكرة الحفاظ، 4/ 1299، الغساني، العسجد المسبوك، ص182 هامش (المحقق)، ابن قنفذ، الوفيات، ص289، خليفة، كشف الظنون، 2/ 568.

(3) الصفدي، الوافي بالوفيات، 7/ 127، الذهبي، العبر، 3/ 315، ابن العماد، شذرات الذهب، 5/ 322.

(4) الذهبي، تذكرة الحفاظ، 4/ 1395.

(5) المنذري، التكملة، 3/ 503، الذهبي، تذكرة الحفاظ 4/ 1424، ابن العماد، شذرات الذهب، 5/ 180.

(6) المقريزي، السلوك، 1/ 473 هامش (2)، ابن العماد، شذرات الذهب، 5/ 243.

(7) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 23/ 289، ابن كثير، البداية، 13/ 186، السبكي، طبقات الشافعية، 8/ 376، الأسنوي، طبقات الشافعية، 2/ 164، اليافعي، مرآة الجنان، 4/ 100.

المنذري لنفسه معجما في ثمانية عشر جزءا[1] وضمت مشيخته الحافظ شرف الدين الدمياطي نحو ألف وثلاثمائة شيخ التقى بهم أثناء رحلته داخل مصر وخارجها[2].

من جهة أخرى صنف المحدثون في سند الحديث أو ما اصطلح على تسميته بعلم "**دراية الحديث**" أو "**علم أصول الحديث**"[3] وكان الإلمام به يعد نصف العلم لأن الحديث كما هو معروف مكون من قسمين: متن وسند، ويتألف علم دراية الحديث من مجموعة من المباحث المستقلة لعل من أشهرها "**علم الجرح والتعديل**" وهو العلم الذي يبحث عن الرواة من حيث ما ورد في شأنهم مما يشينهم أو يزكيهم بألفاظ مخصوصة[4]. وعليه يتوقف قبول الحديث ورده[5].

وممن صنف فيه الحافظ عبد الغني المقدسي الذي ألف عدة كتب منها: "تهذيب الكمال في معرفة الرجال" و"تبيين الإصابة لأوهام حصلت في معرفة الصحابة"، وله أيضا "تاريخ رجال الصحيحين وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة" في عشرة مجلدات[6].

وللمحدث ابن الصلاح الشهرزوري عدة كتب منها: "**المؤتلف والمختلف في**

(1) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، 1/ 249، الأسنوي، طبقات الشافعية، 2/ 100.

(2) الذهبي، تذكرة الحفاظ، 4/ 1477، الأسنوي، طبقات الشافعية، 1/ 270، ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، 2/ 276، ابن حجر، فتح المنان، ص396.

(3) ويتألف من مجموعة من العلوم والمباحث المستقلة مثل "علم الجرح والتعديل" و"علم رجال الحديث" و"علم مختلف الحديث"، و"علل الحديث"، و"غريب الحديث"، و"منسوخه"، الخ وقد ذكر ابن الصلاح في كتابه علوم الحديث نحو خمسة وستين من تلك العلوم للمزيد ينظر: علوم الحديث لابن الصلاح، صبحي الصالح، علوم الحديث ومصطلحه، ص107ـ112.

(4) خليفة، كشف الظنون، 1/ 458، الصالح، علوم الحديث، ص107.

(5) المرصفي، المستشرقون والسنة، ص43.

(6) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ق1/ 520، ابن كثير، البداية، 13/ 38، ابن حجر، فتح المنان، ص385، خليفة، كشف الظنون، 2/ 430.

أسماء الرجال"[1] وكتاب "**علوم الحديث**" وعرفت (**بمقدمة ابن الصلاح**) ونالت شهرة واسعة وصار أصلا من أصول دراسة هذا العلم اختصرها فيما بعد المحدث المصري ابن دقيق العيد في كتاب سماه: "**الاقتراح في اختصار علوم ابن الصلاح**"[2]. وصنف الحافظ وجيه الدين أبو المظفر منصور الإسكندراني كتاب "**ذيل التقييد لمعرفة رواة السنن والأحاديث**" لابن نقطة الحنبلي[3]، كما صنف آخرون في "**علم غريب الحديث**"[4] مثال ذلك كتاب "**غريب الحديث**" للمحدث محمد بن علي الدهان (ت590هـ/ 1193م)[5] وللموفق البغدادي كتاب "**غريب الحديث الكبير**" في ثلاثة مجلدات عمد بعد حين إلى اختصاره في كتاب دعاه "**المجرد**"[6].

كما ظهرت مصنفات في "**علم علل الحديث**"[7] وتداول المحدثون الكتب المشهورة في ذلك مثل كتاب "**العلل**" لاحمد بن محمد الخلال (ت 311هـ/ 923م) حيث قام موفق

---

(1) ابن الصلاح، علوم الحديث، ص15، طبقات الشافعية، 1/ 46 (مقدمة المحقق)، الذهبي، العبر 3/ 205، تاريخ الإسلام، ص344.

(2) كما اختصره فيما بعد ابن كثير الدمشقي واستدرك عليها استدراكات مفيدة في كتاب سماه: (**اختصار علوم الحديث**)، الأسنوي، طبقات الشافعية، 2/ 102، ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، 2/ 86، ابن حجر، فتح المنان، ص395.

(3) الذهبي، العبر، 3/ 327، خليفة، كشف الظنون، 3/ 344.

(4) **علم غريب الحديث**: وهو الذي يبحث في الأحاديث ذات المعاني الغامضة أو ما كان المراد منها بعيدا غير واضحا للقارئ العادي فيشرح تلك المعاني الغامضة ويفسرها ويكشف عما ينطوي فيها من المعاني والأحكام. ينظر: السيوطي، تدريب الراوي، 2/ 266، الصالح، علوم الحديث، ص111.

(5) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص659، الذهبي، العبر، 3/ 103.

(6) البغدادي، الإفادة والاعتبار، ص17 (مقدمة المحقق)، القفطي، أنباء الرواة، 2/ 194، الأسنوي، طبقات الشافعية، 1/ 131.

(7) علم علل الحديث: وهو الذي يبحث عن الأسباب الخفية الغامضة من حيث أنها تقدح في صحة الحديث كوصل منقطع ورفع موقوف، وإدخال حديث في حديث وما شابه ذلك. ينظر: صبحي الصالح، علوم الحديث، ص110-111، الكروي، المرجع، ص232.

الدين عبد الله بن احمد المقدسي (ت 620هـ/ 1223م) باختصاره في مجلد صغير[1].

ج ـ مجالس إملاء الحديث:

مما سبق يتضح الدور الريادي الذي اضطلعت به مصر في مجال علم الحديث فقد نزلها عدد كبير من مشاهير محدثي ذلك العصر من مختلف أرجاء العالم الإسلامي، ولم يقتصر نشاطهم على تلقي هذا العلم أو مجرد التأليف فيه وحسب بل حرص الكثير منهم على الإفادة من خلال عقد مجالس لرواية الحديث وإملائه في حلقات الدرس التي كانت تعقد في المساجد والمدارس وبيوت العلماء وغيرها من الأماكن وتحضرها أعداد كبيرة من الطلبة من مختلف الفئات والأعمار حيث لم يرد في المصادر بشأنهم قيود تحد من أعمارهم لذا ارتادها الصبيان والشبان والشيوخ كما ارتادها المقيمون في البلد وكذلك الغرباء[2].

ومن أبرز العلماء الذين تصدروا مجالس رواية الحديث نذكر الحافظ أبا طاهر السلفي فقد واظب على نشر الحديث في الإسكندرية منذ أن حل بها سنة 511هـ/ 1117م حتى وفاته سنة 576هـ/ 1180م ومما يدل على فضله في علم الحديث ما أورده الذهبي أن: "**الحديث ما زال بالإسكندرية قليلا حتى سكنها السلفي فصارت مرحولا إليها في الحديث والقراءات**"[3].

وجاء عن السلفي في حثه على إملاء الحديث وحضور مجالسه قوله:

واظب على كتب الأمالي جاهدا ... من السن الحفاظ والفضلاء

فاجل أنواع السماع بأسرها ... ما يكتب الإسناد في الإملاء[4]

(1) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، 2/ 139، بدوي، الحياة العقلية، ص177.

(2) ذكر السمعاني أن بعض مجالس الحديث كان يحضرها أعداد من الطلبة يربو عددهم على عشرين ألفا أو يزيد ، ورغم أن هذا العدد فيه مبالغة واضحة إذ ليس هناك مجلس يتسع لعشرين الفا إلا أن ذلك يدل على الإقبال الكبير للطلبة على مجالس الحديث. ينظر: أدب الإملاء والاستملاء، ص16ـ18.

(3) ينظر: الأمصار ذوات الآثار، ص170ـ171، السخاوي، الإعلان بالتوبيخ، ص38.

(4) السمعاني، أدب الإملاء، ص12.

ومن اشتهر بمجالس إملائه بمصر نذكر أيضا: المحدث الفقيه تاج الدين أبا عبد الله محمد بن عبد الرحمن المسعودي الخراساني (ت 584هـ/ 1188م)[1] والمحدث أبو الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب الحراني (ت 596هـ/ 1199م) وإليه انتهى علو الإسناد وكان حسب إشارة المصادر محبا لرواية الحديث دخل مصر مع أبيه وسكن دمياط وكانت له بها مجالس لرواية الحديث وإملائه[2].

واشتهر الحافظ الكبير عبد الغني المقدسي بمجالس الحديث التي كان يعقدها بمصر كل يوم جمعة حيث كان يكتظ مجلسه بالخلق سيما من طلبة الحديث فقد "**انتهى إليه حفظ الحديث متنا وإسنادا ومعرفة**"[3] وذكر المنذري أنه حضر العديد من تلك الدروس وحصل منه على إجازة سنة 596هـ/ 1199م[4].

ولم يكن يشترط عقد مجالس الحديث في المساجد بل ربما يتم عقدها في بيوت العلماء فعلى سبيل المثال كان المحدث أبو عمران موسى بن أبي الحسن علي الإسكندراني (ت626هـ/ 1228م) يعقد دروس الحديث في بيته حيث يجتمع عنده أهل الحديث من أهل البلد والقادمين إليها وكان "**يرغب الحضور في سماع الحديث ويحثهم عليه**"[5]. ومما قيل عن هؤلاء المحدثين ينسحب على غيرهم[6].

وجرت العادة في مجالس الحديث أن يتلو المحدث أو مملي الحديث على طلبته مرات عديدة حتى يحفظوه ثم يحول التلقين إلى الإملاء حيث يكتب الحاضرون ما يلقى عليهم ولا يشترط أن يكون الإلقاء والإملاء في جلسة واحدة أو في يوم واحد،

---

(1) المنذري، التكملة، 1/ 86، الذهبي، العبر، 3/ 88، ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، 10/ 370.

(2) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 21/ 258ـ259.

(3) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ق2/ 522، ابن كثير، البداية، 13/ 39، اليافعي، مرآة الجنان، 3/ 378.

(4) التكملة لوفيات النقلة، 2/ 19.

(5) المنذري، المصدر نفسه ، 3/ 245، الذهبي، تاريخ الإسلام، ص234.

(6) ينظر على سبيل المثال: المنذري، التكملة، 3/ 383، أبو شامة، الذيل، ص95، ابن المستوفي، تاريخ أربل، ق1/ 293، الذهبي، سير أعلام النبلاء، 22/ 379، ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، مج5، ج1/ 159.

فقد درج بعض المحدثين على أن يجعلوا في كل أسبوع يوما للإملاء وبقية الأيام للقراءة[1].

والعلة في إملاء الحديث يعود إلى التحرج من الرواية عن النبي ﷺ حفظا خشية التحريف أو النسيان[2]، لاسيما وأن هناك الكثير من الأحاديث التي تعددت رواياتها بألفاظ متقاربة مع دنو في المعنى لذلك أوصى العلماء بضرورة اهتمام طلبة الحديث بإملاء ما يسمعونه أو يتلقونه[3].

وقد يكون الإملاء من كتاب يقرأ فيه المملي أو من حفظه وربما وضع بعضهم الكتاب أمامه للرجوع إليه في حال السهو أو النسيان.

ونظرا لأهمية تلك المجالس فقد كانت هناك جملة آداب وتقاليد متعارفة كان يتوجب على المحدث المملي، وكذلك الحضور أن يلتزموا بها فعلى سبيل المثال كان يتوجب على المملي أن يعين لتلاميذه موعد انعقاد الدرس لئلا ينقطعوا عن أشغالهم ويستعدوا له ولا يخلفوا موعده[4]، وكان على الطلبة أن يبكروا في الحضور - قبل مجيء المحدث - وأن يصطحبوا معهم أدواتهم المتمثلة في المحبرة والقلم والسكين لقطه والورق والمنشفة وعند الحضور عليهم الجلوس في حلقات متتابعة على بساط أو حصير مد لهم[5]. مراعين حسن الاستماع والإصغاء والمبالغة في تحسين الخط[6]. كما عليهم المبالغة في احترام المملي وتبجيله والتواضع له وما إلى ذلك[7].

وكان للمملي مساعد أو أكثر يدعى "**المستملي**" وهو الذي يقوم بالتبليغ عنه لمن بعد عن المجلس - لذلك كان يشترط في اختياره أن يكون جهوري الصوت "**من أفصح**

(1) الباز العريني، الشرق الأدنى، ص223.

(2) السمعاني، أدب الإملاء، ص46.

(3) السمعاني، المصدر نفسه ، ص11.

(4) السمعاني، أدب الإملاء، ص138.

(5) السمعاني، المصدر نفسه، ص111 وما بعدها.

(6) السمعاني، المصدر نفسه، ص165.

(7) السمعاني، المصدر نفسه، ص108 وما بعدها.

الحاضرين لسانا وأوضحهم بيانا وأحسنهم عبارة وأجودهم أداء غير مغفل ولا بليد لأنه إن لم يكن كذلك لم يؤمن عليه من الخطأ[1].

وكان على المحدث المملي أن يكون حسن المظهر والثياب، وقورا هادئا، حسن الخلق مع طلابه، مقتصدا في مشيته، يبتدئ من يقابله بالسلام، ويمنع من يجتاز بهم من الحضور من القيام له فإذا انتهى إلى صدر المجلس صلى ركعتين ثم جلس في مكان مرتفع على كرسي أو منبر ونحوهما، وإلا فقائما على قدميه حتى يبدو للجماعة وجهه ويبلغهم صوته[2].

ويبتدئ الدرس عادة بقراءة أحد الحضور لسور من القرآن ثم يستفتح المملي مجلسه بالبسملة وما يقترن بها من عبارات الحمد والصلاة على النبي ﷺ[3]، وكان من آداب المجلس أيضا أن لا يطول دفعا للمشقة والملل أو الفتور لدى الطلبة[4]، وربما تخلل الدرس أو تلاه تبادل الأسئلة كأن يسأل المحدث تلاميذه عن معاني الألفاظ والمصطلحات والعبارات، وأحيانا يقوم الطلبة بمناقشة المدرس فيما ألقاه عليهم[5].

وكان على المملي بعد إنجاز الدرس أن يقابل نسخ الطلاب على الأصل المخرج لديه قصدا للغاية في الإتقان[6]. وعادة ما كانت تلك المجالس تختتم بالإنشادات الشعرية أو بعض الحكايات والنوادر التي قصد منها ترويح القلوب وابتغاء الحكمة[7]، ويلاحظ أن تلك المجالس وإن كان موضوعها الأساس هو الحديث النبوي إلا أنها أضحت في كثير من الأحيان بمثابة مجالس عامة لعموم

(1) السمعاني، المصدر نفسه ، ص93.

(2) السيوطي، تدريب الراوي، 2/ 188.

(3) السمعاني، المصدر السابق ، ص51.

(4)المصدر نفسه ، ص66.

(5) السمعاني، المصدر نفسه ، ص61.

(6)المصدر نفسه ، ص77، السيوطي، تدريب الراوي، 2/ 204.

(7)المصدر السابق ، ص68، السيوطي، المصدر نفسه ، 2/ 204.

نفعها وتعدد مباحثها بين فقه ولغة وأدب وتاريخ وما إلى ذلك. وكان لها أثر في إثراء الحياة الفكرية.

ثالثا: علم الفقه

الفقه لغة ـ عبارة عن فهم غرض المتكلم من كلامه[1]، وفي **الاصطلاح** هو العلم بالأحكام الشرعية المستنبطة من أدلتها التفصيلية ـ القرآن والسنة ـ وقيل هو الإصابة والوقوف على المعنى الخفي الذي يتعلق بالحكم، وهو علم مستنبط بالرأي والاجتهاد ويحتاج فيه إلى النظر والتأويل[2]. وقد أطلق عليه الإمام الغزالي (ت 555هـ/ 1160م) **بعلم الحلال والحرام**[3]، ويتناول علم الفقه جميع المسائل التي تواجه المسلم في حياته الدينية والاجتماعية والاقتصادية ويضع القواعد التي تنظم حياته[4].

لقد ظهرت الحاجة إلى الفقه بعد وفاة الرسول ﷺ ثم تطور في القرنين الثاني والثالث للهجرة واقترن ذلك التطور بظهور المذاهب الأربعة ـ المالكي والحنفي والشافعي والحنبلي.

ومن خلال تتبع الحركة الفقهية في مصر يظهر أن المذهب المالكي سبق غيره من المذاهب في الوصول إلى مصر وتركز وجوده في مدينة الإسكندرية التي **"كان أكثر أهلها مالكي المذهب"**[5] وأول من قام بنشره في مصر الفقيه عبد الرحيم بن خالد بن يزيد (ت163هـ/ 779م)[6]، ثم أعقب ذلك انتشار المذهب الشافعي وذلك بمجيء الإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت 204هـ/ 819م) الذي نزل مصر سنة 198هـ/ 813م

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، 2/ 1119، نديم مرعشلي، الصحاح في اللغة والعلوم، (بيروت: د/ ت)، ص254ـ255، فرشوخ، المدخل لدراسة علم القرآن، ص182.

(2) الجرجاني، التعريفات، ص216، ابن خلدون، المقدمة، ص563، خليفة كشف الظنون، 2/ 58.

(3) إحياء علوم الدين، ج1/ 20.

(4) جولد تسهير، العقيدة والشريعة، ص56؛ الكروي، المرجع، ص234.

(5) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص85.

(6) رمضان، المجتمع في مصر الإسلامية، 2/ 155.

وبدأ يلقي فقهه في المسجد الجامع بالفسطاط فأقبل عليه المصريون وأصبحت مصر من حينها المركز الحقيقي لهذا المذهب وله قصب السبق فيها[1].

أما المذهب الحنفي فكان يأتي في المرتبة الثالثة من حيث الانتشار ولم يكن لـه أتباع كثيرون في البلاد على عكس بلاد الشام حيث نافس المذهب الشافعي، وكان لجهود السلطة السلجوقية و الزنكية لاسيما جهود السلطان نور الدين محمود دور في بروز المذهب الحنفي فقد كان حنفيا عمل على نشره من خلال بناء المدارس في دمشق وحلب وحمص وغيرها من المدن الشامية[2]، فانتقل إليها الكثير من فقهاء الحنفية من بلاد المشرق والعراق ومنها دخل بلاد مصر. ويبدو أن الحقبة الوجيزة التي انتعش فيها المذهب الحنفي في مصر هي تلك المحصورة بحكم الدولة الأخشيدية (333ـ358هـ/ 944ـ968م) التي كان حكامها يميلون إليه دون بقية المذاهب لكونهم اتراك[3].

ويلي المذهب الحنفي من حيث الانتشار، المذهب الحنبلي الذي لم يظهر في مصر إلا متأخرا حسب رواية المؤرخ جلال الدين السيوطي الذي ذكر أنه لم يسمع بخبرهم في مصر إلا في القرن (7هـ/ 13م) وما بعده وذلك أن الإمام احمد بن حنبل قد ظهر في القرن (3هـ/ 9م) ولم يبرز مذهبه خارج العراق إلا في القرن (4هـ/ 10م) ، وفي ذلك القرن ملك الفاطميون مصر وعملوا على نشر المذهب الاسماعيلي وعندما أزيلت دولتهم في القرن (6هـ/ 12م) رجع إليها الأئمة من سائر المذاهب السنية[4].

وعلى الرغم من وسائل الترغيب والترهيب التي مارسها الفاطميون لإشاعة فكرهم بين المصريين وإقصائهم للقضاة السنة[5] إلا أن محاولاتهم باءت بالفشل وبقي المذهب الفاطمي محصورا في الطبقة الحاكمة ومن والاها أو ارتبط بها في المصالح، أما

(1) ابن الصلاح، طبقات الشافعية، 1/ 12 (المحقق)؛ السبكي، طبقات الشافعية، 1/ 326.

(2) ابن واصل، مفرج الكروب، 1/ 282.

(3)حمزة، الحركة الفكرية، ص196.

(4) حسن المحاضرة، 1/ 100ـ101.

(5) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 7/ 22.

عامة المصريين فبقوا على الشافعية والمالكية[1]، وبمجرد زوال الدولة الفاطمية زال كذلك مذهبهم الفقهي وذلك لسبب بسيط وهو ان كل شيء يفرض بالقوة يتركه الناس بسهولة ، وازداد تعلق المصريين بالمذهب الشافعي بعد أن أصبح المذهب الرسمي للدولة الأيوبية، والتي عملت على نشره في مصر مع المذاهب السنية الأخرى ولتحقيق ذلك عمد السلطان صلاح الدين بعد أن آل إليه الأمر على اتخاذ إجراءات وأساليب متنوعة منها ما هو عسكري، ومنها ما هو سياسي ومن بين تلك الإجراءات حظره للمذهب الفاطمي الاسماعيلي وملاحقة بقايا أتباعه ومحو آثارهم من البلاد[2]. ومن إجراءاته أيضا قيامه سنة 566هـ/ 1170م بعزل وإقصاء القضاة الفاطميين كلهم وتفويض القضاء إلى فقهاء السنة الشافعية ووكل لهذا الغرض بمنصب قاضي القضاة بمصر إلى الفقيه الكوردي عبد الملك بن درباس الماراني (ت 605هـ/ 1208م)[3] ولاشك أن تنصيب قاضي قضاة سني مع وجود الخليفة الفاطمي إجراء له دلالته الواضحة.

ومن أساليب صلاح الدين السياسية في محاربة الفكر الاسماعيلي هو أن اتجه إلى عقول الناس فعمل على إنشاء المدارس الفقهية التي تدرس مذاهب أهل السنة ولاسيما المذهب الشافعي. أما أساليبه العسكرية فتمثلت بقمعه للحركات والمؤامرات التي استهدفت القضاء عليه وعلى أنصاره وإعادة الخلافة الفاطمية مثل حركة مؤتمن الخلافة سنة 564هـ/ 1168م[4]، ومؤامرة عمارة اليمني سنة 569هـ/ 1173م[5]، وثورة

(1) نيوباي، صلاح الدين وعصره، ص71؛ شاكر مصطفى، المدن في الإسلام (الكويت: 1988)، 2/ 248.

(2) ابن الأثير، الباهر، ص156ـ157؛ الداوداري، كنز الدرر، 7/ 49؛ القرماني، أخبار الدول، ص194.

(3) البنداري، سنا البرق الشامي، ق1/ 107ـ108؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج27، ورقة55؛ الحنبلي، شفاء القلوب،ص74 ، الدوسكي ، تجريد الموضوعات ، ص89.

(4) كان مؤتمن الخلافة من أكبر شخصيات القصر الفاطمي عمل على تدبير مؤامرة في بداية تولي صلاح الدين الوزارة المصرية إلا أن صلاح الدين علم بذلك وتمكن من قتله كما قضى على أتباعه الذين ثاروا سنة 564هـ/ 1169م. للمزيد ينظر: ابن الأثير، الكامل، 11/ 246ـ247، أبو شامة، الروضتين، 1/ 178، أبو الفداء، المختصر، 2/ 124،الداوداري، كنز الدرر، 4/ 44.

(5) وضع رؤوس هذه المؤامرة ومنهم عمارة اليمني خطة محكمة استهدفت القضاء على صلاح الدين وإعادة

كنز الدولة سنة 570هـ/ 1174م[1]. ويبدو أن سبب ترويج صلاح الدين للمذهب الشافعي يعود كونه مذهبا وسطا بين العقل والنقل ، كما أن الإمام الشافعي قرشي يفضل فقه أهل المدينة وكان على صلة بكثير من أهل البيت لذلك فإن حلول ذلك المذهب في مصر لا يقوم عليه اعتراض كبير ، كما أن المذهب الشافعي أقرب إلى خلق صلاح الدين وطريقته إذ يستند المذهب على القرآن والحديث الصحيح.

كما أن الشافعي هو تلميذ لمالك ابن أنس، أما أحمد بن حنبل فالشافعي أستاذه فهو وسط بين الرجلين والمذهبين لذلك مال إليه صلاح الدين وربما اتخذه كذلك ليختلف به عن مذهب السلاجقة والزنكيين ـ الحنفية[2].

ومن المفيد الإشارة إلى أن صلاح الدين والأيوبيين عموما كانوا شوافع ولكنهم لم يكونوا متعصبين لمذهبهم بل سمحوا للمذاهب السنية الأخرى أن تسير بجانب المذهب الشافعي فهم لم يتعصبوا بحيث يلغون ما عداه، ولكنهم تعصبوا له كي يسود، لذلك كانت سياستهم تقوم على استقطاب جميع أهل السنة من أجل خلق جبهة موحدة[3].

وما يؤكد ذلك أن صلاح الدين أوقف إحدى مدارسه بالقاهرة ـ المدرسة السيوفية ـ على فقهاء الحنفية، كما أوقف مدرسة أخرى ـ المدرسة القمحية بالفسطاط ـ على فقهاء المالكية، وأوقف الأمير تقي الدين عمر ابن أخ صلاح الدين إحدى

الخلافة الفاطمية وذلك بالتعاون مع الصليبيين ولكن صلاح الدين علم بمؤامرتهم قبل تنفيذها وقبض على مدبريها واعدمهم ويرجع الفضل في كشف هذه المؤامرة إلى الفقيه الواعظ الحنبلي ابن نجية الواعظ. للمزيد ينظر: البنداري، سنا البرق، ق1/ 148ـ149؛ أبو شامة، الروضتين، 2/ 220، أبو الفداء المختصر، 2/ 133، الذهبي، العبر، 3/ 58؛ الداوداري، كنز الدرر، 2/ 557.

(1) كان كنز الدولة واليا على أسوان وتمكن من بسط سيطرته على أغلب صعيد مصر وأعلن تمرده على صلاح الدين وذلك بهدف إرجاء الخلافة الفاطمية ولكن ثورته سحقت بشدة على يد الجيش الأيوبي الذي أرسله صلاح الدين بقيادة أخيه العادل. للمزيد ينظر: البنداري، سنا البرق، 1/ 175ـ176، أبو الفداء، المختصر، 2/ 135؛ الداوداري، كنز الدرر، 7/ 58، المقريزي، السلوك، 1/ 167.

(2) سيد الأهل، صلاح الدين، ص134ـ135.

(3) غرايبة، جهود صلاح الدين، ص134ـ135.

مدارسه بالفيوم على المالكية، وكانت المدرسة الفاضلية ـ نسبة إلى القاضي الفاضل ـ من المدارس الثنائية التي يدرس فيها الفقهان الشافعي والمالكي جنبا إلى جنب، أما المدرسة الصالحية التي أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب، فقد كانت بمثابة جامعة تدرس فيها المذاهب السنية الأربعة[1].

وبشكل عام فقد ساد جو من الوئام والتعاون والتسامح بين أصحاب المذاهب السنية لاسيما المذهبين الشافعي والمالكي إذ من المعروف أن المذاهب الإسلامية ليست فرقا منشقة وإنما هي جميعا تسير في دائرة الإسلام التقليدي وليست بخارجة عن أصول الدين[2] لذلك نجد انتقال الكثير من الفقهاء من مذهب إلى آخر دون حرج مثال ذلك: الفقيه المبارك بن أبو بكر الواسطي المعروف بالوجيه النحوي (ت 612هـ/ 1221م) كان حنبليا في بداية أمره ثم انتقل إلى المذهب الحنفي ثم إلى المذهب الشافعي[3]. وكذلك الفقيه العلامة أبو الحسن سيف الدين الأمدي وكان أول أمره حنبليا ثم انتقل إلى المذهب الشافعي[4] وهكذا الحال بالنسبة لآخرين غيرهم[5].

من جهة أخرى علينا أن لا ننكر أنه حدث في مصر كغيرها من البلاد الإسلامية حالات من التصدع والانشقاق والفتن بين أصحاب المذاهب سيما بين أولئك المتشددين من الشافعية والحنابلة وذلك بسبب المصالح والتنافس بين العلماء والتي كانت تتستر في الغالب بلباس الدين. على أن الفتن المذهبية التي ظهرت في مصر خلال ذلك العصر لم تكن كبيرة بالمستوى الذي يمكن مقارنته مع تلك التي حدثت في مناطق أخرى كبلاد الشام مثلا والتي خلفت الكثير من النتائج السلبية على البلاد

---

(1) عن هذه المدارس وغيرها ينظر فص5، المبحث 2.

(2) موسى، تاريخ الفقه الإسلامي، 3/ 58، جورج ديموبين، النظم الإسلامية، ترجمة: صالح الشماع وفيصل السامر (بغداد: 1952)، ص91.

(3) أبو شامة، الذيل، ص90ـ91.

(4) اليافعي، مرآة الجنان، 4/ 59.

(5) المنذري، التكملة، 3/ 530، الذهبي، العبر، 4/ 155، اليافعي، مرآة الجنان، 4/ 18، رمضان، المجتمع في مصر الإسلامية، 2/ 165.

والعباد معا[1].

ومما لاشك فيه أن موقف الأيوبيين الواضح من الإسلام كان له دور إيجابي في التخفيف من حدة التعصب المذهبي في كثير من الأحيان فعلى سبيل المثال عندما وقعت الفتنة بين أصحاب المذهبين الشافعي والحنبلي بدمشق في عهد الملك الأشرف موسى (ت635هـ/ 1237م) كتب الفقيه عز الدين بن عبد السلام إليه يحرضه على الحنابلة إلا أن الملك الأشرف كتب إليه يقول: "**يا عز الدين الفتنة نائمة لعن الله مثيرها!؟**"[2].

ويذكر أن صلاح الدين بسياسته الحكيمة قطع جذور الخلافات بين أصحاب المذاهب المختلفة ، لكن بعد وفاته عادت الخلافات المذهبية الداخلية إلى الظهور بين الحين والآخر.

وحدث في بعض الحالات أن وقفت الدولة بجانب أنصار مذهبها كما فعل الملك العزيز عثمان الذي هم سنة 595هـ/ 1198م بإخراج الحنابلة من مصر، كما كتب إلى أخوته بإخراجهم من البلاد وذلك بسبب كثرة خلافاتهم مع الشافعية[3].

ويمكن القول أن غالبية النزاعات المذهبية في مصر قد انحصرت بين الفقهاء المتشددين من المذهبين الشافعي والحنبلي على وجه الخصوص والسبب في ذلك يعود إلى أن اكثر الشافعيين كانوا أشعريي العقيدة ، والحنابلة يرفضون علم الكلام ويهتمون بظواهر النصوص من القرآن والسنة ، مثال ذلك ما كان يجري من سجالات وتلاسن وسباب بين الفقيه زين الدين علي بن إبراهيم المعروف بابن نجية الواعظ وغريمه الفقيه شهاب الدين محمد بن محمود الطوسي الشافعي وكان كلاهما واعظا متشددا في مذهبه ولكل منهما أنصاره[4].

(1) ينظر على سبيل المثال: ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص301، ابن العديم، زبدة الحلب، ص340، 363،398، الداوداري، كنز الدرر، 6/ 272،319.

(2) ابن واصل، مفرج الكروب، 5/ 142.

(3) الذهبي، العبر، 3/ 11، ابن كثير، البداية والنهاية، 13/ 18.

(4) أبو شامة، الذيل، ص18ـ19، الذهبي، سير أعلام النبلاء، 21/ 387ـ388.

كما عرف عن الفقيه نجم الدين الخبوشاني بأنه كان متشددا في مذهبه الشافعي حدثت بينه وبين الحنابلة بمصر الكثير من الفتن[1].

إن ظهور بعض الفتن المذهبية لا يمنع من القول أن التعصب المذهبي قد ضعفت حدته خلال ذلك العصر وذلك بفعل المرونة والتسامح التي أبداها الأيوبيون تجاه المذاهب الإسلامية والفرق والأديان المختلفة[2].

وكان فقهاء المذاهب السنية في مقدمة من أفادوا من ذلك التسامح وأصبح الفقهاء يحظون باحترام العامة باعتبارهم "**علماء الدنيا**"[3] ومثلوا الحياة الدينية وعليهم مدار الفتوى فكان من نتيجة ذلك أن ظهر جيل من الفقهاء الذين تعمقوا في الدين نتيجة تعقد الحياة وضروراتها وتحدياتها، وكانوا في غالبيتهم "**موسوعيين**" في ثقافتهم أحاطوا بأكثر من علم لاسيما علوم القرآن والحديث باعتبارهما علمان أساسيان لاستنباط الأحكام الشرعية منهما.

ولما كان الفقه الإسلامي يمثل مصدر التشريع فقد حظي باهتمام ورعاية الجهات الرسمية وكان عليه اعتماد السلاطين فيما يصدرونه من الأحكام، وكان على السلاطين الأيوبيين إذا ما أرادوا أن يصدروا حكما ما أن يظفروا أولا بموافقة ورضا الفقهاء عليه فعلى سبيل المثال عندما أراد الملك العادل أبو بكر أن يظفر بحكم البلاد بعد وفاة ابن أخيه الملك العزيز عثمان سنة 595هـ/ 1198م وتولي ابنه الملك المنصور ناصر الدين محمد جمع الفقهاء واستفتاهم في صحة حكم ابن أخيه فأجمع الفقهاء بأن ولايته لا تصح لأن العادل متول عليه وعند ذلك طلب العادل من الأمراء ودعاهم إلى مبايعته وقال لهم: "**قد سمعتم ما أفتى به العلماء وقد علمتم أن ثغور المسلمين لا يحفظها الأطفال الصغار وإنما يحفظها الملوك الكبار فأذعنوا عندها وبايعوه**"[4].

(1) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ق1/ 414؛ ابن واصل، مفرج الكروب، 2/ 55؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 6/ 115.

(2) للتفاصيل ينظر: فص1، المبحث5، ص57ـ64.

(3) الغزالي، إحياء علوم الدين، 1/ 22.

(4) ابن كثير، البداية والنهاية، 13/ 22.

ويذكر أن غالبية الفقهاء الذين ظهروا في مصر خلال العصر الأيوبي والعصر الذي تلاه كانوا ممن قيدوا اجتهاداتهم في دائرة المذهب الذي اختاروه لأنفسهم ممن يمكن تسميتهم بـ"**مجتهدي المذهب**" كما ظهرت فئة ثانية دون ذلك يمكن تسميتهم بـ"**مجتهدي الفتيا**" وهم الذين يكتفون في العادة بأن ينقلوا كل ما استنبطه مجتهدوا المذهب ثم يقوموا بترجيح ما اختاروه من الخلاف بالحجج التي يصلون إليها[(1)].

كما ظهرت فئة ثالثة دون ذلك امتنعت عن الفتيا واكتفت بدراسة الأصول الفقهية وحضور مجالس الفقه التي كانت تحظى بالأولوية في المساجد والمدارس[(2)].

ولعل من المفيد الإشارة إلى أمهات الكتب الفقهية التي عني بها طلاب الفقه في مصر بدراستها وحفظها وكذلك تدريسها وفي مقدمتها كتب الإمام الشافعي وهي كثيرة وضع معظمها عندما كان بمصر ومن أشهرها كتاب "**الأم**" والذي تعرض الفقهاء له بالشرح والاختصار من ذلك المختصر الذي وضعه الفقيه يونس بن بدران المعروف بالجمال المصري (ت623هـ/ 1226م)[(3)].

ومن مؤلفات الإمام الشافعي الأخرى التي كانت مدار الدراسة والبحث كتاب "**الإملاء الصغير**" و "**الأمالي الكبرى**" و"**الرسالة**" و"**السنن**" وغيرها[(4)].

ومن مصنفات الفقه الشافعي نذكر أيضا كتاب "**المختصر الكبير**" من تصنيف الفقيه يونس بن يحيى البويطي (ت 231هـ/ 845م) وهو من أصحاب الشافعي وخليفته في حلقته من بعده[(5)]. كما اشتهرت كتب الفقيه إسماعيل بن يحيى المزني

---

(1) حمزة، الحركة الفكرية، ص196.

(2) الذهبي، العبر، 3/ 170، ابن العماد، شذرات الذهب، 5/ 69.

(3) الذهبي، المصدر نفسه ، 3/ 192؛ ابن كثير، البداية، 13/ 114؛ السبكي، طبقات الشافعية، 8/ 166؛ السيوطي، حسن المحاضرة، 1/ 87.

(4) عن هذه المؤلفات وغيرها ينظر: الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص97، ابن خلكان، وفيات الأعيان، 4/ 163ـ164؛ رمضان، المجتمع الإسلامي، 2/ 160ـ161.

(5) ابن خلكان، المصدر نفسه ، 7/ 61ـ64؛ اليافعي، مرآة الجنان، 2/ 101ـ102؛ الحسيني، المصدر نفسه ؛ تحقيق: عادل نويهض (بيروت: 1979)، ص16ـ18.

(ت 264هـ/ 877م) وكان إمام الشافعيين في زمانه وأعرفهم بفقه الشافعي وفتاويه، صنف كتبا كثيرة في الفقه الشافعي منها: "**الجامع الكبير**" و"**الجامع الصغير**" و"**مختصر المزني**"[1].

واشتهرت كذلك مؤلفات الفقيه أبي أسحق إبراهيم الشيرازي (ت 476هـ/ 1083م) ـ مدرس المدرسة النظامية ببغداد ـ لاسيما كتابه "**التنبيه**" حيث عني طلبة الفقه بحفظه[2]، وله شروح وتعليقات كثيرة من قبل العلماء منها على سبيل المثال: الشرح الذي قدمه الفقيه عثمان بن عيسى الماراني (ت 622هـ/ 1225م)[3] وكذلك شرحه الفقيه الحافظ المنذري[4]، كما صنف الفقيه احمد بن عبد الرحمن الدشناوي (ت 677هـ/ 1278م) شرحا عليه وصل فيه إلى باب الصيام[5] . بالإضافة إلى غيرها من الشروح والتعليقات[6] .

وللفقيه الشيرازي أيضا كتاب "**المهذب**" الذي فرغ من تأليفه سنة 459هـ/ 1066م وكان موضع عناية الفقهاء الذين جاءوا من بعده، وذكر اليافعي عن المحدث الفقيه أبي عمرو عثمان المعروف بابن الصلاح الشهرزوري أنه قرأ جميع ذلك الكتاب على والده قبل أن يبلغ سن الرشد[7]، وممن تصدى لشرحه الفقيه أبو اسحق إبراهيم بن منصور

---

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان: 1/ 217، الحسيني، طبقات الشافعية، ص20ـ21، كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة: عبد الحليم النجار (القاهرة: 1969)، 3/ 298.

(2) أبو شامة، الذيل، ص186؛ ابن تغري بردي، النجوم، 8/ 18؛ السبكي، طبقات الشافعية، 8/ 46؛ 368.

(3) ابن كثير، البداية والنهاية، 13/ 110.

(4) السبكي، طبقات الشافعية، 8/ 79، الأسنوي، طبقات الشافعية، 2/ 99، السيوطي، حسن المحاضرة، 1/ 79، خليفة، كشف الظنون، 1/ 396.

(5) السبكي، المصدر السابق ، 8/ 20.

(6) السبكي، المصدر نفسه ، 8/ 18، 119،315..

(7) ابن الصلاح، طبقات الشافعية، 1/ 39 (مقدمة المحقق)، ابن خلكان، وفيات الأعيان، 3/ 243، اليافعي، مرآة الجنان، 4/ 84.

المعروف بابن العراقي (ت 596هـ/ 1196م) فقد شرحه في نحو عشر مجلدات[1]، كما شرحه القاضي أبو عمرو عثمان بن عيسى الماراني (ت 622هـ/ 1225م) في نحو عشرين مجلدا ولم يكمله وسماه: "**الاستقصاء لمذاهب العلماء والفقهاء**"[2] وله شرح آخر على كتاب "**اللمع**" للشيرازي أيضا[3]. ولا يفوتنا ذكر مصنفات الإمام الغزالي التي كانت مدار الاهتمام بمصر ومنها كتاب "**البسيط**" و"**الوسيط في الفروع**"[4] و"**الوجيز**" و"**المصباح**" وغيرها[5].

واشتهر كتاب "**المحيط**" لمحي الدين النيسابوري (ت 548هـ/ 1153م) وهو اختصار لكتاب "**الوسيط**"[6]، وكذلك كتاب "**الذخائر في المذهب**" لقاضي القضاة بمصر أبي المعالي مجلى بن جميع القرشي المخزومي (ت550هـ/ 1155م)[7].

أما في الفقه المالكي فقد تداول الفقهاء كتبا عديدة من بينها كتاب "**التذكرة في أصول الدين**" لإسماعيل بن مكي بن عوف [8]. كما تداول فقهاء المذهب الحنفي كتبا مثل "**الجامع الصغير**" للإمام أبي حنيفة، وكتاب "**مختصر القدوري**" لأحمد بن محمد القدوري البغدادي (ت428هـ/ 1036م) الذي انتهت إليه رئاسة الحنفية بالعراق[9].

---

(1) ابن الصلاح، طبقات الشافعية، 1/ 320، ابن الصابوني، تكملة إكمال، ص296، ابن خلكان، وفيات الأعيان، 1/ 33.

(2) ابن كثير، البداية والنهاية، 13/ 110، السيوطي، حسن المحاضرة، 1/ 86.

(3) ابن كثير، المصدر نفسه، 13/ 110.

(4) اليافعي، مرآة الجنان، 4/ 84، السبكي، طبقات الشافعية، 8/ 17،46،139، ابن قاضي شهبة ، طبقات الشافعية، 1/ 459، خليفة، كشف الظنون، 2/ 797،798.

(5) أبو شامة، الذيل، ص32، السبكي، طبقات، 8/ 80،119، الأسنوي، طبقات الشافعية، 1/ 243.

(6) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 21/ 204ـ205، خليفة، كشف، 2/ 797.

(7) الذهبي، العبر، 3/ 13، اليافعي، مرآة الجنان، 3/ 227.

(8) خليفة، كشف الظنون، 1/ 331.

(9) ابن خلكان، وفيات الأعيان، 1/ 79ـ80.

وفي الفقه الحنبلي انتشرت كتب منها: "**مختصر الخرقي**" لأبي القاسم عمرو بن حسين الخرقي الدمشقي (ت 334هـ ـ 945م)[1].

ومن الجدير بالذكر أن جهود الفقهاء لم تقتصر على دراسة هذه الكتب أو مجرد حفظها أو شرحها واختصارها وإنما تعدت جهودهم إلى تأليف عدد كبير من المصنفات الفقهية التي أصبحت مدار اهتمام العلماء في القرون اللاحقة وأصبح الفقهاء خلال العصر الأيوبي يمثلون نخبة بارزة في المجتمع المصري لهم كلمتهم المسموعة، كما أسندت إليهم الوظائف المهمة كوظيفة القضاء والتدريس والإمامة والخطابة والوعظ والحسبة وغيرها من الوظائف، كما ترقى بعضهم إلى مناصب عليا في الدولة كقيادة الجيوش والوزارة وما إلى ذلك مما سيشار إليه عند الترجمة لأصحابها. وفيما يلي ذكر لمشاهير فقهاء مصر ونتاجاتهم مرتبة تبعا للمذاهب وانتشارها في البلاد.

أ ـ فقهاء المذهب الشافعي.

حظي المذهب الشافعي بالكثير من الدعم خلال ذلك العصر لكونه المذهب الرسمي للدولة الأيوبية، وظهر في مصر عدد لا يحصى من فقهاء ذلك المذهب والذين اضطلعوا بدور بارز على المستويين العلمي والإداري، فعلى المستوى العلمي امتهن الكثير منهم تدريس الفقه ونشره بين الناس في المساجد والمدارس، وكان منهم الخطباء والوعاظ والأئمة، وترك بعضهم مصنفات فقهية هامة.

أما على المستوى الإداري فقد أسندت إليهم الوظائف الهامة كمنصب قاضي القضاة وكذلك قيادة الجيوش والوزارة وديوان الإنشاء ومشيخة الخانقاه الصلاحية وما إلى ذلك.

وكان من بين فقهاء الشافعية في مصر عدد من الفقهاء الكورد ممن سوف يشار إليهم تباعا، وإذا كان من المتعذر حصر جميع فقهاء ذلك المذهب لكثرتهم، فمن المفيد الإشارة إلى نخبة منهم لاسيما أولئك الذين امتهنوا وظائف متقدمة في الدولة وأولئك

(1) ابن خلكان، المصدر نفسه ، 3/ 441.

الذين تركوا مصنفات في علوم الفقه وغيرها نذكر منهم:

الفقيه الأمير ضياء الدين عيسى الهكاري وكان مقربا من البيت الأيوبي، اتصل بأسد الدين شيركوه وأمّ به في الصلوات وقدم معه إلى مصر، وهو الذي مهد لصلاح الدين الوزارة بعد موت عمه أسد الدين، وكان ضياء الدين مشهورا بقضاء حوائج الناس لا يمل من ذلك ولا يضجر، وكان صلاح الدين يصغي إلى مشورته[1].

والقاضي الكوردي عبد الرحمن بن عبد الملك بن عيسى بن درباس الماراني (ت585هـ/ 1189م) وكان قد تولى القضاء بمصر نيابة عن والده[2]

والفقيه محمد بن عبد الله الرملي الأصل المصري المولد والدار (ت589هـ/ 1193م) تولى القضاء نيابة عن قاضي القضاة عبد الملك الماراني مدة تقارب عشرين سنة[3]. والفقيه إبراهيم بن منصور المعروف بالعراقي لإقامته بالعراق مدة رغم كونه مصري المولد والنشأة تولى الخطابة بجامع عمرو بن العاص بالفسطاط بعد عودته من العراق وهو أول من شرح كتاب "المهذب" لأبي إسحاق الشيرازي وكانت وفاته بمصر سنة 596هـ/ 1199م[4].

ومن فقهاء الشافعية كذلك محمد بن أبي الفرج المنعوت بالعماد الأصفهاني الكاتب ولد بأصفهان سنة 519هـ/ 1125م وقدم دمشق ومن بعدها مصر وكان جامعا لفضائل الفقه والأدب والشعر تولى ديوان الإنشاء في الدولتين النورية والصلاحية[5].

والفقيه نصر بن محمد بن مقلد الشيزري – نسبة إلى شيزر في الشام – (ت

---

(1) المنذري، التكملة، 1/ 123، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 6/ 110، السبكي، طبقات الشافعية، 7/ 256.

(2) المنذري، المصدر السابق ، 1/ 119.

(3) المنذري، المصدر نفسه، 1/ 182-183.

(4) ابن الصلاح، طبقات الشافعية، 1/ 320، الذهبي، العبر، 3/ 114، سير أعلام النبلاء، 21/ 304، اليافعي، مرآة الجنان، 3/ 366، السبكي، طبقات، 7/ 37، السيوطي، حسن المحاضرة، 1/ 88.

(5) أبو شامة، الذيل، ص27، ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، 1/ 374.

598هـ/ 1201م) تولى التدريس بالمدرسة القطبية بالقاهرة مدة[1]. والفقيه محمد بن هبة الحموي المولد المصري الدار والوفاة (ت 599هـ/ 1202م) ولي التدريس بالمدرسة الناصرية بالقاهرة "**واعتنى بالمذهب الشافعي وجمع من كتبه جملة كبيرة وكان شديد العناية بها**"[2]، والفقيه عمر بن أبي المحاسن يوسف الدمشقي (ت 600هـ/ 1203م) قدم مصر وحدث وناظر وبرع في الفقه والخلاف والكلام[3]. ومحمد بن علي بن محمد الأنصاري الموصلي (ت 600هـ/ 1203م) قدم مصر وتولى القضاء بأسيوط زيادة على عشرين سنة وبأسوان أربع سنين وبها كانت وفاته[4].

ومن مشاهير الشافعية بمصر القاضي الكوردي أبو عمرو عثمان بن عيسى بن درباس الماراني المنعوت بالضياء (ت 602هـ/ 1205م) وكان له اعتناء بالفقه الشافعي وحصل منه جملة صالحة وشرح كتاب "**المهذب**" للشيرازي وسماه "**الاستقصاء لمذاهب الفقهاء**" ولم يكمله وكان يقع في نحو عشرين مجلدا. كما تولى القضاء بمصر نيابة عن ابن أخيه صدر الدين بن أبي القاسم عبد الملك بن عيسى الماراني [5].

والفقيه أبو الحجاج يوسف القفصي (ت 603هـ/ 1206م)[6] وقاضي القضاة عبد الملك بن عيسى بن درباس الماراني السابق ذكره وكان قد قدم مصر في أول الدولة الأيوبية وتولى بها قضاء القضاة مدة طويلة[7].

والفقيه مظفر بن عبد الله المنعوت بالتقي (ت 612هـ/ 1215م) وكان ملما بالفقه وأصول الدين والخلاف تولى التدريس بعدة مدارس منها مدرسة ابن السلار

(1) المنذري، التكملة، 1/ 440.

(2) المنذري، المصدر نفسه، 1/ 458.

(3) المنذري، المصدر نفسه ، 2/ 10.

(4) المنذري، المصدر نفسه ، 2/ 15ـ16.

(5) المنذري، المصدر نفسه ، 2/ 90، السبكي، طبقات الشافعية، 8/ 337ـ338.

(6) المنذري، المصدر نفسه ، 2/ 156، الذهبي، العبر، 4/ 139، ابن كثير، البداية والنهاية، 13/ 52.

(7) البنداري، سنا البرق الشامي، ق1/ 107ـ108؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار ج27، ورقة55؛ الحنبلي، شفاء القلوب، ص74.

الكردي بالإسكندرية[1]. والفقيه أبو طاهر إسحاق بن أبي القاسم بن عبد الملك بن عيسى بن درباس الماراني المنعوت بالفخر (ت 613هـ/ 1216م) ناب في القضاء عن والده مدة والتدريس بالمدرسة السيفية بالقاهرة[2].

والفقيه عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل القرشي المعروف بابن الوراق (ت616هـ/ 1219م) تولى القضاء بالجيزة وأعمالها وكذلك التدريس بالمدرسة الناصرية بمصر[3].

ومن مشاهير الشافعية: أيضا صدر الدين أبو الحسن محمد بن عماد الدين بن حمويه الخراساني الجويني الملقب بشيخ الشيوخ (ت 617هـ/ 1220م) قدم الشام وبرع في الفقه الشافعي وولي المناصب الكبيرة بمصر والشام، ودرس وأفتى وترسل عن الملك الكامل محمد الذي بعثه إلى الخليفة العباسي يستنجد به على الإفرنج فأدركته المنية في الموصل[4]. والفقيه عبد السلام بن أبي الحسن علي الكناني الدمياطي (ت 619هـ/ 1222م) تولى قضاء القضاة والتدريس في دمياط ولم يزل بها حتى وفاته[5].

والفقيه أبو عمرو عثمان بن محمد بن أبي علي الحميدي الكوردي (ت620هـ/ 1223م) تفقه بالموصل ثم رحل إلى الشام وقدم مصر وتولى القضاء بدمياط، ثم رحل إلى القاهرة وناب عن قاضي القضاة عبد الملك بن عيسى الماراني ودرس بالمدرسة السيفية بالقاهرة[6]. والفقيه عيسى ابن أبي عمرو عثمان بن درباس الماراني (ت620هـ/ 1223م) وكان إماما بالمسجد المعروف بابن البناء

---

(1) المنذري، المصدر السابق ، 2/ 343؛ السبكي، المصدر السابق ، 8/ 372.

(2)المنذري، المصدر نفسه ، 2/ 380ـ381؛ الذهبي، التاريخ الإسلامي، ص131

(3) المنذري، المصدر نفسه ، 2/ 467، ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، 1/ 386.

(4) أبو شامة، الذيل، ص125، اليافعي، مرآة الجنان، 4/ 32، السبكي، طبقات الشافعية، 8/ 96ـ97، السيوطي حسن المحاضرة، 1/ 89.

(5) المنذري، المصدر نفسه ، 3/ 71ـ72، الذهبي، تاريخ الإسلام، ص404.

(6) المنذري، المصدر نفسه، 3/ 97.

بالقاهرة مدة[1].

والفقيه مظفر بن إسماعيل بن علي التبريزي الواراني (ت 621هـ/ 1224م) ولد بشيراز سنة 558هـ/ 1162م وحج وقدم مصر ودرس بالمدرسة الناصرية مدة ثم رجع إلى بلاده، وكان من أجل مشايخ مصر في الفقه الشافعي، من تصانيفه: مختصره المعروف وهو ملخص "**الوجيز**" وكان قد زاد من عنده فوائد عليه، وصنف كتابا آخر سماه: "**سمط الفوائد**" في ثلاث مجلدات، وله كذلك كتاب "**التنقيح**" وهو اختصار لكتاب "**المحصول**" فرغ من تأليفه سنة 611هـ/ 1214م[2].

والفقيه يونس بن بدران القرشي الحجازي الأصل المصري الدار الدمشقي الوفاة (ت623هـ/ 1226م) تفقه بمصر على المذهب الشافعي وتولى بها بعض الوظائف كالقضاء والتدريس، قام باختصار كتاب "**الأم**" للشافعي، وله مصنف في الفرائض[3].

والفقيه إسماعيل بن أبي القاسم بن عبد الملك بن عيسى بن درباس الماراني الشافعي (ت624هـ/ 1226م) ناب عن والده في القضاء مدة ودرس بالمدرسة السيفية بالقاهرة[4]. والقاضي عبد القادر بن محمد الأنصاري الجزري (ت 630هـ/ 1232م) ـ ولد بجزيرة ابن عمر سنة 551هـ/ 1156م وقدم مصر وتولى القضاء ببلاد الصعيد مدة[5].

والفقيه همام بن راجي الله بن سرايا (ت 630هـ/ 1232م) كان من فضلاء

---

(1) المنذري، المصدر نفسه، 3/ 103.

(2) المنذري، المصدر نفسه، 1/ 134، ابن الصابوني، تكملة إكمال، ص53ـ54، ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، 1/ 422، السيوطي، حسن المحاضرة، 1/ 87.

(3) الذهبي، العبر، 3/ 192، ابن كثير، البداية، 13/ 114، السبكي، طبقات الشافعية، 8/ 366، السيوطي، حسن المحاضرة، 1/ 87.

(4) المنذري، المصدر السابق ، 3/ 208ـ209.

(5) المنذري، المصدر نفسه ، 3/ 328.

المصريين صنف كتبا منها "**لجم المهتدي ورجم المعتدي**" في الفقه في نحو خمسين مجلدا[1]. والعلامة السيف الآمدي برع في علوم شتى منها الفقه والخلاف وله تصانيف منها: "**إبكار الأفكار في أصول الدين**" في أربعة مجلدات في الرد على المعتزلة ، و"**منتهى السول في الأصول**" وغيرها وكان قد تصدر التدريس بالجامع الظافري بالقاهرة مدة قبل أن يرحل إلى الشام[2].

والقاضي أبو المحاسن بهاء الدين بن شداد درس بأكثر من مدرسة، وولي قضاء العساكر لصلاح الدين، وكذلك قضاء القضاة بحلب وله تصانيف حسنة وكان قد قدم مصر وحدث بها[3]. والفقيه كمال الدين احمد بن صدر الدين بن حمويه الجويني - نسبة إلى جوين بفارس - (ت640هـ/ 1242م) تولى مشيخة الخانقاه الصلاحية بالقاهرة، كما درس بعدة مدارس وكان من بيت "**فقه ورواية وصلاح وتصوف**"[4] والفقيه الشافعي أبو إسحاق إبراهيم بن أزبك السنجاري المنعوت بالشرف (ت 641هـ/ 1243م) تولى القضاء ببعض نواحي مصر[5].

والفقيه علي بن هبة الله بن سلامة اللخمي المعروف بابن الجميزي (ت649هـ/ 1251م) ـ نسبة إلى شجر الجميز وهو معروف بمصر ـ وكان فقيها فاضلا معظما لدى العام والخاص[6]. والفقيه عز الدين بن عبد السلام الدمشقي وله مصنفات في التفسير والفقه منها "**القواعد الكبرى**" و"**القواعد الصغرى**" و"**كتاب الصلاة**" و"**الفتاوى الموصلية**" وغير ذلك [7].

(1) المنذري، المصدر نفسه، 3/ 337، ابن قاضي شهبة؛ طبقات الشافعية، 1/ 425.

(2) أبو شامة، الذيل، ص161، ابن خلكان، وفيات الأعيان، 3/ 293ـ294، الذهبي، العبر، 3/ 210، اليافعي، مرآة، 42/ 59.

(3) المنذري، المصدر السابق ، 3/ 384، السبكي، طبقات الشافعية، 8/ 360ـ361.

(4) المنذري، المصدر نفسه ، 3/ 598.

(5) المنذري، المصدر نفسه ، 3/ 620.

(6) ابن الصابوني، تكملة إكمال، ص298ـ299، اليافعي، مرآة الجنان، 4/ 92ـ93.

(7) ابن كثير، البداية، 13/ 325، السبكي، طبقات الشافعية، 8/ 247ـ248، السيوطي، حسن المحاضرة،

والفقيه يعقوب بن عبد الرحمن بن عصرون (ت 665هـ/ 1266م) وله مسائل على كتاب "**الخلاف**" وكان فقيها فاضلا تولى التدريس بالمدرسة القطبية بالقاهرة[1]. والقاضي الفقيه أبو المحاسن يوسف بن الحسن بن بدر الدين السنجاري وكان معظما لدى الملك الصالح نجم الدين وقيل أنه "**كان له من الخيل والمماليك ما ليس لوزير ولم يزل في الترقي إلى أوائل الدولة الظاهرية حين عزل عن مناصبه ولزم بيته**"[2].

والفقيه أبو البيان نبأ بن سعد الله بن راهب بن مروان الحموي الشافعي (ت665هـ/ 1266م) انتقل من حماة إلى مصر وتولى الإعادة بالمدرسة الصلاحية بالقاهرة مدة[3]. والفقيه المقرئ أبو شامة المقدسي من مصنفاته في الفقه "**المذهب من المذهب والأصول من الأصول**" و"**شرح لباب التهذيب**" و"**الأرجوزة في الفقه**"[4]، والمبارك بن يحيى بن الحسين المصري (ت 667هـ/ 1269م) وكان من كبار أئمة المذهب الشافعي، أعاد بالمدرسة الصالحية بالقاهرة عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام، وكان كثير الاعتناء بكتاب "**التنبيه**"[5]، ومحمد بن علي بن الحسين الخلاطي (ت 675هـ/ 1276م) وله كتاب "**قواعد الشرح وضوابط الأصل والفرع**"[6]. والفقيه احمد بن عبد الرحمن الدشناوي (ت677هـ/ 1278م) فقيه أصولي إليه أنهت رئاسة المذهب الشافعي بقوص وعليه تخرج عدد من المصريين، وله شرح على كتاب "**التنبيه**" وصل فيه إلى باب الصيام[7].

1/ 71ـ72، خليفة، كشف، 2/ 12، 164، 183،318.

(1) السبكي، طبقات الشافعية، 8/ 359، الأسنوي، طبقات، 2/ 82، ابن قاضي شهبة،طبقات الشافعية، 2/ 14.

(2) اليافعي، مرآة الجنان، 4/ 123.

(3) ابن الصابوني، تكملة إكمال، ص71.

(4) أبو شامة، الذيل، ص37ـ38، خليفة، كشف الظنون، 4/ 160.

(5) السبكي، المصدر السابق ، 8/ 367.

(6) السبكي، المصدر نفسه، 8/ 80، الأسنوي، طبقات الشافعية،1/ 243.

(7) السبكي، المصدر السابق ، 8/ 20ـ21، الأسنوي، طبقات الشافعية، 1/ 267، ابن قاضي شهبة،

ومن مشاهير فقهاء مصر كذلك تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري المعروف بابن دقيق العيد (ت 702هـ/ 1302م) ولد بقوص سنة 625هـ/ 1227م ونشأ بها وكان ملما بالمذهبين الشافعي والمالكي وإليه انتهى مدار الفتوى بالديار المصري ومن مصنفاته "**الاقتراح في أصول الدين**" وشرح مختصر ابن الحاجب "**في فقه المالكية**"[1].

ب ـ فقهاء المذهب المالكي.

يعتمد هذا المذهب في إحكامه على القرآن والحديث الصحيح ثم عمل أهل المدينة إذا اتفقوا على عمل معين لأنه حجة عند الإمام مالك يقدم على القياس لذلك قلما لجأ أصحابه إلى الاجتهاد[2]. وقد أقبل المصريون لاسيما في بعض مدنهم مثل الإسكندرية حيث كان أهلها يفضلون الفقه المالكي وعلماءه على سائر المذاهب الأخرى[3].

ويبدو أن الإسكندرية بحكم موقعها ، وقربها من الحجاز من جهة ، واتصالاتها القوية مع بلاد المغرب واستقرار عدد كبير من المغاربة فيها من جهة أخرى فضلا عن رحلات الحج إلى الحجاز للتفقه من المنبع ، كما أن لمذهب المالكي كان ملائما لنفسية سكان المنطقة مما كان له أثر مباشر في سيادة المذهب المالكي هناك، ومن فقهاء هذا المذهب نذكر:

الفقيه إسماعيل ابن مكي بن عوف القرشي الإسكندراني الساق ذكره برع في الفقه وفاق أقرانه وكان إمام عصره وعليه مدار الفتوى[4].

والفقيه أبو القاسم مخلوف بن علي القروي الأصل الإسكندراني الدار والوفاة المعروف بابن جارة (ت 583هـ/ 1187م) وكان قد تولى التدريس والإفتاء

طبقات، 1/ 460، السيوطي، حسن المحاضرة، 1/ 89.

(1) ابن تغري بردي، النجوم، 8/ 206؛ ابن العماد، شذرات الذهب، 6/ 5ـ6.

(2) عاشور، دراسات، ص47.

(3) رمضان، المجتمع الإسلامي في مصر، 2/ 154ـ155.

(4) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 21/ 122، السيوطي، حسن المحاضرة، 1/ 94.

بالإسكندرية[1]، والفقيه احمد بن عبد الرحمن الحضرمي الإسكندراني (ت 585هـ/ 1189م)[2]، والفقيه أبا إسحاق إبراهيم بن إسماعيل الهاشمي (ت 589هـ/ 1193م)، جمع مجاميع في الفقه وأم بالناس في الصلوات بمسجد الزبير بن العوام مدة طويلة حتى صار يعرف به[3].

ومنهم أبو المنصور ظافر بن الحسين الأزدي الإسكندراني المولد المصري الدار والوفاة (ت 597هـ/ 1200م) تولى التدريس بالمدرسة القمحية مدة طويلة وتخرج عليه جماعات من الشافعية والمالكية وكان يدرس أول النهار ثم يجيء بعد الظهر للمناظرة إلى العصر، ويأخذ درسا بعد العصر والمناظرة بعد العشائين[4]، والقاضي أبو القاسم عبد الرحمن بن يوسف البلوي الإسكندراني (ت 603هـ/ 1206م) تولى القضاء بالإسكندرية والتدريس بالمدرسة الفاضلية بالقاهرة وكان "**محبا للطلبة متفقدا لأحوالهم ساعيا فيما يعود بنفعهم**"[5].

والإمام الفقيه أبو الحسن علي بن أبي الحسن المقدسي الإسكندراني المولد والدار (ت611هـ/ 1214م)[6]، ومن الطريف أنه هو الذي شجع الحافظ المنذري - صاحب التكملة لوفيات النقلة - الانتقال إلى المذهب الشافعي مع كونه هو نفسه مالكيا[7].

والقاضي أبو المجد احمد بن مكي الإسكندراني (ت 612هـ/ 1215م) وكان ملما بأصول الدين وقورا نزها، تولى ديوان الصعيد مدة[8]. والفقيه أحمد بن أبي الحسن

---

(1) الذهبي، المصدر السابق ، 21/ 134، العبر، 3/ 86.

(2) المنذري، المصدر السابق ، 1/ 115، الذهبي، سير أعلام، 21/ 217-218.

(3) المنذري، المصدر نفسه، 1/ 225.

(4)المنذري، المصدر نفسه، 1/ 387-388، الذهبي، العبر، 3/ 118.

(5) المنذري، المصدر نفسه، 2/ 98.

(6) المنذري، المصدر نفسه ، 2/ 306، اليافعي، مرآة الجنان، 4/ 18.

(7) الذهبي، العبر، 4/ 155، تاريخ الإسلام، ص77-78.

(8) المنذري، التكملة، 2/ 338.

علي المقدسي الأصل الإسكندراني المولد والدار (ت 613هـ/ 1216م)[1]، وعلي بن منصور بن ظافر الأزدي المنعوت بالجمال (ت 613هـ/ 1216م) ودرس بالمدرسة القمحية بمصر وتولى الوكالة السلطانية بها مدة ـ كما سبق له أن تولى الوزارة للملك الأشرف بن الملك العادل قبل أن ينفصل عنه ويرحل إلى مصر[2].

ومن فقهاء المذهب المالكي المشهورين: عبد الله بن شاس بن نزار الجذامي (ت616هـ/ 1219م) وكان شيخ المالكية بمصر، صنف كتابا شهيرا بالفقه سماه: "**الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة**" ورغم شهرته فإنه كان يمتنع عن الفتوى[3] وقد استشهد غازيا بثغر دمياط[4].

والقاضي أبو طالب احمد بن أبي الفضل الكناني الإسكندراني (ت 619هـ/ 1222م) وهو من بيت رياسة وتقدم وذكر أنه استقضي من بيته سبعة قضاة في أيام الدولة الفاطمية[5]. والفقيه المالكي محمد بن أبي الخير بن سلامة البلوي (ت 620هـ/ 1223م) تولى التدريس بالمدرسة الفاضلية إلى حين وفاته[6].

ومنهم الفقيه أبو عبد الله محمد بن عمر الأزدي الغساني (ت 627هـ/ 1229)[7] والفقيه موفق الدين عيسى بن عبد العزيز التميمي (ت 629هـ/ 1231م) وله كتاب

(1) المنذري، المصدر نفسه، 2/ 261، الذهبي، تاريخ الإسلام، ص129.

(2) المنذري، التكملة، 2/ 376.

(3) ابن كثير، البداية، 13/ 86، اليافعي، مرآة الجنان، 4/ 28، السيوطي، حسن المحاضرة، 1/ 94، خليفة، كشف الظنون، 3/ 243.

(4) ولم يكن العالم الوحيد الذي استشهد في حصار دمياط وإنما هناك فقهاء وعلماء آخرون قضوا نحبهم في تلك الموقعة الشهيرة سنة (616هـ/ 1219م) ينظر: المنذري، التكملة، 2/ 472، 485، الذهبي، تاريخ الإسلام، ص294.

(5) المنذري، المصدر نفسه، 3/ 78، الذهبي، العبر، 3/ 179.

(6) المنذري، المصدر نفسه، 3/ 106.

(7) المنذري، المصدر نفسه، 3/ 266، الذهبي، تاريخ، ص271ـ272.

الإبانة في شرح الرسالة في الفقه[1]، والفقيه الحسين بن عتيق بن رشيد الربعي (ت632هـ/ 1234م) درس بالمسجد المعروف به بالفسطاط حتى وافته المنية وصنف وتخرج عليه جماعة من المصريين[2].

والإمام عبد الرحمن بن عبد الحميد بن إسماعيل الصفراوي (ت 636هـ/ 1238م) تفقه ودرس وأفتى وكان من الفقهاء المشهورين وانتهت إليه رئاسة المذهب ببلده[3]، والفقيه محمد بن عبد الواحد المهدوي (ت 636هـ/ 1238) برع في علوم عدة منها الطب والأصول والفقه[4].

والفقيه أبو المعالي محمد بن أبي الفضل يوسف المخيلي ـ نسبه إلى مخيل بلدة من بلاد برقة بليبيا (ت 637هـ/ 1239م) تصدر بالإسكندرية ودرس بها سنين كثيرة وأفتى وتولى الوكالة السلطانية بها[5].

والفقيه أبو العباس احمد بن عبد الله البكري الشرشي الصوفي (ت 640هـ/ 1242م) وله مجاميع في الفقه والأصول وغيرها وسكن الفيوم وبها كانت وفاته[6].

ومن فقهاء المالكية كذلك: أبو عمرو عثمان بن عمرو بن يوسف المعروف بابن الحاجب الكوردي (ت 646هـ/ 1248م) وكان حسب وصف المصادر "**شيخ المالكية بمصر وركنا من أركان العلم والعمل، بارعا في علوم شتى من نحو ولغة وتفسير وفقه**"[7] وكان قد نزل بمصر سنة 638هـ/ 1240م بصحبة الشيخ عز الدين بن عبد

---

(1) خليفة، كشف الظنون، 3/ 9.

(2) ابن الصابوني، تكملة إكمال، ص160، الذهبي، تاريخ، ص82.

(3) الذهبي، العبر، 3/ 227.

(4) المنذري، المصدر السابق ، 3/ 511.

(5) المنذري، المصدر نفسه، 3/ 529.

(6) المنذري، المصدر نفسه ، 3/ 600، الذهبي، تاريخ الإسلام، ص404.

(7) أبو شامة، الذيل، ص182، اليافعي، مرآة الجنان، 4/ 89ـ90، السيوطي، حسن المحاضرة، 1/ 94.

السلام ومن مصنفات ابن الحاجب المشهورة: "**منتهى السول والأصل في علمي الأصول والجدل**" ثم قام باختصاره وقد أثنى عليه ابن خلكان كثيرا[1].

ومنهم أيضا: تاج الدين علي بن أبي العباس المعروف بابن القسطلاني (ت665هـ/ 1266م) ودرس بمصر وولي مشيخة دار الحديث الكاملية حتى وفاته[2]. والفقيه جمال الدين محمد بن سليمان الهواري التونسي الأصل المصري الدار (ت673هـ/1/ 1273م)[3] والفقيه ناصر الدين احمد بن المنير الإسكندراني (ت683هـ/ 1284م) وهو قاضي الإسكندرية وخطيبها وفاضلها في الفقه والأصول والعربية والبلاغة[4].

ومن فقهاء المالكية أيضا: احمد بن إدريس بن عبد الرحمن المشهور بشهاب الدين القرافي (ت 683هـ/ 1285م) الذي انتهت إليه رئاسة المالكية في عصره، وألف كتبا كثيرة في الفقه منها: "**كتاب الذخيرة**" وهو من أجل كتب المالكية وكتاب "**القواعد**" في مجلد كبير، وشرح تهذيب المدونة، وله كذلك كتاب "**الأحكام**" وكتاب "**الاستقصاء في أحكام الاستثناء**" وغيرها كثير[5]. والفقيه تقي الدين بن شرف الدين الجذامي (ت 685هـ/ 1286م)[6] بالإضافة إلى غيرهم من فقهاء المالكية[7].

ج ـ فقهاء المذهب الحنفي.

لم يحظ هذا المذهب بالقبول لدى المصريين لعدم ميلهم إلى الاجتهاد كثيرا ،

(1) وفيات الأعيان، 3/ 250، العبدري، رحلته، ص234، هامش (1)، خليفة، كشف الظنون، 2/ 684.

(2) اليافعي، مرآة الجنان، 4/ 124.

(3) الكتبي، عيون التواريخ، 21/ 48_49.

(4) الكتبي، المصدر نفسه ، 21/ 348، اليافعي، مرآة الجنان، ص149.

(5) خليفة، كشف الظنون، 1/ 74، 82، 87، 121، 197، 623.

(6) الكتبي، عيون التاريخ، 21/ 386.

(7) ينظر على سبيل المثال: المنذري، التكملة، 1/ 186، 189، 220، 456، 459،2/ 6، 22،149،321، 355،485،486،3/ 33،151،184،247،264،395،478،552،575،620.

وكان أكثر الفقهاء الحنفية فيها ممن قدموا إليها من بلاد المشرق والعراق والشام، وكانت إقامة الكثيرين منهم مؤقتة، ونذكر منهم: الفقيه الواعظ عبد الله بن سالم البغدادي المعروف بابن الشاعر (ت 584هـ/ 1188م) تفقه ببغداد ورحل إلى مصر ودرس بالمدرسة السيوفية بالقاهرة مدة[1]، والفقيه أبا الفضل الحسين بن احمد بن الحسين الهمذاني (ت 591هـ/ 1194م) تولى التدريس بمدارس عديدة وكانت وفاته بقوص[2].

والفقيه المشهور أبو الحسن بن الخطير أبو علي النعماني المنعوت بالظهير الفارسي (ت 597هـ/ 1200م) وكان ضليعا بعدة علوم منها الأدب والمنطق والحساب والطب فضلا عن علوم الفقه والأصول والكلام[3].

والفقيه أبا محمد عبد الوهاب بن علي الدمشقي (ت 599هـ/ 1202م) وقد تولى التدريس بالمدرسة السيوفية بالقاهرة مدة[4]، والفقيه أبا الفضل محمد بن يوسف بن علي الغزنوي الأصل البغدادي المولد القاهري الدار (ت 599هـ/ 1202م)[5]، والفقيه أبا الأمانة جبريل بن جميل بن محجوب القيسي (ت600هـ/ 1203م)[6]، والفقيه عبد القوي بن عبد الخالق المعروف بالمصري (ت 602هـ/ 1205م)[7]، وأبو الجود بن عبد الغني بن عبد الوهاب الأنصاري (ت 604هـ/ 1207م)[8]. وأبو الفضل جعفر بن أبي علي الدميري –نسبة إلى دمير مكان بمصر – (ت 623هـ/ 1226م)[9]،

---

(1) المنذري، المصدر نفسه، 1/ 108.

(2) المنذري، المصدر نفسه، 1/ 219

(3) المنذري، المصدر نفسه، 1/ 402، السيوطي، المصدر السابق ، 1/ 71.

(4) المنذري، المصدر نفسه، 1/ 447.

(5) المنذري، المصدر نفسه، 1/ 448، السيوطي، المصدر السابق ، 1/ 96.

(6) المنذري، المصدر نفسه، 2/ 50.

(7) المنذري، المصدر نفسه، 2/ 95، الذهبي، تاريخ الإسلام، ص116.

(8) المنذري، المصدر نفسه، 2/ 138-139.

(9) المنذري، المصدر نفسه، 3/ 190، الذهبي، تاريخ الإسلام، ص135.

والفقيه أبا الحسن علي بن احمد بن محمود المعروف بابن الغزنوي (ت 633هـ/ 1235م)، ودرس بعدة مواضع منها المدرسة السيوفية[1]، والفقيه إسماعيل بن إبراهيم المعروف بابن فلوس (ت 637هـ/ 1239م) وكان متميزا بالفقه والأصول والمنطق والطب وغيرها من العلوم[2]. والرشيد أبو عبد الله محمد بن أبي بكر النيسابوري (ت 637هـ/ 1239م) تفقه ببلاد نيسابور ورحل إلى بلاد الشام ومصر وسمع بها[3].

والفقيه أبو الربيع سليمان بن أبي بكر النيسابوري الأصل الحموي المولد المصري الدار (ت 638هـ/ 1240م) حدث ودرس بمدرسة الأمير سيف الدين يازكوج بن عبد الله الأسدي (ت 599هـ/ 1202م) من أمراء صلاح الدين بالقاهرة ووصف بأنه كان دينا عارفا بالمذهب[4]، وأبو إسحاق بن أبي الفتوح بن علي الأنصاري (ت642هـ/ 1244م) أعاد بالمدرسة السيوفية بالقاهرة مدة وحصل كتبا كثيرة في الفقه[5].

والفقيه المحدث شمس الدين ملكشاه بن عبد الملك المقدسي الأصل المصري المولد (ت665هـ/ 1266م) كان فقيها فاضلا متقنا لعلوم عدة ولد بحارة زويلة بالقاهرة سنة 573هـ/ 1177م[6].

د ـ فقهاء المذهب الحنبلي.

لم يقبل المصريون عليه رغم أن بعض فقهائها كانوا موضع احترام الدولة الأيوبية مثل الفقيه الواعظ زين الدين ابن نجية الواعظ فقد كان له وجاهة عظيمة عند ملوك الأيوبيين وكان صلاح الدين وأبناؤه يحضرون مجلس وعظه[7]، ولاشك

(1) المنذري، المصدر نفسه، 3/ 415، الذهبي، تاريخ الإسلام، ص138.

(2) المنذري، المصدر نفسه، 3/ 525، الذهبي، تاريخ الإسلام، ص301.

(3) الذهبي، العبر، 3/ 231، تاريخ الإسلام، ص328.

(4) المنذري، المصدر السابق ، 3/ 566.

(5) المنذري، المصدر نفسه ، 3/ 637.

(6) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 7/ 223.

(7) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، 3/ 438.

أن دعم الأيوبيين له جاء بسبب مساندته وموقفه السياسي من الأيوبيين فهو الذي كشف عن المؤامرة التي خطط لها عمارة اليمني وأصحابه من أجل القضاء على الدولة الأيوبية(1).

ويلاحظ أن الغالبية من فقهاء الحنابلة بمصر هم ممن قدموا إليها من بعض المدن الشامية كدمشق ونذكر منهم:

الفقيه عبد الرحمن بن النفيس بن الأسعد الغياثي ويعرف بالأعز البغدادي (ت560هـ/ 1164م) تفقه وحفظ كتاب "**الخرقي**" وأتقنه وقرأ مسائل الخلاف، وسكن دمشق مدة ثم توجه إلى مصر واستوطنوها حتى وفاته(2). وأبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن سرور المقدسي وكانت له مجالس وعظ بجامع القرافة ووصف بأنه كان: "**جامعا للعلم والعمل وتحصيل الكتب الكثير، وكان لا يرى منكرا إلا وغيره بيده أو لسانه لا تأخذه في الله لومة لائم**"(3) من مؤلفاته في الفقه "**الأحكام**" و"**العمدة في الأحكام**" وله أيضا كتاب "**محنة الإمام احمد**" في جزأين(4).

والفقيه أبو الخير مكي بن عمر بن عساكر المقدسي الأصل المصري الدار (ت634هـ/ 1236م) اشتهر كونه أحد فقهاء الحنابلة جمع مجاميع في الفقه وغيره وكان "**كاسبا يبني ويأكل من كسب يده**"(5). والفقيه ناصح الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن نجم الأنصاري الشيرازي الأصل الدمشقي (ت 634هـ/ 1236م) ولد بدمشق سنة 554هـ/ 1159م وشرع في الاشتغال والرحلة في سبيل العلم، قدم مصر مرتين ووعظ بها، من مصنفاته في الفقه: "**الإنجاد في الجهاد**" و"**الحدائق في الوعظ والجدل والخطب**" وكان قد انتهت إليه رئاسة المذهب بعد الشيخ موفق الدين المقدسي(6).

(1) البنداري، سنا البرق الشامي، ق1/ 147ـ149، أبو شامة، الذيل، ص34.

(2) ابن رجب، الذيل، 3/ 330.

(3) ابن رجب، المصدر نفسه ، 4/ 12.

(4) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 21/ 448، اليافعي، مرآة الجنان، 3/ 378، خليفة، كشف الظنون، 4/ 223.

(5) المنذري، التكملة لوفيات النقلة، 3/ 450.

(6) ابن الشعار، عقود الجمان في شعراء هذا الزمان، مخطوطة، 3/ ورقة 163؛ ابن رجب، الذيل، 4/ 193

والفقيه الزاهد محي الدين عبد الرحمن بن عبد الغني المقدسي (ت 643هـ/ 1245م) رحل إلى مصر وإلى غيرها من البلاد وكان من أئمة الحنابلة المشهورين [1]. والفقيه الواعظ أبو المحاسن يوسف بن عبد الرحمن القرشي البغدادي (ت 656هـ/ 1258م) اشتغل بالفقه والخلاف والأصول وقدم مصر، من تصانيفه: "**المذهب الأحمد في مذهب أحمد**" و"**الإيضاح في الجدل**" سمع منه خلق كثير ببغداد ودمشق ومصر [2].

والفقيه شمس الدين محمد بن عبد الوهاب بن منصور الحراني (ت 671هـ/ 1276م) كان عارفا بالفقه والأصول سافر إلى مصر وواظب على حضور دروس الشيخ عز الدين بن عبد السلام [3] والفقيه أبو بكر محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي (ت 676هـ/ 1277م) ولد بدمشق سنة (603هـ/ 1206م) وتفقه في علوم شتى ورحل إلى مصر وسكنها وعظم شأنه وصار شيخ المذهب الحنبلي وكان موصوفا بالعلم والصلاح، تولى التدريس بالمدرسة الصالحية بالقاهرة مدة [4].

والفقيه عز الدين أبو حفص عمر بن عبد الله المقدسي (ت 696هـ/ 1296م) درس وأفتى بمصر وبها كانت وفاته [5]، وشهاب الدين احمد بن عبد الرحمن المقدسي (ت 697هـ/ 1297م) رحل إلى مصر وكان من الفقهاء الحنابلة البارعين في المذهب [6].

وما بعدها.

(1) ابن رجب، المصدر نفسه، 4/ 231.

(2) ابن رجب، المصدر نفسه ، 4/ 258ـ260.

(3) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، 3/ 25، الكتبي، عيون التاريخ، 21/ 119.

(4) ابن رجب، المصدر السابق ، 4/ 294ـ295.

(5) ابن رجب، الذيل، 4/ 335.

(6) ابن رجب، الذيل، 4/ 336ـ338.

رابعا: التصوف[1]

ويمكن تعريفه بأنه "العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى بتناول الأحكام الشرعية من القرآن والحديث النبوي من ناحية معانيها الروحية وآثارها في القلوب من خلال دراسة عميقة لها"[2] وهو منهج مذهبي نهجته الحياة الروحية الإسلامية منذ بواكير نشأتها في صدر الإسلام[3]، ويطلق عليه أيضا بعلم الحقيقة وعلم الباطن[4].

وقد نال علم التصوف ورجاله دعم ورعاية الأيوبيين، وأصبحت مصر في عهدهم "**تربة خصبة لنمو التيار الصوفي**"[5] لاسيما وأن الحركة الفكرية في مصر كانت تميل بطبيعتها إلى العلوم الدينية والنقلية أكثر من ميلها إلى العلوم العقلية[6]، وظهر التصوف في مصر في فترة مبكرة تعود إلى بداية القرن 3هـ/ 9م[7].

إن عناية الأيوبيين بالتصوف جاءت باعتبارها إحدى الوسائل المهمة لتعبئة المسلمين، وهو ذات الأسلوب الذي اعتمده نور الدين محمود في بلاد الشام[8]، وذكر ابن شداد أن صلاح الدين وبعد توليه الوزارة الفاطمية خلفا لعمه أسد الدين شيركوه

---

(1) اختلفت الآراء حول كلمة التصوف وأصل اشتقاقها اللغوي هل جاءت من لبس الصوف والتخشن في الملبس أم من الصفاء. للمزيد ينظر: ماسينيون، مادة (التصوف)، دائرة المعارف الإسلامية، 5/ 265ـ266، النبراوي، تاريخ النظم والحضارة، ص219ـ220.

(2) الجرجاني، التعريفات، ص83، خليفة، كشف الظنون، 1/ 344.

(3) عاصم محمد رزق، خانقاوات الصوفية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي (القاهرة:1997)، 1/ 39.

(4) خليفة، كشف الظنون، 1/ 219،344.

(5) أ.ل.سيمينوفا، صلاح الدين والمماليك في مصر، ترجمة. حسن بيومي (القاهرة: 1998)، ص106.

(6) حمزة، الحركة الفكرية، ص95.

(7) أستند الباحثون في ذلك إلى إشارة الكندي في كتابه أنه ظهرت في سنة 200هـ/ في ولاية السري بن الحكم طائفة بالإسكندرية يسمون بالصوفية ومن ثم اعتبر البعض هذه السنة تاريخا تقريبا لظهور التصوف في مصر. للمزيد ينظر: الكندي، ولاة مصر (بيروت: 1987)، ص128، ضيف، عصر الدول، ص61.

(8) البنداري، سنا البرق الشامي، ق1/ 56، أبو شامة، الروضتين، 1/ 9، جب، دراسات في حضارة الإسلام، ص136.

أخذ يعمل على إشاعة المذهب السني والتصوف بمصر[1].

كما أن المناخ السياسي الذي ساد الدولة الإسلامية خلال القرنين 6ـ7هـ/ 12ـ13م كان واحدا من أهم العوامل الأساسية التي ساعدت على انتشار التصوف بعدما ابتلي العالم الإسلامي خلال القرنين المشار إليهما بنكبات متوالية كالغزو الصليبي والمغولي دون أن تستطيع القوى السياسية الحاكمة آنذاك من الوقوف أمام تلك الأخطار، بعد ان تراجع أمر الخلافة العباسية حتى لم يعد لها في العالم الإسلامي وزن يذكر[2].

كما لم يفهم الفاطميون في مصر حقيقة الغزو الصليبي، يضاف إلى ذلك كثرة الفتن والاضطرابات واختلال الأمن والتنازع بين الفرق الإسلامية المختلفة أن دفع الكثير من الناس إلى سلوك التصوف باعتباره مخرجا من تلك الحالة المزرية[3].

ومما هو جدير بالذكر أن الفاطميين لم يهتموا بالتصوف لسبب مهم وهو أن كلا منهم كان يقول لنفسه علم الباطن ، فقد كان المتصوفة يقولون أن علمهم ينبع من القلب ومن التأمل الباطني بالمقابل زعم الفاطميون لأئمتهم أنهم أصحاب علم لا يشركهم أحد فيه فأدى ذلك إلى شيء من التعارض بين الطرفين وبذلك انصرف الفاطميون عن الاهتمام بالتصوف وأهله[4].

وعلى النقيض من ذلك تماما عرف عن الأيوبيين لاسيما السلطان صلاح الدين الذي كان كثير التواضع مع الصوفية، يعتقد فيهم ويزورهم ويتفقد أحوالهم ويوفر لهم مستلزمات ديمومة نشاطهم التعبدي والفكري[5].

---

(1) النوادر السلطانية، ص41، ابن خلكان، وفيات الأعيان، 7/ 152، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 6/ 15.

(2) محمد آل ياسين، الحياة الفكرية في العراق في القرن السابع الهجري (بغداد: 1979)، ص32.

(3) رزق، خانقاوات الصوفية، 1/ 46ـ47.

(4) ضيف، عصر الدول، ص63.

(5) جب، دراسات، ص136.

كما سار على نهجه من أعقبه من السلاطين الذين عنوا بإحياء التصوف باعتباره تيار روحي وخلقي يسمو بأصحابه فوق جميع العصبيات الدينية والمذهبية، وهي العصبيات التي ولدت بين أهل المذاهب والديانات الكثير من الضغائن والحروب[1]، ورغم ان البعض قد لجأ إلى التصوف نتيجة الشعور باليأس من اصلاح الأوضاع المزرية ، إلا أن ذلك لا يمنع من القول أن الصوفية ومريدوهم في غالبيتهم شكلوا عناصر تأثير ايجابي في المجتمع الإسلامي الذي كانت تتنازعه عدة تيارات فكرية ومذهبية، ومن الخطأ وصف بروز التصوف في ذلك العصر بأنه مظهر سلبي من مظاهر التخلف أو "**الرجعية السنية**" كما ذهبت إلى ذلك المستشرقة سيمنيوفا[2].

لقد أصبحت مصر خلال العصر الأيوبي دارا كبيرا من دور الزهد والعبادة والنسك ونما تيار التصوف بشكل ملحوظ واتضح فيه اتجاهان: اتجاه "**فردي فلسفي**" لم يكن مقبولا وكثيرا ما اتهم أصحابه بالانحراف عن الشريعة ونعتوا بالزندقة لذلك تمت ملاحقة أصحابه وتصفية الكثير منهم ، وخير من مثل هذا الاتجاه: شهاب الدين يحيى بن حبش بن أميرك السهروردي والذي أعدم عام 587هـ/ 1191م بأمر السلطان صلاح الدين بعد أن أرسل إليه الفقهاء من حلب محضرا بكفره وأن فكره يؤدي إلى التشكيك بالشريعة وإفساد عقول الناس حسب زعمهم[3].

ومنهم كذلك الأديب أبو القاسم عمرو بن الحسن علي الحموي الأصل المصري المولد والدار المعروف بابن الفارض (ت 632هـ/ 1234م)[4] وكذلك عفيف الدين سليمان بن علي التلمساني الشاعر (ت 690هـ/ 1291م) الذي اتهم بالزندقة

---

(1) حمزة، الحركة الفكرية، ص95.

(2) ينظر: صلاح الدين والمماليك، ص105.

(3) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص10، ابن خلكان، وفيات، 6/ 273، الذهبي، العبر، 3/ 95ـ96، سامي الكيالي، السهروردي (القاهرة: 1966)، ص38.

(4) المنذري، التكملة، 3/ 388، ابن الصابوني، تكملة إكمال، ص270، ابن خلكان، وفيات، 3/ 454-455، الذهبي، العبر، 3/ 213، اليافعي، مرآة الجنان، 4/ 61، السيوطي، حسن المحاضرة، 1/ 108.

والانحراف وهو أحد القائلين بالوحدة المطلقة، كما أباح أمورا منافية للشرع مثل نكاح المحرمات[1].

أما **الاتجاه الثاني** ـ فهو ما يمكن أن نسميه بالاتجاه "**الجماعي السني**" وحظي بدعم الأيوبيين، وتمثل هذا الاتجاه بالعديد من الطرق الصوفية التي كان لها أتباعها في مصر **كالطريقة القادرية** نسبة إلى الشيخ عبد القادر بن موسى بن يحيى الجيلاني (ت 561هـ/ 1165م)[2]، وكذلك **الطريقة الرفاعية** ـ ويقال لها الأحمدية والبطائحية ـ نسبة إلى الشيخ الزاهد أبو العباس احمد بن علي الرفاعي المغربي (ت 578هـ/ 1182م)[3] وكانت طريقته قد دخلت مصر عن طريق تلميذه الشيخ أبو الفتح الواسطي الذي أقام بالإسكندرية وتوفي بها سنة 580هـ/ 1184م[4].

كما انتشرت في مصر **الطريقة الشاذلية** ـ نسبة إلى الشيخ أبو الحسن تقي الدين علي بن عبد الله الشاذلي (ت 656هـ/ 1258م)[5] والذي رحل من بلاد شاذلة بتونس ونزل الإسكندرية سنة 642هـ/ 1244م ومعه عدد من مريديه منهم: الشيخ أبو العباس احمد بن عمر المرسي (ت 686هـ/ 1287م)[6] والذي خلف

---

(1) أبن العماد، شذرات الذهب، 5/ 413.

(2) ينظر ترجمته: ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق بسام محمد بارود (أبو ظبي: 2001)، 8/ 188ـ196، الشعراني، الطبقات الكبرى (بيروت: د/ ت)، 1/ 126ـ132، زين الدين المناوي، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، تحقيق، محمد أديب الجادر (بيروت: 1999)، 22/ 253ـ261.

(3) ينظر ترجمته: ابن خلكان، وفيات، 1/ 171ـ172، ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 8/ 184ـ188، الشعراني، الطبقات الكبرى، 1/ 140ـ145.

(4) الشعراني، الطبقات الكبرى، 1/ 202.

(5) ينظر ترجمته: ابن الملقن، طبقات الأولياء، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا (بيروت: 1998)، ص306؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 8/ 341ـ342، السيوطي، حسن المحاضرة، 1/ 109، الشعراني، الطبقات الكبرى، 2/ 4ـ12.

(6) ينظر ترجمته: ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص288؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 8/ 327، السيوطي، حسن المحاضرة، 1/ 110، المناوي، الكواكب الدرية، 2/ 338ـ344.

أستاذه الشاذلي في رئاسة أتباعه وكان الشاذلي وأتباعه في مقدمة الصفوف التي دحرت حملة لويس التاسع في موقعة المنصورة سنة 647هـ/ 1249م بفعل ما أذكوه من روح الحماس في نفوس المجاهدين[1] والطريقة الشاذلية مثل القادرية والرفاعية لم تخرج عن الكتاب والسنة.

ومن الطرق الصوفية المعاصرة للشاذلية وكان لها حضور بمصر الطريقة الأحمدية - نسبة إلى الشيخ الزاهد احمد بن علي بن إبراهيم المشهور بالبدوي (ت675هـ/ 1276م)[2] وأصله من بني بري إحدى قبائل عرب الشام، وكان والده قد سكن المغرب فولد له صاحب الترجمة بفأس سنة 596هـ/ 1199م ونشأ بها وحفظ القرآن ثم حج مع أهله سنة 609هـ/ 1212م وأقام بمكة حينا ثم سار إلى مصر سنة 634هـ/ 1236م فأقام بطنطا يدعو الناس إلى طريق الله والالتزام بالقرآن والسنة[3].

وثمة طريقة أخرى معاصرة للأحمدية وحظيت بالقبول لدى العامة وهي **الطريقة البراهمية** نسبة إلى الشيخ إبراهيم الدسوقي القرشي (ت 676هـ/ 1277م) وهو مصري الأصل والمولد ترجم له الشعراني في طبقاته ترجمة مطولة[4]. وكان يدعو إلى ضرورة الالتزام بآداب الشريعة، ومن أقواله المأثورة: "**الشريعة أصل، والحقيقة [التصوف] فرع، فالشريعة جامعة لكل علم مشروع، والحقيقة جامعة لكل علم خفي وجميع المقامات مندرجة فيهما**"[5].

لقد نشطت الحركة الصوفية متمثلة بطرقها العديدة في ظل الرعاية الأيوبية، ويعزى إلى صلاح الدين أنه أول من بنى خانقاه في مصر وهي الخانقاه الصلاحية بالقاهرة سنة 569هـ/ 1270م، ونزلها عدد كبير من الزهاد والمتصوفة من داخل مصر

(1) المناوي، الكواكب الدرية، 2/ 344، منيف، عصر الدول، ص65.

(2) ينظر سيرته: ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص289ـ290؛ الشعراني، الطبقات الكبرى، 1/ 183ـ187.

(3) السيوطي، حسن المحاضرة، 1/ 109ـ110، ابن الوكيل، تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب، تحقيق محمد الشنتاوي (القاهرة: 1999)، ص31.

(4) ينظر: الطبقات الكبرى، 1/ 165ـ183، ابن الوكيل، تحفة الأحباب، ص31.

(5) الشعراني، الطبقات الكبرى، 1/ 166.

وخارجها وأصبحت بمثابة مؤسسة تعليمية راقية تصدر التدريس فيها نخبة من مشاهير علماء ذلك العصر[1].

ووصفت الحياة داخل تلك الخانقاه بالترف والسعة أدنى منها إلى أن توصف بالفقر والخشونة حيث تنافس الأيوبيون في تزويدها بالطعام والأثاث، كما كانت تصرف لمن ينقطع فيها الرواتب، فقد أشار المقريزي في معرض حديثه عن الخانقاه الصلاحية أن السلطان صلاح الدين رتب لنزلائها في كل يوم الطعام من اللحم والخبز وبنى لهم حماما بجوارهم، كما شرط أن من مات من الصوفية وترك عشرين دينارا فما دونها كانت للفقراء ولا يتعرض لها الديوان السلطاني، ومن أراد منهم السفر إلى بلاده يمكّن من ذلك بإعطائه مصاريف السفر[2].

وسار على نهجه بقية السلاطين فعلى سبيل المثال أنعم الملك الكامل محمد بن العادل سنة 624هـ/ 1226م على جميع المدارس والرباطات والخوانق وجبات طعام من الخبز والحلوى[3].

ويصف الرحالة ابن جبير المتصوفة في مصر والشام بأنهم كانوا أشبه "**بالملوك فقد كفاهم الله مؤن الدنيا وفضولها وفرغ خاطرهم لعبادته من الفكر في أسباب المعايش**"[4] على أن المتصوفة لم يعيشوا لبطونهم وأن حياتهم لم تكن كلها نعيما ومتاعا بل كانوا يؤثرون شغف العيش والتقشف لذلك أطلق عليهم اسم "**الفقراء**" لأن الفقر شعار الصالحين[5]، واعتادوا على لبس الثياب الخشنة كالصوف وعكفوا التجرد عما سوى الله وتزكية نفوسهم، بالأخلاق الجميلة لأن التصوف هو طريق الوصول إلى الله

(1) عن هذه الخانقاه ودورها في الحياة العلمية ينظر: الفصل الخامس، المبحث الخامس، ص283ـ285.

(2) المواعظ والاعتبار، 2/ 415.

(3) الداوداري، كنز الدرر، 7/ 281، علي نجم عيسى، حماة في العهد الأيوبي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة، 1990، ص148.

(4) رحلة ابن جبير، ص248.

(5) عاشور، مصر في عصر دولة المماليك، ص187.

تعالى[1]. أو كما عرفها البعض بأنه: "**بغض الدنيا حبا في الله**"[2].

ويذكر أن بعض المتصوفة كانوا من حملة علوم الشريعة فكان منهم الفقهاء والمحدثون والمفسرون.. الخ، وظهرت في تلك الحقبة ما يمكن أن نسميه بـ"**الطالب المتصوف**"[3] فساهموا مساهمة إيجابية في حياة المجتمع العلمية وسعى العامة من الناس للإفادة منهم والتبرك بهم ، وذكر المقريزي أنه "**جرت العادة أن يأتي الناس من مصر (الفسطاط) إلى القاهرة كل جمعة ليشاهدوا صوفية خانقاه الصلاحية عند خروجهم منها وتوجههم إلى صلاة الجمعة بالجامع الحاكمي كي تحصل لهم البركة والخير بمشاهدتهم في مشهد رائع..**"[4].

وقد وفد إلى مصر خلال العصر الأيوبي عدد من المتصوفة والزهاد من مختلف أرجاء العالم الإسلامي وآثر بعضهم البقاء في البلاد والاندماج في المجتمع المصري[5] واضطلعوا بأدوار علمية واجتماعية مختلفة وترك بعضهم مصنفات في التصوف فعلى سبيل المثال صنف الشيخ محمد بن عبد الله بن شاس المالكي كتابا دعاه: "**كرامات الأولياء**"[6] ولفخر الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الشيرازي (ت 622هـ/ 1225م) كتاب "**الفرق بين الفقير والصوفي**"، وكتاب "**برق النقا وشمس اللقا**" و"**مطية النقل وعطية العقل**" وكان الشيرازي قد دخل مصر سنة 566هـ/ 1171م وأقام بزاويته بمعبد ذي النون المصري مواظبا على العبادة حتى وفاته سنة 622هـ/ 1225م[7].

---

(1) النويري، الإلمام، 4/ 54.

(2) حمزة، الحركة الفكرية، ص97.

(3) عثمان، المدينة الإسلامية، ص243.

(4) المواعظ والاعتبار، 2/ 415، البازالعريني، الشرق الأدنى، ص217.

(5) ينظر على سبيل المثال: المنذري، التكملة، 1/ 87،114،209،225،364،370،468،2/ 62،79، 133،201،372،467،مج3/ 63،96،186،222،334،407،418،.. السيوطي، حسن المحاضرة، 1/ 107ـ110.

(6) ابن كثير، البداية، 13/ 86؛ خليفة، كشف الظنون، 2/ 386.

(7) ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، 1/ 414ـ415؛ ابن العماد، شذرات، 5/ 101.

أما الإمام الشاذلي فقد صنف عدة كتب منها: "**رسالة الأمين**"[1] و"**التسلي والتبصر**"[2]، وللمتصوف عبد الله بن محمد بن علي الطائي المعروف بابن عربي (ت 638هـ/ 1240م) وله اربعمئة مصنف منها "**مفتاح السعادة في معرفة المدخل إلى طريق الإرادة**" و"**مبايعة القطب في حضرة القرب**" وكتاب "**جلاء القلوب**" و"**الأعلام بإشارات أهل الإلهام**" و"**السراج الوهاج في شرح كلام الحلاج**" **والفتوحات المكية في معرفة الاسرار المالكية، فصوص الحكم، ترجمان الاشواق، محاضرة الابرار ومسامرة الأخيار........الخ**.[3]

وصنف جلال الدين محمد بن بهاء الدين القونوي (ت 672هـ/ 1273م) كتاب "**لب الألباب في التصوف**"[4] ولتاج الدين احمد بن عطاء الله الإسكندراني كتاب "**المرقى إلى القدير الأبقى**"[5] وترك الشيخ عبد العزيز بن احمد بن سعيد الديريني السابق ذكره كتاب "**طهارة القلوب والخضوع لعلام الغيوب**" و"**أنوار المعارف وأسرار العوارف**"[6].

ولم تقتصر مساهمات المتصوفة على الميادين العلمية والتعبدية وإنما كانت للكثير منهم مساهماتهم الجهادية فعلى سبيل المثال عرف عن الشيخ علي بن عثمان بن علي بن سليمان الأربلي (ت 670هـ/ 1271م) أنه كان جنديا وشاعرا متصوفا سكن الفيوم ودخل في خدمة الناصر بن العزيز[7].

---

(1) خليفة، كشف الظنون، 3/ 353.

(2) خليفة، المصدر نفسه ، 1/ 338.

(3) الصفدي، الوافي بالوفيات، 4/ 175؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، 1/ 273؛ ابن تغري بردي، النجوم، 6/ 339ـ340؛ ابن كثير، البداية، 13/ 156، السيوطي، طبقات المفسرين، ص38، الغبريني، عنوان الدراية، ص165ـ166، الداوودي، طبقات المفسرين، 2/ 204.

(4) الصفدي، الوافي بالوفيات، 2/ 200؛ خليفة، كشف الظنون، 4/ 268.

(5) خليفة، المصدر نفسه ، 4/ 314.

(6) ابن قاضي شهبة، طبقات، 22/ 37، الداوودي، طبقات المفسرين، 1/ 312، خليفة، كشف الظنون، 2/ 132.

(7) الكتبي، فوات الوفيات، 3/ 39ـ41.



الفصل الثالث

العلوم اللغوية والاجتماعية

أولا : علوم اللغة العربية وآدابها

أ . علم اللغة

ب . علم النحو

ج . علم الصرف

د . الأدب

1. الشعر

2. علم العروض والقوافي

3. النثر والبلاغة

ثانياً- علم التاريخ

أ- السير الخاصة

ب- التراجم والطبقات

جـ- الأنساب

د- التواريخ المحلية والعامة

ثالثاً - علم الجغرافية وأدب الرحلات



الفصل الثالث
العلوم اللغوية والاجتماعية

أولا: علوم اللغة العربية وآدابها.

كانت في مقدمة العلوم التي نالت عناية الفاطميين بمصر[1]، كما اهتم بها الأيوبيون، ويبدو أن الأسباب التي دعت إلى استمرار الاهتمام بهذه العلوم في العصر الأيوبي تكمن فيما يلي:

أولا: صلتها الوثيقة بالعلوم الدينية باعتبار أن علوم العربية هي الوسيلة والأداة لفهم واستيعاب علوم القرآن والسنة النبوية[2]، لذلك لم يكن بالإمكان الاستغناء عنها. ومن مظاهر الاهتمام بعلوم العربية من لغة ونحو وأدب أنها كانت من أهم المواد الدراسية في المساجد والمدارس بمصر[3] لذلك فقد جاء تطورها موازيا لتطور العلوم الدينية.

ثانيا: مساهمة الأمراء والسلاطين الأيوبيين في أنشطتها ورغبتهم بمعرفتها وتعليم أولادهم إياها، وكان للكثير من علماء العربية صلة وثيقة بالأيوبيين مثل العلامة عبد الله بن بري الذي درس عليه السلطان صلاح الدين[4] وأبناؤه الأفضل

(1) عبد العال سالم مكرم، المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن من الهجرة (القاهرة: 1980)، ص43؛ عنان، الحاكم بأمر الله، ص361.

(2) الغزالي، إحياء علوم الدين، 1/ 22؛ ابن خلدون، المقدمة، ص753.

(3) المنذري، المصدر السابق، 1/ 208، 213، 3/ 293، 327، 525؛ ابن خلكان، المصدر السابق، 7/ 197؛ الصفدي، أعيان العصر، 1/ 239؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 13/ 315.

(4) المنذري، المصدر السابق، 1/ 184؛ الذهبي، العبر، 3/ 99؛ اليافعي، مرآة الجنان، 3/ 333.

علي[1]، والعزيز عثمان[2]، كما تخرج عليه الملك الكامل محمد[3]، وغيرهم ممن تتلمذوا عليه فصار إبان حكمهم شيخا للعائلة الأيوبية.

واشتهر الملك المعظم عيسى - صاحب دمشق كونه عالما بالفقه والنحو واللغة، وكان يحاضر العلماء في أكثر أوقاته[4] وسبق له أن تلقى علوم النحو والأدب على عدد من العلماء منهم تاج الدين أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي (ت 613هـ/ 1216م)[5].

ومن مظاهر دعمه لعلوم اللغة والنحو تخصيصه مبلغ مائة دينار لكل من يحفظ كتاب "**المفصل**" لمحمود بن عمر الزمخشري (ت 538هـ/ 1143م)، ومبلغ مائتي دينار لكل من يحفظ كتاب "**الإيضاح**" لأبي علي النحوي فحفظ الكتابين جماعة كبيرة[6].

ولا يخفى أن عناية الأيوبيين بعلوم العربية وآدابها جاء انطلاقا من حبهم وتحمسهم للإسلام على اعتبار أن العربية هي لغة القرآن الكريم.

وكان لرعاية الأيوبيين ودعمهم لهذا الجانب العلمي أن قدم مصر عدد كبير من الأدباء وعلماء اللغة والنحو والصرف نذكر منهم: الفقيه اللغوي أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن البنجديهي - نسبة إلى بنج ديه من أعمال مرو بخراسان (ت 584هـ/ 1188م) نزل بمصر سنة 575هـ/ 1179م وأملى بها في مجالس للعلم[7].

وممن قدمها أيضا: أبو الفتح عثمان بن عيسى البلطي الموصلي (ت599هـ/ 1202م) وكان من علماء اللغة البارعين ارتحل إلى مصر زمن السلطان

(1) المنذري، المصدر نفسه، 1/ 140؛ الغساني، العسجد المسبوك، ص414؛ الزبيدي، ترويح القلوب، ص69.

(2) المنذري، المصدر نفسه، 1/ 320؛ الذهبي، العبر، 3/ 111؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 1/ 127.

(3) المنذري، المصدر نفسه ، 3/ 485؛ الذهبي، العبر، 3/ 223؛ الزبيدي، ترويح القلوب، ص61.

(4) ابن واصل، مفرج الكروب، 4/ 141.

(5) اليماني، إشارة التعيين، ص122-123؛ مكرم، المدرسة النحوية، ص44.

(6) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ق2/ 647؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 13/ 122؛ الحنبلي، شفاء القلوب، ص276؛ ابن العماد، شذرات، 5/ 115.

(7) القفطي، أنباه الرواة، 3/ 166؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، 4/ 391.

صلاح الدين وتولى التدريس بجامع عمرو بن العاص الذي كان من أهم مراكز دراسة العلوم العربية بمصر[1].

كما حل بمصر عدد كبير من العلماء المغاربة والأندلسيين منهم: زين الدين يحيى بن معط الزواوي[2] ووصف كونه أحد مشاهير أئمة النحو واللغة في عصره، انتقل من بلاده إلى دمشق ومنها إلى مصر بناءً على دعوة الملك الكامل محمد الذي قرر له التصدر بجامع عمرو بن العاص لتدريس العربية وخصص له راتبا على ذلك[3].

كما حظي جمال الدين عبد الله بن إبراهيم المغربي (ت 645هـ/ 1247م) برعاية الملك الكامل محمد الذي أسند إليه القضاء والخطابة بالإسكندرية[4].

واشتهر محمد بن مالك النحوي (ت 672هـ/ 1273م) بأنه من كبار نحاة الأندلس الذين نزلوا بمصر، وسبق له أن تلقى معارفه في بلاده ثم رحل إلى المشرق وكان همه أن ينبغ في اللغة والنحو، وكان له ما أراد وكاد ينازع سيبويه شهرته حيث صار يضرب به المثل في معرفته بدقائق النحو، وغوامض الصرف، وغريب اللغة مع التحري فيما ينقله[5]، وترك مجموعة من المؤلفات سوف يشار إليها تباعا.

ثالثا: ومما ساهم في زيادة الاهتمام بالعربية وآدابها التحدي الصليبي الغربي للإسلام، وإدراك الأيوبيين للدور الخطير الذي يمكن أن يلعبه الأدباء في ميدان الجهاد.

رابعا: قرب مصر من أفريقيا جنوب الصحراء وازدياد الداخلين في الإسلام من

---

(1) ياقوت، معجم الأدباء، 12/ 147؛ القفطي، أنباء الرواة، 2/ 344؛ الغساني، العسجد المسبوك، ص280؛ بروكلمان، تاريخ الأدب، 5/ 304.

(2) نسبة إلى زواوة بين تونس والمغرب ،ياقوت معجم البلدان 3/ 155.

(3) أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص106؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، 7/ 197؛ ابن كثير، البداية، 13/ 129؛ السيوطي، بغية الوعاة، ص416.

(4) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 23/ 273.

(5) الكتبي، فوات الوفيات، 3/ 407؛ ابن الجزري، غاية النهاية، 2/ 180؛ اليماني، إشارة التعيين، ص321؛ بروكلمان، تاريخ الأدب، 5/ 291.

الأفارقة الذين اكتظت بهم الحواضر المصرية لاسيما القاهرة والإسكندرية تطلب جهدا إضافيا في دعم علوم اللغة.

أ ـ علم اللغة:

وهو العلم الذي "يبحث في الأوضاع الخاصة للمفردات اللغوية وهيئاتها وملاحظة كل لفظة وما تعنيه من مقاصد"[1].

وتبدو العناية به جليا للعيان بمصر في العصر الأيوبي، فقد برز عدد كبير من العلماء ممن كانت لهم إسهاماتهم الفاعلة في هذا الجانب تدريسا وتأليفا نذكر منهم:

أبو جعفر محمد بن عبد الله الصقلي (ت 565هـ/ 1169م) وكان ملما باللغة والنحو، ومن آثاره: "**الاشتراك اللغوي**" و"**الرد على الحريري في درة الغواص**" و"**المطول في شرح المقامات**" و"**ملح اللغة فيما اتفق لفظه واختلف معناه**" ورتبه على حروف المعجم[2].

وأبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن العثماني الديباجي (ت 572هـ/ 1176م) وتولى تدريس اللغة والنحو بمدينة الإسكندرية[3].

ومن كبار علماء العربية بمصر: عبد الله بن بري وتصدر التدريس بجامع عمرو ابن العاص وعليه تخرج خلق كثير من المصريين وغيرهم من جملتهم: أبو موسى عيسى ابن عبد العزيز الجزولي (ت 607هـ/ 1210م) صاحب المقدمة في النحو[4]. ومما يدل على مكانة ابن بري العلمية وتضلعه بعلم اللغة والنحو أن أسند إليه الفاطميون منصبا رفيعا في ديوان الإنشاء بحيث لا يخرج كتاب حتى يعرض عليه ويصححه من جهة النحو واللغة[5].

---

(1) خليفة، كشف الظنون، 2/ 264.

(2) السيوطي، بغية الوعاة، ص60.

(3) الذهبي، العبر، 3/ 62؛ اليافعي، مرآة الجنان، 3/ 301.

(4) القفطي، أنباء الرواة، 2/ 378؛ أبو الفداء، المختصر، 2/ 154؛
H.Fleish, (Art: Ibn Barri), Encyclopaedia of Islam, (London , 1971), Vol.3, P.733.

(5) ابن خلكان، وفيات الأعيان، 3/ 108ـ109؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 2/ 137؛ السبكي، طبقات الشافعية، 7/ 122؛ السيوطي، بغية الوعاة، ص278.

كما كانت له صلة وثيقة بالأيوبيين يدل على ذلك اجتماعه بهم وسماعهم منه. ولابن برِي طائفة من المصنفات في علوم مختلفة أكثرها في اللغة والقليل منها في النحو وذلك لغلبة اللغة عليه واستئثارها باهتمامه، إضافة إلى بعض المؤلفات في علوم أخرى وثيقة الصلة بالعربية ولا تزال أغلبها مخطوطة، ومن أشهر مؤلفاته اللغوية نذكر: حواشي على كتاب الصحاح لإسماعيل بن حماد الجوهري (ت 393هـ/ 1002م) والمشهور "**بحواشي ابن بري على الصحاح**" ويقع في ستة مجلدات[1]. وقد استعان به ابن منظور (ت 711هـ/ 1311م) على وضع معجمه "**لسان العرب**"[2].

ولابن بري أيضا كتاب "**اللباب في الرد على ابن الخشاب**" وانتصر فيه للحريري (ت516هـ/ 1122م) في المقامات[3]، وله أيضا "**حواشي على درة الغواص في أوهام الخواص**" للحريري وكتاب "**غلط الضعفاء من الفقهاء**" و"**الفروق** في اللغة"[4].

واشتهر أبو القاسم بن فيرة الشاطبي بأنه كان من كبار علماء عصره في علم القراءات واللغة والنحو، تولى التدريس بالمدرسة الفاضلية بالقاهرة إلى حين وفاته وتخرج عليه خلق كثير في القراءات والنحو[5].

ومن علماء اللغة أيضا: محمد بن إبراهيم القوصي (ت 596هـ/ 1199م)[6]،

---

(1) ابن الصلاح، طبقات الشافعية، 1/ 505؛ القفطي، أنباء الرواة، 2/ 110؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، 3/ 108؛ السيوطي، بغية الوعاة، ص278ـ279.

(2) زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، 3/ 57.

(3) قام بتحقيقه حاكم مالك الزيادة ضمن أطروحته للدكتوراه الموسومة "**ابن بري وجهوده اللغوية مع تحقيق كتاب اللباب في الرد على ابن الخشاب**"، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1981.

(4) القفطي، أنباه الرواة، 2/ 110ـ111؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، 3/ 109؛ ابن قنفذ، الوفيات، ص293 (المحقق)؛ H.Fleish, Op.cit.Vol.3,P.733.

(5) المنذري، التكملة، 1/ 207؛ الصفدي، نكت الهميان، ص228؛ ابن الجزري، غاية النهاية، 2/ 20ـ21.

(6) السيوطي، بغية الوعاة، ص6؛ الداوودي، طبقات المفسرين، 2/ 52.

وأبي الفضل عبد الكريم بن علي الإسكندراني (ت 612هـ/ 1215م)، من آثاره: "شرح أبيات الجمل" لعبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت 337هـ/ 949م)[(1)].

ومن العلماء الذين صنفوا في اللغة زين الدين يحيى بن معط الزواوي الذي قام بنظم مجموعة كتب منها نظمه لكتاب الصحاح للجوهري و"الجمهرة" لمحمد بن دريد (ت321هـ/ 933م) كما نظم كتاب "المثلث" في اللغة لمحمد بن المستنير المعروف بقطرب (ت 206هـ/ 821م)[(2)].

وللعلامة موفق الدين البغدادي عدد من المصنفات اللغوية منها: "ذيل على كتاب الفصيح" لاحمد بن يحيى بن ثعلب (ت 291هـ/ 903م) و"مقالة في اللغات وكيفية تولدها" و"الإنصاف بين ابن بري وابن الخشاب في كلامهما على المقامات"[(3)].

واشتهر احمد بن يوسف بن علي الفهري (ت 691هـ/ 1291م) كونه من كبار علماء مصر في اللغة، من آثاره "**البغية في اللغة**" و"**مستقبلات الأفعال**"[(4)].

والعلامة بهاء الدين محمد بن إبراهيم بن النحاس (ت 698هـ/ 1298م) وكان شيخ العربية بمصر، تصدر التدريس بالجامع الطولوني وتخرج عليه نخبة من الأئمة وفضلاء الأدب[(5)]. واحمد بن موسى بن احمد الفيومي (ت 701هـ/ 1301م) وكانت له اهتمامات لغوية تولى التدريس والإفادة بقوص[(6)].

ونظرا للصلة الوثيقة بين علوم الدين واللغة فقد ظهر عدد من القراء والمفسرين

---

(1) المنذري، التكملة، 2/ 346؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، 1/ 183-184؛ السيوطي، بغية الوعاة، ص311.

(2) أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص106؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، 7/ 197؛ الغساني، العسجد المسبوك؛ ص451؛ ابن كثير، البداية، 13/ 129؛ السيوطي، بغية الوعاة، ص416.

(3) القفطي، أنباء الرواة، 3/ 193؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص694؛ خليفة، كشف الظنون، 1/ 189، 2/ 636.

(4) السيوطي، بغية الوعاة، ص176.

(5) الذهبي، دول الإسلام، 2/ 201؛ العبر، 3/ 392؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 8/ 183.

(6) الصفدي، أعيان العصر، 1/ 239.

والمحدثين ممن كان لهم إلمام باللغة العربية ومفرداتها مثل المفسر محمد بن يوسف القرطبي[1]، وأبا الخطاب عمر بن دحية المحدث وكان ملما باللغة والنحو[2]. واشتهر العلامة الشهاب محمد بن احمد الخوي بمشاركته في علوم القرآن والحديث والفقه واللغة، ومن آثاره اللغوية: **"كفاية المتحفظ"** ونظمه لكتاب الفصيح لثعلب[3].

ب ـ علم النحو:

النحو **لغة** ـ القصد والطريق[4]، وفي **الاصطلاح** ـ هو **"علم بقوانين التراكيب العربية من الإعراب والبناء وغيرهما وتعرف به صحة الكلام وفساده"**[5] فهو قانون اللغة العربية وميزان تقويمها[6]، وعده البعض من العلوم الرفيعة[7] لما له من صلة وثيقة بالعلوم الدينية وكونه أداةً ووسيلة لفهم القرآن الكريم وضبط قراءته[8]. فلا غرابة أن أصبح النحو مادة أساسية سعى المسلمون على اختلاف مستوياتهم وتخصصاتهم العلمية أن ينهلوا من معارفه، وكانت مبادئه الأولية تلقى على الصبيان في الكتاتيب والمساجد[9].

ومما ساهم في تطور الدراسات النحوية في مصر خلال العصر الأيوبي هو

(1) الداوودي، طبقات المفسرين، 2/ 221.

(2) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج8؛ ق2/ 698؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، 4/ 1420؛ الغبريني، عنوان الدراية، ص269.

(3) الكتبي، فوات الوفيات، 3/ 313؛ السيوطي، بغية الوعاة، ص10؛ كحالة، معجم المؤلفين، 3/ 63.

(4) ابن منظور، لسان العرب، 3/ 599.

(5) الجرجاني، التعريفات، ص308.

(6) القلقشندي، صبح الأعشى، 1/ 204.

(7) صبح الأعشى، 1/ 206.

(8) احمد محمد فارس، النداء في اللغة والقرآن (بيروت: 1989)، ص24؛ خليل إبراهيم السامرائي، دراسات في تاريخ الفكر العربي (جامعة الموصل: 1983)، ص183.

(9) الأندلسي، الغصون اليانعة، ص19.

مساهمة الأيوبيين في أنشطتها، ودعمهم لعلمائها سيما الملك الكامل محمد الذي اشتهر بحبه لعلم الحديث والنحو[1]. ونظرا لإلمامه بالكثير من المسائل النحوية فإنه كان يخوض في مناقشاتها مع النحويين[2].

ومن مشاهير النحاة الذين قدموا مصر في عهده واتصلوا به وكانوا يحضرون مجالسه الخاصة يحيى بن معط الزواوي السابق ذكره[3]. وسليمان بن محمد الخلي اليمني (ت650هـ/ 1252م)[4].

ومن مظاهر الاهتمام بالنحو أن تداول العلماء أمهات الكتب النحوية التي كانت مدار الدراسة والشرح والتعليق لعل من أشهرها كتاب "**المفصل**" للزمخشري[5]، وكان قد حظي بشروح كثيرة سوف نأتي على ذكرها، وكذلك "**الكتاب**" في النحو لعمرو بن سيبويه (ت نحو 180 هـ/ 796م)[6]، وكتاب "**الجمل**" في النحو و"**الإيضاح**" في علل النحو لابي اسحق الزجاجي (ت339هـ/ 950م)[7]. و"**المقدمة في النحو**" و"**شرح الجمل**" لأبي الحسن بن بابشاذ المصري (ت 469هـ/ 1076م)[8] ومقدمة في النحو المسماة بـ"**القانون**" لأبي موسى عيسى

(1) القفطي، أنباء الرواة، 2/ 22؛ ابن كثير، البداية، 13/ 149؛ مكرم، المدرسة النحوية، ص44.

(2) ابن واصل، مفرج الكروب، 5/ 158ـ159؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ص303ـ304.

(3) ابن خلكان، وفيات الأعيان، 7/ 197؛ اليافعي؛ مرآة الجنان، 4/ 53.

(4) القفطي، أنباء الرواة، 2/ 22؛ ابن واصل، مفرج الكروب، 5/ 164.

(5) أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص95؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، 5/ 68؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 13/ 71؛ السبكي، طبقات الشافعية، 8/ 46؛ السيوطي، بغية الوعاة، ص263.

(6) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 22/ 37؛ اليماني، إشارة التعيين، ص136،295؛ الداوودي، طبقات المفسرين، 2/ 221.

(7) القفطي، أنباء الرواة، 2/ 379؛ أبو شامة، الذيل، ص95.

(8) الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق إبراهيم السامرائي (الزرقاء: 1985)، ص263، السيوطي، حسن المحاضرة، 1/ 113؛ بروكلمان، تاريخ الأدب، 5/ 301.

الجزولي[1] وسواها من المؤلفات.

وإذا كان من العسير حصر جميع العلماء ممن كانت لهم اهتمامات نحوية، فمن المفيد الإشارة إلى أشهرهم سيما أولئك الذين كانت لهم مؤلفات في هذا المجال ومنهم:

عبد الله بن بري وإليه انتهى علم العربية في زمانه وشاع ذكره في مصر وخارجها ولقب بـ"**رئيس النحاة**"[2]، من آثاره: "**شرح شواهد الإيضاح**" و"**رسالة في لو الامتناع**" و"**فصل في شروط الحال وأحكامها وأقسامها**" و"**جواب المسائل العشر**" في النحو[3].

وصنف العلامة الحسن بن الخطير الفارسي كتابا في النحو دعاه: "**تنبيه البارعين على المنحول من كلام العرب**"[4]. وللنحوي شيت بن إبراهيم القناوي كتاب "**الإشارة في تسهيل العبارة**" و"**المعتصر من المختصر**"، وكان القاضي الفاضل يجله ويقبل على حديثه وبينهما رسائل ومكاتبات[5].

ومن علماء النحو أيضا: سليمان بن بنين بن خلف الأنصاري (ت 614هـ/ 1217م) وهو من أصحاب ابن بري وشاع ذكره بمصر وتخرج عليه خلق من أهلها. من آثاره: "**الوضاح في شرح أبيات الإيضاح**" و"**منتهى الأدب في مبتدأ كلام العرب**" و"**الدرة الأدبية في نصرة العربية**" و"**فرائد الأدب وقواعد الإعراب**"[6].

وأبو الحسن يحيى بن عبد الله الأنصاري (ت 623هـ/ 1226م) قرأ النحو على

(1) القفطي، أنباء الرواة، 2/ 378؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ص244؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، 5/ 145.

(2) اليماني، إشارة التعيين، ص161.

(3) القفطي، أنباء الرواة، 2/ 110-111؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، 3/ 109؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 21/ 136؛ السيوطي، بغية الوعاة، ص278؛ الزيادة، ابن بري وجهوده، ص129،136.

(4) المنذري، التكملة، 1/ 402؛ ياقوت، معجم الأدباء، 8/ 102.

(5) القفطي، أنباه الرواة، 2/ 73-74؛ الصفدي، نكت الهميان، ص168؛ الكتبي، فوات الوفيات، 2/ 111؛ السيوطي، بغية الوعاة، ص267؛ اليماني، إشارة التعيين، ص142.

(6) السيوطي، بغية الوعاة، ص261؛ اليماني، إشارة التعيين، ص134 هامش (المحقق).

ابن بري وتصدر التدريس بجامع عمرو بن العاص مدة طويلة وكان له **"في حسن التعليم وإفهام الطلبة اليد البيضاء"**[1].

وأبو القاسم عبد الصمد بن عبد الله اللخمي (ت 626هـ/ 1228م) وكان ماهرا في النحو، ومن العلماء الذين تخرجوا عليه الحافظ عبد العظيم المنذري[2].

ومن مشاهير النحاة المصريين: عيسى بن عبد العزيز بن عبد الواحد اللخمي الإسكندري (ت 629هـ/ 1231م) من تصانيفه: "الأمنية في علم العربية" و"اللمحة المعنية واللمعة المغنية في النحو" و"الرسالة البارعة في الأفعال المضارعة" و"الإفهام في أقسام الاستفهام"[3].

وأبو الحسن علي بن عبد الصمد المقرئ النحوي (ت 633هـ/ 1235م) المعروف بابن الرماح تصدر التدريس بالمدرستين السيفية والفاضلية بالقاهرة[4]. وأبو بكر بن يحيى بن عبد الله الجذامي المصري المعروف بالخفاف (ت 657هـ/ 1258م) وله شرح **"كتاب سيبويه"**. وشرح **"كتاب الإيضاح"** كما قام بشرح كتاب **"اللمع"** لابي عثمان بن جني الموصلي (ت 392هـ/ 1003م)[5].

ومن علماء مصر كذلك: جلال الدين احمد بن عبد الرحمن الدشناوي (ت677هـ/ 1278م) وله **"مقدمة في النحو"**[6]، وهبة الله بن عبد الله بن سيد الكل القفطي (ت697هـ/ 1297م) نشأ بقوص ودخل القاهرة وصنف في كثير من العلوم، من مؤلفاته **"مقدمة في النحو"** وشرح **"مقدمة المطرزي"** لأبي عبد الله بن محمد المطرز (ت456هـ/ 1063م)[7].

---

(1) المنذري، التكملة، 3/ 193؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ص159ـ160.

(2) المنذري، التكملة، 3/ 243.

(3) السيوطي، بغية الوعاة، ص235.

(4) المنذري، التكملة، 3/ 415؛ الذهبي، العبر، 3/ 216؛ ابن العماد، شذرات الذهب، 5/ 159.

(5) السيوطي، بغية الوعاة، ص207.

(6) السبكي، طبقات الشافعية، 8/ 21؛ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، 1/ 461.

(7) السبكي، طبقات الشافعية، 8/ 390؛ السيوطي، بغية الوعاة، ص408.

واحمد بن موسى بن محمد الفيومي (ت 701هـ/ 1301م) وكان بارعا في النحو حتى قيل أنه لا يتكلم إلا بإعراب، تولى التدريس بقوص، من آثاره النحوية: "**نتف المحاضرة في النحو**" وله أيضا "**مسائل نحوية وأدبية**"[1].

ومما ساهم في نشاط الدراسات النحوية بمصر خلال العصر الأيوبي أن حل بها عدد كبير من النحويين وكان لبعضهم جهود متميزة في هذا المجال نذكر منهم:

أبو عثمان بن علي الصقلي (ت 576هـ/ 1180م)، إمام اللغة والنحو وله "**حواشي على كتاب الإيضاح**" لأبي علي الفارسي[2]، ومحمد بن احمد بن طاهر الأشبيلي (ت580هـ/ 1184م) وكان قد رحل إلى مصر وأقام بها وله تعاليق على كتاب "**سيبويه**" سماه "**الطرز**"[3].

وأبو الحسن علي بن محمد الأندلسي (ت 609هـ/ 1208م) وله "**شرح كتاب سيبويه**" و"**شرح كتاب الجمل**" للزجاجي[4]. وأبي محمد بن سحنون بن علي الغماري (ت624هـ/ 1226م) قدم مصر سنة 568هـ/ 1172م ودرس النحو بجامع عمرو بن العاص إلى حين وفاته[5].

ومن مشاهير علماء المغاربة أيضا: يحيى بن معط الزواوي وكانت مؤلفاته مدار اهتمام العلماء بمصر لاسيما كتاب "**الدرة الألفية في النحو**"[6]، وله أيضا: "**الفصول الخمسون**" و"**العقود والقوانين**" و"**حواشي على الأصول الكبير**" لمحمد بن السري المعروف بابن السراج (ت 316هـ/ 928م) و"**شرح الجمل**" للزجاجي، و"**شرح**

---

(1) الصفدي، أعيان العصر، 1/ 239.

(2) اليماني، إشارة التعيين، ص203.

(3) اليماني، المصدر نفسه ، ص295.

(4) ابن الساعي، الجامع المختصر، ص306؛ الكتبي، فوات الوفيات، 3/ 84-85؛ أبو الفداء، المختصر، 3/ 115.

(5) المنذري، التكملة، 3/ 213؛ ابن الجزري، غاية النهاية، 1/ 393.

(6) ياقوت، معجم الأدباء، 20/ 36؛ أبو شامة، الذيل، ص160؛ ابن خلكان، وفيات، الأعيان، 6/ 197؛ خليفة، كشف الظنون، 1/ 176؛ زيدان، تاريخ آداب، 3/ 58.

أبيات سيبويه"[1].

وأبو الخطاب عمر بن دحية المحدث النحوي وهو أول من تولى مشيخة دار الحديث الكاملية بالقاهرة، من آثاره في النحو كتاب "**الضوابط النحوية**"[2]. والنحوي الأندلسي احمد بن محمد بن خلف الشريشي (ت 640هـ/ 1242م) وله "**شرح المفصل في النحو**" و"**شرح الجزولية**"[3] والعلامة محمد بن عبد الله السلمي المرسي وكان قد جمع بين علمي التفسير والنحو، من مؤلفاته: "**الضوابط الكلية في علم العربية**" و"**الإملاء على المفصل**" وله أيضا "**الكافي في النحو**"[4].

والنحوي نجم الدين الفتح بن موسى الأندلسي وهو من تلاميذ الجزولي، رحل إلى مصر ودرس **بالمدرسة الفائزية** بالقاهرة، كما تولى قضاء أسيوط وبها كانت وفاته. وله نظم لكتاب "**المفصل**" للزمخشري[5].

ومحمد بن مالك الأندلسي (ت 672هـ/ 1273م) وترك مجموعة من المؤلفات منها: "**الكافية الشافية**" وهي منظومة شعرية في النحو والصرف و"**الوافية**" وهو شرح للكافية[6] كما وضع مختصرا للكافية دعاه "**الخلاصة الألفية**" وتعرف أيضا بـ "**ألفية ابن مالك**" ويضم الكتاب أبوابا وفصولا كثيرة أولها باب الكلام وما يتألف منه، وآخرها باب الإدغام[7].

---

(1) أبو شامة، الذيل، ص160؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، 7/ 197؛ أبو الفداء، المختصر، 2/ 252؛ السيوطي، بغية الوعاة؛ ص416؛ مكرم، المدرسة النحوية، ص54-55.

(2) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ق2،698؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، 4/ 1420؛ الغبريني، عنوان الدراية، ص269؛ السيوطي، بغية الوعاة، ص360؛ بروكلمان، تاريخ الأدب، 5/ 365.

(3) السيوطي، بغية الوعاة، ص156-157.

(4) ياقوت، معجم الأدباء، 18/ 208؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمان، 1/ 76-77؛ السيوطي، بغية الوعاة، ص61؛ اليماني، إشارة التعيين، ص319.

(5) السبكي، طبقات الشافعية، 8/ 348؛ السيوطي، بغية الوعاة، ص372.

(6) الكتبي، فوات الوفيات، 2/ 407-408؛ ابن الجزري، غاية النهاية، 2/ 180؛ اليماني، إشارة التعيين، ص321.

(7) ابن مالك، ألفية ابن مالك في النحو والصرف (الجماميز:1984)، ص3.

ومن آثاره أيضا "المقدمة الأسدية" ألفها لابنه تقي الدين محمد المعروف بالأسد، وله "الفوائد" و"إعراب مشكل البخاري" و"تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد" و"عدة اللافظ" و"عمدة الحافظ" و"المنهاج" وهو شرح المقدمة الجزولية و"الموجز فيما يهمز وما لا يهمز" وغيرها من المصنفات[1].

كما قدم مصر عدد من علماء المشرق مثل العلامة موفق الدين البغدادي الذي كانت له جهود واضحة في النحو من خلال مجموعة مؤلفات مثل كتاب "**الواضحة في إعراب الفاتحة**" و"**شرح خمس مسائل نحوية**" و"**حاشية على كتاب الخصائص**" لابن جني، و"**شرح المفصل**" للزمخشري، وكتاب "**قبسة العجلان في النحو**" و"**شرح مقدمة بابشاذ**" وسواها من المصنفات[2].

وأبو شامة المقدسي وكان عالما بالقراءات والنحو والتاريخ من مؤلفاته "**مقدمة في النحو**"، كما نظم كتاب "**المفصل**" للزمخشري[3].

ونجم الدين يحيى بن محمد اللبودي الطبيب النحوي قدم مصر سنة 643هـ/ 1245م وحظي عند الملك الصالح نجم الدين من آثاره في النحو كتاب "**الرسالة السنية في شرح المقدمة المطرزية**"[4].

ومن الأعلام الكورد البارعين في النحو العلامة أبو عمرو عثمان بن الحاجب الأسنائي وهو من كبار نحاة مصر في العصر الأيوبي، مكنه تبحره في هذا العلم من مخالفة النحاة والرد عليهم في بعض المسائل والإشكالات التي يعسر الجواب عنها[5].

---

(1) الكتبي، فوات الوفيات، 3/ 408؛ ابن قنفذ، الوفيات، ص332؛ ابن الجزري، غاية النهاية، 2/ 180ـ181؛ اليماني، إشارة التعيين، ص321؛ بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، 5/ 291ـ295.

(2) القفطي، أنباء الرواة، 2/ 194ـ195؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص694؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 22/ 322ـ323؛ الأسنوي، طبقات الشافعية، 1/ 132.

(3) أبو شامة، الذيل، ص39ـ40؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمان، 2/ 368؛ الكتبي، فوات الوفيات، 2/ 270.

(4) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص668.

(5) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 23/ 265؛ السيوطي، بغية الوعاة، ص323، ابن العماد، شذرات الذهب، 5/ 235.

ووصفت مؤلفاته بأنها في غاية الجودة والحسن منها كتاب "**الكافية**" وهي مقدمة مختصرة في النحو لذلك قام ابن الحاجب بشرحها ونظمها في أرجوزة سماها "**الوافية**" ليسهل حفظها وتعلمها[1]، وله أيضا مجموعة شروح منها: "**شرح كتاب المفصل**" للزمخشري و"**شرح كتاب الإيضاح**" لأبي علي النحوي في كتاب دعاه "**المكتفي للمبتدء**"[2] و"**الأمالي النحوية**"[3] في مجلد كبير احتوى على تفسير وإعراب بعض الآيات القرآنية، وفوائد نحوية استخرج بعضها من "**المفصل**" و"**الكافية**". وقد أملى ابن الحاجب هذه الأمالي في أوقات متفرقة وأماكن متعددة[4].

وله كذلك "**القصيدة الموشحة بالأسماء المؤنثة**" و"**رسالة في العشر**" وهو بحث صغير في كلمة (عشر) مع الصفتين أول وآخر[5].

ولم تقتصر جهود ابن الحاجب على التأليف وحسب، بل تصدر التدريس بالمدرسة الفاضلية بالقاهرة وجلس في موضع الإمام الشاطبي وأقبل عليه طلبة العلم للأخذ والإفادة، وروى عنه كبار العلماء مثل الحافظ المنذري كما التقاه المؤرخ ابن خلكان مرارا وأثنى عليه وامتدح علمه بالعربية[6].

ج ـ علم الصرف:

هو علم "يبحث في أبنية الكلمات وهيئتها الأصلية وهيئتها بعد تغييرها، وكيفية تغييرها بالمقاييس الكلية بصيغ الماضي والمضارع، ومعانيها ومدلولاتها وغرضه تحصيل

---

(1) خليفة، كشف الظنون، 2/ 326؛ مكرم، المدرسة النحوية، ص61.

(2) ابن كثير، البداية والنهاية، 13/ 176؛ السيوطي، بغية الوعاة، ص323؛ النعيمي، الدارس، 2/ 4؛ خليفة، كشف، 1/ 214.

(3) قام بتحقيقه هادي حسن حمودي، وحمل الكتاب اسم "**الأمالي النحوية أمالي القرآن الكريم**" (بيروت: 1985).

(4) السيوطي، بغية الوعاة، ص323؛ خليفة، كشف؛ 1/ 181.

(5) أبو شامة، الذيل، ص182؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، 3/ 248؛ أبو الفداء، المختصر، 3/ 178.

(6) ينظر: وفيات الأعيان، 3/ 250؛ أبو الفداء، المختصر، 3/ 283؛ الذهبي، سير أعلام، 23/ 266.

ملكة يعرف بما ذكر من الأحوال"[1]. مثال ذلك قولك "ضرب" فهو للماضي فإذا أردت المضارع قلت "يضرب" أو اسم الفاعل قلت "ضارب" أو المفعول قلت "مضروب" أو المصدر قلت "ضرباً" وهكذا فإن التصريف هو "التلاعب بالحروف الأصول لما يراد فيها من المعاني المفادة منها"[2].

وكان علم الصرف في بداية أمره مندرجا في علم النحو[3] ثم استقل عنه في حدود منتصف القرن 3هـ/ 9م ويعد أبو عثمان بكر بن محمد بن بقية المازني البصري (ت في حدود 249هـ/ 863م) أول من صنف فيه كتابا مستقلا دعاه "**التصريف**"[4].

وشهد العصر الأيوبي بروز عدد من العلماء ممن اهتموا بعلم الصرف من خلال تأليفهم في هذا المجال وكان جلهم من النحويين فعلى سبيل المثال صنف العلامة الكوردي جمال الدين أبي عمرو بن الحاجب **كتاب الشافية** وهي مقدمة مشهورة في التصريف وكانت محل عناية العلماء[5].

كما نزل مصر عدد من علماء الأندلس ممن صنفوا في النحو والتصريف من أشهرهم: محمد بن عبد الله بن مالك وله كتاب "**الكافية الشافية**" وهي أرجوزة في نحو ثلاثة آلاف بيت وضمت إلى جانب النحو موضوعات في الصرف ثم قام ابن مالك بشرحها في كتاب سماه "**الوافية**" وعلق عليه عدد من العلماء منهم محمد بن علي الأربلي (ت686هـ/ 1287م)[6].

---

(1) السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق أكرم عثمان يوسف (جامعة بغداد:1981)، ص108؛ خليفة، كشف الظنون، 1/ 343.

(2) ابن جني، التصريف الملوكي (مصر: د/ ت)، ص2ـ3.

(3) خليفة، كشف الظنون، 1/ 343.

(4) ابن خلكان، وفيات الأعيان، 1/ 283.

(5) ابن خلكان، وفيات الأعيان، 3/ 249ـ250؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 13/ 176؛ ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق محمد الأحمدي (القاهرة: 1977)، 2/ 88؛ السيوطي، بغية الوعاة، ص323؛ بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، 5/ 327.

(6) خليفة، كشف الظنون، 2/ 326.

ولابن مالك أيضا: "**الخلاصة**" أو "**الألفية**" وهي أرجوزة في ألف بيت اختصر فيها الكافية، وقد ظفرت بعناية العلماء فوضعوا عليها الشروح والحواشي وأصبحت أساسا لدراسة علم الصرف، واشتهرت باسم "**ألفية ابن مالك**"، وله أيضا مختصر في التصريف دعاه "**ضروري التصريف**" قام بشرحه في كتاب سماه "**إيجاز التعريف في علم التصريف**"[1]. ولاحمد بن يوسف النحوي السابق ذكره عدد من المصنفات منها "**كتاب في التصريف**"[2].

د ـ الأدب:

شكل الأدب جزءا مهما من الحياة الفكرية في مصر خلال الحقبة موضوع البحث، ولعل من أبرز الفنون الأدبية التي نالت عناية العلماء:

1ـ الشعر[3]:

ولم يقتصر الاهتمام بالشعر على الأدباء وحدهم، فقلما نجد عالما من العلماء إلا وله شعر، ويعود الاهتمام بالشعر في ذلك العصر إلى جملة عوامل ومستجدات كان لها أثرها على الحركة الشعرية وازدهارها وتطورها منها:

رعاية الأيوبيين للشعراء إدراكا منهم للدور الخطير الذي يمكن أن يضطلع به هؤلاء في ميدان الجهاد والدعاية السياسية للحروب التي كان المسلمون يخوضون غمارها ضد الصليبيين[4]، إلى جانب ميول الأيوبيين وأمرائهم على قول الشعر

---

(1) ابن قنفذ، الوفيات، ص332؛ بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، 5/ 294؛ بدوي، الحياة العقلية، ص213.

(2) السيوطي، بغية الوعاة، ص176.

(3) الشعر ـ في اللغة هو العلم، أما في الاصطلاح فهو "**كلام مقفى موزون على سبيل القصد**" ولا يتفق التعريف مع الوقت الحاضر لأن الشعر الحر ليس بمقفى ولا بموزون الجرجاني، التعريفات، ص167.

(4) محمود ياسين التكريتي، الأيوبيون في شمال الشام والجزيرة (بغداد: 1981)، ص406؛ قاسم، ماهية الحروب،ص204.

وتذوقه باعتباره جزءا من ثقافة ذلك العصر، كما أنه سجل لمآثرهم وتخليد لذكرهم وسيرهم وقد افتتح العماد الكاتب الأصفهاني في القسم الثالث من كتابه "**خريدة القصر وجريدة العصر**" المخصص لشعراء الشام ودمشق بذكر شعراء بني أيوب ابتداءً بالسلطان صلاح الدين.

وعلى الرغم من أن صلاح الدين لم تكن لديه ملكة شعرية إلا أن الشعر كان من أحب الفنون الأدبية إلى نفسه ووصف كونه ناقدا خبيرا به[1]، يستحسن الأشعار الجيدة ويحفظها ـ لاسيما الحماسي منه، ويرددها في مجالسه[2]، وقصده كثير من شعراء عصره ومدحوه ونالوا رعايته وتكريمه[3]، ومن الدواوين الشعرية التي كان صلاح الدين مغرما بها ديوان مؤيد الدولة أسامة بن منقذ وكان "**لشغفه به يفضله على سائر الدواوين**"[4] وكذلك ديوان الحماسة لأبي تمام الطائي[5]. وسار على نهج السلطان صلاح الدين أخوته وأبناؤه وكان لبعضهم دواوين شعر[6]، واشتهر ابنه الملك الأفضل علي كونه شاعرا فاضلا، له نظم حسن وترسل وخط جيد[7]. أما أخوه الملك العزيز عثمان فكان محبا للأدباء والشعراء وله الكثير من المجالس الخاصة التي كان

---

(1) ينظر: خريدة القصر، ج6، ق3/ 78.

(2) اليافعي، مرآة الجنان، 3/ 351؛ ابن تغري بردي، النجوم، 6/ 56،علوان ، صلاح الدين ، ص152.

(3) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ق1/ 286ـ287؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ص129.

(4) البنداري، سنا البرق الشامي، ق1/ 228؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 6/ 107.

(5) الذهبي، سير، أعلام النبلاء، 21/ 282؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 13/ 5.

(6) من الأيوبيين الذين كانت لهم دواوين شعرية نذكر على سبيل المثال: تاج الملوك، بوري بن أيوب (ت579هـ/ 1183م)، والملك المظفر تقي الدين عمر (ت 587هـ/ 1191م) صاحب حماة، والملك المعظم عيسى صاحب دمشق (ت 624هـ/ 1226م)، والملك الأمجد صاحب بعلبك (ت627هـ/ 1229م) وغيرهم كثير. ينظر: ابن واصل، مفرج الكروب، 2/ 144، 2/ 376، 4/ 78، 81، 164، 214، 286؛ الحنبلي، شفاء القلوب، ص60، 276، 299، 338، 357؛ ابن العماد، شذرات الذهب، 4/ 162، 265، 5/ 115.

(7) المنذري، التكملة، 3/ 140؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص237؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 21/ 295؛ الغساني، العسجد المسبوك، ص14.

يحضرها الشعراء مثل الأسعد بن مماتي، ونجم الدين بن مجاور[1]، أما الملك الكامل محمد بن العادل فقد كان مغرما بعلم النحو، كما كان يقول الشعر[2]. ومن الشعراء الذين اتصلوا به وكانوا يحضرون مجالسه الأدبية الشاعر أبو العباس احمد بن شعبان الأربلي الذي "**عظمت منزلته عنده إلى ما لم يصل إليه غيره واختص به في خلواته**"[3]، وكان الملك الكامل قد تغير عليه وسجنه في عام 618هـ/ 1221م ثم ما لبث أن أطلق سراحه سنة 623هـ/ 1226م بعد أن كتب إليه أبياتا من الشعر يستعطفه جاء فيها:

اصنع ما شئت أنت أنت المحبوب ... مالي ذنب بل كما قلت ذنوب

هل تسمح بالوصال في ليلتنا ... يجلو صدأ القلوب وتعفو وأتوب[4]

فأطلق الكامل سراحه وعادت منزلته عنده إلى ما كانت عليه وأحسن[5].

ويمكن القول أن الحروب الصليبية وما خلفته من نتائج كان لها تأثير مباشر في زيادة الاهتمام بالشعر، فقد ألهبت تلك الحروب العواطف الدينية للمسلمين وأنبرى الكثير من الشعراء للتعبير عن عواطفهم وأحاسيسهم بشكل صادق ومعبر لكونه منبعث من أعماق أفئدتهم[6].

وكان شعر الجهاد من أشهر الأغراض الشعرية وأوسعها انتشارا في ذلك العصر كونه قد واكب الحروب الصليبية منذ بدايتها وكثيرا ما تطرق الشعراء في قصائدهم للجهاد وحث أمراء المسلمين على مواصلة القتال ومباركة كل خطوة تعزز هذا

(1) ابن سعيد الأندلسي، الغصون اليانعة، ص22ـ23.

(2) ابن واصل، مفرج الكروب، 5/ 164؛ ابن الفوطي، مجمع الآداب، 4/ 55؛ الحنبلي، شفاء القلوب، ص299؛ ابن تغري بردي، النجوم، 6/ 236.

(3) ابن خلكان، وفيات الأعيان، 1/ 184ـ185؛ ابن واصل، مفرج الكروب، 5/ 164.

(4) ابن واصل، مفرج الكروب، 5/ 165.

(5) المصدر نفسه، 5/ 165.

(6) محمد سيد كيلاني، الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي في مصر والشام (مصر: د/ ت)، ص208.

الاتجاه، وكان بعض الشعراء يبعثون بقصائدهم إلى القادة وهم في ساحات الوغى لما لها من تأثير معنوي كبير، ففي سنة 587هـ/ 1191م بعث الطبيب الشاعر عبد المنعم الجلياني إلى صلاح الدين وهو يحاصر عكا بقصيدته المشهورة المسماة "**التحفة الجوهرية**" منها هذه الأبيات:

رفاهية الشهم إقتحام العظائم   طلاباً لعز أو غلا بالغنائم

فلم يحظ بالعلياء من هاب صدمةً   فغصن عنانا دون قرع الصوارم

فأي اتضاح كان لا بعد مشكل   وأي انفساح بأن لاعن مأزم

هي الهمة الشماء تلحظ غاية   فترمي إليها عن قسي العزائم(1)

وكان تحريض الشعراء يشتد كلما ازداد خطر الصليبيين، ويقل حينما يبعد، وكان لبعض الشعراء مشاركتهم الميدانية في تلك الحروب(2)، وكثيرة هي القصائد التي أطلقها الشعراء لتحرير **القدس والمسجد الأقصى** منها هذه الأبيات التي قالها العماد الكاتب الأصفهاني سنة 582هـ/ 1186م يدعو فيها صلاح الدين الأيوبي للتوجه للقدس قائلا:

الله أكبر أرض القدس قد صفرت   من آل الأصفر إذ حين به حانوا

أسباط يوسف من مصر أتو ولهم   من غير تيه بها سلوى وأمنان(3)

كما نظم شعراء مصر في أغراض مختلفة ومن أهمها (**المدح**) الذي اعتاد عليه غالبية شعراء ذلك العصر رغبة في التقرب من السلاطين والأمراء والحصول على المنح والعطايا أو لغرض التهنئة بمناسبة العيد أو الانتصار في معركة وكلها تهدف إلى بيان فضل الممدوح ومحاسنه وصفاته ومن شعراء المديح نذكر على سبيل المثال: أبو

(1) ينظر القصيدة كاملة عند: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص630ـ633.

(2) المنذري، التكملة، 1/ 116،2/ 472؛ ابن الفوطي، مجمع الآداب، 4/ 355؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، 1/ 184.

(3) أبو شامة، الروضتين، 2/ 116؛ سلطان، الدور السياسي، ص234.

علي الحسن بن سعيد الشاتاني (ت 599هـ/ 1202م) وهو من أدباء الموصل وفد إلى مصر سنة 572هـ/ 1176م وامتدح صلاح الدين بقصيدة مطلعها:

غدا النصر معقوداً برايتك الصفرا فسر وافتح الدنيا فأنت بها أحرى
يمينك فيها اليمن واليسر في السرى فبشر لمن يرجو الندى بهما بشرى[1]

ومن شعراء مصر الذين أكثروا من قصائد المديح القاضي هبة الله بن الرشيد جعفر بن المعتمد السعدي المعروف بابن سناء الملك (ت 608هـ/ 1211م) واشتهر كونه من كبار أدباء مصر وشعرائها المجيدين، كان على صلة وطيدة مع رجالات الدولة الأيوبية وفي مقدمتهم القاضي الفاضل الذي كان بمثابة الأستاذ والمرشد والموجه له[2]، كما كان له الفضل في توليه للكثير من المناصب، وترك ابن سناء الملك عددا من الآثار الأدبية والشعرية نذكر منها: **كتاب روح الحيوان** لخص فيه الشاعر كتاب الحيوان للجاحظ[3]. وكتاب **فصول الفصول وعقود العقول** ويحوي على خطابات المؤلف التي كتبها إلى القاضي الفاضل وردود الأخير عليها[4]. فضلا عن ديوانه الشعري الذي تضمن الكثير من قصائد المديح التي قالها في مدح كبار رجالات الدولة الأيوبية مثل السلطان صلاح الدين، وأولاده العزيز والأفضل، والملك العادل أبو بكر، كما مدح الأمراء والوزراء وفي مقدمتهم القاضي الفاضل من ذلك على سبيل المثال:

أصبحت في مدح الأجل موحدا ولكم أتتني من أياديه ثني
وغدوت من حبي له متشيعا يا من رأى متشيعاً متسننا[5]

(1) البنداري، سنا البرق الشامي، ق1/ 250.

(2) ابن سناء الملك، حياته وشعره، تحقيق محمد إبراهيم نصر (القاهرة: 1968)، ص46 (المحقق).

(3) ياقوت، معجم الأدباء، 9/ 265؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، 2/ 28.

(4) ياقوت، معجم الأدباء، 9/ 265.

(5) ابن سناء الملك، ديوانه، ص53.

ومن قصائده يمدح صلاح الدين:

ممالكٍ لم يدبرها مدبرها	إلا برأي خصي أو بعقل صبي
حتى أتاها صلاح الدين فانصلحت	من الفساد كما صحت من الوصب
واستعمل فيها الجد غير مكترث	بالجد حتى كأن الجد كاللعب
وقد حواها وأعطى بعضها هبة	فهو الذي يهب الدنيا ولم يهب[1]

ومن الأغراض الأخرى التي نظم فيها الشعراء **(الهجاء)** واشتهر الشاعر شرف الدين محمد بن نصر الله بن عنين (ت 630هـ/ 1232م) كونه من فحول الشعراء لاسيما في الهجو[2]. وتعرض في هجوه لأكابر الدولة الأيوبية مثل صلاح الدين ووزيره القاضي الفاضل وله في ذلك قصيدة طويلة أسماها: "**مقراض الأعراض في الأهاجي**" من خمسمائة بيت[3]، وقد نفاه صلاح الدين فمضى إلى الهند ومدح ملوكها واكتسب أموالا وعاد إلى دمشق في عهد الملك المعظم عيسى وتولى الوزارة له[4]، ومن هجوه لصلاح الدين وأصحابه:

سلطاننا أعرج وكاتبه	أعيمش والوزير منحدب
وصاحب الأمر خلقه شرس	وعارض الجيش وارد عجب[5]

وله كذلك قصيدة في هجو الملك العادل أبي بكر منها:

إن سلطاننا الذي نرتجيه	واسع المال ضيق الإنفاق

(1) المصدر نفسه، ص68.

(2) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 22/ 263؛ اليافعي، مرآة الجنان، 4/ 58.

(3) أبو الفداء، المختصر، 2/ 259؛ خليفة، كشف الظنون، 4/ 364.

(4) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ق2/ 696؛ ابن كثير، البداية، 13/ 137؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 6/ 294.

(5) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ق2/ 697؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 6/ 294؛ جمال الدين الشيال، دراسات في التاريخ الإسلامي (بيروت: 1981)، ص69.

هــو سـيف كمــا يقــال ولكـــن   قـــاطع للرســـوم والأرزاق[1]

ومن الأغراض الشعرية الأخرى **(الرثاء)** من ذلك على سبيل المثال القصيدة التي نظمها الشاعر عمارة اليمني في رثاء نجم الدين والد صلاح الدين:

هي الصدمة الأولى فمن بـان صبره   علـى هـول ملقاهـا تـضاعف أجـره

ولابـد مــن مــوت وفــوت وفُرقــة   ووجـد بمـاء العـين يوقـد جُمـره[2]

ونظم الشاعر حسام الدين خشترين بن تليل الكوردي (ت 619هـ/ 1222م) قصيدة في رثاء وفاة ملكة خاتون بنت الملك العادل وزوجة الملك المنصور صاحب حماة جاء فيها:

الطـرف في لجـة والقلـب في سُـعر   لـه دخـان زفـير طـار بالـشرر

ظللـت مـا بـين انكـسار ومعرفـة   أقِلـب الطـرف بـين الخُـبر والخّـبر

حتـى رأيـت نجومـاً اطلعـت شـفقاً   على شموس وجـوه في دُجـى شَـعر

مـا كنـت أعلـم أنّ الخطـب متـصلٌ   بأفضل النـاس مـن أنثـى ومـن ذكـر

أبــاد ألفــاً مـــن الـــدنيا بواحــدة   شـلّت يـداه فمـا أمـضاه في العَبْـر[3]

كمـا نظـم الـشعراء في **(الغـزل)** وممـن نظـم في هـذا الفـن العمـاد الكاتـب الأصفهاني ومن شعره:

كَتب العـذار علـى الخـدود سـطوراً   ومـن يَتلُهـا يـك في الهـوى معـذورا

وبـدا البنفـسج بـين ورد خـدودهم   غــصنا فمـــازج وردهـــا الكـــافورا

---

(1) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ق2/ 697؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 6/ 294.

(2) عمارة اليمني، النكت العصرية في أخبار الوزارة المصرية (القاهرة: 1991)، ص26.

(3) ابن واصل، مفرج الكروب، 4/ 66؛ ابن الوردي، تاريخ، 2/ 36؛ محمد أمين زكي، مشاهير الكورد وكردستان في الدور الإسلامي (القاهرة: 1947)، 2/ 249.

فكسا ربيع الحسن روض جمالهم   من نوره فوق الحرير حريراً[1]

وللشاعر سيف الدين علي بن عمر بن قزل الياروقي (ت 656هـ/ 1258م) قصيدة غزل جاء فيها:

بشرى لأهل الهوى عاشوا به سعدا   وأن يموتوا فهم من جملة الشهدا
شعارهم رقة الشكوى ومذهبهم   إن الضلالة تيه في الغرام هدى[2]

وللعز الضرير الأربلي السابق ذكره جملة أشعار في الغزل والخمريات نذكر منها:

قم يا نديم إلى الإبريق والقدح   هات الثلاث وسئل ما شئت واقترح
وغني إن غادرتني الكأس مطرحا   وأنت يا صاح صاح غير مطرح
عليك سقي ثلاث غير مازجها   وما عليك إذاً مني ومن قدحي
إني لأفهم في الأوتار ترجمة   ما ليس يفهمه النسّاك في السُبح[3]

وكان لنمو حركة التصوف في مصر خلال العصر الأيوبي أن ظهر عدد من شعراء المتصوفة الذين فاضت قصائدهم بالحب الإلهي والوعظ ومدائح الرسول ﷺ، وقد ذاع صيت بعضهم مثل الشاعر شرف الدين عمر بن علي المعروف بابن الفارض المصري السابق ذكره الذي وصف كونه سيد شعراء عصره، لم يشق غباره ولم يلحق به أحد، وله أشعار لطيفة منها قصيدته "**التائية**" التي ضمت نحو ستمائة بيت واعتنى بها غير واحد من العلماء بالشرح والتعليق[4]. من شعره يمدح الرسول ﷺ:

---

(1) العماد الأصفهاني، ديوانه، تحقيق وتقديم. ناظم رشيد (جامعة الموصل: 1983)، ص161ـ162.
(2) الذهبي، العبر، 3/ 282؛ ابن العماد، شذرات الذهب، 5/ 280.
(3) الصفدي، نكت الهميان، ص143؛ محسن محمد حسين، "**العز الضرير الأربلي**"، مجلة المجمع العلمي الكردي، مج5، بغداد: 1977، ص447.
(4) أبو الفداء، المختصر، 2/ 258؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 22/ 368؛ ابن كثير، البداية، 13/ 143؛ ابن العماد، شذرات، 5/ 151؛ بروكلمان، تاريخ الأدب، 5/ 69 وما بعدها.

بالإضافة إلى ما سبق كان الشعر في كثير من الأحيان مجالا للتسلية فعلى سبيل المثال نظم بعض الشعراء قصائد في "**الأحاجي والألغاز**" باعتبارها وسيلة للترفيه فضلا عن كونه يشحذ الذهن لتوفره على معاني دقيقة يحتاج استخراجها إلى توقد الذهن، كما يعد نوعا من أنواع الرياضة الذهنية، وممن اشتهروا بهذا الفن: الفقيه الفرضي الأديب تاج الدين محمد بن هبة الله الحموي[1]، والشاعر نور الدولة علي بن أبي المكارم المصري العطار (ت659هـ/ 1260م) من نظمه لغز في كوز الزير:

وذي إذن بلا سمع | له جسم بلا قلب
إذا استولى على صب | فقل ماشئت في الصب[2]

واشتهر الشاعر الكوردي عز الدين أبو بكر بن محمد بن إبراهيم الأربلي (ت679هـ/ 1280م) بقدرته على نظم الشعر وعمل الألغاز، من آثاره "**الألفية في الألغاز المخفية**" وهي ألف لغز في ألف اسم[3].

2ـ علم العروض والقوافي:

ومن مواد الثقافة التي عني بها العلماء بوجه عام والشعراء بوجه خاص علم العروض والقوافي[4]، وهو العلم الذي يبحث في أوزان الشعر العربي لتمييز الصحيح

(1) السبكي، طبقات الشافعية، 7/ 25.

(2) ابن العماد، شذرات الذهب، 5/ 300.

(3) الكتبي، عيون التواريخ، 21/ 270.

(4) **العروض**، هو الجزء الأخير من النصف الأول من البيت الشعري وبها سمي هذا العلم لأنه إن عرف نصف البيت سهل تقطيعه، أما القافية ـ فهي الكلمة الأخيرة من البيت الشعري، ينظر: الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص51، محمود مصطفى، أهدى سبيل إلى علمي الخليل العروض والقافية (مصر: 1974)، ص117.

من الفاسد[1]، وينسب هذا العلم إلى الخليل بن احمد الفراهيدي الذي وضع قوانينه وقواعده فعرف منه خمسة عشر وزنا أو بحرا[2].

وظهر في مصر عدد من الأعلام ممن اهتموا بهذا الفن حتى اشتهروا بلقب **(العروضي)** نذكر منهم على سبيل المثال: عثمان بن علي الصقلي السابق ذكره[3]، وموفق الدين محمد بن يوسف الأربلي النحوي الشاعر (ت 585هـ/ 1189م) الذي وصف كونه أعلم الناس بالعروض وأحذقهم بنقد الشعر، وأعرفهم بجيده من رديئه[4]، وأبي الفتح عثمان بن عيسى النحوي العروضي السابق ذكره وكان متمكنا في فنون العربية وله في العروض كتابان هما "**العروض الكبير**" و"**العروض الصغير**"[5].

ومنهم أبو الجود غياث بن فارس بن مكي المنذري واشتهر كونه "**مقرئا، نحويا، أديبا، عروضيا**"[6]، والأديب النحوي أبو الربيع سليمان بن بنين بن خلف المصري وله عدة مصنفات منها: "**الروض الأريض في أوزان القريض**" و"**الأحكام الشوافي في أحكام القوافي**" و"**الكتاب الوافي في علم القوافي**" و"**الحل الكافي في خلل القوافي**"[7].

والأديب العروضي مظفر بن إبراهيم بن جماعة المصري (ت 623هـ/ 1226م) وكان شاعرا وصنف في العروض "**تصنيفا مختصرا دل على حذقه**" واشتغل الأديب فارس بن يحيى الشافعي (ت 625هـ/ 1227م) بالشعر والعروض وله في ذلك

---

(1) خليفة، كشف الظنون، 2/ 145.

(2) ابن خلكان، وفيات الأعيان، 2/ 244؛ السامرائي، دراسات في تاريخ الفكر العربي، ص194.

(3) اليماني، إشارة التعيين، ص203.

(4) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 6/ 59؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، 2/ 99.

(5) ياقوت، معجم الأدباء، 2/ 146؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ص397؛ السيوطي، بغية الوعاة، ص323ـ324.

(6) ابن الجزري، غاية النهاية، 2/ 4؛ السيوطي، بغية الوعاة، ص371.

(7) المنذري، التكملة، 2/ 408؛ ياقوت، معجم الأدباء، 11/ 244؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ص189؛ السيوطي، بغية، ص261.

مصنف[1] نجهل عنوانه.

ومن علماء العروض أيضا زين الدين يحيى بن معط الزواوي وله في ذلك قصيدة[2] وللعلامة أبو عمرو عثمان بن الحاجب قصيدة في العروض سماها "**المقصد الجليل في علم الخليل**"[3] وكان محل عناية العلماء في ذلك العصر، كما نظم النحوي أبو نصر فتح بن موسى بن حماد الأندلسي (ت 663هـ/ 1264م) قصيدة في العروض[4]. وصنف المؤرخ أبو شامة المقدسي عددا من المؤلفات منها: "**أرجوزة في العروض والقوافي**"[5] ولجمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك النحوي كتاب في العروض[6]. واشتهر أمين الدين محمد بن علي المحلي (ت673هـ/ 1274م) بلقب (العروضي) لكثرة مصنفاته في هذا المجال منها: كتاب "**شفاء العليل في علم الخليل بن احمد**" وله أيضا: أرجوزة سماها: "**العنوان في معرفة الأوزان**" وأرجوزة أخرى في القوافي بعنوان "**الجوهرة الفريدة في قافية القصيدة**"[7]، وصنف ابن واصل الحموي شرحا لقصيدة بن الحاجب النحوي في العروض والقوافي[8]؛ وكان للأديب الشاعر محمد بن عيسى القوصي (ت 707هـ/ 1307م) "**مشاركة في علوم النحو واللغة والتاريخ**

---

(1) الصفدي، نكت الهميان، ص291؛ اليافعي، مرآة الجنان، 4/ 43؛ ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، 4/ 166؛ السيوطي، بغية الوعاة، ص392؛ ابن العماد، شذرات الذهب، 5/ 111.

(2) المنذري، التكملة، 3/ 235؛ السيوطي، بغية الوعاة، ص372.

(3) ياقوت، معجم الأدباء، 20/ 35؛ الغساني، العسجد المسبوك، ص451؛ السيوطي، بغية الوعاة، ص416.

(4) ابن كثير، البداية، 13/ 176؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، 2/ 87؛ النعيمي، الدارس، 2/ 4؛ زيدان، تاريخ آداب، 3/ 59.

(5) أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص40.

(6) بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، 5/ 294؛ مكرم، المدرسة النحوية، 185.

(7) الكتبي، عيون التواريخ، 21/ 62؛ السيوطي، بغية الوعاة، ص82؛ بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، 5/ 342.

(8) أبو الفداء، المختصر، 4/ 38؛ الأسنوي، طبقات الشافعية، 2/ 313؛ السيوطي، بغية الوعاة، ص44.

والبديع والعروض والقوافي"[1].

3ـ النثر والبلاغة:

ومن الفنون الأدبية الأخرى التي كانت مدار الاهتمام والدراسة والتأليف، النثر الأدبي والفنون البلاغية التي تعنى باللغة والكلام من حيث الحسن والجمال، وغايتها حصول الملكة على تذوق القول الجميل والقدرة على تأليف الكلام البليغ[2].

ولم يكن الأدباء وعلماء العربية وحدهم ممن يعنون بالبلاغة والإنشاء، بل لقد عني بها أيضا الفقهاء والمحدثون والمفسرون والخطباء وعلماء الكلام والفلسفة وغيرهم على اختلاف ثقافاتهم وكانت كل طائفة من هؤلاء تطل على البلاغة من ناحية معينة وبدا ذلك واضحا في نتاجهم الفكري والأدبي[3].

ولعل من دواعي زيادة العناية بالأدب النثري في العصر الأيوبي أن أصبحت المقدرة البلاغية بفن الكتابة هي السبيل للتقرب من رجال الدولة لتولي المناصب الرفيعة كالوزارة ودواوين الإنشاء، كما أن الاهتمام بالنثر جاء لكونه لا يقل شأنا عن الشعر ودوره في تصوير الحروب الصليبية وما نتج عنها من انتصارات وفتوحات رائعة، وكذلك في كونه يمثل سلاحا ماضيا استخدمه أصحابه لتعبئة الرأي العام واستثارة عزائم المقاتلين وهممهم ضد الغزاة الصليبيين، وقد برز في مصر عدد كبير من مشاهير الأعلام ممن برعوا في الأدب النثري والبلاغة نذكر منهم:

العلامة عبد الله بن بري السابق ذكره وكان إماما فاضلا في علوم اللغة والنحو والأدب وإليه كان تصفح الكتب والرسائل الصادرة عن ديوان الإنشاء في الدولتين الفاطمية والأيوبية، ومن مصنفاته الأدبية: "**شرح أدب الكاتب**" و"**مسائل منثورة في**

(1) الصفدي، أعيان العصر، 4/ 1915.

(2) الجرجاني، التعريفات، ص67.

(3) حمزة، الحركة الفكرية، ص246.

التفسير والعربية والمعاني" وغيرها من المؤلفات في اللغة والنحو[1].

واشتهر الأديب محمد بن عبد الرحمن البنجديهي السابق ذكره ببراعته في الفقه والحديث والأدب، وصنف شرحا مطولا ووافيا **لمقامات الحريري** في نحو خمس مجلدات[2].

ومن مشاهير أدباء مصر أيضا: القاضي الفاضل الذي وصف كونه "**ملك البلاغة**"[3] **وشيخها**[4]، و"**إمام الأدباء وقائد لواء الترسل، وصاحب صناعة الإنشاء**"[5]، مكنته براعته الأدبية من تولي ديوان الإنشاء في الدولة الأيوبية، وكان أحد المقربين من السلطان صلاح الدين الذي كان يثق به، ويستشيره في أمور الحرب والسياسة حتى أصبح بمنزلة الوزير و"**صاحب سر السلطان**"[6]، عهد إليه صلاح الدين بالإشراف على الإدارة بمصر وهو المشار إليه "**بالسيف والقلم**"[7].

واستمر القاضي الفاضل على ما كان عليه من مكانة عند أبناء صلاح الدين سيما الملك العزيز عثمان الذي كان يميل إليه كثيرا[8]. وما كان القاضي الفاضل أن يصل إلى هذا المركز الرفيع عند الأيوبيين لولا براعته في الإنشاء وإلمامه بفنون البلاغة إلى جانب إخلاصه

---

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان، 3/ 108ـ109؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 21/ 137؛ السبكي، طبقات الشافعية، 7/ 122؛ الزيادة، ابن بري، ص642.

(2) المنذري، التكملة، 1/ 86؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 21/ 174؛ العبر، 3/ 88؛ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، 1/ 370.

(3) الغساني، العسجد المسبوك، ص257.

(4) ابن العماد، شذرات الذهب، 4/ 325.

(5) السبكي، طبقات الشافعية، 7/ 166.

(6) المقريزي، السلوك، 1/ 228.

(7) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ق1/ 434؛ باشا، الألقاب، ص23.

(8) الذهبي، تاريخ الإسلام، ص247؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، مج4، ج1/ 187؛ ابن العماد، شذرات الذهب، 4/ 326.

وكرم أخلاقه وحسن رأيه[1]، امتدحه العماد الأصفهاني بالقول: "**رب القلم والبيان واللسن واللسان والقريحة الوقادة، والبصيرة النقادة، والبديهة المعجزة، والبديعة المطرزة، والفضل الذي ما سمع في الأوائل ممن لو عاش في زمانه لتعلق بغباره أو جرى في مضاره، فهو كالشريعة المحمدية التي نسخت الشرائع ورسخت بها الصنائع، يخترع الأفكار، ويفترع الأبكار، ويطلع الأنوار، ويبدع الأزهار، وهو ضابط الملك بآرائه، ورابط السلك بآلائه، إن شاء أنشأ في يوم واحد، بل في ساعة ما لو دون لكان لأهل الصناعة خير بضاعة..**"[2] وامتدحه القاضي الشاعر عمارة اليمني في أكثر من مناسبة[3].

وعرف القاضي الفاضل بغزارة إنتاجه الأدبي فقد حتمت ظروف الحرب أن يكثر من تحرير الرسائل في شتى الأمور إلى الملوك والأمراء والقادة والنواب، وظل مدة طويلة يصرف أمور البلاد فلا عجب إذ قيل أن رسائله لو جمعت لأربت على مئة مجلد[4]، ولكن لسوء الحظ أن رسائله قد ضاع معظمها، وأوردت المصادر نماذج من نثره وشعره منها على سبيل المثال وصفه لإحدى القلاع الشاهقة جاء فيها: "**وهذه القلعة عقاب في عقاب ونجم في سحاب وهامة لها الغمامة عمامة، وأنملة إذا خضبها الأصيل كان الهلال لها قامة**"[5].

ووصلت بعض رسائله في كتب متفرقة مثل "الروضتين في أخبار الدولتين"[6] كما

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 12/ 159؛ سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ق2/ 472؛ ابن الساعي، الجامع المختصر، ص28ـ29؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 6/ 157.

(2) الأصفهاني، خريدة القصر، ج1، ق4/ 35ـ36؛ اليافعي، مرآة الجنان، 3/ 367ـ368؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 6/ 156؛ ابن الفرات، تاريخ، مج4، ج2/ 184ـ185.

(3) عمارة اليمني، النكت العصرية، ص218، 374، 375.

(4) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 21/ 339؛ اليافعي، مرآة الجنان، 3/ 167؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 6/ 156؛ السيوطي، حسن المحاضرة، 1/ 129.

(5) اليافعي، مرآة الجنان، 3/ 368؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، مج4، ج2، ص188؛ الداوداري، كنز الدرر، 7/ 142.

(6) ينظر: أبو شامة، 2/ 8،13،19،28،30،36،42،55،58،66،87،131،134،174،176..

نقل عنه القلقشندي[1] من ذلك قوله في مدح الأيوبيين: "يا بني أيوب لو ملكتم الدهر لامتطيتهم لياليه أداهم، وقلّدتهم أيامه صوارم، وأفنيتم شموسه وأقماره في الهبات دنانير ودراهم، وأيامكم أعراس، وما تم فيها على الأموال مأتم، والجود في أيديكم خاتم، ونقش حاتم في نقش ذلك الخاتم"[2].

أما بالنسبة للعماد الأصفهاني فقد كان كزميله القاضي الفاضل متقنا لفنون الأدب والبلاغة وله "**اليد البيضاء في النثر والنظم**"[3] تولى ديوان الإنشاء في الدولتين النورية والصلاحية، وكان ينوب عن القاضي الفاضل في أثناء غيابه، كما رافق السلطان صلاح الدين في الكثير من الوقائع الحربية وكتب الكثير من الرسائل على لسانه، وتغنى شعرا بمناقبه الحربية وبطولاته، وللعماد مؤلفات كثيرة في الأدب والتاريخ تجاوزت حسب تقديرات أحد الباحثين خمسة وأربعين مجلدا[4]، من أشهرها كتاب "**خريدة القصر وجريدة العصر**" في تراجم شعراء عصره، وله "**ديوان شعر**" و"**ديوان رسائل**" كبير، إلى جانب مؤلفاته التاريخية المشهورة[5].

وأمتاز أسلوب العماد في الكتابة بالإسراف المفرط في العناية بالسجع والقيد اللفظي ، وهو الاسلوب الذي كان متبعا في القرنين السادس والسابع الهجريين إلا أنه أسرف أكثر من غيره في ذلك[6]، لذلك ذكر الصفدي أن شعره ألطف من نثره[7].

ومن أدباء مصر أيضا: الأمير شمس الدولة عبد الرحمن بن أبي عبد الله بن

---

(1) ينظر: صبح الأعشى، 2/ 208،272/6، 299،504/7، 22ـ23، 8/ 171، 9/ 399، 10/ 4،80،92، 351، 356، 360،361،382،432،454،466/13، 75،140،14/ 309،310.

(2) المصدر نفسه ، 2/ 208ـ209.

(3) المنذري، التكملة، 1/ 393.

(4) البنداري، سنا البرق الشامي، ص14ـ23 (مقدمة المحقق).

(5) المنذري، التكملة، 1/ 393؛ أبو شامة، الذيل، ص27؛ الصفدي، الوافي، 1/ 140؛ أبو الفداء، المختصر، 2/ 190؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 21/ 346ـ347؛ ابن كثير، البداية، 13/ 30ـ31.

(6) حمادة، دراسة وثيقة للتاريخ الإسلامي، ص261.

(7) الوافي بالوفيات، 1/ 133.

مرشد (ت 600هـ/ 1203م) وكان "**صاحب نثر رائق ونظم فائق**"[1]. وحكيم الزمان عبد المنعم بن عمر الجلياني الأندلسي (ت 603هـ/ 1206م) وجمع بين الطب والأدب، من مؤلفاته كتاب "**سر البلاغة وصنائع البديع في فصل الخطاب**"[2]، والقاضي الوزير الأسعد بن مماتي (ت606هـ/ 1209م) وكان ناظر الدواوين بمصر وله كتاب في علم النثر، وآخر في النقد دعاه: "**ميسور النقد**" ونظم كتاب "**كليلة ودمنة**"[3].

ومن أدباء مصر أيضا: أبو الطاهر إسماعيل بن شبيب العطار (ت 606هـ/ 1209م) وله شعر ومؤلفات أدبية منها كتاب "**مائة جارية ومائة غلام**"[4] وعلي بن إسماعيل بن الطوير المصري الكاتب (ت 615هـ/ 1218م)[5]، وأبو الحسن تاج الدين بن علي الجراح (ت616هـ/ 1219م) كتب بديوان الإنشاء بمصر مدة طويلة وكان خطه في غاية الجودة وله شعر ورسائل أنيقة[6]، ومحمد بن احمد بن سليمان النحوي الأديب (ت 617هـ/ 1210م) وله "**شرح المقامات**" للحريري و"**أقسام البلاغة وأحكام الصناعة**" في مجلدين[7]. والفقيه الكاتب محمد بن أبي المنصور بن خلف الدمياطي (ت 621هـ/ 1224م) كتب بديوان الإنشاء الكاملي مدة وترسل عنه[8]. والأديب الشاعر مجد الملك أبو الفضل جعفر بن شمس الخلافة الأفضلي القوصي (ت 622هـ/ 1225م) من مؤلفاته كتاب: "**الآداب النافعة**

---

(1) المنذري، التكملة، 2/ 52.

(2) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص635.

(3) ابن خلكان، وفيات الأعيان، 1/ 211ـ212؛ ابن كثير، البداية، 13/ 53؛ الغساني، العسجد المسبوك، ص270.

(4) المنذري، التكملة، 2/ 172؛ ابن رجب، الذيل، 4/ 48؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، مج5، ج1/ 99.

(5) الذهبي، تاريخ الإسلام، ص233.

(6) المنذري، التكملة، 2/ 472؛ ابن العماد، شذرات، 5/ 72.

(7) السيوطي، بغية الوعاة، ص11.

(8) المنذري، التكملة، 3/ 116؛ الذهبي، تاريخ، ص68.

بالألفاظ المختارة الجامعة"[1]، وعماد الدين إسماعيل بن عبد الملك بن درباس الكوردي (ت 624هـ/ 1226م) وكان أديبا وكاتبا فاضلا له رسائل وأشعار[2].

وجمال الدين عبد الرحيم بن شيت الصعيدي (ت 625هـ/ 1227م) واشتهر كونه من الكتاب البلغاء، نشأ بقوص، وتولى ديوان الإنشاء للملك العزيز عثمان، كما خدم عددا من الملوك الأيوبيين في الشام منهم الملك المعظم عيسى صاحب دمشق، وكان على عادة كتاب عصره ينظم الشعر إلى جانب براعته في النثر، وله تصانيف أدبية ورسائل وصفت بالجودة والحسن منها: "**معالم الكتابة ومغانم الإصابة**" في فن الإنشاء وآداب كتاب الملوك[3]. وله أيضا: "**كتاب مفتاح المقاصد ومصباح المراصد في زيارة بيت المقدس**"، واستعمل المؤلف فيه لغة متأنقة مسجوعة حافلة بأنواع البديع[4].

وللعلامة الموفق البغدادي عدة كتب في البلاغة منها كتاب "**قوانين البلاغة**" وكتاب "**كشف الظلامة عن قدامة**" في فن البديع[5]. وجمع الإمام محمد بن عمر بن يوسف القرطبي بين التفسير والأدب وكان له "**القبول التام من العامة والخاصة**"[6]، أما الإمام عبد الرحمن بن محمد بن عبد العزيز اللخمي (ت 643هـ/ 1245م) فقد اشتهر كونه ضليعا بالنحو واللغة والأدب إلى جانب كونه مفسرا[7].

وأبو الفتح عبد الله بن محمد بن شريف المعروف بابن قاضي دارا

---

(1) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 22/ 300؛ العبر، 3/ 187؛ بدوي، الحياة العقلية، ص231.

(2) ابن الفوطي، مجمع الآداب، 2/ 38ـ39.

(3) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ق2/ 653؛ ابن الشعار، قلائد الجمان، 3/ 325؛ النعيمي، الدارس، 2/ 188؛ بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، 5/ 156.

(4) محمود إبراهيم، فضائل بيت المقدس (الكويت: 1985)، ص253.

(5) القفطي، أنباء الرواة، 2/ 195؛ (هامش المحقق)، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص694؛ خليفة، كشف الظنون، 2/ 319.

(6) المنذري، التكملة، 3/ 358؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ص65.

(7) الداوودي، طبقات المفسرين، 1/ 290.

(ت644هـ/ 1246م) وكان مشرفا على دواوين قوص وأسوان من قبل الملك الكامل محمد واشتهر كونه أديبا فاضلا في علم الكتابة والترسل والشعر[1]، وزكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد المصري المعروف بابن أبي الإصبع (ت 654هـ/ 1256م) وله مؤلفات أدبية منها: "**تحرير التحبير في البديع**" ويسمى كذلك بـ"**الجامع لبديع جميع الكلام**"[2]، وله أيضا: "**بدائع القرآن**"[3].

وصنف زين الدين يحيى بن معط الزواوي كتاب "**البديع في معاني الشعر**"[4] وللأديب المفسر محمد بن عبد الله المرسي السلمي كتاب في "**البديع والبلاغة**"[5]، واشتهر الشيخ عبد السلام بن احمد المقدسي (ت 678هـ/ 1279م) كونه أحد المبرزين في النظم والنثر[6]، ومحمد بن الحسين بن رزين العامري (ت 680هـ/ 1281م) وكان إماما في الفقه والتفسير والأدب[7]، والقاضي ناصر الدين احمد بن منصور المعروف بابن المنير المفسر وله ديوان خطب مشهور باسم "**عقود الجواهر على أجياد المنابر**"[8]، واحمد بن إبراهيم بن حسين البهنسي[9] (ت 686هـ/ 1287هـ) وكان له مشاركة في النحو والأدب[10].

---

(1) ابن الشعار، قلائد الجمان، 3/ 182.

(2) ابن الصابوني، تكملة إكمال، ص13، (هامش المحقق).

(3) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 7/ 37؛ ابن العماد، شذرات الذهب، 5/ 265.

(4) بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، 5/ 307.

(5) الأسنوي، طبقات الشافعية، 2/ 249؛ السيوطي، طبقات المفسرين، ص35؛ الداوودي، طبقات المفسرين، 2/ 173.

(6) الذهبي، العبر، 3/ 339؛ ابن العماد، شذرات الذهب، 5/ 362.

(7) الأسنوي، طبقات الشافعية، 1/ 293؛ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، 1/ 478؛ الداوودي، طبقات المفسرين، 2/ 138.

(8) الكتبي، عيون التواريخ، 21/ 348؛ الذهبي، العبر، 3/ 352؛ الغبريني، عنوان الدراية، ص93؛ الداوودي، طبقات المفسرين، 1/ 91.

(9) بهنس : مدينة بصعيد مصر في الجهة الغربية من الخليج الخارجي من النيل ، الحميري ، الروض ، ص114.

(10) الصفدي، نكت الهميان، ص91.

ثانياً علم التاريخ:

وهو العلم الذي يتضمن ذكر الوقائع الماضية وأوقاتها وأسبابها ونتائجها، وموضوعه الإنسان والزمان[1]، ولما كان التاريخ يتصل بحاضر الإنسان ومستقبله من حيث الهدف فإن حاجة الناس إلى المعرفة التاريخية كان قائماً وموجوداً على الدوام[2]. وكان لاحتواء القرآن الكريم على حشد كبير من المعرفة التاريخية[3]، فضلاً عن عناية المسلمين المبكرة بتدوين الحديث النبوي الشريف وكل ما يتصل بسيرة الرسول ﷺ أن شد المسلمين نحو العناية بالتاريخ منذ وقتٍ سبكر، وكما هو معروف فإن التاريخ بدأ عند المسلمين متأثراً بالحديث وأسلوب المحدثين حتى عده البعض في بدايته فرعاً من فروع علم الحديث[4].

وبمرور الوقت ومع اتساع الدولة الإسلامية شرقاً وغرباً تطور التدوين التاريخي عندهم، وتعددت اتجاهاته وأنماطه، كما نمت المدارس التاريخية في الشام والعراق والمدينة واليمن وغيرها من البلاد[5]. وما أن حل القرن 6هـ/ 12م حتى أصبح التاريخ في عداد العلوم أو الفنون ذات الأصول الراسخة[6].

وعلى قدر تعلق الأمر بالعصر الأيوبي فقد ازداد نطاق التدوين التاريخي عمقاً واتساعاً، وظهر في مصر وحدها عدد كبير من المؤرخين ممن ساهموا في إثراء الفكر التاريخي بما خلّفوه من مصنفات تاريخية متنوعة بحيث غطّت كافة

---

(1) السخاوي، الإعلان بالتوبيخ، ص6-7؛ هرنشو، علم التاريخ (بيروت: 1982)، ص35؛ السامرائي، دراسات، ص202.

(2) قاسم عبدة قاسم، "تطور مناهج البحث في الدراسات التاريخية"، مجلة عالم الفكر، ع(40)، الكويت، 1989، ص170.

(3) للتفاصيل عن عرض الواقعة التاريخية في القرآن ينظر: عماد الدين خليل، التفسير الإسلامي للتاريخ، (بغداد: 1986)، ص95-169.

(4) هرنشو، علم التاريخ، ص35.

(5) للتفاصيل عن هذه المدارس ينظر: مصطفى، التاريخ العربي، 1/ 113-201.

(6) النبراوي، تاريخ النظم، ص203.

مجالات النشاط الإنساني، حيث كتب المؤرخون في السيرة النبوية، وفي الطبقات والتراجم، والتواريخ المحلية والخطط، فضلاً عن التواريخ العامة، ولم يحصل هذا التطور بين عشية وضحاها، وإنما كان محصلة تطور طويل المدى، كما أن هذا التطور جاء استجابة لحاجة ثقافية، اجتماعية فرضتها الظروف التاريخية للعالم الإسلامي آنذاك.

ولاشك أن التحديات التي واجهها المسلمون وفي مقدمتها الغزو الصليبي والمغولي وظهور الزنكيين والأيوبيين كان حافزاً على تأليف سلسلة من التواريخ[1].

كما أن أعمال صلاح الدين وجهوده في توحيد البلاد الإسلامية وقضاءه على الدولة الفاطمية وحروبه وانتصاراته المتلاحقة ضد الصليبيين، وتحريره لبيت المقدس كل ذلك كانت بواعث دعت إلى غزارة التأليف في العصر الأيوبي[2] الذي شهد فيضاً هائلاً من المؤرخين والمؤلفات حتى أضحى هذا العلم جزءاً أساسياً من الثقافة الإسلامية، وبشكل عام يمكن أن نجمل أهم ألوان الكتابة التاريخية التي مارسها المؤرخون في مصر في العصر الأيوبي بما يأتي:

أـ السير الخاصة:

وفيها تصدّى بعض المؤرخين لتدوين سيرتهم الذاتية أو سيرة بعض القادة أو الخلفاء، وكانت سيرة الرسول ﷺ من بين الموضوعات التاريخية المهمة التي حرص مؤرخوا مصر في ذلك العصر على الوقوف عندها من أجل الاقتداء بسيرة نبيهم لتنظيم حياتهم على ضوئها لكونه يمثل نموذج الحكم والقيم السامية[3].

واشتهر بعض المؤرخين كونهم كانوا رواة للسيرة النبوية مثل: محمد بن أحمد بن

(1) هاملتون جب، مادة (التاريخ)، دائرة المعارف الإسلامية، 4/ 501؛ جب، دراسات، ص168.

(2) حمادة، دراسة وثيقية للتاريخ الإسلامي، ص216.

(3) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص692.

يوسف السلائري (ت610هـ/ 1213م) الذي حدث **بسيرة ابن هشام**[1]، والقاضي الأسعد بن عبد القوي بن عبد العزيز المصري (ت621هـ/ 1224م)[2].

كما ظهرت عدد من المؤلفات في السيرة النبوية نذكر منها: كتاب "**فضائل خير البرية**" للحافظ عبد الغني المقدسي[3]، وللمؤرخ سبط بن الجوزي كتاب "**منتهى السول في سيرة الرسول**"[4]، وصنف المحدث عبد المؤمن بن خلف الدمياطي كتابا مختصرا في "**السيرة النبوية**"[5].

من جهة أخرى قام بعض المؤرخين بنظم السيرة النبوية لترغيب الناس في قراءتها وحفظها، فعلى سبيل المثال قام الفتح بن موسى بن حماد الجزري (ت663هـ/ 1264م) بنظم السيرة النبوية لابن هشام[6] كما قام المفسر عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الديريني بنظم تلك السيرة[7].

ونالت **سيرة السلطان صلاح الدين** حظاً وافراً من كتابات المؤرخين ومن الذين دوّنوا سيرته العماد الأصفهاني في كتابه "**البرق الشامي**" وابتدأ المؤلف بذكر سيرته ورحلته من العراق إلى الشام واتصاله بنور الدين محمود ثم صلاح الدين ويبسط فيه للحوادث من سنة 552هـ/ 1157م ولاسيما أخبار صلاح الدين وفتوحاته، وحوادث الشام في أيامه إلى أن مات سنة 589هـ/ 1193م.

والكتاب في مجمله سيرة ذاتية للعماد نفسه كما أنه تاريخ لصلاح الدين، وتكمن أهميته في كونه يعرض لنا سيرة صلاح الدين من وجهة رجل إداري كان

(1) القرشي، الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية (حيدر اباد الدكن: 1332هـ)، 2/ 27.

(2) الذهبي، العبر، 3/ 183؛ ابن العماد، شذرات الذهب، 5/ 95.

(3) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، جـ8، ق2/ 521؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 21/ 448؛ تذكرة الحفاظ، 4/ 1374.

(4) بدوي، الحياة العقلية، ص255.

(5) الكتبي، فوات الوفيات، 2/ 411؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، 4/ 1478.

(6) ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، 1/ 476.

(7) الاسنوي، طبقات الشافعية، 1/ 269؛ الداوودي، طبقات المفسرين، 1/ 312.

وثيق الصلة بصلاح الدين[1]، وقد عرض العماد مادته التاريخية بأسلوب مسجوع إلا أن رواياته للأحداث كانت وافية[2].

وألّف المؤرخ بهاء الدين بن شداد "**النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية**" ويسمى أيضاً "**بسيرة صلاح الدين**"[3] ويعد من أوثق المصادر التاريخية التي تناولت سيرة صلاح الدين لكون المؤلف أحد المقربين من السلطان، فقد تولى له مناصب عديدة منها قضاء العسكر[4]، وهو بحكم مصاحبته له شاهد عيان للكثير من المحطات التي يرويها عن سيده صلاح الدين، وكانت دوافعه في إخراج هذا الكتاب هو إعجابه بصلاح الدين وأخلاقه وشجاعته وبطولاته، وذكر بعد تدوين وفاة السلطان "**وقصدت بذلك وجه الله تعالى في حث الناس على الترحم عليه وذكر محاسنه**"[5].

وفيما يتعلق بأقسام "**النوادر السلطانية**" ذكر ابن شداد في المقدمة بأنه قسّم كتابه إلى قسمين: **الأول** يتعلق بسيرة صلاح الدين من حيث مولده، ونشأته، وصفة أخلاقه وشمائله[6].

أما **القسم الثاني**: فتناول فيه وقائع صلاح الدين وفتوحاته، وجاءت رواياته ومشاهداته في هذا القسم سرداً واقعياً، وصفياً، التزم فيه بالتسلسل الزمني لحصول الأحداث في الحقبة الأخيرة بعد التحاقه بخدمة صلاح الدين (584-589هـ/ 1188-1193م).

وتكمن أهمية ابن شداد كونه شاهد عيان للكثير من الوقائع التي يذكرها[7]، أما تلك التي لم يحضرها أو يشاهدها فقد كان حريصاً على نقلها من مصادرها التي يثق

---

(1) جب، دراسات، ص125.

(2) جب، المرجع نفسه، ص124.

(3) السبكي، طبقات الشافعية، 8/ 361؛ الداوداري، كنز الدرر، 7/ 312.

(4) ابن واصل، مفرج الكروب، 5/ 89؛ أبو الفداء، المختصر، 2/ 257؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 21/ 383.

(5) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص247.

(6) المصدر نفسه، ص4.

(7) المصدر نفسه، ص93، 114، 116، 127، 131، 179، 190، 216، 241، 243.

بها، وقد أكد على ذلك بقوله: "**ومن هذا التاريخ ما أسفر إلا ما شاهدته أو أخبرني من أثق به خبراً يقارب العيان**"[1].

ومما يرفع من مصداقية ابن شداد أيضاً هو حرصه على توثيق الحوادث التي يرويها بذكر دقيق للشهر واليوم[2]. وللطبيب أبو الفضل عبد المنعم بن عمر الأندلسي كتاب في سيرة صلاح الدين وفتوحاته وجهاده ضد الصليبيين سمّاه: "**روضة المآثر والمفاخر**"[3]. ونظّم القاضي الأسعد بن مماتي **سيرة صلاح الدين**[4].

ومن مؤرخي السير الذاتية أيضاً: القاضي الفاضل وله اليوميات التي تسمى بالمتجددات أو الدستور، وقد ذكر فيها ما مرّ به من أمور يومية[5].

ومن مؤرخي السير أيضاً: عثمان بن عيسى البلطي وله كتاب "**أخبار المتنبي**"[6]، وللعلامة موفق الدين البغدادي كتاب يتضمن سيرته الذاتية الّفه لولده شرف الدين يوسف[7]، وقد نقل ابن أبي أصيبعة نصوصاً من هذا الكتاب يعرض فيها المؤلف ولادته ببغداد وسماعه الحديث ودراسة النحو والفقه وغيرها من العلوم، ثم ذكره لرحلته إلى الموصل وبلاد الشام ومصر لمواصلة تحصيله العلمي فيها ولقائه بالعديد من علماء عصره ومناقشاته العلمية معهم[8].

وللمحدث عبد الغني المقدسي عدة كتب في السير منها "**محنة الإمام أحمد**" و"**مناقب**

---

(1) المصدر نفسه، ص87.

(2) المصدر نفسه، ص45، 57، 68، 79، 96، 162، 195، 204، 212، 228، 238، 243..

(3) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص635؛ بدوي، الحياة العقلية، ص253.

(4) ابن خلكان، وفيات الأعيان، 1/ 210؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 21/ 485؛ ابن كثير، البداية، 13/ 53؛ اليافعي، مرآة الجنان، 4/ 12؛ ابن العماد، شذرات الذهب، 5/ 20.

(5) ابن خلكان، وفيات الأعيان، 3/ 158؛ مصطفى، التاريخ العربي، 1/ 374.

(6) ياقوت، معجم الأدباء، 12/ 146؛ الكتبي، فوات الوفيات، 2/ 443.

(7) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص694.

(8) عيون الأنباء، ص683 وما بعده.

عمر بن عبد العزيز" وله أيضاً "**مناقب الصحابة**"[1]، وللحافظ عبد العظيم المنذري كتاب دعاه "**الأعلام بأخبار شيخ البخاري محمد بن سلام**"[2].

ب ـ التراجم والطبقات:

يُعد أدب التراجم من أغنى الفنون التاريخية عند المسلمين وفيها "**تجلت عبقريتهم في التدوين التاريخي**"[3] وترجع عناية المسلمين بهذا النمط من التدوين التاريخي إلى ارتباطه الوثيق بالحديث النبوي الشريف وضرورة أن يكون رواته معروفين وموثقين للتأكد من صحة الرواية[4].

كما أن اهتمام المسلمين بسيرة الرسول ﷺ وصحابته الكرام (رضي الله عنهم) فضلاً عن رغبة الناس في معرفة تراجم مشاهير الخلفاء والقادة والولاة وكبار العلماء والمفكرين وتخليد ذكراهم باعتبارهم المثل الأعلى للخلق الفاضل[5].

والملاحظ في كتابة التراجم والطبقات أن المؤرخين المسلمين اتخذوا سنة الوفاة أساساً للتاريخ وتحديد الوضع الزمني للمترجم لهم وذلك أن سنة الوفاة أثبت دائماً من سنة المولد في تلك العصور التي لم تعرف تسجيل أسماء المواليد الجدد[6].

وتطور فن التراجم عند المسلمين بمرور الوقت، ولم يعد ميداناً خاصاً بأهل الحديث ورجاله، وظهرت كتب منه في كل فن، منها ما هو عام، ومنها ما هو مختص بصنف معين، وبشكل عام ركزت كتب التراجم على الطبقات العليا في المجتمع والتي

(1) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، جـ8، ق2/ 522؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 21/ 447؛ تذكرة الحفاظ، 4/ 1374.

(2) المنذري، التكملة، 1/ 21 (المحقق).

(3) جب، دراسات في حضارة الإسلام، ص170.

(4) اليماني، إشارة التعيين، ص5 (المحقق).

(5) عمر رضا كحالة، التاريخ والجغرافية في العصور الإسلامية (دمشق: 1972)، ص67؛ السامرائي، دراسات، ص208.

(6) عاشور، دراسات، ص71-72.

يمكن تقسيمها إلى مجموعتين إحداهما بيدها الحكم والسياسة والمال. وتحمل اسم "**الخاصة**" مقابل العامة ويدخل فيها كبار القادة والأمراء والموظفين ورجال الدولة، كما يدخل في نطاقها كبار التجار والملاك[1].

أما المجموعة الثانية فتشمل طبقات العلماء الذين كانوا محل التقدير بما يحملونه من علم، واقتصر تاريخ التراجم على هاتين المجموعتين دون العامة الذين لم يكن لهم مكان على سطور التاريخ إلا في الهامش، ولا تلقى عليهم الأضواء إلا إذا دخلوا لسبب أو لآخر في الدائرة الضوئية لبعض الأحداث المتصلة بالطبقات العليا آنفة الذكر[2].

وشهد العصر الأيوبي فيضاً من كتب التراجم إلا أن ما يؤسف له أن الكثير منها قد فُقد، وبقيت أسماؤها متداولة في بطون المصادر، ومن مؤرخي مصر الذين صنّفوا في هذا المجال نذكر: أحمد بن الزبير الغساني وله كتاب "**روضة الأذهان في شعراء مصر**"[3]، وألّف العماد الأصفهاني كتاب "**خريدة القصر وجريدة العصر**" في نحو عشر مجلدات ذكر فيه تراجم شعراء القرنين الخامس والسادس الهجريين حتى سنة 572هـ/ 1176م ورتبه على أربعة أقسام وجمع فيه شعراء العراق وبلاد فارس وخراسان والشام والجزيرة والحجاز واليمن، كما ذكر شعراء مصر والمغرب وصقلية والأندلس[4]. وأراد منه أن يكون ذيلاً على كتاب "**زينة الدهر وعصرة أهل العصر في ذكر لطائف شعر العصر**" للأديب أبو المعالي سعد بن علي الورّاق البغدادي (ت568هـ/ 1172م)[5].

واشتهر المحدث أبو محمد عبد الله بن خلف المعروف بابن بُصيلة

(1) مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، 1/ 452.

(2) مصطفى، المرجع نفسه ، 1/ 452.

(3) العماد الأصفهاني، خريدة القصر، 1/ 200-203؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 6/ 92؛ اليافعي، مرآة الجنان، 3/ 275؛ السيوطي، بغية الوعاة، ص146.

(4) الأصفهاني، خريدة القصر، ق1/ 101؛ خليفة، كشف الظنون، 1/ 539.

(5) ابن خلكان، وفيات الأعيان، 5/ 149؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 21/ 346.

(ت598هـ/ 1201م) كونه أحد محدثي الإسكندرية الذين صنفوا في التراجم، من مؤلفاته "**الدرّ المنظم في فضل من سكن المقطم**" وجعله على الطبقات، وقد اطلع عليه الحافظ المنذري وأشاد به(1). وألّف الحافظ عبد الغني المقدسي كتاباً في تراجم المحدثين دعاه: "**الكمال في معرفة الرجال**" في أربع مجلدات(2).

كما صنّف الحافظ عبد القادر بن عبد الله الرهاوي السابق ذكره كتابا في تراجم جماعة من الحفاظ والأئمة سمّاه: "**المادح والممدوح**"(3).

ومن كتب التراجم المهمة التي دأب العلماء لاسيما المحدثون على تخريجها "**معاجم الشيوخ**" ترجموا فيها لشيوخهم الذين قرأوا عليهم أو سمعوا منهم، وربما بلغ عددهم في بعض الأحيان عدة آلاف، ولسوء الحظ فقدت معظم تلك المعاجم ولم يتبق منها سوى أسمائها، وربما كان لبعضهم أكثر من معجم ، فعلى سبيل المثال صنّف الحافظ السلفي ثلاثة معاجم هي "**المشيخة البغدادية**" و"**معجم أصفهان**" في مجلد كبير، ومعجم ثالث لباقي البلاد سمّاه "**السفر**" كان يشتمل على ألفي شيخ سبق أن التقى بهم في أثناء رحلته الطويلة(4).

وقلما نعثر على محدث دون أن يخرج لنفسه معجماً أو مشيخة وقد سبق أن أشرنا إلى العديد منها عند تناولنا مؤلفات الحديث مما لا داعي لذكرها.

ومن الجدير بالذكر أن ميول المؤرخين إلى التخصص قد بلغت ذروتها في منتصف القرن 7هـ/ 13م وذلك بظهور طائفة من مجموعات التراجم الخاصة(5)، فعلى سبيل المثال صنّف العلامة المؤرخ الحسن بن علي بن ظافر الأزدي السابق ذكره كتاباً

(1) التكملة، 1/ 427؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، مج4، جـ2/ 242.

(2) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، جـ8، ق2/ 522؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 21/ 448، تذكرة الحفاظ، 4/ 1374؛ ابن كثير، البداية، 13/ 38.

(3) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 22/ 72.

(4) الذهبي، المصدر نفسه ، 21/ 28؛ تذكرة الحفاظ، 4/ 1299؛ الغساني، العسجد المسبوك، ص182.

(5) جب، دراسات في حضارة الإسلام، ص171.

دعاه "**أخبار الشجعان**"[1]، وصنّف الفقيه الناصح بن الحنبلي عدة كتب منها: "**تاريخ الوعاظ**"، و"**الاستسعاد فيمن لقيت من صالحي العباد في البلاد**"[2] أما ابن الصلاح الشهرزوري فقد ألّف كتاباً سمّاه "**طبقات الشافعية**" اختصره الإمام محي الدين النووي (ت677هـ/ 1278م)[3].

وصنّف الوزير جمال الدين القفطي (ت646هـ/ 1248م) كتب عديدة منها "**أنباه الرواة على أنباه النحاة**" و"**الدرّ الثمين في أخبار المصنّفين**" و"**أخبار العلماء بأخبار الحكماء**" و"**المحمدون من الشعراء**"[4].

وممن كتب في التراجم أيضاً: الحافظ عبد العظيم المنذري وهو محدث قبل أن يكون مؤرخاً لذلك اقتصرت أغلب مؤلفاته التاريخية على "**علمي الرجال والتراجم**" ومن مؤلفاته بهذا الصدد نذكر: كتاب "**تاريخ من دخل مصر**"[5] وله أيضاً "**التكملة لوفيات النقلة**" وأراد منه أن يكون ذيلاً على كتاب "**وفيات النقلة**" لأبي الحسن علي بن المفضل المقدسي (ت611هـ/ 1214م) لذلك ابتدأ فيه بوفيات سنة 582هـ/ 1185م وهي السنة التي توقف عندها أبي الحسن المقدسي، وانتهى المنذري عند سنة 642هـ/ 1244م[6].

وتعد تكملة المنذري من المصادر المهمة حيث ترجم فيه لعدد كبير من أعلام عصره، فقد ضمّن كتابه أكثر من ثلاثة آلاف ترجمة، كان منهم المحدثون والمؤرخون

---

(1) المنذري، التكملة، 2/ 376-377؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 22/ 61؛ خليفة، كشف الظنون، 3/ 29.

(2) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 23/ 6-7؛ ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، 4/ 196؛ ابن العماد، شذرات الذهب، 5/ 166.

(3) الاسنوي، طبقات الشافعية، 2/ 134؛ بدوي، الحياة العقلية، ص258.

(4) ياقوت، معجم الأدباء، 15/ 175-204؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 23/ 227؛ العبر، 3/ 255؛ خليفة، كشف الظنون، 2/ 116، 3/ 281.

(5) المنذري، التكملة، 1/ 21 (المحقق).

(6) الصفدي، الوافي بالوفيات، 6/ 34.

والأدباء والكتاب والشعراء والصوفية والزهاد والفقهاء والقرّاء والقضاة والأطباء والملوك والوزراء والأمراء والقادة، وكل من نقل علماً من العلوم أو ساعد على ذلك[1].

وتكمن أهمية المنذري في كونه "**محدث، حجة، ثبت متحري لما يقوله وينقله**"[2]، وهو إلى جانب اهتمامه بضبط تاريخ وفاة من يترجم لهم، كان شديد العناية بأنسابهم وألقابهم، ومكان وفاتهم ومحل دفنهم، فضلاً عن تتبع نشاطاتهم العلمية[3].

ولأهمية الكتاب أصبح مصدراً لمن جاء بعده من المؤرخين مثل ابن العديم (ت660هـ/ 1261م) والذهبي (748هـ/ 1347م)، والسبكي(ت771هـ/ 1369م). وقد ذيل عليه فيما بعد تلميذه أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن الحسيني (ت699هـ/ 1295م)[4].

ومن التصانيف المهمة أيضاً: كتاب "**عيون الأنباء في طبقات الأطباء**" لموفق الدين أحمد بن أبي أصيبعة (ت668هـ/ 1230م) ذكر في مقدمته "**رأيت أن أذكر في هذا الكتاب نكتاً وعيوناً في مراتب المتميزين من الأطباء القدماء والمحدثين ومعرفة طبقاتهم على توالي أزمنتهم وأوقاتهم وأن أودعه أيضاً نبذاً من أوقاتهم وحكاياتهم ونوادرهم ومحاوراتهم وذكر شيئ من أسماء كتبهم**"[5] وجعله في خمسة عشر باباً، وتضمن ما يقارب من ثلاثمائة وثمانون ترجمة لمشاهير الأطباء[6].

وصنّف أبو شامة المقدسي كتاب "**الذيل على الروضتين**" وضمه تراجم لأعلام القرنين السادس والسابع الهجريين، ومزج المؤلف بين تدوين الحوادث والأشخاص

---

(1) المنذري، التكملة، 1/ 23-24 (المحقق).

(2) الذهبي، العبر، 3/ 281؛ ابن كثير، البداية، 13/ 212؛ ابن العماد، شذرات الذهب، 5/ 278.

(3) المنذري، التكملة، 1/ 24 (المحقق).

(4) الصفدي، أعيان العصر، 1/ 203؛ خليفة، كشف الظنون، 2/ 806.

(5) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص7.

(6) J. verneT, (Art:IBN ABi USAYBIA), Ency of Islam (London: 1971), Vol.3, P.694.

وبدء تدوينه بالسنة التي تلت وفاة صلاح الدين 590هـ/ 1193م واستمر حتى سنة وفاته 665هـ/ 1266م[1].

وللأديب المؤرخ جمال الدين يحيى بن عبد العظيم الجزّار المصري (ت679هـ/ 1280م) كتاب "**العقود الدرية في الأمراء المصرية**"[2]، وألّف المحدث الاخباري عبد المؤمن بن خلف الدمياطي كتاب سمّاه: "**العقد المثمن فيمن اسمه عبد المؤمن**"[3] وربما دفعه إلى جمعه إرضاء نزعة الطموح في نفسه، فقد كان اسمه عبد المؤمن[4]. وله أيضاً كتاب "**قبائل الخزرج**" وآخر في "**قبائل الأوس**"، و"**أسماء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم**"[5].

جـ ـ الأنساب:

بقي هذا النمط من التدوين التاريخي قائماً في مصر خلال العصر الأيوبي وظهر عدد من العلماء والمؤرخين ممن اشتهروا كونهم "**نسابة**"[6].

كما اهتم به الأيوبيون وفي مقدمتهم السلطان صلاح الدين الذي "**كان حافظاً لأنساب العرب ووقائعهم، عارفاً بسيرهم وأحوالهم**"[7]. ولانعرف فيما إذا كان حافظا لأنساب الكرد الذين ينتمي اليهم.

ومن مظاهر اهتمام الأيوبيين بهذا العلم دعمهم ورعايتهم لنقابة (**الأشراف**)[8]،

---

(1) حسين عاصي، المؤرخ أبو شامة وكتابه الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، (بيروت: 1991)، ص37.

(2) خليفة، كشف الظنون، 4/ 81؛ كحالة، معجم المؤلفين، 4/ 102.

(3) الكتبي، فوات الوفيات، 2/ 17؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، 4/ 417.

(4) بدوي، الحياة العقلية، ص256.

(5) الكتبي، فوات الوفيات، 2/ 17؛ ابن كثير، البداية، 14/ 40؛ السبكي، طبقات الشافعية، 6/ 123.

(6) الأصفهاني، خريدة القصر، جـ1، ق4/ 117؛ المنذري، التكملة، 1/ 177؛ أبو شامة، الروضتين، 2/ 105؛ الذهبي، العبر، 3/ 67؛ اليافعي، مرآة الجنان، 3/ 304.

(7) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، جـ8، ق1/ 429؛ أبو شامة، الروضتين، 2/ 224.

(8) ويبدو أنها استمرار لنقابة الطالبيين التي كانت موجودة بمصر في العصر الفاطمي وكانت تعنى فقط

وهي المؤسسة التي تُعنى بنسب الرسول ﷺ وآل بيته الأطهار لصيانة أنسابهم الشريفة وحفظها في ديوان خاص والرد على أولئك الذين قد ينتحلون النسب الشريف[1].

وقد تولى رئاسة هذه النقابة بمصر في العصر الأيوبي عدد من النقباء الأشراف منهم: أبو علي بن أسعد بن علي الحسيني الجوّاني[2] (ت588هـ/ 1192م) وكان قد سكن الإسكندرية[3] وله مؤلفات منها: "**طبقات الطالبيين**" و"**طبقات النسابين الطالبيين**" و"**تاريخ الأنساب ومنهاج الصواب**"[4]، وله أيضاً: "**التحفة السنية في نسب النبي ﷺ**"[5].

ومن نقباء الأشراف أيضاً: فخر الدين الحسن بن علي (ت674هـ/ 1275م) وجمع تاريخاً لم يكمله[6]، لعله في الأنساب، والشريف عز الدين أحمد بن محمد الحسني المصري السابق ذكره واشتهر كونه محدثا ومؤرخا نسابة[7].

ولم يقتصر الاهتمام بالأنساب على المؤرخين وحدهم بل اهتم به الفقهاء والمحدثون والأدباء نذكر منهم: الفقيه المقرئ اليسع بن عيسى بن حزم الغافقي السابق ذكره وكان: "**فقيهاً، محدثاً، نسابة، اخبارياً**"[8]. من مؤلفاته: "**المغرب في أخبار أهل المغرب**"[9].

=

بشؤون العلويين. عنان، الحاكم بأمر الله، ص343.

(1) الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية (بيروت: 1994)، ص171.

(2) نسبة إلى (الجوانية) بالفتح وتشديد الواو وكسر النون، موضع قرب المدينة المنورة وإليها ينسب بنو الجواني العلويون، ياقوت، معجم البلدان، 2/ 175.

(3) الأصفهاني، خريدة القصر، جـ1، ق4/ 117؛ المنذري، التكملة، 1/ 177.

(4) المنذري، التكملة، 1/ 177-178؛ أبو شامة، الروضتين، 2/ 105؛ الغساني، العسجد المسبوك، ص220.

(5) كحالة، معجم المؤلفين، 1/ 350؛ زيدان، تاريخ آداب اللغة، 3/ 70؛ عاشور، مصر والشام، ص125.

(6) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، 3/ 134.

(7) الصفدي، أعيان العصر، 1/ 203؛ ابن العماد، شذرات الذهب، 5/ 430.

(8) الذهبي، العبر، 3/ 67؛ اليافعي، مرآة الجنان، 3/ 304؛ ابن العماد، شذرات الذهب، 4/ 250.

(9) ابن الجزري، غاية النهاية، 2/ 386؛ كحالة، التاريخ والجغرافية، ص177.

وصنّف الحافظ عبد الغني المقدسي كتاب "**التبيين في أنساب القرشيين**" ذكر فيه نسب الرسول ﷺ، وأقاربه، وشيئاً من أخبارهم، وله أيضاً: "**الاستبصار في أنساب الأنصار**"[1] ، ولابن فتوح الهمذاني الإسكندراني (ت 673هـ/ 1274م) كتاب "**الذيل على مشتبه الأسماء والنسب**" لأبي بكر بن نقطة البغدادي[2].

واقتصر نشاط البعض من العلماء على العناية بالأنساب وحفظها دون التأليف في ذلك، فعلى سبيل المثال: اشتهر المقرئ أبو الثناء صبرة بن سلامة الاسكندراني (ت608هـ/ 1211م) بمعرفته الواسعة بالأنساب إلا أنه لم يصنف فيه واقتصر نشاطه على إقراء القرآن الكريم بالإسكندرية حيث تخرج عليه عدد من المصريين منهم الحافظ المنذري[3].

واشتهر جعفر بن محمد بن عبد العزيز الادريسي كونه مؤرخا نسابة[4]. والمحدث عبد المؤمن بن خلف الدمياطي وكان فقيهاً وإخبارياً "**رأسا في علم النسب**"[5].

د ـ التواريخ المحلية والعامة:

ونعني بالتواريخ المحلية تلك التي يعالج الواحد منها تاريخ إقليم أو مدينة أو دولة من الدول في إطار زمني محدد، وقد تزايد اهتمام المسلمين بالتواريخ المحلية بعد الضعف والتمزق السياسي الذي تعرضت له الخلافة العباسية في أواخر القرن 3هـ/ 9م وظهور العديد من الكيانات المستقلة[6].

---

(1) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 21/ 168؛ ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، 2/ 140.

(2) ناجي معروف، "**ابن فتوح الهمذاني الإسكندراني، مؤرخ الإسكندرية المتوفي (643هـ/ 1274م)**"، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج(25)، بغداد: 1974، ص101.

(3) المنذري، التكملة، 2/ 222-223؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ص269.

(4) السيوطي، حسن المحاضرة، 1/ 319-320؛ كحالة، معجم المؤلفين، 1/ 497.

(5) الذهبي، تذكرة الحفاظ، 4/ 1478؛ ابن الجزري، غاية النهاية، 1/ 472.

(6) مصطفى، التاريخ العربي، 1/ 348.

كما أن العناية بالتواريخ المحلية قد جاء في إطار بروز اتجاهات جديدة في التدوين التاريخي ورغبة الكثير من المؤرخين في الابتعاد عن محاكاة وتقليد من سبقهم ممن صنفوا في التواريخ العامة، وقد أشار العلامة ابن خلدون إلى ذلك بقوله: "**وجاء بعدهم من عدل عن الإطلاق إلى التقييد، فقيد شوارد عصره، واستوعب أخبار افقه وقطرة، واقتصر على أحاديث دولته ومصره**"[1].

من جهة أخرى فإن التطور الحضاري الذي شهده العالم الإسلامي ابتداءً من القرن 4هـ/ 10م وبروز مراكز ثقافية في مصر وبلاد الشام والمغرب والأندلس فضلاً عن بلدان المشرق الإسلامي أن حفّز الكثير من المؤرخين للعناية بتواريخ مدنهم ودولهم، وأخذت كل جماعة تحاول إبراز فضائل البلد الذي تنتمي إليه، ولم يقتصر الأمر على المدن المقدسة مثل مكة والمدينة والقدس وإنما اتجه المؤرخون إلى المدن الإسلامية عامة[2].

وعلى قدر تعلق الأمر بمصر فقد ظهر فيها هذا اللون من الكتابة التاريخية منذ وقت مبكر[3]، وما أن حل القرن 6هـ/ 12م حتى اتسعت دائرة الاهتمام بالتواريخ المحلية وبدأ ذلك جلياً في مصر والشام أكثر من غيرها من البلاد، ومن مؤرخي مصر الذين ألفوا في هذا المجال:

العماد الكاتب الأصفهاني وله مجموعة مؤلفات منها كتاب: "**نصرة الفترة**

---

(1) المقدمة، ص353.

(2) قاسم، تطور مناهج البحث، ص191.

(3) فعلى سبيل المثال: صنف المؤرخ عبد الرحمن بن عبد الحكم (ت257هـ/ 870م) كتاب "فتوح مصر"، وألّف الحسن بن ابراهيم بن زولاق المصري (ت387هـ/ 997م) كتاباً في "**فضائل مصر واخبارها**" وله أيضاً: "**خطط مصر**"، وألّف محمد بن عبد الله المسبحي (ت420هـ/ 1029م) كتاب "**تاريخ مصر**" في اثني عشرة مجلداً، وصنّف محمد بن سلامة القضاعي (ت454هـ/ 1062م) كتاباً في خطط مصر سمّاه: "**المختار في ذكر الخطط والآثار في خطط مصر**". للمزيد ينظر: السخاوي، الإعلان بالتوبيخ، ص130-131؛ خليفة، كشف الظنون، 1/ 276؛ كحالة، التاريخ والجغرافية، ص169-172؛ رمضان، المجتمع في مصر الإسلامية، 2/ 176-178.

وعصرة القطرة"[1] في أخبار الدولة السلجوقية ووزرائها وأكابر دولتها، نقل بعضه من كتاب "**فتور زمان الصدور، وصدور زمان الفتور**" للوزير أنو شروان بن خالد وكان قد كتبه باللغة الفارسية فنقله العماد إلى العربية وهذّبه وزاد عليه زيادات مهمة مكملة لتاريخ الدولة السلجوقية[2].

ومن مؤلفات العماد أيضاً: كتاب "**الفتح القسي في الفتح القدسي**" أرخ فيه فتوحات صلاح الدين وبدأه بفتح بيت المقدس سنة 583هـ/ 1187م وختمه بوفاة صلاح الدين سنة 589هـ/ 1193م[3]، وله أيضاً كتاب "**عتبى الزمان في عقبى الحدثان**" في تاريخ الدولة الأيوبية بعد وفاة صلاح الدين حتى نهاية عام 592هـ/ 1195م ذكره أبو شامة[4]، وياقوت[5]، والصفدي[6]، وله أيضاً: "**خطفة البارق وعطفة الشارق**" وهو تكملة لما سبقه وربما يكون آخر ما دوّنه العماد لأنه دوّن فيه الحوادث من سنة 593هـ/ 1196م إلى سنة 597هـ/ 1200م وهي سنة وفاته[7].

ومن مؤلفاته كذلك "**نحلة الرحلة وحلية العطلة**" تحدث فيه عن اختلال الأحوال بعد موت صلاح الدين واختلاف أولاده وما وقع من الخلاف بينهم[8].

ومن المؤرخين الذين صنفوا في التاريخ المحلي أيضاً عبد الله بن خلف المعروف بابن بُصيلة السابق ذكره وذكر المنذري عنه أنه شرع في كتابة تاريخ مصر إلا أنه "**عجز**

(1) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 21/ 347؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، مج4، جـ2/ 321.

(2) الأصفهاني، خريدة القصر، 1/ 73 (المحقق)

(3) أبو شامة، الروضتين، 1/ 144؛ ابن خلكان،وفيات الأعيان، 5/ 150؛ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، 1/ 375.

(4) الروضتين، 2/ 231، 245.

(5) معجم الأدباء، 19/ 19.

(6) الوافي بالوفيات، 1/ 140.

(7) أبو شامة، الروضتين، 2/ 233؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 1/ 140.

(8) أبو شامة، الروضتين، 2/ 231.

عن إكماله لضيق ذات يده"[1]، وألف إبراهيم بن وصيف شاه (ت599هـ/ 1202م) كتاباً أسماه: "**جواهر البحور ووقائع الدهور في أخبار الديار المصرية**"[2].

والف الأمير فخر الدين أبي عثمان النابلسي الصفدي (ت بعد 643هـ/ 1243م) كتابا سماه "**حسن السلوك في فضل من ملك مصر على سائر الملوك**"[3] وللعلامة الوزير جمال الدين القفطي مجموعة كتب منها: "**تاريخ مصر**" ابتدأه إلى أيام صلاح الدين في ستة مجلدات، وله "**تاريخ المغرب**" و"**أخبار الدولة السلجوقية**" و"**تاريخ البويهيين**" وله أيضاً "**الإيناس في أخبار آل مرداس**" و"**تاريخ محمود بن سبكتكين وبنيه**"[4].

وصنف جعفر بن عبد العزيز الأندلسي (ت649هـ/ 1251م) كتاب "**تاريخ القاهرة**" و"**المفيد في أخبار الصعيد**"[5]. أما أبو شامة المقدسي فله تاريخ "**الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**" كما قام باختصار "**تاريخ دمشق**" لابن عساكر[6]، وله أيضاً "**كشف حال بني عبيد**" تناول فيه أخبار الفاطميين وما آل إليه أمرهم بعد زوال دولتهم[7]. ولابن فتوح الهمذاني الإسكندراني كتاب الدرة السنية في تاريخ الإسكندرية في ثلاث مجلدات[8].

من جهة أخرى برز عدد من المؤرخين ممن صنفوا في التواريخ العامة التي تبدأ

---

(1) التكملة لوفيات النقلة، 1/ 427؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ص352؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، مج4، جـ2/ 242.

(2) بدوي، الحياة العقلية، ص263؛ كحالة، التاريخ، ص116.

(3) الصفدي ، تاريخ الفيوم وبلاده (بيروت : (1974)، ص14.

(4) ياقوت، معجم الأدباء، 5/ 187؛ الكتبي، فوات الوفيات، 3/ 118؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 23/ 227؛ زيدان، آداب، 3/ 81.

(5) خليفة، كشف الظنون، 2/ 628؛ معجم المؤلفين، 1/ 497.

(6) الصابوني، تكملة اكمال، ص216.

(7) Hilmy Ahmad, (Art: Abu Shama), Ency of Islam, Vol.1, P.150.

(8) الذهبي، العبر، 3/ 327؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 7/ 247؛ ناجي معروف، "**ابن فتوح الهمذاني الإسكندراني مؤرخ الإسكندرية**" مجلة المجمع العلمي العراقي، مج25، بغداد، 1974، ص101.

عادة بظهور الإسلام. وأحياناً أخرى ببدء الخليقة، ويبدو أن توجه البعض لتدوين التواريخ العامة في العصر الأيوبي جاء كمحاولة منهم لإعادة ثقة الأمة بذاتها كي لا تنهار أمام الخطر الخارجي في محاولة لتذكيرها بالأمجاد السابقة التي انتصرت فيها على الأمم الأخرى وممن صنف في هذا المجال نذكر:

شمس الدين الخوي الذي صنف تاريخاً عاماً دعاه: "**الروض الباسم في أخبار من مضى من العوالم**" وله أيضاً: "**النجوم الزواهر في معرفة الأواخر**"(1).

ومن المشاهير الذين صنفوا في التواريخ العامة المؤرخ سبط بن الجوزي وله كتاب " **مرآة الزمان في تاريخ الأعيان**" في نحو اربعين مجلداً مزج فيه بين تدوين الحوادث وتراجم الوفيات وانتهى به إلى سنة 654هـ/ 1256م(2).

ومن الجدير بالذكر أن التدوين التاريخي قد خطى خطوات مهمة في العصر الأيوبي وذلك بتحرره في كثير من الأحيان من الأساليب والأنماط التقليدية التي قيدت حركته في السابق، كما تحررت الكتابة التاريخية إلى حد كبير من الخرافات والأساطير التي شابته من قبل، على أن التدوين التاريخي بقي بصورة عامة من حيث الشكل في نطاقه الوصفي التقريري ولم يصل إلى التحليل والتعليل إلا في حالات نادرة.

---

(1) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، 1/ 41-42؛ النعيمي، الدارس، 1/ 367.

(2)ابن خلكان، وفيات، 3/ 142، مصطفى، التاريخ العربي، 1/ 354؛ وتوجد نسخة منه في دار الكتب المصرية تحت رقم (551/ تاريخ) ونسخة منه في إسطنبول مكتبة احمد الثالث تحت رقم (2907) وفي المجمع العلمي العراقي ج3 رقم (138م) (حوادث سنوات 218-253هـ) الأصل عن نسخة الاسكوريال المصورة بالمايكروفيلم.

ثالثاً ـ علم الجغرافية[1] وأدب الرحلات

مرّ علم الجغرافية عند المسلمين بمراحل متعددة، وكان في بادئ أمره بسيطاً لا يتعدى كونه فرعاً تابعاً لعلم الفلك[2]، وبدأت الكتابات الجغرافية في بادئ الأمر متأثرة بالنتاج اليوناني[3]. ثم أخذ ينمو ويتطور بسبب حاجة المسلمين الى معرفة أنحاء دولتهم المترامية الأطراف. ومعرفة الطرق، وتعيين محطات القوافل على طرق الحج، وكذلك معرفة المسالك المؤدية إلى الأقاليم البعيدة لإيفاد المبعوثين وتعيين الولاة المناسبين لضبط شؤونها الإدارية، ولتوثيق الصلة بين مركز الخلافة والولايات[4].

كما كان لحث الدين الاسلامي معتنقيه على طلب العلم واتساع نطاق الرحلات على اختلافها ـ **علمية، تجارية، أداء الحج....** أثر في اتساع معلوماتهم الجغرافية، حيث تعرّفوا على أجزاء كثيرة من العالم آنذاك[5]، وما أن حلّ القرن 4هـ/ 10م حتى بلغ الفكر الجغرافي عند المسلمين أوج تطوره وازدهاره وأصبحت الجغرافيا مستقلة قائمة بذاتها[6].

وكان لتراكم المادة الجغرافية أن ظهرت ابتداءً من القرن 6هـ/ 12م فصاعداً

---

(1) **الجغرافية**-كلمة يونانية تعني وصف الأرض وهو "**علم بأحوال الأرض من حيث تقسيمها الى الأقاليم والجبال والأنهار، وما يختلف حال السكان باختلافه**"، وقد أطلق على الجغرافيين في العصر الاسلامي بـ (البلدانيين) لأنهم اتسموا بوصف البلدان منحيث الموقع وشهرتها ومناخها وأحوال أهلها ، الأنطاكي، تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب، تحقيق احمد شمس الدين (بيروت: 2000)، 2/ 396 ؛ كشف الظنون، 1/ 464 ؛ كحالة، التاريخ والجغرافية، ص215.

(2) ديزموند برنال، العلم في التاريخ، ترجمة علي ناصيف (بيروت : 1981)، 1/ 304.

(3) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (بيروت:1981)، ص5 .

(4) المقدسي، المصدر نفسه، ص6 (المحقق)، كرامرز، مادة (الجغرافية)،دائرة المعارف الاسلامية، 7/ 16-17 ؛ كحالة، التاريخ والجغرافية، ص216.

(5) كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم (القاهرة:1963)، ق1/ 22.

(6)كراتشكوفسكي، المرجع نفسه ، ق1/ 177.

اتجاهات متنوعة في التأليف الجغرافي، ولم يعد الاهتمام والتصنيف فيه مقتصراً على نخبة معينة من العلماء، وعلى قدر تعلق الأمر بمصر خلال العصر الأيوبي برز عدد من الأطباء ممن صنفوا في طبائع المدن والمناخ لحاجتهم إلى ذلك في الطب، لأن الطبيب **"إذا علم حال الإقليم وما خصّ به من الظواهر [الطبيعية والمناخية] سهل عليه وصف العلاج المناسب"**[(1)].

ومن الأطباء الذين صنفوا في هذا المجال نذكر : الأسعد بن يعقوب بن اسحق المحلي (ت 600هـ/ 1203م)، وهو من الأطباء اليهود، أقام حيناً بدمشق ثم رجع الى القاهرة التي سبق أن نشأ بها، من مؤلفاته : كتاب **"في مزاج دمشق ووصفها وتفاوتها من مصر وأنها أصح وأعدل"**[(2)] ربما بسبب توفر عدد من المقومات المناخية والجغرافية التي رصدها.

وللطبيب هبة الله بن زين بن يعقوب بن جُميع اليهودي (ت 600هـ/ 123م) **"رسالة في طبع الاسكندرية وحال هوائها ومياهها ونحو ذلك من أحوالها، وأحوال أهلها"**[(3)]. وصنّف الطبيب أبو الخير سلامة بن مبارك بن رحمون المصري **"مقالة في السبب الموجب لقلة المطر"**[(4)].

كما ظهرت في ذلك العصر عدد من كتب الجغرافية الاقليمية والتي تتصف في الوقت ذاته بالطابع الجغرافي التاريخي من ذلك كتاب **"مصر ونواحيها"** لأبي صالح الأرمني وكان مقيماً بمصر في أواسط القرن 6هـ/ 12م ووصف في كتابه الكنائس والأديرة بمصر وما يجاورها من البلاد[(5)].

وصنف أبو الفتح نصر بن عبد الرحمن بن إسماعيل الفزاري الاسكندري

(1) الانطاكي، تذكرة أولي الألباب، 2/ 396.

(2) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص584.

(3) ابن أبي اصيبعة، المصدر نفسه ، ص579 ؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ص494.

(4)ابن أبي اصيبعة، المصدر نفسه، ص569.

(5) زيدان، تاريخ آداب، 3/ 83 ؛ بدوي، الحياة العقلية، ص261-262.

(ت561هـ/ 1165م) كتاب سماه : "**البلدان والأمكنة والجبال والمياه**" في مجلد كبير[1].

ومن صنف في الجغرافية الإقليمية أيضا الأمير عثمان بن النابلسي السابق ذكره الذي عاش بمصر في عهد الصالح نجم الدين أيوب وعين حاكما على الفيوم من مؤلفاته "**تاريخ الفيوم وبلاده**"[2] في نحو عشرة أبواب تطرق فيه إلى طبيعة بلاد الفيوم وأحوالها المناخية ومدى تأثيرها على أحوال السكان، وهو كغيره من المصنفات من هذا الطراز يحفل بالتفاصيل المختلفة سواء المسائل الاجتماعية والاقتصادية أو في الجغرافية الطبيعية[3].

أما تاج الدين عبد الله بن عمر الجويني (ت 642هـ/ 1244م) فله كتاب "**المسالك والممالك**"[4]، وصنف أبو جعفر بن عبد العزيز الادريسي كتاب "**أنوار علو الاعلام في الكشف عن أسرار الأهرام**" وصف فيه الأهرام وما يجاورها وأهدى الكتاب للملك الكامل محمد[5].

ولم يخل العصر الأيوبي من الرحالة والبلدانيين الذين صنفوا في الجغرافية الوصفية وأدب الرحلات ومر بعضهم بمصر مثل الشيخ الزاهد أبو الحسن علي بن أبي بكر الهروي الأصل الموصلي المولد (ت611هـ/ 1224م) ويعد من مشاهير رحالة القرن 7هـ/ 13م، جاب في رحلته بلاداً ومناطق عديدة من العالم حتى "**كاد يطبق الأرض بالدوران، لم يترك براً ولا بحراً ولا سهلاً ولا جبلاً من الأماكن التي يمكن قصدها ورؤيتها إلا رآه**"[6]. فقد زار بلاد الشام والعراق وبلاد الروم

(1) السيوطي، بغية الوعاة، ص403.

(2) ورد أحيانا اسمه بعنوان إظهار صنعة الحي القيوم في ترتيب بلاد الفيوم. كرتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي، 1/ 349.

(3) النابلسي ، تاريخ الفيوم وبلاده (بيروت : 1974م).

(4) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، جـ8، ق2/ 748.

(5) زيدان، تاريخ آداب، 3/ 100.

(6) ابن خلكان، وفيات الأعيان، 3/ 346؛ أبو الفداء، المختصر، 3/ 115؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، 2/ 130.

والجزيرة، وبلاد الهند وفارس والحجاز واليمن، فضلاً عن زيارته لمصر وبلاد المغرب وغيرها من البلاد. [1] حيث أمضى معظم حياته في الرحلة والتجوال حتى لقّب بـ "**السائح**" [2].

ويذكر أن الدوافع التي قادت الهروي الى الرحلة لم تكن لأسباب جغرافية بحتة، بل الرغبة في زيارة الأضرحة ومقامات الأولياء التي سمع بها، من مؤلفاته: "**الإشارات إلى معرفة الزيارات**" وذكر في مقدمته أن تأليفه لهذا الكتاب جاء بناءً على طلب ورغبة بعض الأصدقاء[3]، ومن البلاد التي جاء ذكرها في الكتاب مصر التي زارها المؤلف ووصف جملة من أخبارها وأحوالها، ومن الأمور التي شاهدها الهروي في مصر كثرة الفواكه والخضراوات حيث وصفها وعددها بأسمائها[4].

وللهروي مؤلفات أخرى نذكر منها : "**منازل الأرض ذات الطول والعرض**" و"**الآثار والعجائب والأصنام**" و"**رحلة أبي الحسن**" و"**زيارات الشام**" [5] وقد دوّن أكثرها بعد رحلاته معتمداً في ذلك على ذاكرته وذلك لأن الجانب الأكبر من مدوناته وكتبه كان قد فُقِد أثناء كارثة حلت بسفينته قرب عكا في سنة 588هـ/ 1192م[6].

ولا تخل كتابات الهروي من معلومات شابتها الخرافة والأساطير لكونه نقل ما وقعت عليه عيناه أو سمع به من الناس دون نقد إلا أن ذلك لا يقلل من

---

(1) الهروي، الاشارات الى معرفة الزيارات (بيروت : 1953)، ص7 ؛ علي محسن مال الله، أدب الرحلات عند العرب في المشرق (بغداد : 1978)، ص232.

(2) المنذري، التكملة، 2/ 315 ؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، 3/ 346.

(3) الهروي، الاشارات، ص3.

(4) الهروي، المصدر نفسه، ص ص50-51.

(5) الهروي، التذكرة الهروية في الحيل الحربية، تحقيق مطيع المرابط (دمشق: 1972)، ص ص21-23 _(المحقق).

(6) كراتشكوفسكي، المرجع السابق ، 1/ 321.

القيمة التاريخية والجغرافية للكثير من المعلومات التي أوردها ووصفه للمناطق التي زارها، وأصبحت معلوماته مصدراً مهماً لمن جاء بعده مثل ياقوت الحموي[1].

وممن حلّ بمصر من الرحالة الأندلسيين الأديب أبو الحسين محمد بن جبير الكناني (ت614هـ / 1217م) وكان أديباً، عالماً في الفقه والحديث، رحل الى المشرق ثلاث مرات واستغرقت الرحلة الأولى نحو ثلاث سنوات (578-581هـ/ 1182-1185م)، والثانية نحو سنتين (585-587هـ/ 1189-1191م)، أما الرحلة الأخيرة فقد شرع بها سنة 601 هـ/ 1204م وأمضى بقية حياته متنقلاً بين الحجاز ومدن الشام ومصر الى أن وافته المنية بالإسكندرية[2].

وقد دوّن ابن جبير رحلته الأولى في كتاب حمل عنوان "**تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار**"[3] ذكر فيه كل ما مرّ به من مدن، وما شاهده من عجائب البلدان والأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية، كما عني عناية خاصة بوصف النواحي الدينية والمساجد والمشاهد[4]، وذكر الصعوبات التي واجهته في أسفاره، ولم يغفل الحديث عن الحروب الصليبية، وكان شديد الاعجاب بالسلطان صلاح الدين كثير المدح له[5].

ولاشك أن لرحلة ابن جبير مكانة مرموقة بين المصادر الجغرافية والتاريخية لذلك العصر[6]، فقد تمكن المؤلف بقوة الملاحظة التي يتمتع بها، وبأسلوبه الأدبي

---

(1) كراتشكوفسكي، المرجع نفسه، ق1 / 322.

(2) المنذري، التكملة، 2/ 407 ؛ الذهبي، العبر، 3/ 163 ؛ ابن الجزري، غاية النهاية، 2/ 60 ؛ ابن العماد، شذرات الذهب، 5/ 61.

(3) رجّح كراتشكوفسكي أن يكون هذا العنوان منحولاً وهذا ما نرجحه أيضاً سيما وأن لرحلته عنوان آخر هو "**اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك**"، تاريخ الأدب العربي، ق1/ 299.

(4) ابن جبير، رحلته، ص47،48،49،50،51،92،93،144.

(5) المصدر نفسه، ص45،46،47،50،52،55،60،69،81،86،...

(6) سيمينوفا، صلاح الدين والمماليك، ص15.

الرفيع الذي يمتاز بالرصانة والحيوية وسهولة التعبير من تصوير حياة عصره في الكثير من النواحي، وهي كغيرها من المؤلفات التي مزجت في مادتها بين الجغرافية والتاريخ والأدب.

ومن المؤلفات المهمة في هذا المجال: كتاب "**الافادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بارض مصر**" لموفق الدين البغدادي بدأ بتأليفه سنة 600هـ/ 1203م عندما كان بالقاهرة ثم قام بتهذيبه واختصاره في سنة 603هـ/ 1206م[1].

وقد كرس البغدادي كتابه للحديث عن جغرافية مصر، كما تطرق للنواحي التاريخية، والاجتماعية والعمرانية، وقسم محتوياته إلى قسمين، ضم القسم الاول ستة فصول تناول فيها جغرافية مصر وسكانها، وثرواتها الطبيعية[2]. كما تطرق الى اثار مصر القديمة حيث وصفها بدقة، ولم يخف إعجابه الشديد بالأهرامات[3].

أما **القسم الثاني** فقد خصه للحديث عن نهر النيل، وفيه انتقد بعض الاعتقادات الخاطئة عن منابعه، وعن اسباب حدوث الفيضان، كما حاول ان يقيس ارتفاع منسوب المياه على اساس من الملاحظة المتتابعة[4].

كما تحدث في هذا القسم عن المجاعة التي حلت بمصر في عامي 597هـ-598هـ/ 1200م-1201م وما نجم عنها من مآسٍ بسبب القحط الذي عمّ البلاد المصرية وارتفاع الاسعار[5]، وانتشار الاوبئة، واتساع الهجرة الى خارج مصر[6]، واكل الناس لحوم الكلاب والموتى والجيف[7].

(1) البغدادي،الإفادة والاعتبار، ص32 (المحقق)

(2) المصدر نفسه ،ص56-149.

(3)المصدر نفسه ،ص108-137.

(4)المصدر نفسه ،ص152-160.

(5)المصدر نفسه ،ص173-176.

(6)المصدر نفسه ،ص162ـ167.

(7)المصدر نفسه ، ص162-176.

وقد دفعته نزعته العلمية باعتباره طبيباً الى الاحتفاظ بقوة ملاحظته ورباطة جأشه، فهو يصف لنا بهدوء ودقة الحالات الرهيبة لاكلي لحوم البشر، واختطاف الاطباء[1]، وغير ذلك من المشاهد المفزعة، وفي جميع تلك الظروف لم يفقد البغدادي حب الاستطلاع، وروح البحث وابدى عدداً من الملاحظات التشريحية والطبية القيمة[2].

ولا بد من التنويه أيضاً الى مجموعة من الكتب التاريخية وكتب الدواوين والخطط، والتي احتوت طائفة من الاوصاف الجغرافية والاحصائية مثل كتاب "**قوانين الدواوين**" للقاضي الاسعد بن مماتي السابق ذكره[3]، وكتاب "**لمع القوانين المضيئة في دواوين الديار المصرية**"[4]، للأمير فخر الدين أبي عثمان بن إبراهيم النابلسي السابق ذكره، وكتاب "**النقط على الخطط**" في خطط مصر لمحمد بن اسعد الجواني[5]، وكتاب "**الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرية**" لمحي الدين عبد الله بن عبد الظاهر (ت692هـ/ 1292م)[6].

(1)المصدر نفسه، ص164.

(2)المصدر نفسه، ص114،115،123،124،125،127.

(3) الذهبي،سير اعلام النبلاء،21/ 485، الغساني، العسجد المسبوك،ص270.

(4) خليفة،كشف الظنون،4/ 274/ ، كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب، 1/ 349.

(5) السخاوي،الاعلان بالتوبيخ،ص131،مصطفى،التاريخ العربي،1/ 347.

(6) كحالة، التاريخ والجغرافية،ص182.



الفصل الرابع

العلوم العقلية

أولا: العلوم الطبية

أ. الطب

ب. الصيدلة

ثانيا: علم الكلام والفلسفة

ثالثا: العلوم الرياضية

أ. الحساب

ب. الهندسة

رابعا: الفلك

خامسا: الكيمياء

سادسا: الموسيقى



الفصل الرابع
العلوم العقلية

على الرغم من أن عناية الأيوبيين بالعلوم العقلية أو ما اصطلح على تسميته أحيانا **بعلوم الأوائل**[1] لم تكن بالمستوى الذي نالته العلوم النقلية لاسيما الدينية منها، إلا أن ذلك لم يمنع من بروز الكثير من العلماء الذين برعوا في مجالات الطب والرياضيات والفلك والكيمياء وغيرها من الميادين العلمية مما لا يمكن الإغفال عنه لصلة تلك العلوم بمفردات حياتهم اليومية، كما أن الاهتمام بتلك العلوم جاء مواكبا للتقدم الحضاري الذي حققه المجتمع الإسلامي مقارنة مع المرحلة التي سبقته.

والملاحظ على علماء مصر الذين برعوا في العلوم الدنيوية أنهم كانوا في الوقت ذاته فقهاء ومحدثين ومفسرين مما يعني أن الاهتمام بالعلوم العقلية جاء متزامنا مع بقية العلوم حيث كانت تدرس في أماكن متعددة كالمساجد والمدارس والبيمارستانات وبيوت العلماء.

ومن أبرز العلوم العقلية التي حظيت باهتمام علماء مصر في العصر الأيوبي نذكر:

أولا: العلوم الطبية.

من العلوم المهمة التي نالت عناية الأمم على اختلافها منذ القدم[2]علم الطب،

(1) علوم الأوائل ـ مصطلح أطلقه المؤلفون المسلمون على العلوم التي نقلوها عن الثقافات السابقة وبخاصة اليونانية من رياضيات وهندسة ومنطق وفلسفة وطب وفلك وسميت كذلك بالعلوم (المحدثة) لتميزها عن (العلوم الشرعية) ينظر: الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص4؛ آل ياسين، الحياة الفكرية، ص317؛ دي بور، تاريخ الفلسفة، ص36.

(2) القفطي، تاريخ الحكماء (بغداد/ د.ت)، ص11؛ خليفة، كشف الظنون، 2/ 112؛ جلال موسى، "الطب والأطباء"، مجلة عالم الفكر، مج9، ع(1)، ص45.

لأهميته بالنسبة للصالح الإنساني، وكما هو معروف فإن الطب علم نظري وعملي يعنى بالمقام الأول بالمحافظة على صحة الإنسان ومقاومته للأمراض التي قد تعتري صحته بما يتيسر من العلاج والأدوية المناسبة.

وقد أدرك المسلمون أهمية الطب فاعتنوا به كثيرا وظهر في المجتمع الإسلامي منذ ولادته اتجاه يدعو للعناية بالجسم وحفظ الصحة[1] باعتباره ضرورة لتحقيق سعادة الإنسان وجاء عن الإمام الشافعي قوله: "**لا أعلم علما بعد الحلال والحرام [علم الفقه] أنبل من الطب**"[2].

وأفاد المسلمون كثيرا من تراث من سبقهم سيما مؤلفات اليونان الطبية ككتب ابقراط وجالينوس وغيرهما من حكماء اليونان[3]، كما أفادوا من التراث السرياني[4]، ولم يقتصر دورهم على مجرد الترجمة والنقل، بل أضافوا إلى هذا العلم الكثير عن طريق المباشرة التطبيقية والدراسات التجريبية، وعلى قدر تعلق الأمر بمصر خلال العصر الأيوبي يمكن القول أنه لم يكن هناك تخصص دقيق كما هو في الوقت الحاضر إلا أنه يمكن تمييز جانبين مهمين في هذا المجال:

أ ـ الطب:

وكان في مقدمة العلوم العقلية التي نالت عناية الأيوبيين، وبهر التقدم الذي أحرزوه في هذا المجال الصليبيين فاقتبسوا منهم الكثير من أساليب العلاج، كما قلدوا

(1) للتفاصيل ينظر: البغدادي، الطب من الكتاب والسنة، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي (بيروت: 1988)؛ ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، تحقيق شعيب الارناؤوط وعبد القادر الارناؤوط (بيروت: 1991)؛ الأزرقي، تسهيل المنافع في الطب والحكمة المشتمل على شفاء الأجسام وكتاب الرحمة (القاهرة: د/ ت)، ص2ـ6.

(2) البغدادي، الطب من الكتاب والسنة، ص187.

(3) للتفاصيل ينظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأبناء، ص39ـ151.

(4) كان للسريان عناية خاصة بعلم الطب وعلا صيتهم في الشرق وقد ترجم ابن ابي أصيبعة لعدد كبير من أطبائهم للتفاصيل ينظر: عيون الأنباء، ص183ـ278؛ اغناطيوس برصوم، اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية (حلب: 1956)، ص200.

المسلمين في بناء المستشفيات[1].

وازداد تقدير الصليبيين لخطورة النظافة والاستحمام بعد أن كانت الكنيسة تحظر عليهم الاستحمام وتحرم ممارسة الطب على اعتبار أن المرض عقاب من الله لا ينبغي للإنسان أن يصرفه عمن استحقه، فظل الطب محجرا عليه إلى ما بعد القرن 6هـ/ 12م[2].

وكانت طرق المعالجة عند الصليبيين تعتمد على الرقي والتعاويذ أو على أساليب في غاية القساوة، وذكر أسامة بن منقذ في كتابه الاعتبار صورا من تلك المعالجات الوحشية[3]، ومن بين الاعتقادات البدائية الخاطئة عندهم اعتقادهم أن الجنون يسببه الشيطان في الرأس ولطرده وإخراجه لابد من حفر الصليب على رأس المريض[4]. ومن ثم فلا ضير أن ينبهر الصليبيون بأساليب المسلمين في المعالجة والتقدم الذي أحرزوه، وكثيرا ما كان الأطباء المسلمون يستشارون من قبل الإفرنج[5]، وعندما مرض الملك الإنجليزي ريتشارد (قلب الأسد) أكبر خصوم صلاح الدين بعث إليه السلطان أحد أطبائه لمعالجته[6].

ومن مظاهر اهتمام الأيوبيين بالطب أن حظي الأطباء عندهم بمكانة خاصة، وتقلدوا مناصب رفيعة كالوزارة فعلى سبيل المثال تقلد الطبيب نجم الدين بن شمس الدين اللبودي (ت670هـ/ 1271م) الوزارة للملك المنصور إبراهيم بن شيركوه أمير حمص (637ـ644هـ/ 1239ـ1246م) الذي كان يعتمد عليه في تدبير شؤون دولته ولا يقدر على مفارقته، وبقي في خدمته حتى وفاته ثم انتقل بعدها إلى مصر في خدمة الملك الصالح نجم الدين أيوب الذي "**أكرمه غاية الإكرام، ووصله بجزيل الإنعام**

---

(1) ويست، الحروب الصليبية، ص178؛ ماكس مايرهوف، العلوم والطب، تراث الإسلام، 2/ 500.

(2) المطوي العروسي، الحروب الصليبية، ص115؛ الكروي، المرجع في الحضارة، ص294.

(3) ينظر: الاعتبار، ص169ـ172.

(4) أبن منقذ، المصدر نفسه، ص171؛ نيوباي، صلاح الدين وعصره، ص47؛ قلعجي، صلاح الدين، 106.

(5) ابن منقذ، المصدر السابق ، ص107؛ النقاش، العلاقات، ص196.

(6) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص158؛ راجي عباس التكريتي، الإسناد الطبي في الجيوش العربية الإسلامية (بغداد: 1984)، ص183.

وجعله ناظرا على الديوان بالإسكندرية وله منه المنزلة العلية وجعل مقرره في كل شهر ثلاثة آلاف درهم"[1].

وأغدق الأيوبيون على أطبائهم بالأموال والمناصب والإقطاعات وتقدم عندهم عدد من الأطباء الذي كانوا في خدمة الفاطميين مثل الطبيب أبو المنصور عبد الله بن الشيخ السديد (ت 592هـ/ 1195م) الذي كان في خدمة الخليفة العاضد الفاطمي ثم دخل في خدمة السلطان صلاح الدين ونال من قبله الكثير من الأنعام والهبات[2].

وعندما قام الطبيب مهذب الدين عبد الرحيم بن علي المشهور بالدخوار (ت628هـ/ 1230م) بمعالجة الملك العادل أبي بكر من مرض ألم به سنة 610هـ/ 1213م كان مبلغ ما ناله منه نحو سبعة آلاف دينار مصرية، كما قام بمعالجة ابنه الملك الكامل محمد سنة 612هـ/ 1215م فكان مبلغ ما "**وصله إليه من الذهب نحو اثني عشر ألف دينار وأربع عشرة بغلة بأطواق ذهب والخلع الكثيرة، كما ولاه العادل رياسة أطباء مصر والشام بأسرها"**[3].

وكان للأطباء مكانة عالية في المجتمع ومما يدلل على تلك المكانة الألقاب الفخمة التي اشتهروا بها وكثيرا ما كان يتم مخاطبتهم بها، وذكر ابن أبي أصيبعة عدد من تلك الألقاب عند ترجمته لأصحابها كلقب "**الصاحب الوزير العالم العامل، الرئيس الكامل، أفضل الوزراء، سيد الحكماء، إمام العلماء، أمين الدولة"**[4]. ولقب "**أوحد**

---

(1) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص663.

(2) المنذري، التكملة، 1/ 223ـ224؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص572ـ574؛ الذهبي، العبر، 3/ 105؛ سير أعلام النبلاء، 21/ 389ـ390.

(3) ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق ، ص730ـ731؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ص292، ؛ الكتبي، فوات الوفيات، 2/ 315ـ316؛ النعيمي، الدارس، 2/ 100ـ101.

(4) اشتهر به الطبيب أبو الحسن بن غزال بن أبي سعيد (ت 648هـ/ 1250م) وكان يهوديا فأسلم وخدم عددا من الملوك الأيوبيين منهم الملك الأمجد وتقلد له الوزارة وكان يعتمد عليه في تدبير شؤون دولته. ينظر: سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ق2/ 784؛ ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق ، ص723.

العلماء، وأكمل الحكماء"[1] و"الصدر الإمام العالم الكامل، سيد العلماء والحكماء"[2] وغيرها كثير[3].

ويذكر أن العصر الأيوبي كان عصر كثرة الألقاب وشيوعها حيث أطلقت مجموعة من الألقاب على بعض العلماء ولم يكتف بلقب واحد وإضفاء هذه الألقاب على هؤلاء العلماء يدل على مكانتهم العلمية وتفوقهم في مجالات شتى، بالإضافة إلى ما كانوا يتصفون به من الورع والتقوى، والألقاب كانت تتراوح قلة وكثرة حسب ما يصل إليه الفقيه أو العالم فضلا ومكانة.

إن عناية الأيوبيين للطب لها ما يبررها لكثرة عمليات الجهاد والحاجة الملحة للأطباء لإسعاف المصابين في عمليات القتال، كما أن مهنة الطب أيام الجهاد تعد جهادا في سبيل الله لا تقل شرف ممارسته عن القتال في ساحة المعركة لذلك كثر المشتغلون به. وحظي أصحابها بمكانة اجتماعية مرموقة لدى العامة والخاصة وكثيرا ما حرص ممارسوها على تعليمها لأبنائهم[4].

ومن مظاهر اهتمام الأيوبيين بالطب بناؤهم المستشفيات في مصر وغيرها من البلاد لتقوم بتقديم الخدمات العلاجية للمرضى، كما كانت بمثابة مراكز وجامعات علمية[5]. ولعل من أشهر المستشفيات في مصر تلك التي بناها السلطان صلاح الدين وهي: البيمارستان الناصري بالقاهرة، وبيمارستان الإسكندرية، وبيمارستان الفسطاط[6].

ولأهمية مهنة الطب وخطورتها في المجتمع أوكل الأيوبيون مراقبتها للمحتسب لئلا يندس فيها الدخلاء والغشاشون[7]، وقد أسهب عبد الرحمن الشيزري الذي كان

(1) المصدر نفسه، ص598.

(2) المصدر نفسه، ص646.

(3) ينظر: المصدر نفسه، ص585،586،648،650،668،728....

(4) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه ، ص580،583،585،586،589،590،600،675.

(5) ابن الصلاح، طبقات الشافعية، 1/ 30 (المحقق).

(6) للتفاصيل عن البيمارستانات في مصر ينظر فصل5، المبحث (6)، ص287ـ290.

(7) ابن بسام، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق حسام الدين السامرائي (بغداد: 1968)، ص109.

معاصرا لصلاح الدين وسبق له أن قضى شطرا من حياته يمارس الطب بحلب في الحديث عن واجبات المحتسب وأفرد بابا خاصا عن واجباته ومراقبته للأطباء لكي لا يتسببوا في إيذاء المرضى من خلال إخضاع من يرغب في ممارستها للاختبار وكذلك التأكد من وجود الآلات التي يحتاجونها لممارسة المهنة[1].

كما كان من واجبات المحتسب أيضا أن يأخذ عليهم العهد أو القسم ومن العهود التي كانت تؤخذ عليهم عند البدء بممارسة الطب عهد إبقراط (ق 5ق.م)، وفيه يتعهد الطبيب بأن يكون مخلصا لمهنته، كتوما لأسرار المرضى لا يبوح بشيء من أسرارهم، كما يمتنع عن إعطاء الدواء الذي يضر المريض كالأدوية التي تؤدي إلى إسقاط الأجنة أو التي تمنع الحمل، وللرجال الدواء الذي يقطع النسل وما إلى ذلك وأن يكون سليم القلب، عفيف النظر عن المحارم[2].

وكان للطب نظام لا يسمح للمتطبب بممارسة الطب إلا بعد اجتيازه امتحانا ينظمه **رئيس الأطباء**[3] بإشراف المحتسب ومن أشهر الكتب التي كان يمتحن بها الأطباء كتاب **(محنة الطب)** ليوحنا بن ماسويه (ت 243هـ/ 857م)[4]، وكتاب **(العشر مقالات في العين)** لحنين بن إسحاق (ت 264هـ/ 873م) وكان الأخير يختبر به أطباء

---

(1) ذكر الشيزري بعضا من تلك الأدوات مثل كلبات الأضراس التي كانت تستخدم لقلع الأسنان، وكلابات العلق وكانت معقوفة لإخراج العلق وما يوجد في الفم والحنجرة، وزراقات الذكر وملزم البواسير، ومخرط المناخر لاستئصال الزوائد اللحمية من الأنف، وقالب التشمير ـ لرفع جفن العين لاستئصال الشعر الزائد، ومفتاح الرحم لمعرفة حمل النساء، وغيرها من الأدوات الطبية، ينظر: نهاية الرتبة، ص99؛ ابن بسام، نهاية الرتبة، ص109ـ110.

(2) الشيزري، نهاية الرتبة، ص98؛ ابن بسام، نهاية الرتبة، ص110.

(3) وظيفة فنية كان يتولاها طبيب ماهر لضبط أمور المهنة بالتعاون مع المحتسب وأشهر من تولاها في العصر الأيوبي الطبيب مهذب الدين عبد الرحيم المعروف بالدخوار ولاه العادل رئاسة الطب بمصر والشام بأسرها. ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص721؛ ابن العبري، مختصر تاريخ الدول، ص279؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 6/ 277.

(4) ابن بسام، نهاية الرتبة، ص109.

العيون[1]، ومن الكتب الأخرى كتاب (**نوادر الألباء في امتحان الأطباء**) من تصنيف الطبيب أبي محمد عبد العزيز بن أبي الحسن المنعوت بالأسعد (ت 635هـ/ 1237م) وكان قد تولى رئاسة الأطباء بمصر مدة[2].

كما كان الأطباء ملزمين بارتداء زيهم المهني الخاص الذي يميزهم عن أصحاب المهن الأخرى، وكان أشبه ما يكون بالروب الجامعي باللون العنابي وهو يختلف عما كان يرتديه أطباء الإفرنجة الصليبيون حيث كان زيهم عبارة عن "**جوخة ملوطة زرقاء**"[3].

وساهم الأطباء بمصر في تقدم الطب من خلال قيامهم بتدريس هذا العلم، وكذلك التصنيف فيه، فضلا عن مساهماتهم وممارستهم العملية له، وكان عملهم في الغالب يقوم على أساس التجربة والمشاهدة والابتعاد عن أعمال الكهانة والتنجيم والسحر وغيرها من الاعتقادات الخاطئة التي شابت صناعة الطب لفترة طويلة خلت، ومن هذا المنطلق ألحقوا دراسة الطب بالبيمارستان ليتمكنوا من تشخيص الحالات المرضية ومتابعتها عن قرب وكذلك الوقوف على تطور المرض وأعراضه وإجراء الفحوص اللازمة للمريض[4]، لذلك كان تدريس الطب يجري على منهجين: **منهج نظري** يشمل على دراسة الأمراض وكيفية علاجها، و**منهج عملي** تطبيقي يشمل التدريب والتمرين على كيفية المعالجة حيث يجتمع بموجبه طلاب الطب حول رئيس الأطباء ليشاهدوا طرق الفحص ووصف العلاج[5].

ومما ساهم في تقدم الطب أن ممارسته لم تقتصر على المسلمين، بل نبغ فيه عدد كبير من اليهود والنصارى، فلم يكن هناك ما يحول في ممارستهم لهذه المهنة الإنسانية في ظل أجواء التسامح الإسلامي التي أشاعها الأيوبيون في مصر، وكان من نتيجة

---

(1) الشيزري، نهاية الرتبة، ص100، ابن بسام، نهاية الرتبة، ص119.

(2) المنذري، التكملة، 3/ 492؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص600ـ601؛ الذهبي، تاريخ، ص230.

(3) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ص654.

(4) احمد عيسى، تاريخ البيمارستانات في الإسلام (بيروت: 1981)، ص38؛ عاشور، دراسات، ص121.

(5) عبد الرحمن، دراسات، ص43.

ذلك أن تصدر الكثير من هؤلاء لتدريس أبناء المسلمين[1]، كما اختص الكثير منهم بالسلاطين الأيوبيين ورافقوهم في حلهم وترحالهم ونالوا من قبلهم التكريم والرعاية مما دفع بعضهم إلى اعتناق الإسلام طواعية، فعلى سبيل المثال كان في خدمة صلاح الدين: الطبيب الموفق بن شوعة (ت 579هـ/ 1183م) وهو من مشاهير أطباء اليهود بمصر خدم السلطان بالقاهرة و"**علت منزلته عنده**"[2]. أما الطبيب أبو البيان داود بن سليمان بن إسرائيل الملقب بالسديد (ت 580هـ/ 1184م) فقد كان صلاح الدين "**يرى له ويعتمد عليه في معالجته وله فيه حسن ظن، وكانت له منه الجامكية [أي الرواتب] الكثيرة**"[3]، وكان يعالج المرضى بالبيمارستان الناصري بالقاهرة واشتهر ببراعته في تركيب الأدوية، وعندما بلغ به العمر مبلغا عجز فيه عن ممارسة مهنته أطلق له صلاح الدين راتبا تقاعديا مقداره أربعة وعشرون دينارا كانت تصل إليه وهو في داره[4].

وحظي الطبيب موفق الدين أسعد بن ألياس المشهور بابن المطران (ت 587هـ/ 1191م) باحترام صلاح الدين وتقدم عنده و"**نال من جهته المال مبلغا كثيرا**"[5] وعندما أعلن اعتناقه للإسلام زوجه السلطان إحدى حظايا داره ـ أسمها جوزة ـ وكان ابن المطران كثير الاشتغال وله تصانيف تدل على فضله في الطب منها: كتاب "**بستان الأطباء**" وكتاب "**الأدوية المفردة**" و"**آداب في طب الملوك**"[6]، ونظرا لتمكنه وبراعته تداوى عليه كبار رجال الدولة وخصه العماد الكاتب الأصفهاني بالثناء والشكر وذكر أنه تداوى عليه سنة

(1) ابن العبري، تاريخ الزمان، ص280.

(2) ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق ، ص581؛ فرات فائق خطاب، الكحالة عند العرب (بغداد: 1975)، ص36.

(3) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص579.

(4) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه ، ص580؛ حمدان، أعلام الحضارة، 3/ 182.

(5) ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق ، ص652؛ ابن العبري، تاريخ الزمان، ص214.

(6) ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق ، ص658ـ659؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 6/ 113؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، مج2/ 46؛ خليفة، كشف الظنون، 2/ 340.

580هـ/ 1184م عندما كان بصحبة صلاح الدين في بعلبك[1].

وممن كان في خدمة صلاح الدين أيضا: الطبيب هبة الله بن زين السابق ذكره برع في الطب وصار فاضل الديار المصرية فيه، وكان له حلقة تدريس وتلامذة، من آثاره: "**الإرشاد في الطب**" و"**تنقيح القانون**" و"**مقالة في الراوند**" و"**مقالة في القولنج**"[2] وغير ذلك[3].

ومن الأطباء الخاصة أيضا: نجم الدين غالب بن مهند بن منصور النصراني (ت599هـ/ 1202م) خدم صلاح الدين وكان يتردد إلى دوره مع جملة الأطباء وله من الكتب "**الموجز في الطب**"[4]، والطبيب أبو منصور النصراني[5] الذي بالغ صلاح الدين بإكرامه فعندما أراد تزويج ابنته تكفل السلطان بدفع مصاريف الزواج التي بلغت نحو ثلاثين ألف درهم[6].

ويمكن القول أن رعاية الأيوبيين للطب دفعت بالكثير من الأطباء للتوجه إلى مصر والاستقرار فيها بشكل نهائي كما فعل أبو عمران موسى بن ميمون القرطبي الأندلسي (ت605هـ/ 1208) وهو من عائلة يهودية، ولد بقرطبة وبها نشأ وقرأ الكثير من العلوم الفلسفية والرياضية والطب، ثم خرج مع أهله إلى المشرق ونزل بالفسطاط بين يهودها، ودخل في خدمة صلاح الدين ومن بعده ابنه الأفضل علي، وكان رئيس الطائفة اليهودية بمصر[7]، ورغم غلبة الفلسفة عليه فقد ترك مؤلفات

---

(1) الأصفهاني، الفتح القسي، ص577.

(2) القولونج : نوع من الالتهابات المعوية التي تصيب المعدة ، محمد ، الاحوال الاجتماعية والاقتصادية، ص133.

(3) ابن أبي اصيبعة، المصدر السابق ، ص576؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ص494؛ حمدان، أعلام الحضارة، 3/ 185.

(4) ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق ، ص661؛ خليفة، كشف الظنون، 2/ 717،790.

(5) لم أعثر على سنة وفاته.

(6) ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق ، ص652.

(7) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص239ـ240؛ القفطي، تاريخ الحكماء، ص317ـ319.

عديدة منها: "**المختصرات**" وهي تلخيص الكتب الستة عشر لجالينوس وله "**شرح أبقراط**" و"**فصول موسى في الطب**" و"**الرسالة الأفضلية**"[1]، و"**كتاب السموم والتحرز من الأدوية**" و"**مقالة في البواسير وعلاجها**"[2]، أما ابنه أبو المنى إبراهيم (ت 632هـ/ 1234م) فقد كان طبيبا مشهورا ودخل في خدمة الملك الكامل محمد بالقاهرة[3].

وممن كان في خدمة الأيوبيين أيضا: الطبيب النصراني موفق الدين أبو شاكر بن أبي سليمان داود بن أبي المنى (ت 613هـ/ 1216م). اتصل بالملك العادل الذي كان يعتمد عليه في المداواة وكان يدخل جميع قلاعه وهو راكب، وأسكنه الملك الكامل معه بالقلعة بالقاهرة[4].

وخدم الطبيب رشيد الدين أبو سعيد بن موفق الدين يعقوب (ت 646هـ/ 1248م) من نصارى القدس عددا من الملوك الأيوبيين منهم الملك المعظم صاحب دمشق، وكذلك الملك الكامل محمد، وكان له من قبله الهبات والجامكية ثم اتصل بالملك الصالح نجم الدين وبقي في خدمته لمدة تسع سنين، وصنف له كتابا دعاه "**عيون الطب**" يحتوي على علاجات مختارة[5].

ومن فروع الطب المهمة التي نالت عناية الأيوبيين بمصر **طب العيون** أو الكحالة، ومن الأطباء الذين برعوا في هذا المجال واتصلوا بخدمة الأيوبيين نذكر: أبا الفضل سليمان بن موسى المصري المعروف بالشريف الكحال (ت 590هـ/ 1193م)

---

(1) كتبها للملك الأفضل علي بن صلاح الدين ثم ترجمت إلى اللاتينية باسم (الغذاء الصحي) ونشرها الأستاذ كرونر ـ H.Kroner ـ سنة 1924 بنصها العربي مع ترجمة ألمانية. ينظر: مايرهوف، العلوم والطب، تراث الإسلام، 2/ 484 (هامش المترجم).

(2) ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص583؛ القفطي، تاريخ الحكماء، ص317ـ319.

(3) ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق ، ص583.

(4) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص589.

(5) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص600؛ ابن العبري، تاريخ مختصر، ص253ـ254؛ حمدان، أعلام الحضارة، 3/ 237.

وخدم بصناعة الكحل السلطان صلاح الدين وكان له منه "**الجامكية والمنزلة العلية**"[1].

والطبيب أبا القاسم هبة الله بن صدقة بن عبد الله الكولمي ويعرف بالقاضي نفيس الدين بن الزبير (ت 636هـ/ 1238م) وكان متقنا لصناعة الكحل والجراحة ويعمل في البيمارستان الناصري بالقاهرة، كما ولاه الملك الكامل محمد رياسة الطب بمصر[2].

والطبيب أبا البركات بن القضاعي الملقب بالموفق (ت 598هـ/ 1201م) واشتهر كونه من جملة أطباء مصر المهرة المتميزين في طب العيون واتصل بخدمة صلاح الدين الأيوبي حتى وفاته[3].

ويجدر بالذكر أن رعاية الأيوبيين ودعمهم المتميز للأطباء ترك أثره الطيب على نفوس الكثير منهم حيث قاموا بإهداء مصنفاتهم إلى من هم في خدمتهم من السلاطين كرد للجميل. فعلى سبيل المثال: أهدى الطبيب موفق الدين أبو الخير كتابا من تصنيفه في صناعة الكحل إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب[4].

كما قام فتح الدين احمد بن عثمان بن أبي الحوافر (ت 657هـ/ 1258م) وهو من مشاهير كحالة مصر الذين خدموا الملك الكامل محمد وابنه الملك الصالح نجم الدين بإهداء كتابه الموسوم "**نتيجة الفكر في علاج أمراض البصر**" في سبعة عشر بابا إلى الملك الصالح نجم الدين وشرح فيه أمراض العين وتشريحها والعلاجات الشافية بها[5].

ومن الملاحظ أن الحروب المتواصلة التي خاضها الأيوبيون ضد الصليبيين

---

(1) ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق ، ص660.

(2) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه ، ص586 خطاب، الكحالة عند العرب، ص38.

(3) ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق ، ص582.

(4) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص599.

(5) وتوجد نسخة خطية من الكتاب في مكتبة دار الكتب الظاهرية بدمشق (تسمى حاليا بمكتبة الأسد) برقم (52/ ط2/ 5828) حمدان، أعلام الحضارة، مج3/ 51؛ خطاب، الكحالة، ص31.

دفعتهم للعناية أكثر من أي وقت مضى بالطب وضمت الجيوش الأيوبية بين صفوفها فرقا طبية متخصصة كانت تضم الأطباء والجراحين لمعالجة الجرحى والمرضى، فضلا عن وجود الصيادلة والممرضين، وكان وجود الأطباء ومساعديهم يشكل أشبه ما يكون بالمستشفى المتنقل، فيه كل ما يحتاجونه من الخيام والأدوية والأدوات الطبية التي كانت تحمل عادة على ظهور الجمال والبغال[1].

ومما يدل على تقدم صناعة الطب في ذلك العصر أن الأطباء كانوا ينظرون في الحالات المرضية المستعصية أو الصعبة عن طريق ما يسمى اليوم باللجان الاستشارية التي يشترك فيها أكثر من طبيب متخصص[2]، وتبدأ معاينة المريض غالبا بتوجيه الأسئلة إليه عما يشكو منه[3]. ثم يبدأ الأطباء بمعاينة المريض وفحصه كالتعرف على درجة حرارة جسمه ونبضات قلبه، كذلك تفقد أفعال الأعضاء الداخلية كالكبد والكلية من خلال فحص الإدرار إلى ما هنالك من فحص بقية الأعضاء[4].

كما تنبه الأطباء إلى ما للعامل النفسي من أثر في حالة المريض لذلك أكدوا على ضرورة رفع الروح المعنوية له وعدم التصريح بما قد يثبط معنوياته[5].

وظهر في العصر الأيوبي ما يمكن أن نسميه **بالطب النفسي** الذي يقوم على إدخال السرور على النفس، فقد ألف الطبيب بدر الدين المظفر بن عبد الرحمن (ت640هـ/ 1242م) كتابا سماه: "**مفرح النفس**" ذكر فيه الأدوية القلبية على اختلافها وتنوعها وجعله حاويا لأكثر المفرحات للنفس، وجعل لكل حاسة بابا وذكر فيها ما

(1) محسن محمد حسين، "جيش صلاح الدين" مجلة المورد، مج(6)، ع(4)، بغداد، 1987، ص546، Elisceff, Nur AD-Din, Vol.,3P,736.

(2) ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق ، ص591؛ ابن واصل، مفرج الكروب، 5/ 154.

(3) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص698.

(4) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص565.

(5) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص420،548.

يحصل من الأمور الموجبة للفرح والسرور[1].

وإدراكا لأهمية الجانب النفسي في العلاج جمع بعض الأطباء بين مهنتهم وبين الموسيقى فعلى سبيل المثال جمع الطبيب احمد بن علي بن إبراهيم المصري المعروف بالرشيد الأسواني (ت 563هـ/ 1167م) بين الطب والموسيقى والشعر[2].

أما الطبيب أبو الحسن علي بن خليفة بن يونس -عم ابن أبي أصيبعة مؤلف عيون الأنباء في طبقات الأطباء- (ت 616هـ/ 1219م) فكان بارعا في علمي الطب والموسيقى ومن مؤلفاته كتاب "**نسبة النبض وموازنتها إلى الحركات الموسيقارية**"[3].

ولم يغفل الأطباء علاج الأمراض العقلية والمجانين فقد كانت هناك أقسام خاصة لذلك، فعلى سبيل المثال كان البيمارستان الناصري بالقاهرة يضم جناحا أو قسما خاصا لعلاج الأمراض العقلية[4].

وأدرك الأطباء ما **للعامل الوقائي** من دور في حفظ الصحة فقد ألف الطبيب موفق الدين أسعد المعروف بابن المطران كتابا لصلاح الدين دعاه: "**المقالة الناصرية في حفظ الأمور الصحية**" وله أيضا "**المقالة النجمية في التدابير الصحية**" صنفها لنجم الدين أيوب والد صلاح الدين[5].

وصنف رشيد الدين أبو الوحش بن فارس المعروف بابي حليقة "**مقالة في حفظ الصحة**"[6].

---

(1) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص755.

(2) ياقوت، معجم الأدباء، 15/ 164؛ السيوطي، بغية الوعاة، ص146.

(3) ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق ، ص750؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ص280.

(4) ابن جبير، رحلته، ص52.

(5) ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق ، ص658-659؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 6/ 113؛ ابن الفرات، تاريخ، 2/ 462؛ خليفة، كشف الظنون، 2/ 340.

(6) ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق ، ص597.

كما تنبهوا إلى ما للغذاء من أهمية في حفظ الصحة، وكان الأطباء يفضلون العلاج بالأغذية ويقدمونه على الأدوية[1]. وظهر الكثير من المؤلفات التي تبحث في منافع الغذاء فعلى سبيل المثال ألف الطبيب أبو الحجاج يوسف اليهودي "**رسالة في ترتيب الأغذية اللطيفة والكثيفة في تناولها**"[2] رد عليها فيما بعد الطبيب عبد الرحيم الدخوار[3].

وللطبيب موفق الدين البغدادي، مقالات عدة منها: "**مقالة في الماء**" وأخرى في "**العطش**" وله أيضا "**مقالة في الحنطة**" وأخرى في "**النخل**"[4]. أما الطبيب أبن جميع اليهودي فله "**مقالة في الليمون وشرابه ومنافعه**"[5].

وصنف الطبيب أبو الثناء محمود بن عمر المعروف بابن رقيقة (ت635هـ/ 1237م) كتاب "**الغرض المطلوب في تدبير المأكول والمشروب**"[6].

ومن الأمراض التي تصدى الأطباء لمعالجتها في ذلك الوقت نذكر مرض القولنج ولهم في ذلك مؤلفات منها "**مقالة في علاج القولنج**" للطبيب ابن جميع اليهودي[7]، وللطبيب ابن سكرة اليهودي كتاب في القولنج وعلاجه صنفه للسلطان صلاح الدين الأيوبي سنة 584هـ/ 1188م[8]. كما عرفوا الكثير من أمراض الجهاز التنفسي إلا أنهم عجزوا في علاج بعضها كالسل "**التدرن الرئوي**"[9].

---

(1) محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة (بيروت: 1995)، 2/ 1139.

(2) ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق ، ص696.

(3) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص736.

(4) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص694.

(5) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص579.

(6) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص717؛ خليفة، كشف الظنون، 4/ 102.

(7) ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق ، ص579.

(8) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص638.

(9) لم تتعد معرفة الأطباء المسلمين حدود أعراض الرئتين وظلت التخمينات والاستنتاجات حتى سنة 1882، حيث اكتشف العالم كوخ Koch الميكروبات المسببة للتدرن ينظر: أديب توفيق الفكيكي،

وللطبيب موفق الدين البغدادي كتاب "**في آلات التنفس وأفعالها**" في ست مقالات[1]. وتوصلوا إلى علاج مرض التيفوئيد باستعمال الماء البارد[2]، كما استعملوا الماء الحار لمعالجة الزكام[3].

ومن الأمراض الأخرى التي تصدى الأطباء لمعالجتها أمراض الكلى سيما تفتيت الحصاة فيها باستعمال بعض الأدوية[4]، وللطبيب موفق الدين بن نصر بن منصور الزربي (ت 548هـ/ 1153م) مقالة في "**الحصى وعلاجه**"[5].

ب ـ علم الصيدلة[6]:

وهو من فروع الطب المهمة ويعرف بأنه: علم صناعة الأدوية وتركيب العقاقير على اختلافها ـ نباتية، حيوانية، معدنية وتحديد خواص وفائدة كل منها، ويطلق على من يقوم بتحضيرها وبيعها صيدلاني[7]. كما يقابله أحيانا لفظ شرابي[8].

وقد حقق المسلمون خلال العصر الأيوبي إنجازات مهمة في ميدان استخراج

= الوقاية من مرض التدرن (بغداد: 1976)، ص37.

(1) ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق ، ص694.

(2) لوبون، حضارة العرب، ص594.

(3) ابن واصل، مفرج الكروب، 5/ 154، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 6/ 237.

(4) ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص593.

(5) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص571.

(6) ويطلق عليه أيضا (علم الصيدنة) وهو مشتق من اللفظ الهندي (**جندل أو جندن**) وهو نوع من العطور التي اشتهر الهنود بكثرة استخدامهم له في العلاج، كما أطلق المسلمون على هذا العلم أيضا بـ(الاقراباذين) من اللفظ اليوناني (جرافاذين) ومعناه التركيب. للمزيد ينظر: ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب (بغداد: د/ ت)، 2/ 253؛ محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة (بيروت: 1995)، 2/ 1138ـ1139؛ ليبير، مادة (اقرباذين)، دائرة المعارف الإسلامية، 2/ 461ـ463.

(7) السمعاني، الأنساب (بيروت: 1988)، 3/ 573؛ فروخ، تاريخ العلوم، ص294.

(8) ويطلق على من يقوم بصناعة الأشربة أو الأدوية السائلة على اختلافها. الشيزري، نهاية الرتبة، ص56.

العقاقير من مصادرها، وكذلك بيان كيفية تركيبها ومعالجتها بطرق مختلفة منها الطرق الكيماوية لغرض تحويلها من حال إلى آخر بما يحدث فيها من تفاعلات وفق نسب ثابتة[1]. ومن أسباب تقدم الصيدلة عندهم أنه كان تابعا لعلم الكيمياء الذي نضج على أيديهم فاستعانوا به في صناعة الأدوية أو ما يعرف بالكيمياء الطبية (Medical chemistry)[2].

وكما هو الحال في الطب فقد فرضت الدولة الرقابة على صناعة الأدوية لغرض حماية المريض من غش بعض الصيادلة، وأوضح الشيزري الكثير من الأدوية والعقاقير التي يمكن للصيادلة أن يقوموا بغشها[3]، و من واجب المحتسب القيام بمراقبة دورية لهم للتأكد من صلاحية الأدوية التي بحوزتهم ويساعده في ذلك "**رئيس العشابين**"، وينبغي عليه أن يوجه المخالفين وينذرهم بأشد العقوبات[4].

ولما كان علم الصيدلة جزءا لا يتجزأ من علم الطب فقد واكب تقدمه النهضة الطبية التي شهدتها مصر في العصر الأيوبي، وكان للأطباء الدور البارز في صناعة الأدوية وتحضيرها، وكثيرا ما يتم تركيبها في أماكن خاصة معدة لهذا الغرض . ومن أهم تلك الأماكن البيمارستانات التي كانت تضم صيدليات ملحقة بها؛ فعلى سبيل المثال: عندما بنى صلاح الدين البيمارستان الناصري في القاهرة جعله يضم خزائن للعقاقير، وعين للأشراف عليه أحد الأطباء ممن له معرفة "**باستعمال الأشربة وإقامتها**

(1) عن أوزان الأطباء ومكاييلهم وطرق تركيب الأدوية ينظر: الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص105ـ106.

(2) ستانورد كب، المسلمون في تاريخ الحضارة، ص48؛ برنال، العلم في التاريخ، 1/ 307؛ مرحبا، الجامع، ص293.

(3) نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص42ـ47.

(4) تدرجت العقوبات التي يفرضها المحتسب بحق المخالفين ما بين التعريف بالخطأ بالوعظ والتخويف والتعنيف بالقول الغليظ الخشن أو أن يلجأ إلى التغيير باليد، وقد يلجأ أحيانا إلى عقوبة التشهير أو السجن أو النفي من بلده إذا تمادى المخالف في غيه. للمزيد ينظر: ناصر خسرو، سفرنامة، ص100؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار، 1/ 646؛ شوكت عارف محمد، "تطور نظام الحسبة في العصر الأيوبي" مجلة جامعة دهوك، مج(5)، ع(2)، 2002، ص37.

على اختلاف أنواعها[1].

وجريا على العادة المتبعة في القرن 5هـ/ 11م فقد وجدت في مصر دكاكين خاصة للصيدلة كانت لا تباع فيها إلا العقاقير الطبية ومستلزمات العلاج وما يتعلق بالصحة العامة[2]، ويبدو أن عموم تلك الأدوية كانت عشابية وما تعارف عليه الناس من الأدوية في ذلك العصر. كما كان تحضيرها يتم أحيانا في عيادات الأطباء وبيوت أهل البر[3].

وممن اشتهروا بتحضير العقاقير وبيعها: الطبيب أبو جعفر عمر بن البذوخ المغربي (ت 575هـ/ 1197م) ووصف كونه خبيرا بمعرفة الأدوية المفردة[4]، والمركبة[5]، وله حسن نظر في الاطلاع على الأمراض ومداواتها، وله دكان عطر يجلس فيه ويعالج من يأتي إليه ويستوصف منه وكما يقوم بتحضير أدوية مركبة يصفها "**من سائر المعاجين والأقراص والسفوفات**[6] **وغير ذلك يبيع وينتفع الناس منه**"[7]. أما الطبيب هبة الله بن جميع فقد اشتهر بتحضير الأدوية وبيعها في دكانه أو عيادته بسوق القناديل بالفسطاط، ومن مؤلفاته في هذا الصدد: "**الترياق الكبير الفاروق**" و"**الرسالة السيفية في الأدوية الملوكية**"[8].

وكان الصيادلة كثيرا ما يعتمدون على التجربة والقياس حيث لم يصفوا دواءً

(1) ابن جبير، رحلته، ص52.

(2) ناصر خسرو، سفر نامة، ص83.

(3) أبو شامة، الذيل، ص119؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 13/ 84؛ الحنبلي، شفاء القلوب، ص229.

(4) **الأدوية المفردة** ـ وهي التي يمكن تحضيرها من مادة واحدة مفردة وتكون إما نباتية كالثمر أو الزهر أو الورق، أو معدنية أو حيوانية. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص101.

(5) **الأدوية المركبة** ـ وهي التي يمكن تحضيرها من أكثر من مادة وتشمل المعاجين والمطبوخات والأقراص والأدهنة والأشربة وغيرها. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص103ـ104.

(6) **السفوفات** ـ وهي الأدوية التي تؤخذ يابسة. ليبير، مادة (الاقراباذين)، دائرة المعارف الإسلامية، 2/ 463.

(7) ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص628.

(8) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص579.

لمريض إلا بعد التأكد بالتجربة والملاحظة من فاعليته في شفاء المريض[1]، وظهر في مصر العديد من الصيادلة الذين ساهموا في تحضير العقاقير، كما صنفوا الكثير من المؤلفات العلمية في هذا المجال نذكر منهم:

الطبيب موفق الدين بن المطران وله كتاب "**الأدوية المفردة**" ولم يتمه[2]، وصنف الطبيب المهندس محمد بن عبد الكريم الحارثي (ت 599هـ/ 1202م) كتابا في الأدوية المفردة ورتبه على حروف المعجم[3]. وكان العطار يقوم بوظيفة الصيدلاني فعلى سبيل المثال كان الأديب العطار أبو الطاهر إسماعيل بن أبي حفص عمر بن نعمة (ت606هـ/ 1209م) بارعا في معرفة العقاقير وتحضيرها[4]. وصنف منصور بن علي بن ناصر القرشي (ت 612هـ/ 1215م) "**الرسالة الكاملة في الأدوية المسهلة**"[5].

وصنف الطبيب أبو الحسن علي بن خليفة كتابا دعاه: "**طب السوق**" ألفه لبعض تلامذته ويشتمل على ذكر الأمراض الشائعة ومداواتها بالطرق التي اشتهر التداوي بها، وله أيضا تعاليق ومجربات في الطب[6]. أما الطبيب الأندلسي حكيم الزمان عبد المنعم بن عمر (ت بعد 620هـ/ 1223م) فقد برع في طب العيون وله تعاليق في وصفات مركبة[7].

وللطبيب أبي عمران موسى بن ميمون القرطبي كتاب "مقالة في السموم والتحرز من الأدوية القتالة"[8]، وكتاب "شرح أسماء العقار"[9] وللعلامة الموفق

---

(1) الشيزري، نهاية الرتبة، ص56.

(2) ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص659.

(3) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص671؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ص413.

(4) المنذري، التكملة، 2/ 171_172؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ص197.

(5) ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق ، ص683.

(6) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص750.

(7) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص635.

(8) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص583؛ الكتبي، فوات الوفيات، 4/ 176.

(9) شرح فيه العقاقير الموجودة في زمانه ورتبه على حروف المعجم وقد قام الدكتور ماكس مايرهوف بنشر الكتاب وتحقيقه على النسخة الوحيدة المخطوطة باستانبول (بغداد/ د.ت).

البغدادي عدة مؤلفات منها: "مقالة في حقيقة الدواء والغذاء ومعرفة طبقاتها وكيفية تركيبها" و"كتاب في الأدوية المفردة" و"مقالة في شفاء الضد بالضد" وله اختصار كتاب "الأدوية المفردة" لحامد بن سمحون (ت 400هـ/ 1010م)، واختصار كتاب "الأدوية المفردة" لعبد الرحمن بن وافد (ت460هـ/ 1067م)، ومقالة في "ميزان الأدوية المركبة من جهة الكميات" وآخر في "تعقب أوزان الأدوية" ومقالة في "موازنة الأدوية والإدواء من جهة الكيفيات" و"كتاب الترياق" و"كشف شبهات وقعت لبعض علماء في المركبات"[1].

أما الطبيب سديد الدين داود بن أبي البيان (ت 634هـ/ 1236م) فقد عمل في البيمارستان الناصري بالقاهرة واشتهر "**كونه أقدر أهل زمانه على تركيب الأدوية ومعرفة مقاديرها وأوزانها على ما ينبغي**"[2] وله "**كتاب الاقراباذين**" في اثني عشر بابا جمع فيه الأدوية المركبة المستعملة في بيمارستانات سورية ومصر والعراق وحوانيت الصيادلة، وله أيضا "**دستور الأدوية المركبة**"[3].

وابتدأ الطبيب أمين الدولة أبو الحسن بن غزال اليهودي كتابه الشهير "**النهج الواضح في الطب**" بالحديث عن الأدوية المفردة والمركبة ومنافعها[4]، وصنف الطبيب داود بن أبي نصر العطار المعروف بالكهيل اليهودي (كان حيا سنة 658هـ/ 1259م) كتاب "**منهاج الدكان**" في مجلد وله أيضا "**دستور الأعيان وتركيب الأدوية النافعة للأبدان**" و"**الأوزان والمكاييل الطبية**"[5]؛ وألف الطبيب رشيد الدين بن أبي الخير المعروف بأبي حليقة (ت660هـ/ 1261م) كتاب "**المختار في الألف عقار**" في الأدوية المفردة، وله أيضا "**كتاب الأمراض وأسبابها وعلاماتها ومداواتها بالأدوية المفردة والمركبة التي أظهرت**

(1) ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص694ـ695؛ القفطي، أنباء الرواة، ص195؛ الكتبي، فوات الوفيات، 2/ 386ـ387.

(2) ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق ، ص584.

(3) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص584؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ص438.

(4) ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق ، ص728.

(5) خليفة، كشف الظنون، 2/ 697؛ حمدان، أعلام الحضارة، 3/ 229.

التجربة لمجاحها[1].

وللطبيب عماد الدين أبي عبد الله محمد الدنيسري (ت 686هـ/ 1287م) عدة كتب في تركيب الأدوية منها "**كتاب الترياق الفاروق**" و"**المقالة المرشدة في درج الأدوية المفردة**"[2].

ويذكر أن الأطباء المسلمين كانوا يفضلون العلاج بالأغذية على الأدوية، كما كانوا يفضلون العلاج بالأدوية المفردة لاسيما تلك التي يتم استخراجها من الأعشاب على الأدوية المركبة[3]، من هنا فقد اهتموا بالنبات ودراسته دراسة علمية، وممن صنف في هذا المضمار نذكر: موفق الدين عبد اللطيف البغدادي (ت629هـ/ 1231م) وكان من كبار العلماء المهتمين بعلم النبات وله في ذلك العديد من المصنفات منها: "**شرح الخطب النباتية**" و"**اختصار كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري**" و"**مقالة في الحنطة**" و"**انتزاعات من كتاب ديسقوريدس في صفات الحشائش**"[4]، كما خصص الفصل الثاني من كتابه: "**الإفادة والاعتبار**" للتطرق إلى نباتات مصر، ووصف كثيرا منها وذكر ما فيها من صفات وفوائد طبية وهو يذكرها بأسمائها الطبية المشهورة بها[5].

واشتهر الطبيب أبو العباس احمد بن محمد الأندلسي (ت 637هـ/ 1239م) بلقب "**النباتي العشاب**"[6] لمعرفته الواسعة بالنبات، وتذكر المصادر أنه رحل إلى بلاد كثيرة في المشرق والمغرب وكان دافعه في الرحلة هو دراسة النباتات في بيئاتها الطبيعية،

---

(1) ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق ، ص597؛ الكتبي، عيون التواريخ، ج21/ 167؛ فوات الوفيات، 4/ 250.

(2) ابن أبي أصيبعة، السابق، ص767.

(3) غربال، الموسوعة العربية، 2/ 1139.

(4) ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق ، ص694ـ695؛ القفطي، أنباء الرواة، 2/ 195؛ الأسنوي، طبقات الشافعية، 1/ 131ـ132.

(5) ينظر: الإفادة والاعتبار، ص73ـ94.

(6) المنذري، التكملة، 3/ 531؛ الذهبي، المشتبه في الرجال وأسمائهم وأنسابهم (بيروت: 1962)، 1/ 339؛ سير أعلام النبلاء، 23/ 58؛ ابن الخطيب، الإحاطة، 1/ 207.

وله في ذلك تصانيف عديدة منها: "**الرحلة النباتية**" و"**شرح حشائش ديسقوريدس**" و"**أدوية جالينوس**"[1].

وعرف عن الطبيب النباتي رشيد الدين بن أبي الفضل علي الصوري (ت639هـ/ 1241م) اهتمامه بالأدوية المفردة المستخرجة من النباتات، وله في ذلك رحلات وجولات إلى العديد من المناطق منها رحلته إلى جبل لبنان من أجل دراسة ومعاينة نباتات تلك المنطقة، وكان يستصحب معه رساما لرسم النباتات في مراحل نموها ليكون "**تحقيقه لها أتم ومعرفته بها أبين**"[2]، وكان في خدمة الملك العادل أبا بكر ورافقه في رحلته إلى مصر سنة 612هـ/ 1215م وتولى رياسة الطب[3]، وله من الكتب: "**الأدوية المفردة**" ذكر فيه وصف نحو خمسمئة وخمس وثمانين عقارا منها أربعمئة وست وستين من أصل نباتي وله أيضا: "**الرد على كتاب الغاوي في الأدوية المفردة**"[4].

ولا يفوتنا ذكر الطبيب النباتي ضياء الدين عبد الله بن احمد الأندلسي المعروف بابن البيطار (ت 646هـ/ 1248م) وهو من أشهر صيادلة القرن 7هـ/ 13م وإليه انتهت معرفة النباتات وتحقيقه واختباره ومواضع نباته ونعت أسمائه على اختلافها وتنوعها[5]، اشتغل بالرحلة زمانا طويلا فزار بلاد الروم، وتجول في المغرب ومصر رغبة في جمع الحشائش والنباتات ودراستها دراسة علمية، ودخل في خدمة الأيوبيين بمصر، وكان الملك الكامل يثق به ويعتمد عليه في المسائل الطبية والأدوية وجعله رئيسا على سائر العشابين بمصر، كما كان حظيا متقدما عند الملك الصالح نجم

---

(1) المنذري، التكملة، 3/ 531؛ ابن الخطيب، الإحاطة، 1/ 208؛ الذهبي، تاريخ، ص298ـ299.

(2) ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص700.

(3) الذهبي، تاريخ الإسلام، ص337.

(4) ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق ، ص703؛ حمدان، أعلام الحضارة، 3/ 236؛ مرحبا، الجامع، ص305.

(5) ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص601؛ الذهبي، العبر، 3/ 254؛ اليافعي، مرآة الجنان، 4/ 90؛ ابن الوردي، تاريخ، 2/ 176؛ السيوطي، بغية، 1/ 120.

الدين[1].

وقد عرف ابن البيطار الكثير من النباتات ذات الأهمية الطبية التي لم يعرفها أحد قبله، ومن أشهر مؤلفاته: "**الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**" صنفه للملك الصالح نجم الدين[2] ويحتوي على شتى الأدوية وما قام به المؤلف من اختبارات وتجارب في تركيبها، وهو من أجلّ كتب الأدوية وأجمعها، سماه بالجامع لكونه جمع بين الدواء والغذاء، والمراد من المفردات كل واحدة من العقاقير قبل التركيب[3]، وقد قام بتصنيفه بعد دراسات طويلة، ورحلة مضنية في بلاد الروم والمغرب والأندلس ومصر والشام[4]، واعتمد في جمع مادته على أكثر من مئة وخمسين من أمهات الكتب التي صنفت قبله ثم أضاف إليها حصيلة تجارية ومشاهداته ووصف فيه نحو ألف وخمسمئة نوع من الأدوية المختلفة بين نباتي ومعدني وحيواني، منها ثلاثمئة نوع جديد لم يتناولها كتاب في الصيدلة من قبل[5].

واعتمد ابن البيطار في تأليفه على المنهج العلمي الذي يقوم على التجربة والمشاهدة[6] لذلك عده البعض بأنه "**ثمرة ناضجة لأوسع دراسة قام بها المسلمون في ميدان الصيدلة وعلم النبات**"[7]. واعتبر أساسا ومصدرا لغيره من المؤلفات التي وضعت فيما بعد مثل كتاب "**المعتمد في الأدوية المفردة**"[8] من تصنيف الملك المظفر

(1) ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق ، ص602؛ اليافعي، مرآة الجنان، 4/ 90؛ ابن العماد، شذرات الذهب، 5/ 234.

(2) ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية (بغداد: د/ ت)، ص1.

(3) خليفة، كشف الظنون، 1/ 453.

(4) ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق ، ص602.

(5) مرحبا، الجامع، ص306.

(6) ابن البيطار، الجامع، ص3.

(7) مايرهوف، العلوم والطب، تراث الإسلام، 2/ 485.

(8) طبع بمصر وقام الأستاذ مصطفى السقا بفهرسته (القاهرة: 1951).

يوسف بن عمر بن رسول الغساني (ت 694هـ/ 1294م)[1] كما قام محمد بن مكرم بن علي بن منظور المصري (ت 711هـ/ 1311م) باختصار مفردات ابن البيطار[2].

ومن مؤلفات ابن البيطار الأخرى نذكر كتاب "**الإبانة والأعلام بما في المنهاج من الخلل والأوهام**" و"**شرح أدوية كتاب ديسقوريدس**" و"**المغني في الأدوية المفردة**" ويلي الجامع من حيث أهميته وشهرته وتناول فيه علاج الأعضاء بطريقة مختصرة كي ينتفع به الأطباء[3].

وخصص ابن القف أمين الدولة يعقوب بن إسحاق (ت 685هـ/ 1286م) في كتابه "**العمدة في الجراحة**" بابا خاصا لتركيب الأدوية واختلاف مقادير المركبات وأوزان الأدوية والأشربة والمراهم والضمادات وغيرها[4].

ثانيا: علم الكلام والفلسفة

علم الكلام ويبحث في إثبات العقيدة الإسلامية والدفاع عنها بإيراد الحجج العقلية والرد على المناوئين والمنحرفين عن مذاهب السلف وأهل السنة[5]، بالاعتماد على النصوص الدينية لاسيما القرآن الكريم أساسا، وعلى الاستدلال العقلي والمنطقي كوسيلة لترسيخ ما يؤمنون به[6]. ويذكر أن علم الكلام كان مدخلا لظهور الفلسفة الاسلامية لأن علماء الكلام طالما لجأوا إلى العقل ، مع ملاحظة ان الفيلسوف يدرس موضوعه دراسة عقلية خالصة لا ترتبط بدين وتبدأ عادة بالشك ثم تتدرج منه إلى اليقين على عكس (المتكلم) الذي يبدأ من الايمان بالعقيدة ثم يذهب بالحصول

(1) من ملوك الدولة الرسولية باليمن التي حكمت ما بين (626ـ803هـ/ 1228ـ1400م).

(2) السيوطي، بغية الوعاة، ص106.

(3) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص602.

(4) ابن القف، العمدة في الجراحة (حيدر آباد الدكن: د/ ت)، 2/ 223ـ264.

(5) الفارابي، إحصاء العلوم، ص131؛ ابن خلدون، المقدمة، ص647؛ خليفة، كشف الظنون، 2/ 424.

(6) علي الشابي، مباحث في علم الكلام والفلسفة (تونس: 1977)، ص17؛ عاشور، دراسات، ص94؛ رشدي عليان، أصول الدين الإسلامي، (بغداد: 1977)، ص13.

على ادلة عقلية تزكي هذا الايمان وتناهض الخصوم[1].

وكثيرا ما اختلطت مباحث علم الكلام بالفلسفة[2] لاسيما وأن بعض العلماء المسلمين أفرطوا في تحكيم العقل لتفسير بعض المسائل الدينية مما أدى إلى اتخاذ مواقف متباينة من علم الكلام[3].

وعلى قدر تعلق الأمر بالأيوبيين في مصر فإنهم أباحوا الاشتغال بعلم الكلام ولكن على نطاق ضيق، ولم ترق العناية به إلى المستوى الذي نالته العلوم الدينية، وعلوم اللغة والأدب. وكانت للظروف السياسية أثرها في تبني الأيوبيين موقفا متحفظا من مباحث علم الكلام حيث لم يظهروا ميلا إليها على عكس الفاطميين الذين اعتنوا بهذا الجانب لحاجتهم إليه في نشر عقيدتهم الإسماعيلية التي اتسمت في الكثير من جوانبها بالغموض، ولم تحظ بالقبول في الوسط السني بمصر[4].

كذلك فإن امتزاج مباحث علم الكلام بالفلسفة دفع الأيوبيين إلى منع رواجها لأنها تبعث على التشكيك في العقيدة، وخطرا على الوحدة الإسلامية المنشودة والقائمة على الإيمان الراسخ وقداسة الدين. لذلك تعرض الفلاسفة وكذلك بعض علماء الكلام ممن غلب عليهم الطابع الفلسفي لملاحقة السلطة الأيوبية التي كانت

---

(1) ابن خلدون ، المقدمة ، ص707، الجرجاني ، التعريفات ، ص216 ، خلف الحياة العلمية في حياة الشام ، ص125.

(2) **الفلسفة** لفظ مشتقة من كلمة (**فيلاسوفيا**) اليونانية التي تعني حب الحكمة، وهو العلم الذي يعنى بحقائق الأشياء والعمل بما هو أصلح بقدر الطاقة البشرية الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص79؛ ، التعريفات، ص216؛ سيد جعفر سجادي، فرهنك لغات واصطلاحات فلسفي (تهران: 1338هـ)، ص232.

(3) وكان أكثر المواقف تشددا تلك التي اتخذها (الحنابلة) وجاء عن الإمام احمد بن حنبل قوله "**لا يفلح صاحب كلام أبدا ولا يرى أحدا نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل**" للمزيد عن هذه المواقف المتباينة ينظر: الغزالي، إحياء علوم الدين، 1/ 88ـ98؛ الدميري، حياة الحيوان الكبرى (بيروت: 1995)، 1/ 14ـ15؛ إسماعيل، المدخل لدراسة القرآن، 2/ 455ـ457.

(4) حمزة، الحركة الفكرية، ص333.

عنيفة في معاملتهم، تتعقبهم ولا تتساهل في قتلهم أو نفيهم[1]. وعرف عن السلطان صلاح الدين أنه "**كان يكره الفلاسفة وأهل المنطق ومن يعاند الشريعة**"[2]. وخير دليل على كراهيته لهؤلاء إيعازه إلى ابنه الملك الظاهر غازي ـ صاحب حلب ـ سنة 587هـ/ 1191م بقتل شهاب الدين يحيى بن حبش السهروردي الصوفي المتكلم المشهور وذلك بعد أن أفتى فقهاء حلب بانحلال عقيدته[3]، وإيعازهم إلى صلاح الدين بضرورة التخلص منه خوفا على المسلمين من أن يفسد عليهم دينهم[4] حسب زعمهم.

ويبدو واضحا أن صلاح الدين كان متعجلا في قراره الذي يقضي بالتخلص من السهروردي لخشيته من حدوث فتنة بين المسلمين تؤدي إلى تصدع الجبهة الداخلية في وقت كان يعمل جاهدا من أجل تماسكها ووحدتها من أجل طرد الصليبيين من بلاد الشام. لذلك لا مجال في مثل تلك الظروف الصعبة والاستثنائية لإفساح المجال

---

(1) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ق2/ 691؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 13/ 148.

(2) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص10؛ سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج8،ق2/ 691؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 6/ 9.

(3) لم يستوعب معارضوه أفكاره وعقيدته الصوفية لذلك اتهموه ظلما بانحلال العقيدة والكفر والفلسفة وما إلى ذلك، بينما كان الرجل من مشاهير الصوفية ولم تكن أفكاره ومؤلفاته لتمت بصلة إلى الفلسفة الإلحادية بشيء. وكان السهروردي يعتقد أن أول الحكمة هو الانسلاخ عن الدنيا ومشاهدة الأنوار الإلهية. وترك عددا كبيرا من المؤلفات في هذا المجال نذكر منها: **هياكل النور، المطارحات، التلويحات اللوحية والعرشية، كتاب المعارج، حكمة الإشراق** وغيرها. للمزيد ينظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص641ـ647؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 21/ 207ـ211؛ 3/ 95ـ96؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، 2/ 102؛ الأسنوي، طبقات الشافعية، 2/ 243؛ سامي الكيالي، السهروردي (القاهرة: 1966)؛ موسى الموسوي، من السهروردي إلى الشيرازي (بيروت: 1979)، ص11ـ27.

(4) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص10؛ سبط بن الجوزي، مرآة، ج8، ق1/ 427؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص642؛ ابن كثير، البداية، 13/ 5.

أمام المناقشات الكلامية التي تؤدي إلى تشويش الأفكار وتشتتها[1].

إن تعجل صلاح الدين في التخلص من السهروردي يعود في المقام الأول إلى رغبته في كسب عموم علماء المساجد، لأن المنابر كانت لها أهميتها، فهي تمثل الإذاعة اليوم وكان بحاجة إلى علماء المساجد لتجميع الرأي العام من خلالها لصالحه.

ويبدو أن الكورد وصلاح الدين أخذوا بمبدأ الظاهرية والتزموا ظاهر الحديث والقرآن ولم يلتفتوا إلى مسائل أخرى فقهية أو اجتهادية كموضوع التصوف أو الكلام وعرف عن الفقيه والمحدث الكوردي ابن الصلاح الشهرزوري أنه كان لا يحب تأويل المتكلمين[2]، ولا يمكن أحدا من طلابه من قراءة كتبهم[3] لأنهم يخوضون في مسائل فلسفية **(ضالة)** تقود إلى الكفر لذلك أفتى بوجوب قيام السلطان بملاحقة هؤلاء لأن الفلسفة كما يقول ابن الصلاح هي: "**أس السفه والانحلال، ومادة الحيرة والضلال.. فالواجب على السلطان أن يدفع عن المسلمين شر هؤلاء.. ويبعدهم عن الاشتغال بفنهم وأن يعرض من ظهر منه اعتقاد الفلاسفة على السيف أو الإسلام**"[4].

إن مثل هذه الآراء تعبر عن رأي أصحابها وهي لا تمثل الحق والواقع، ويبدو أن صلاح الدين كان يميل إلى مثل تلك الآراء الظاهرية وكان متعجلا في حكمه عندما أصدر أمره بقتل السهروردي معتمدا على آراء بعض العلماء الذين ليس لهم باع في فهم مثل هذه العلوم ولم تكن لهم معرفة بالتصوف وحقيقته.

وكان لمحاربة الأيوبيين لعلم الفلسفة أن جنح البعض من أصحابها على التستر في تدريسها بعيدا عن الأنظار فعلى سبيل المثال كان الفيلسوف والشاعر عز الدين الحسن بن محمد بن احمد الأربلي (ت 660هـ/ 1261م) أوحد مفكري عصره في علوم الفلسفة والأدب والنحو وغيرها من العلوم، يقرأ علوم الأوائل في بيته لمن تردد إليه

(1) محمد ارحيّل غرايبة، "جهود صلاح الدين الأيوبي في إحياء المذهب السني في مصر والشام"، مجلة الحكمة، (المدينة المنورة)، ع(12)، ص319.

(2) الذهبي، تذكرة الحفاظ، 4/ 1431.

(3) ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، 1/ 41.

(4) ابن الصلاح، طبقات الشافعية، 1/ 41؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 23/ 143.

من المسلمين واليهود والنصارى[1].فعلى سبيل المثال صنف موفق الدين البغدادي "مقالة في الرد على اليهود والنصارى"[2].

وربما يكون ميله إلى العلوم الفلسفية والكلامية وراء إهمال نتاجاته الفكرية باستثناء بعض الأبيات الشعرية التي نقلها المؤرخون عنه[3].

وعلى الرغم من المواقف المحافظة فقد أثر البعض من العلماء على الاهتمام بمسائل علم الكلام باعتبارها إحدى المستلزمات الثقافية الهامة للدفاع عن عقيدتهم ومحاولتهم توضيح أصولها بعد أن تعرضت للتشويه من قبل أعدائهم الصليبيين لذلك قامت مناظرات بين المسلمين والإفرنج في هذا المجال وانعكس ذلك في الفكر والأدب وشاع الرد على اليهود والنصارى[4].

كما أن استمرار الخلاف بين المذاهب والفرق الإسلامية كان مدعاة للاهتمام بعلم الكلام وظهور المناقشات والمناظرات الكلامية لاسيما بين أنصار المذهبين الشافعي والحنبلي فعلى سبيل المثال حدثت في مصر سنة 580هـ/ 1184م مناقشة كلامية بين الشافعية والحنابلة وكادت أن تنتهي بنزاع بين الطرفين وكان السبب هو أن الفقيه الشافعي الشهاب الطوسي تحدث في أحد مجالس وعظه في مسألة من مسائل الكلام مما أدى إلى اعتراض الفقيه زين الدين بن نجية الواعظ الحنبلي على كلامه الأمر الذي أدى إلى وقوع الخلاف بين الفريقين وكاد أن يتفاقم الخلاف لولا تدخل الأمير تقي الدين عمر لتهدئة الموقف بينهما[5].

---

(1) أبو شامة، الذيل، ص216؛ الكتبي، فوات، 1/ 362؛ الطهراني، طبقات أعلام الشيعة، الأنوار الساطعة في المائة السابعة، تحقيق علي تقي (بيروت: 1972)، ص43.

(2) ابن ابي أصيبعة عيون الأنباء ، ص694،الذهبي،تاريخ الاسلام ، ص325.

(3) محسن محمد حسين "العز الضرير الأربلي" مجلة المجمع العلمي العراقي، مج(5)، بغداد، 1977، ص442.

(4) القفطي، أنباء الرواة، 2/ 195؛ عبد المهدي، الحركة الفكرية، ص202ـ203؛ كيلاني، الحروب الصليبية، ص41ـ42.

(5) المقريزي، السلوك، ج1، ق1/ 88.

ويمكن القول أن أغلب المشتغلين بعلم الكلام كانوا من علماء الدين لاسيما من الفقهاء ، وهو ما مكنهم من إعلان آرائهم وأفكارهم بنوع من الحرية في كثير من الأحيان لاسيما وأن الدولة كانت تقف إلى جانبهم وتمنع عنهم الأذى فعلى سبيل المثال كان للحافظ الفقيه عبد الغني المقدسي الكثير من المخالفين في مصر ممن أنكروا عليه ما كان يقوله في الصفات والجهة والاستواء وما إلى ذلك من مسائل الكلام واجمعوا على تكفيره إلا أنهم لم يتجرأوا على إيذائه أو التعرض له لأن الملك العادل كان يمنعهم منه[1].

واشترط علماء المسلمين شروطا خاصة يجب توافرها فيمن يرغب الخوض في مسائل أصول الدين كأن يكون "صحيح المزاج متأدبا بآداب الأخيار، وأن يبدأ تعليمه بالعلوم الشرعية، وأن يكون صائنا، عفيفا، صدوقا، معرضا عن الفسق والفجور والغدر والخيانة والمكر والحيلة، ويكون فارغ البال عن مصالح معاشه، مقبلا على الوظائف الشرعية غير مخل بركن من أركان الدين، معظما للعلم والعلماء"[2].

واشترط آخرون أن لا تتم دراسة علم الكلام والفلسفة بمفردها وإنما يقترن دراستها مع العلوم الشرعية فعلى سبيل المثال كان الفقيه شمس الدين محمد بن محمود الأصبهاني (ت688هـ/ 1289م) إماما في المنطق والكلام والجدل "**إذا أراد أحد طلابه أن يقرأ عليه الفلسفة ينهاه ويقول لا حتى تمتزج بالشرعيات امتزاجا جيدا**"[3] واشترط البعض أن تكون معرفة المتكلم بالفلسفة بقدر معرفته بالدين[4].

ومن مشاهير علماء الكلام والفلسفة بمصر نذكر: الفقيه المتكلم زيد بن نصر بن تميم الحموي (ت 574هـ/ 1178م)[5]، ومحمد بن إبراهيم المعروف بابن الدهان وكان

---

(1) الذهبي، تذكرة الحفاظ، 4/ 1380.

(2) العبدري، رحلة العبدري، ص285.

(3) السبكي، طبقات الشافعية، 8/ 100-101.

(4) الشابي، مباحث، ص17.

(5) السبكي، طبقات الشافعية، 7/ 88.

"**طبيبا وحكيما فاضلا متفلسفا**"[1]، والفقيه الحسن بن الخطير النعماني وكان عالما بالتفسير والقراءات والمعاني والأصول والكلام والمنطق والحساب[2] والفقيه أبو حفص عمر بن أبي المحاسن يوسف بن عبد الله بن بندار (ت 600هـ/ 1203م) وكان بارعا في المذهب والخلاف وعلم الكلام قدم مصر وحدث بها وناظر[3].

والشاعر أبو العباس احمد بن عبد الغني اللخمي المصري (ت 603هـ/ 1206م) وكانت "**له يد طولى في علوم الفلسفة**"[4]، والفقيه احمد بن محمد الغزنوي وله في علم الكلام مصنفات منها: "**روضة المتكلمين في أصول الدين**" و"**المنتقى من روضة المتكلمين**"[5].

واشتهر الطبيب موسى بن ميمون القرطبي كونه أحد مشاهير فلاسفة اليهود الذين استقر بهم المقام بمصر وكانت فلسفته تقوم على التوفيق بين مبادئ الفلسفة اليونانية والديانة اليهودية والإسلامية وكان رئيسا لطوائف اليهود بمصر، وصنف مجموعة من الكتب الطبية والفلسفية لعل من أجلها كتابه الموسوم بـ"**دليل الحائرين**" الذي صادف قبولا لدى بعض الناس كما لقي إنكارا من البعض الآخر حتى أطلقوا عليه اسم "**ضلالة الحائرين**" نظرا لأراءه الحرة وإسرافه في العقل لتفسير بعض المسائل[6].

والفقيه مظفر بن عبد الله بن علي المصري (ت 612هـ/ 1215م) وكان إماما في الخلاف وأصول الدين[7]. والطبيب الفيلسوف إبراهيم بن علي بن محمد السلمي

(1) الذهبي، العبر، 3/ 103؛ السيوطي، حسن المحاضرة، 1/ 121.

(2) المنذري، التكملة، 1/ 402؛ الداوودي، طبقات المفسرين، 1/ 135_136.

(3) المنذري، التكملة، 2/ 10.

(4) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 21/ 479_480.

(5) المنذري، التكملة، 2/ 390_391.

(6) ابن العبري، تاريخ مختصر، ص239؛ الكتبي، فوات الوفيات، 4/ 176؛ حمزة، الحركة الفكرية، ص341_345؛ دي بور، تاريخ الفلسفة، ص282.

(7) السبكي، طبقات الشافعية، 8/ 372.

المغربي المعروف بالقطب المصري (ت 618هـ/ 1221م)[1]، والطبيب نجم الدين يحيى اللبودي ومن مؤلفاته في الفلسفة: "**كتاب اللمعات في الحكمة**" و"**المناهج القدسية في العلوم الحكمية**"[2].

والفقيه المتكلم مظفر بن أبي الخير إسماعيل بن علي الوراني التبريزي (ت621هـ/ 1224م) قدم مصر وتولى التدريس بالمدرسة الناصرية[3].

ومن مشاهير علماء الكلام والفلسفة أيضا: الموفق البغدادي وله في ذلك العديد من المؤلفات منها: "كتاب الحكمة في العلم الإلهي" و"الجامع الكبير في المنطق" و"ردود على بعض الفلاسفة كابن سينا والرازي وابن الهيثم" و"الكلام في الذات والصفات الذاتية الجارية على ألسنة المتكلمين" و"الكلمة في الربوبية" و"مقالة في الكلمة والكلام" و"مقالة في كيفية استعمال المنطق" و"مقالة في القدر" و"تهذيب كلام أفلاطون" و"مقالة في النهاية واللانهاية" وغيرها كثير[4].

ومن المشاهير العلامة سيف الدين الآمدي السابق ذكره وكان بارعا في الفلسفة والكلام لم يكن في زمانه من يجاريه فيها[5]. قدم مصر وتصدر لتدريس العلوم العقلية حينا ثم اضطر إلى مغادرتها بعد أن تحامل عليه الفقهاء ونسبوا إليه فساد العقيدة وأباحوا دمه فخرج الآمدي متخفيا إلى الشام واستقر في مدينة حماة ونال رعاية ملكها المنصور محمد الذي لازمه وقرأ عليه[6]، وفي سنة 610هـ/ 1213م توجه إلى دمشق فولاه الملك المعظم التدريس بالمدرسة العزيزية

(1) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص471؛ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، 1/ 383؛ السيوطي، حسن المحاضرة، 1/ 119.

(2) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص663ـ668.

(3) ابن الصابوني، تكملة إكمال، ص54ـ55.

(4) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص693ـ696؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ص324ـ328؛ الكتبي، فوات الوفيات، 22/ 386ـ387؛ السيوطي، حسن المحاضرة، 1/ 119ـ120.

(5) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 6/ 285.

(6) ابن واصل، مفرج الكروب، 5/ 35ـ36.

فبقي مواظبا على التدريس فيها حتى تم عزله من قبل الملك الأشرف الذي عرف عنه كرهه لعلوم الفلسفة[1].

وترك الآمدي مصنفات عديدة منها: "كتاب غاية المرام في علم الكلام"[2] و"أبكار الأفكار في علم الكلام" ثم اختصره في كتاب سماه "مناهج القرائح" وله كذلك "رموز الكنوز" وكتاب "دقائق الحقائق" و"لباب الألباب" و"غاية الأمل في علم الجدل" و"المبين في معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين" و"منتهى السول في علم الأصول"[3].

وجمع الشيخ احمد بن محمد بن خلف البكري الشريشي (ت 640هـ/ 1242م) بين التصوف وعلم الكلام ومن مؤلفاته كتاب "**توحيد الرسالة في أصول الدين**" و"**كتاب أسرار الرسالة ورسالة الأسرار**"[4].

والفقيه أفضل الدين بن ناماور الخونجي (ت 646هـ/ 1248م) وكان ملما بالعلوم الشرعية والفلسفية معا تولى القضاء والتدريس بالمدرسة الصالحية من مؤلفاته "**الموجز في المنطق**" و"**كشف الأسرار في علم المنطق**"[5] والعلامة قيصر بن أبي القاسم بن عبد الغني المصري المعروف بتعاسيف (ت 649هـ/ 1251م) وكان ملما بالعلوم

(1) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج8،ق2/ 691؛ ابن كثير، البداية، 13/ 148؛ كرفان محمد آمدي، الملك الأشرف موسى بن الملك العادل الأيوبي دوره وأثره في الدولة الأيوبية 576ـ635هـ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة صلاح الدين، 1999، ص94.

(2) طبع الكتاب وقام بتحقيقه حسن محمود عبد اللطيف (القاهرة: 1971).

(3) للمزيد ينظر: القفطي، تاريخ الحكماء، ص240ـ241؛ أبو شامة، الذيل، ص161؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص650ـ651؛ الغساني، العسجد المسبوك، ص462ـ463؛ اليافعي، مرآة الجنان، ص59ـ60؛ السبكي، طبقات الشافعية، 8/ 307ـ308؛ زكي، مشاهير الكرد، 1/ 74.

(4) السيوطي، بغية الوعاة، ص156ـ157.

(5) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص586ـ587؛ أبو شامة، الذيل، ص182؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص254؛ الذهبي، العبر، ص255ـ256؛ السبكي، طبقات الشافعية، ص105؛ ابن منقذ، الوفيات، ص320؛ السيوطي، حسن المحاضرة، 1/ 120

الفلسفية والرياضية[1].

وجمع القاسم بن احمد بن جعفر اللورقي المرسي (ت 661هـ/ 1262م) بين علوم النحو والفلسفة والكلام وكان يقرأ هذه المباحث ويحققها[2]، والفقيه عبد المجيد بن أبي البركات الطرابلسي (ت 684هـ/ 1285م) رحل إلى مصر وتصدر تدريس الفقه وأصول الدين[3]. وقاضي القضاة وجيه الدين البهنسي المصري (ت 685هـ/ 1286م) "**وكان إماما في الفقه، عالي الكلام في المناظرة**"[4]. واحمد بن محسن بن مكي بن عتيق الأنصاري الشافعي المتكلم (ت 699هـ/ 1299م) تولى التدريس بأسوان واشتهر بقدرته على المناظرة وإفحام الخصوم[5].

ثالثا: العلوم الرياضية

وقد حظيت بعناية المسلمين واهتمامهم في العصر الأيوبي لحاجتهم إليها في حياتهم العملية فضلا عما لها من دور مهم في خدمة كافة العلوم لاسيما العلوم التجريبية كالفلك والكيمياء والطب والصيدلة وغيرها من العلوم التي لا غنى لها جميعا عن العلوم الرياضية[6]. ويمكن تصنيفها على النحو الآتي:

أ ـ الحساب:

ويعد من أبسط فروع الرياضيات وأقدمها ويشمل على فن الإحصاء أو العد الذي يسمى بالحساب العملي أو الابتدائي، كما يشمل دراسة نظرية الأعداد التي

(1) الذهبي، المختار من تاريخ ابن الجزري، ص231.

(2) ابن الجزري، غاية النهاية، 2/ 15.

(3) الغبريني، عنوان الدراية، ص109ـ110.

(4) ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، 2/ 38ـ39.

(5) الصفدي، أعيان العصر، 1/ 184؛ الأسنوي، طبقات الشافعية، 2/ 256.

(6) ابن خلدون، المقدمة، ص635؛ خليفة، كشف الظنون، 1/ 511ـ512؛ عاشور، دارسات، ص102.

تسمى بالحساب[1].

ويرجع اهتمام الناس بعلم الحساب إلى حاجتهم إليه في التعامل اليومي من بيع وشراء أو وزن وعد، لذلك أطلق عليه مجازا بـ"**علم التجار**"[2] لاهتمام التجار به على وجه الخصوص[3].

كما اهتم به العلماء وفقهاء الدين لحاجتهم الماسة إليه لمعرفة بعض أمور الشرع الإسلامي كالزكاة، والصدقات، وطرق إنفاقها، وفي حساب المواريث والتركات لذلك ظهر فرع من الحساب يسمى بـ"**علم الفرائض**"[4] واعتبر الفقهاء أن في معرفة الحساب مصلحة دينية فهو فرض كفاية مما لا يمكن للمجتمع الاستغناء عنه[5].

ونظرا لأهمية علم الحساب فقد اعتاد العلماء في مصر كغيرها من البلاد الإسلامية على تدريسه للصبيان في المراحل التعليمية الأولى ـ في الكتاتيب والمساجد ـ مع العلوم الأخرى، بل كثيرا ما كانوا يبتدئون التعليم بالحساب لأنها تفتح أذهان الصبية، وتنمي قدراتهم الذهنية، كما تعلمهم الصدق في التعامل لما فيها من صحة النتائج[6]. وجاء عن الإمام الشافعي ﷺ "**إن من تعلم الحساب جل رأيه**"[7].

ومن فروع الحساب المهمة "**علم الجبر والمقابلة**" ـ وهو علم يعرف به "**كيفية**

(1) التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، 1/ 716؛ فروخ، تاريخ العلوم عند العرب (بيروت: 1970)، ص20.

(2) الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق فوزي عطوي (بيروت: 1968)، 3/ 558.

(3) الشهرزوري، نزهة الأرواح وروضة الأفراح في تاريخ الحكماء والفلاسفة (حيدر آباد الدكن: 1976)، ص34.

(4) علم الفرائض: وهو علم بقواعد وجزئيات تعرف بها كيفية صرف التركة إلى الوارث وموضوعها التركة والوارث لأن الفرضي يبحث عن التركة وعن مستحقها من حيث أنها تصرف إليه إرثا وفق قواعد شرعية معينة. ابن خلدون، المقدمة، ص637؛ خليفة، كشف، 2/ 230.

(5) الغزالي، إحياء علوم الدين، 1/ 22؛ خليفة، كشف الظنون، 1/ 512.

(6) ابن خلدون، المقدمة، ص635.

(7) الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مج9/ 123.

استخراج العدد المجهول من المعلوم إذا كانت بينهما نسبة تقتضي ذلك"[1] لمعالجة المسائل العويصة في المعاملات[2].

وظهر في مصر خلال العصر الأيوبي العديد من علماء الحساب ممن يمكن التعرف عليهم من خلال ألقابهم التي حملوها واشتهروا بها كلقب **رياضي**، أو **الحاسب** أو **الفرضي**، وكذلك من خلال نتاجاتهم ومصنفاتهم الرياضية وفيما يلي ذكر لنخبة منهم:

عبد الله بن رفاعة بن علي بن ثابت المصري (561هـ/ 1165م) وتميز بكونه "**فقيها وفرضيا تولى قضاء الجيزة مدة**"[3]. ومحمد بن علي بن الدهان البغدادي الفرضي الحاسب (ت590هـ/ 1193م) قدم مصر سنة 586هـ/ 1190م وألف كتابا في الفرائض ضمنه جداول على شكل المنبر[4]، وتميز الحسن بن الخطير كونه عالما بالنحو والشعر والفقه والتفسير والهيئة والحساب[5].

وعبد الله بن حجاج الملقب بالياسمين (ت 600هـ/ 1203م) وله أرجوزة في الجبر والمقابلة عرفت بالياسمينة[6]، وعلي بن محمد بن فرحون القرطبي (ت 601هـ/ 1204م) وكان قد نزل بمصر في طريقه إلى الديار المقدسة[7]، واشتهر محمود بن هبة الله بن يوسف الأربلي (ت 604هـ/ 1207م) ببراعته في علوم الحساب والفرائض والهندسة والنحو[8].

---

(1) ابن خلدون، المقدمة، ص636؛ عبد الرحمن، دراسات، ص113.

(2) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص116.

(3) السبكي، طبقات الشافعية، 7/ 124.

(4) المنذري، التكملة، 1/ 58؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص659؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، 5/ 12؛ الذهبي، العبر، 3/ 103.

(5) المنذري، التكملة، 1/ 402؛ الداوودي، طبقات المفسرين، 1/ 135.

(6) خليفة، كشف الظنون، 1/ 110.

(7) الذهبي، تاريخ الإسلام، ص86-87.

(8) أبو الفداء، المختصر، 3/ 77؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 13/ 50.

والفقيه الفرضي غياث بن فارس بن مكي المنذري (ت 605هـ/ 1208م) وقد تصدر التدريس بجامع عمرو بن العاص والمدرسة الفاضلية[1]. والطبيب الرياضي الفيلسوف موسى بن ميمون القرطبي[2]، والطبيب علي بن خليفة وكان قد قرأ الرياضيات بمصر وبعد عودته إلى الشام استدعاه الملك الأمجد صاحب بعلبك فألف له كتابا في الحساب يحتوي على أربع مقالات سماه: "**الموجز المفيد في علم الحساب**"[3].

واشتهر نجم الدين محمد بن عبد الله اللبودي (ت 621هـ/ 1224م) بكثرة مصنفاته في الحساب والجبر والهندسة نذكر منها: كتاب "**كافية الحساب في علم الحساب**" و"**الرسالة الكاملة في علم الجبر والمقابلة**" و"**الرسالة المنصورية في الأعداد الوفقية**"[4]، ويوسف بن يحيى بن اسحق السبتي المغربي (ت 623هـ/ 1226م) من أهل قادس ارتحل إلى مصر من آثاره كتاب "**الاستكمال لابن هود في الرياضيات**"[5].

وصنف العلامة موفق الدين البغدادي كتبا عدة في الحساب منها: "**الجلي في الكتاب الهندي**"[6] و"**مقدمة في الحساب**"[7]، وإسماعيل بن غازي المارديني المشهور بابن فلوس (ت637هـ/ 1239م) ومن مصنفاته: "**إرشاد الحساب في المفتوح من الحساب**" و"**أعداد الأسرار وأسرار الأعداد**" و"**نصاب الجبر في حساب الجبر والمقابلة**" و"**إرشاد الطلاب إلى وسيلة الحساب**"[8].

---

(1) المنذري، التكملة، 2/ 162؛ الذهبي، العبر، 3/ 139؛ اليافعي، مرآة الجنان، 4/ 5؛ ابن الجزري، غاية النهاية، 2/ 4.

(2) ابن العبري، مختصر دول، ص239؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص582ـ583.

(3) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص750؛ كحالة، معجم المؤلفين، 2/ 439.

(4) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص481؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص668؛ خليفة، كشف الظنون، 2/ 326؛ عبد الرحمن، دراسات، ص98.

(5) القفطي، تاريخ الحكماء، ص318ـ319؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص242.

(6) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص694.

(7) القفطي، أنباء الرواة، 1/ 195 (هامش المحقق)؛ الكتبي، فوات الوفيات، 2/ 386.

(8) الصفدي، الوافي بالوفيات، 9/ 66؛ خليفة، كشف الظنون، 1/ 664.

وكان لإمام الفقيه عبد العزيز بن عبد المنعم بن إبراهيم الملقب بابن النقار (ت640هـ/ 1242م) بالعلوم الرياضية أن أهله لتولي ديوان المواريث الحشرية[1] بمصر وبقي في ذلك المنصب حتى وفاته[2]. وتميز الأمير الكوردي شرف الدين أبو يوسف يعقوب بن محمد الهذباني الأربلي (ت 645هـ/ 1247م) كونه أحد الأمراء المشهورين بمصر ممن كانت له معرفة جيدة بالحساب والفرائض والأدب[3]. وكان احمد بن حمدان بن شبيب بن محمود الحراني (ت 695هـ/ 1295م) أحد البارعين في علم الجبر والمقابلة قدم مصر في سنة 603هـ/ 1206م ومارس التدريس فيها[4].

والفقيه بهاء الدين هبة الله بن سيد الكل القفطي (ت 697هـ/ 1297م) وكان ضالعا بعلوم الفقه والفرائض والجبر والمقابلة[5]، واشتهر عمر بن احمد بن مهدي النشائي (ت716هـ/ 1316م) ـ من نشا من بلاد الغربية من أعمال مصر ـ كونه إماما في الفقه والعلوم الحسابية[6].

ومن الفنون الحسابية التي اشتغل بها بعض العلماء بمصر ما كان يعرف بـ "**المربعات السحرية**"[7] والتي تقوم على الجمع بين بعض الأعداد ليظهر منها خواص أخر لا تظهر في كل واحد منها، وكان الاشتغال بها من أجل التسلية، كما استخدمها البعض في الطلاسم والعزائم[8]. ومن المشتغلين بهذا الفن نذكر: محي الدين احمد بن

(1) وموضوعه إحصاء الموتى من المسلمين وغيرهم وتولي ميراث من لا إرث له. القلقشندي، صبح الأعشى، 4/ 33.

(2) المنذري، التكملة، 3/ 608ـ609؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ص415.

(3) الغساني، العسجد المسبوك، ص558.

(4) الصفدي، الوافي بالوفيات، 6/ 460؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، 1/ 272.

(5) السبكي، طبقات الشافعية، 8/ 391؛ السيوطي، بغية الوعاة، ص408.

(6) الأسنوي، طبقات الشافعية، 2/ 286؛ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، 2/ 81.

(7) ويعتقد البعض أن هذا الفن ذو أصول صينية. ينظر: رسائل إخوان الصفا، مج1/ 109ـــ112؛ عبد الرحمن، دراسات، ص149.

(8) شاخت، تراث الإسلام، 2/ 307.

علي بن يوسف البوني - نسبة إلى بونة في الجزائر "**عنابة الحالية**" - وكان مشهورا بالتصوف والاشتغال بالتصنيف في الطلسمات وأسرار الحروف من مصنفاته "**مواقف الغايات في أسرار الرياضيات**" وكانت وفاة البوني بالقاهرة سنة 622هـ/ 1225م[1].

والفقيه النحوي محمد هبة الله بن مكي الحموي وله نظم كثيرة منها: أرجوزة في الفرائض سماها: "**حدائق الفصول وجواهر الأصول**" صنفها للسلطان صلاح الدين، وله أرجوزة أخرى سماها: "**روضة المرتاض ونزهة الفرائض**" ومن نظمه:

اثنان من بعدها تسعة ... وسبعة من قبلها أربع
وخمسة ثم ثلاث ومن ... بعد ثلاث ستة تتبع
ثم ثمان قبلها واحد ... فرتب الأعداد إذا جمع[2]

7	9	2
3	5	7
8	1	6

ب - الهندسة[3]:

ويعد من فروع الرياضيات المهمة وهو العلم الذي "**ينظر في المقادير المتصلة كالخطوط والسطوح والجسمات بأنواعها، والمنفصلة كالأعداد وما يعرض لها من العوارض الذاتية**"[4] ، ومن فروعه المهمة علم المساحة، وعلم الوزن والموازين، وعلم

(1) شاخت، المرجع نفسه، 2/ 308.

(2) السبكي، طبقات الشافعية، 7/ 23-25.

(3) الهندسة - معربة عن الكلمة الفارسية (اندازة) التي تعني المقادير، وأطلق عليه اليونان تسمية (جومطريا) التي تعني علم المساحة. ينظر: الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص117؛ اخوان الصفا، رسائل، 1/ 49؛ الإنطاكي، تذكرة الألباب، 2/ 399.

(4) الفارابي، إحصاء العلوم، ص95؛ ابن خلدون، المقدمة، ص639؛ فروخ، تاريخ العلوم، ص145.

المرايا "**البصريات**"، وعلم الآلات الساعة "**البنكامات**" وعلم الآلات الحربية وغيرها[1].

والهندسة من أبرز وجوه الحضارة الإنسانية حيث كانت البشرية بحاجة إليها منذ القدم في بناء المنازل والمعابد وأعمال الزراعة والري[2]، وأخذ المسلمون أصول الهندسة ومبادئها عن علماء اليونان، ويعد كتاب "**الأصول**" لأوقليدس (ت 270ق.م) من أشهر الكتب التي ترجمت إلى العربية وكان بمثابة احد المصادر الرئيسة في الهندسة لديهم[3]. على أن المسلمين لم يقفوا عند حدود الترجمة والنقل وحسب، بل أضافوا إضافات جديدة إلى هذا العلم لم تعرف من قبل، فهم الذين أدخلوا على سبيل المثال المماس إلى علم حساب المثلثات، وكانت خطوة عظيمة في علم الرياضيات، كما تعمقوا في الكثير من المسائل الهندسية[4].

وكان من البدهي أن يتواصل الاهتمام بالعلوم الهندسية خلال العصر الأيوبي لإدراك المسلمين أهميتها في حياتهم العملية، وفي رياضة الفكر وتنويره لأن براهينها بينة الانتظام[5]، وليس بالإمكان الاستغناء عنه في مجتمع متحضر يمثل الإسلام جوهره الأساس، كما لا يخفى أن الهندسة كانت مدخلا وأساسا للكثير من العلوم العقلية[6].

(1) ابن خلدون، المقدمة، ص640ـ641؛ خليفة، كشف الظنون، 1/ 168ـ169، 2/ 828.

(2) الشهرزوري، نزهة الأرواح، ص33؛ النويري، الإلمام، 3/ 362؛ فروخ، تاريخ العلوم، ص27.

(3) وقد عرف بأسماء أخرى منها: كتاب **الأركان، والاسطقسات، وجومطريا**، وكان مدار اهتمام المشتغلين بالهندسة، فقد شرحه مجموعة من العلماء منهم أبو نصر الفارابي (ت 339هـ/ 950م) وأبو جعفر الخازن (ت 360هـ/ 971م). واختصره آخرون منهم الحكيم بن سينا ضمن كتابه (الشفاء) ينظر: الطوسي، كتاب تحرير أصول اوقليدس (القسطنطينية: د/ ت)، ص2؛ الفارابي، إحصاء العلوم، ص97؛ ابن خلدون المقدمة، ص639؛ التهانوي، كشاف اصطلاحات، 2/ 185؛ قدري حافظ طوقان، تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك (القاهرة: د/ ت)، ص88.

(4) ستانوود كب، المسلمون في تاريخ الحضارة، ص47؛ الكروي، المرجع في الحضارة، ص330؛ عاشور، دراسات، ص102.

(5) ابن خلدون المقدمة، ص639.

(6) الإنطاكي، تذكرة الألباب، 2/ 409.

واستلزمت ظروف الحرب ضد الصليبيين الإكثار من بناء القلاع والحصون لاسيما بعد أن تحولت الاستراتيجية العسكرية للصليبيين إلى التركيز على مصر، لذا فقد أولى الأيوبيون مصر عناية كبيرة، وعملوا على تقوية استحكاماتها الدفاعية ومن جملتها بناء صلاح الدين قلعة بالقاهرة على جبل المقطم ليحتمي فيها جيشه وأنصاره خاصة وأنه لا يأمن على تركها دون حماية بعد تعرضه لسلسلة خطيرة من المؤامرات[1].

وقد بدأ العمل بمشروع بناء قلعة الجبل سنة 572هـ/ 1176م، وكان المشرف عليه مملوك السلطان الأمير بهاء الدين قراقوش بن عبد الله الأسدي (ت 597هـ/ 1200م)[2]، ونظرا لضخامة المشروع، فقد استلزم بناؤه وقتا وجهدا كبيرين، وتمت الاستعانة بنحو خمسين ألف من الأسرى، وبحلول سنة 579هـ/ 1183م اكتمل الجزء الأكبر منه[3]، ولم يدخر خلفاء صلاح الدين جهدا ووسعا في إكماله، وإضافة إستحكامات جديدة إليه، فعلى سبيل المثال أكمل الملك الكامل محمد البرج الأحمر سنة 604هـ/ 1207م، كما أضاف إلى القلعة بعض المناظر والمتنزهات والحمامات وغيرها من المرافق[4].

ولاشك أن بناء هذه القلعة الشامخة يمثل عصارة الفكر الهندسي لدى الأيوبيين، كما أنه يعكس عظمة بانيها، وهي من الآثار الشاخصة التي خلدت ذكرى الأيوبيين في مصر.

وتمكن الأيوبيون من توظيف العلوم الهندسية في عمليات البناء والعمران التي شهدتها مصر، كما تمكنوا من توظيفه عمليا فيما يعرف بـ"**علم الميكانيك**" أو ما كان يسمى بعلم الحيل الذي يخدم بعض الصناعات كصناعة الساعات والمزاول، كما

(1) مهدي قادر خضر، الأمن في مصر القاهرة في العصر الأيوبي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة صلاح الدين، 2002، ص54.

(2) ابن واصل، مفرج الكروب، 2/ 53؛ الداوداري، كنز الدرر، 7/ 151.

(3) المقريزي، المواعظ والاعتبار، 2/ 204؛ خضر، الأمن في مصر، ص56.

(4) المقريزي، المواعظ والاعتبار، 2/ 204؛ الداوداري، كنز الدرر، 7/ 164.

توصلوا إلى قياس السطوح والحجوم بما يخدم العمارة وهندسة الري، وتصنيع الطواحين والنواعير، وصناعة آلات الرصد الفلكية وما إلى ذلك من الصناعات[1].

كما كانت لهم منجزات جديدة فيما يتعلق بالهندسة العسكرية وكذلك علم صناعات الآلات الحربية، ويذكر أن الاهتمام بالجوانب العسكرية جاء نتيجة للوضع التاريخي العام ولضرورات الأمن والدفاع ولمقاومة غزو الصليبيين، وكانت محصلة ذلك نهضة تكنولوجية في كافة الجوانب النظرية والتطبيقية[2].

وكانت الجيوش الأيوبية تضم بين صفوفها فرقا هندسية متخصصة تقع عليها مهمات تتطلب معرفة بشؤون الهندسة العسكرية التي يلزمها القتال ولاسيما قتال الأسوار والخنادق مثل نصب المعدات الحربية الثقيلة كالمنجنيق والأقواس الثقيلة، وقاذفات النفط، وكذلك بناء المعسكرات، وتشييد الجسور، وردم الخنادق، وحفر الآبار، وتعيين مواقع ضرب الحصار على أسوار المدينة المنوي فتحها، وتغيير مجاري الأنهار وغيرها من الأعمال الهندسية التي كانت ضمن واجبات هذه الفرقة، فلدى حصار بيت المقدس عام 583هـ/ 1187م ظل صلاح الدين وجيشه يطوفون حوله خمسة أيام حتى استطاع الملمون بشؤون الهندسة العسكرية العثور على المكان المناسب في الجهة الشمالية من السور نحو باب عمودا وكنسية صهيون فأمر صلاح الدين بنصب معدات الحصار عند هذا الموضع[3].

وعلى الرغم من أن الجانب العملي كان هو الغالب على إنجازات المسلمين الهندسية طيلة العصر الأيوبي إلا أنه مع ذلك لم يخل ذلك العصر من ظهور نخبة من مشاهير علماء الهندسة وكان لبعضهم مؤلفات هامة في هذا المجال نذكر منهم:

---

(1) سيد الأهل، صلاح الدين، ص143.

(2) آزاد علي "بعض الأسس النظرية للصناعات الحربية في العهدين الأيوبي والمملوكي" مجلة دراسات تاريخية، ع(29ـ30)، جامعة دمشق، 1988،ص127.

(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 11/ 547؛ محسن محمد حسين "جيش صلاح الدين"، مجلة المورد، مج(16)، ع(4)، بغداد، 1987، ص46.

المهندس الرياضي احمد بن علي المعروف بالرشيد الأسواني السابق ذكره[1]، كما لقب محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن الدمشقي (ت 599هـ/ 1202م) بالمهندس، وكان يمتهن النجارة ونقش الرخام ولكي تزداد معرفته بدقائق مهنته فقد كان حريصا على تعلم كتاب أوقليدس وحفظه، كما اشتهر بصناعة الأزياج الفلكية وسبق له أن زار الإسكندرية سنة 573هـ/ 1177م[2].

والطبيب المهندس علي بن خليفة بن يونس وله كتاب **(الاسطقسات)**[3]، والرياضي نجم الدين اللبودي ومن مصنفاته "**مختصر كتاب أوقليدس**" و"**مختصر مصادرات أوقليدس**" و"**غاية الغايات في المحتاج إليه من أوقليدس والمتوسطات**" وكان ممن خدم الملك الصالح نجم الدين أيوب، وبعد وفاته وقفت دار مدرسة للطب والهندسة وخصص لها وقفا جيدا وشيخا يتولى إدارتها[4].

والوجيه أبو اليمن بن بركات بن أبي منصور بن ظافر الأنصاري (ت634هـ/ 1236م) وكانت له معرفة بالطب والهندسة[5]. وعز الدين محمود بن عمر بن إبراهيم الملقب بابن رقيقة (ت 635هـ/ 1237م) وكان من مشاهير عصره في علوم الهندسة والفلك[6]، وعلي بن يوسف بن إبراهيم القفطي (ت 646هـ/ 1248م)[7]، والرياضي المهندس أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن ظافر الدمياطي (ت 648هـ/ 1250)[8].

---

(1) الصفدي، الوافي بالوفيات، 7/ 220؛ السيوطي، بغية الوعاة، ص146.

(2) الصفدي، الوافي بالوفيات، 3/ 280ـ281؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ص413؛ طوقان، تراث العرب العلمي، ص375ـ376.

(3) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص750؛ كحالة، معجم المؤلفين، 2/ 439.

(4) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص668؛ الكتبي، عيون، 20/ 429.

(5) المنذري، التكملة، 3/ 441ـ442؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ص167.

(6) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص713؛ ابن الفوطي، مجمع الآداب، 1/ 337.

(7) ياقوت، معجم الأدباء، 15/ 175؛ الكتبي، فوات، 3/ 117؛ السيوطي، بغية، ص358.

(8) ابن الصابوني، تكملة إكمال، ص45.

ومن مشاهير علماء الهندسة أيضا: علم الدين قيصر بن أبي القاسم بن عبد الغني بن مسافر الأصفوني (ت 649هـ/ 1251م) وكان بارعا في العلوم الرياضية تنقل بين الشام ومصر واتصل بعدد من الملوك الأيوبيين ومنهم الملك المظفر تقي الدين محمود صاحب حماة ونال إكرامه وهو الذي أشرف على بناء أبراج جميلة على سور حماة، كما بنى طاحونة في الجانب الأسفل على نهر العاصي[1]. وكان علم الدين قيصر واحدا من العلماء الذين اعتمد عليهم الملك الكامل في حل جملة من المسائل الرياضية والهندسية التي كان الملك فردريك الثاني قد بعث بها إلى الملك الكامل يطلب منه المساعدة في الإجابة عنها[2].

واشتهر الفقيه المفسر محمد بن عبد الله بن محمد المرسي بقدرته على حل مسائل كتاب إوقليدس[3]. واحمد بن إدريس بن عبد الرحمن القرافي (ت 684هـ/ 1285م) وكان بارعا في الهندسة الميكانيكية وصنع الساعات والتماثيل المتحركة والآلات الفلكية[4]. والعلامة شمس الدين محمد الخويي السابق ذكره وكان مشاركا بعدة علوم منها النحو والتفسير والحساب والهندسة ومن آثاره كتاب "**ينابيع العلوم**" جمع فيه نحو عشرين علما[5]. وتميز بهاء الدين محمد بن إبراهيم بن النحاس (ت 698هـ/ 1298م) كونه شيخ الديار المصرية في النحو كما كان معماريا مهندسا له خبرة بالمنطق وأوقليدس وعليه تخرج جماعة من المصريين[6].

---

(1) ابن واصل، مفرج الكروب، 5/ 342ـ343؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، 2/ 169؛ الحنبلي، شفاء القلوب، ص398ـ399.

(2) ابن واصل، مفرج الكروب، 4/ 242؛ المقريزي، السلوك، 1/ 354؛ قلعجي، صلاح الدين، ص501.

(3) السيوطي، بغية الوعاة، ص61.

(4) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، 1/ 215؛ كحالة، معجم المؤلفين، 1/ 100؛ حمدان، أعلام الحضارة، 3/ 29.

(5) ابن أبي أصيبعة، عيون، ص646؛ السيوطي، بغية الوعاة، ص10؛ خلف، الحياة العلمية، ص134.

(6) الصفدي، الوافي بالوفيات، 5/ 224؛ الكتبي، فوات الوفيات، 3/ 294؛ السيوطي، بغية الوعاة، ص6.

رابعا: علم الفلك

وكان يعرف أيضا **بعلم الهيئة**[1]، **وبالاسطرنوميا**[2]، وهو العلم الذي يبحث في أحوال الأجرام السماوية وأشكالها وأوضاعها ومقاديرها وأبعادها على الرصد والمشاهدة[3]، ومن فروعه المهمة **علم الازياج**[4].

وقد حظي هذا العلم باهتمام المسلمين لأهميته في حياتهم فقد رصدوا الكواكب والنجوم ليهتدوا بها في ظلمات الليل في وسط الفيافي والبحار، قال تعالى: ﴿**هُوَ الذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ البَرِّ وَالبَحْرِ**﴾[5].

كما أن ارتباط بعض أحكام الدين بالظواهر الفلكية كحاجتهم لتحديد أوقات الصلاة، ومعرفة سمت القبلة، وتحديد مواعيد الصوم والحج والأعياد وغير ذلك من الجوانب النافعة دفعهم للاهتمام بالفلك كعلم لا يمكن الاستغناء عنه في حياتهم العملية[6].

كما أن لعلم الفلك معنى دينياً عميقاً في حياة المسلم، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تحث المسلم على التفكر في خلق السموات والأرض كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ فِي**

(1) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص125؛ الإنطاكي، تذكرة أولي الألباب، 2/ 411.

(2) **الاسطرنوميا**: مصطلح يوناني مكون من مقطعين اصطر هو النجم ونوميا هو العلم.وبالكردية ئه ستير الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص122؛ اخوان الصفا، رسائل اخوان الصفا، 1/ 49.

(3) ابن خلدون، المقدمة، ص641؛ الإنطاكي، تذكرة أولي الألباب، 2/ 411.

(4) مفردها زيج أو زيك ـ من الكلمة البهلوية (زه) أي الوتر ثم عرب فقيل له زيج ، وقيل هي من (زيك) أي السدي الذي تنسج فيه لحمة النسيج ثم أطلق على الجداول العددية المتشابهة خطوطها الرأسية لخطوط السدي، وهي عبارة عن جداول رياضية لمعرفة مواضع الكواكب السيارة في أفلاكها، وتعتمد هذه الجداول على قواعد حسابية في غاية الدقة ومنفعة الازياج تكمن في معرفة الأوقات والفصول وسمت القبلة وأوقات الصلاة الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص127؛ خليفة، كشف الظنون، 2/ 17.

(5) القرآن الكريم، سورة الأنعام، آية (97).

(6) ابن الفوطي، مجمع الآداب، 4/ 296؛ طوقان، تراث العرب العلمي، ص109ـ110؛ السينور كرلونلينو، علم الفلك عند العرب في القرون الوسطى (بغداد: د/ ت)، ص229ـ230.

خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ﴾(1)، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنْ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍ أَفَلا يُؤْمِنُونَ﴾[2]، بالإضافة إلى غيرها من الآيات[3].

ومن الجدير بالذكر أن علم الفلك لم تتسع دائرة الاهتمام به في العصر الأيوبي، ويعود ذلك لانشغال المسلمين بالعلوم الدينية التي نالت دعم الأيوبيين وعنايتهم[4]، كذلك فإن علم الفلك بقي تشوبه حتى ذلك العصر الكثير من خرافات التنجيم[5]، مما جعل العلماء ينصرفون عنه ولا يحبذون الخوض فيه، وفي هذا الصدد ذكر أسامة ابن منقذ عن والده الذي كانت له معرفة جيدة بعلم الفلك حيث يقول: "**وكان والدي يحرضني على معرفة علم النجوم فأأبى وامتنع**"[6].

من جهة أخرى فإن كره الأيوبيين ومحاربتهم للتنجيم باعتباره من فنون السحر والشعوذة التي نهى عنها الإسلام كان حافزا لظهور عدد من العلماء المسلمين الذين عنوا بالفلك كعلم وسعوا إلى تطهيره من خرافات التنجيم التي شابته في الحقبة

(1) القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية (190).

(2) القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية (30).

(3) ينظر على سبيل المثال: سورة البقرة، آية (29،117،189)؛ آل عمران، أية (27،190،191)؛ الأنعام آية (1،14،96)؛ فصلت، آية (9)؛ هود، آية (7)، يونس، آية (3)، يس، آية (38)، الأعراف، آية (54)، النمل، آية (88)، الرعد، آية (2)، الطارق، آية (1ـ3)، الفجر، آية (1ـ5)، الضحى، آية (1ـ3).

(4) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ق2/ 691؛ ابن كثير، البداية، 13/ 124.

(5) من ذلك ما ذكره العماد الكاتب عن المنجمين سنة 582هـ/ 1186م أنهم حكموا بخراب العالم بحلول شهر شعبان من تلك السنة عند اجتماع الكواكب في الميزان وحذروا الناس من هبوب رياح عاتية حتى شرع الكثير من الناس بحفر مغارات في التخوم وكذلك اتخاذ ما يلزم من الاحتياطات في البيوت وانتظروا الميعاد، ويضيف العماد الكاتب أن السلطان صلاح الدين ومن معه كلما سمعوا بأخبار هؤلاء المنجمين استغرقوا في الضحك من عقولهم لأنهم لم يكونوا ليؤمنوا بأباطيل المنجمين أو الإصغاء إلى ما يقولون، العماد الكاتب، الفتح القسي، ص660؛ أبو شامة، الروضتين، 2/ 72ـ73.

(6) ينظر: الاعتبار، ص72ـ73.

السابقة[1]، وجعله علما رياضيا قائما على الملاحظة الحسية حيث كانوا يرصدون الظواهر الفلكية وحركات الكواكب بالقياسات والحسابات من خلال آلات الرصد، فضلا عن استخدام المنهج العلمي في تعلم أسسه وقوانينه وقد ساعد المسلمين في تحقيق ذلك تفوقهم في العلوم الرياضية، ومن مشاهير علماء الفلك الذين ظهروا في مصر خلال الحقبة موضوع البحث:

احمد بن علي بن إبراهيم المصري الأسواني السابق ذكره وله كتاب: "**تذكرة الألباب في استيفاء العمل بالاسطرلاب**"[2] وله أيضا: "**رسالة في الفلك**"[3]، كما صنف كتابا دعاه "**شفاء الغلة في سمت القبلة**"[4]. واشتهر الحسن بن الخطير الفارسي كونه ملما بعلوم الطب والمنطق والرياضيات والفلك، كما كان أديبا شاعرا نزل القاهرة وحظي عند الملك العزيز عثمان الذي ضمه إلى صحبته بعد أن عُرف مكانته

---

(1) كان لعلم التنجيم أثره في توجيه سياسة الفاطميين الذين كانوا يعتمدون عليه في تنفيذ سياستهم. وبهذا الصدد تذكر المصادر عن جوهر الصقلي لما أراد بناء عاصمة له بمصر أحضر المنجمين وعرفهم أنه يريد بناء بلد ظاهر مصر ليقيم فيها الجند وأمرهم باختيار طالع سعيد لوضع الأساس بحيث لا يخرج البلد عن نسلهم أبدا فاختاروا طالعا لوضع الأساس ويقال أن المريخ كان في الطالع عند ابتداء البناء وهو قاهر الفلك فسموها القاهرة نسبة إلى كوكب المريخ. ابن دقماق، الانتصار، 6/ 35؛ المقريزي، المواعظ، 1/ 377؛ ابن الوكيل، تحفة الأحباب، ص56؛ حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، ص508.

(2) **الاسطرلاب**: مشتقة من الكلمة اليونانية (**اسطرلابون**) المكونة من مقطعين ـ **اصطر** (بمعنى النجم) و (**لابون**) بمعنى المرآة، وهي من آلات الرصد الفلكية وكان يستخدم أساسا في تحديد ارتفاعات الكواكب على الأفق وتعيين الوقت، ويتكون من قرص معدني مقسم إلى درجات ويدور على هذا القرص مؤشر ذو ثقبين في طرفيه، ويعلق الأسطرلاب من حلقته رأسيا مع توجيه المؤشر نحو الشمس، وعندما تمر أشعة الشمس من هذين الثقبين يقرأ ارتفاع الكواكب من الحد الأدنى الذي يقف عليه المؤشر. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص134. عاشور، دراسات، ص112ـ113؛ مرحبا، الجامع، ص446.

(3) ياقوت، معجم الأدباء، 4/ 51؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 7/ 220؛ السيوطي، بغية الوعاة، ص146؛ ابن العماد، شذرات الذهب، 4/ 197.

(4) السيوطي، بغية الوعاة، ص146.

العلمية[1].

والفلكي علوي الديري[2] من قرية دير البلاص بصعيد مصر، وكان مشهورا بعمل التقاويم الفلكية[3]، وأبو سليمان داود بن أبي المنى بن فانة (كان حيا سنة 583هـ/ 1187م) وهو فلكي وطبيب خدم الأيوبيين بمصر بعد أن ارتحل إليها من موطنه القدس وكانت له "**معرفة بالغة بعلم النجوم**"[4].

ومحمد بن علي بن الدهان البغدادي، قدم مصر سنة 586هـ/ 1190م ووصف كونه أحد أذكياء عصره وصنف في "**النجوم والزيج**"[5]. وممن اهتم بالفلك أيضا: الطبيب مهذب الدين عبد الرحيم المعروف بالدخوار وكان قد قرأ الفلك على أبي الفضل الإسرائيلي المنجم واقتنى الكثير من الآلات الفلكية التي كان يحتاجها في هذا العلم، كما اقتنى كتب الفلك وقيل أنه كانت لديه نحو ست عشر رسالة عن الاسطرلاب لمجموعة من المصنفين[6].

وكان العلامة موفق الدين البغدادي ملما بالفلك والأبراج وفسر الكثير من الظواهر الطبيعية على ضوئها مثل زيادة النيل ونقصانه[7]. وأشاد في كتاباته بمدى التقدم الذي أحرزه المصريون في مجال الفلك وإليه يعزى قوله: "**من أراد أن يتعلم صناعة الفلك فعليه بمصر فإن أهلها قد عنوا به عناية تامة**"[8].

ومن علماء الفلك أيضا أبو الحجاج يوسف الإسرائيلي وهو مغربي الأصل من

(1) كحالة، معجم المؤلفين، 1/ 550؛ حمدان، أعلام الحضارة، 3/ 206.

(2) لم أعثر على ترجمته.

(3) القفطي، تاريخ الحكماء، ص251.

(4) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص587ـ588.

(5) ابن خلكان، وفيات الأعيان، 5/ 12ـ13؛ الذهبي، العبر، 3/ 103.

(6) ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق ، ص733.

(7) البغدادي، الإفادة والاعتبار، ص152.

(8) البغدادي، المصدر نفسه ، ص138.

فاس ـ قدم إلى مصر واستقر بها[1]. أما الطبيب أبو الثناء محمود بن عمر المعروف بابن رقيقة الشيباني السابق ذكره فقد وصف كونه: **"أوحد زمانه في علم الهندسة والهيئة وله اليد الطولى في أشياء مستغربة كان يبتدعها"**[2].

ومنهم إسماعيل بن إبراهيم المارديني الآنف ذكره[3] والصاحب نجم الدين أبو زكريا يحيى بن شمس الدين اللبودي (ت بعد 666هـ/ 1268م) وله معرفة بعلم الفلك من مصنفاته كتاب: **"الزاهي في اختصار الزيج الشاهي"** و**"الزيج المقرب المبني على الرصد المجرب"**[4]، وعلي بن يوسف بن إبراهيم القفطي[5].

ومن مشاهير علماء الفلك: علم الدين قيصر وكان في خدمة الملك المظفر تقي الدين بن الملك المنصور وهو الذي عمل له كرة من البرونز رسم عليها الكواكب التي أمكنه رصدها وكان يساعده في ذلك المؤرخ ابن واصل الحموي[6]، وكان الملك المظفر يتابع عملهما ويستفسر منهما عن بعض المواضع، كما كان يسأل علم الدين قيصر عما في **كتاب المجسطي**[7]. مما يدل على أن الملك المظفر كانت له معرفة بعلم الفلك.

(1) ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق ، ص696.

(2) ابن الفوطي، مجمع الآداب، 1/ 337ـ338.

(3) الصفدي، الوافي بالوفيات، 9/ 66؛ كحالة، معجم المؤلفين، 1/ 356؛ حمدان، أعلام الحضارة، 3/ 152

(4) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص668؛ كحالة، معجم المؤلفين، 4/ 97.

(5) ياقوت، معجم الأدباء، 15/ 175؛ السيوطي، بغية الوعاة، ص358.

(6) ابن واصل، مفرج الكروب، 5/ 342ـ344؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، 2/ 170؛ الحنبلي، شفاء القلوب، ص398.

(7) كتاب المجسطي ـ ألفه بطليموس، ويحتوي على خلاصة ما توصل إليه قدماء اليونان في علم الفلك، وكان يعتبر المرجع الأساس في علم الفلك خلال العصور الوسطى. ينظر: ابن واصل، مفرج الكروب، 5/ 344، هامش (2)؛ الشهرزوري، نزهة الأرواح، ص312؛ ابن الفوطي، مجمع الآداب، 4/ 523؛ برنال، العلم في التاريخ، 1/ 304.

ومن علماء الفلك أيضا: مجد الدين الحسن بن إبراهيم بن يوسف (ت 664هـ/ 1265م) ومن شعره يصف الربع ـ من آلات الرصد ـ:

أنا ربع دائرة الفلك طوبى لمن مثلي ملك
بي تدرك الأوقات حقا ويقينا دون شك[1]

وعلي بن محمود اليشكري (ت 680هـ/ 1281م) وكان بارعا في علم الفلك وحل الأزياج وعمل التقاويم الفلكية[2].

خامسا: علم الكيمياء[3].

استفاد المسلمون في علم الكيمياء من تراث من سبقهم سيما ما نقلوه عن اليونان[4]، وكان يسمى في بداية أمره **بعلم الصنعة**[5].

وخلال العصر الأيوبي لقي هذا العلم عناية بعض العلماء وبرز فيه اتجاهان مختلفان: **الأول**: ظل مرتبطا بالكيمياء القديمة -غير العلمية- والتي كان يشوبها الغموض والأوهام كالبحث عن **أكسير**[6] الحياة الذي يشفي من جميع الأمراض،

---

(1) ابن الفوطي، مجمع الآداب، 4/ 413ـ414.

(2) الصفدي، الوافي بالوفيات، 2/ 85.

(3) اختلف الباحثون حول أصل كلمة (كيمياء) واشتقاقها، هل هو من أصل مصري قديم، أم عبري، أم يوناني. ونرجح أن يكون اشتقاقها من الكلمة اليونانية (chio) الذي يفيد السبك والصهر والإذابة. للتفاصيل عن هذه الآراء المختلفة ينظر: الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص146؛ فيليب حتي، تاريخ العرب (مطول) (بيروت: 1953)، 2/ 464؛ عبد الرحمن بدوي، موسوعة الحضارة العربية، 1/ 261ـ262.

(4) فروخ، تاريخ العلوم عند العرب، ص241؛ برنال، العلم في التاريخ، 1/ 299.

(5) كما أطلق عليه في المصادر الإسلامية **بعلم التدبير، وعلم الميزان، وعلم جابر، وعلم صناعة الذهب والفضة**، الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص146؛ ابن الساعي، الجامع المختصر في عنوان التواريخ والسير (بغداد: 1934)، ص493؛ ابن خلدون، المقدمة، ص696.

(6) من الكلمة اليونانية، xeyos، ويسمى أيضا بحجر الفلاسفة، البيهقي، تاريخ حكماء الإسلام،

وكذلك الاعتقاد بإمكانية تحويل المعادن الرخيصة ـ كالحديد والرصاص إلى عناصرها الأولية وإعادة تركيبها بنسب وأوزان جديدة لتحويلها إلى معادن نفيسة كالذهب والفضة[1]، ولما كانت هذه الفكرة عملا لا يوثق به فقد أصبحت النظرة إلى الكيمياء من هذا النوع يشوبه الشك حتى عد في عقول الكثير من الناس علما وهميا، وقرن أحيانا كثيرة بأعمال السحر والشعوذة أو ما كانت تسمى بـ"**السيمياء**"[2].

ولم يحظ هذا الاتجاه بدعم وتشجيع العلماء الذين كانوا ينظرون إليه بعين الشك والريبة، واعتبر العلامة ابن خلدون العمل بالكيمياء وفق المنظور القديم ـ الخرافي ـ غير ذي فائدة، يقوم بممارسته أولئك العاجزون عن تحصيل معاشهم واعتبر أن من يقوم بممارسته لن يلقى في نهاية المطاف غير المتاعب والمشاق وخسارة الأموال في النفقات دون أن يظفر بمراده[3].

وخلال العصر الأيوبي ألف البعض من العلماء كتبا أكدوا فيها ذات الموقف الذي ذهب إليه ابن خلدون، ومن المفيد هنا الإشارة إلى موقف العلامة موفق الدين البغدادي الذي اجتهد في تحصيل الكيمياء وجرت بينه وبين العالم المغربي عبد الله بن نائلي - وكان مشهورا بالعلوم الرياضية والكيمياء - مناقشات مستفيضة حول الكيمياء أقنعت الموفق البغدادي بعدم جدوى ذلك العلم[4].

وتعززت قناعته أكثر خلال زيارته للقاهرة ولقائه عدد من علمائها ومنهم ياسين السيميائي الذي أكد له إمكانية الحصول على الذهب[5]. مما حدا بالموفق البغدادي إلى تصنيف بعض الكتب أكد فيها موقفه من الكيمياء التي تشوبها الخرافات

ص21؛ هامش (1)؛ مرحبا، الجامع في تاريخ العلوم، ص316؛ حتي، تاريخ العرب، 2/ 465.

(1) ابن خلدون، المقدمة، ص695؛ بدوي، موسوعة الحضارة العربية، 1/ 263.

(2) الذهبي، تاريخ الإسلام، ص255، 294؛ اليافعي، مرآة الجنان، 4/ 129؛ ستانوود كب، المسلمون في تاريخ الحضارة، ص93.

(3) المقدمة، ص719؛ مرحبا، الجامع في تاريخ العلوم، ص311.

(4) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص686.

(5) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص687.

منها كتاب: "**المحاكمة بين الحكيم والكيميائي**"[1] وله أيضا "**رسالة في المعادن وإبطال صنعة الكيمياء**"[2].

كما ويتضح الموقف المعارض لهذا الاتجاه من خلال ما أورده المؤرخ ابن واصل الحموي عن جمال الدين عبد الرحيم بن شيت السابق ذكره أنه كان ممن أحب الكيمياء، وسعى للحصول على الذهب لكنه تعرض لنقد شديد ولاذع من قبل الشاعر شرف الدين بن عنين السابق ذكره الذي هجاه ببيتين من الشعر يقول فيهما:

ومهوس بالكيمياء يقطع الأ — وقات بالآمال والتسويف

يبغي من الأموال تبرا خالصا — عقل لعمر أبيك جد سخيف[3]

وممن اهتم بالكيمياء بغية الحصول على الذهب نذكر: أبا القاسم محمد بن احمد العراقي (ت 580هـ/ 1184م) وكان كثير الترحل في طلب الكيمياء، رحل إلى الشام والحجاز ومصر والمغرب وترك عدداً من المؤلفات منها: "**العلم المكتسب في زراعة الذهب**" و"**الأقاليم السبعة في العلم الموسوم بالصنعة**" و"**كتاب في العلم والعمل والصنعة**" و"**النجاة والاتصال بعين الحياة**" و"**الكنز الدفين**"[4].

أما العالم محمد بن علي الشقاني (ت 621هـ/ 1224م) فقد عمل بالكيمياء وانفق فيها أموالا كثيرة بغية الحصول على معدن الذهب ولكن دون جدوى[5].

ويمكن القول أن علم الكيمياء لم يتحرر تماما من الخرافات التي شابته في الحقبة التي سبقت العصر الأيوبي لذلك قرن العمل به أحيانا أخرى بأعمال السحر وأحيانا

(1) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص696.

(2) القفطي، أنباه الرواة، 2/ 195؛ المقريزي، السلوك، 1/ 207، هامش (3).

(3) مفرج الكروب، 4/ 215ـ216.

(4) حمدان، أعلام الحضارة العربية، 2/ 258ـ259؛ كحالة، معجم المؤلفين، 3/ 82.

(5) ابن الشعار، قلائد الجمان في فرائد شعراء الزمان، مخطوطة في قسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة الموصل، ق7/ ورقة 197.

أخرى بالكرامة وعلم الباطن[1].

ومما يجدر الإشارة إليه أن العصر الأيوبي زخر بالاهتمام بعلم الكيمياء كعلم من العلوم الصرفة إضافة إلى علم الكيمياء من الناحية المعنوية أو ما كانت تعرف بكيمياء النفوس أو **كيمياء السعادة**[2] واقتصر بممارسته على بعض الصوفية مثل شهاب الدين السهروردي[3]، ومحي الدين بن عربي الذي ادعى أنه "**يعرف الكيمياء بطريق المنازلة لا بطريق الكسب**"[4].

وذكر العماد الكاتب الأصفهاني أنه قام سنة 576هـ/ 1180م بتعريب كتاب "**كيمياء السعادة**" من تصنيف الإمام أبي حامد الغزالي بناء على أمر القاضي الفاضل[5].

أما **الاتجاه الثاني** لعلم الكيمياء فهو ما يمكن أن نسميه بالكيمياء العلمية أو الحديثة والتي كانت تقوم على اعتماد الملاحظة الدقيقة والتجارب العلمية والعناية برصد نتائجها، واستبعاد ما هو خرافي، ولم يكن هذا الاتجاه في الكيمياء وليد العصر الأيوبي وإنما تعود العناية به إلى حقبة سابقة فقد عرف المسلمون منذ القرن 2هـ/ 8م الكثير من التجارب والعمليات الكيميائية، فعلى سبيل المثال وصف جابر بن حيان في كتابه الشهير "**الاستتمام**" الكثير من المركبات الكيميائية التي لم تكن معروفة من قبل والتي قام باستحضارها مثل: حامض الكبريتيك "**زيت الزاج**"، وحامض النتريك "**ماء الفضة**"، وكان يسميه أيضا بـ"**الماء المحلل**"، كما قام بتحضير الكلوريدريك وكان يعرف

(1) القفطي، تاريخ الحكماء، ص185؛ لوبون، حضارة العرب، ص572.

(2) ويمكن تعريفها بأنها سر الحصول على السعادة من خلال تهذيب النفس والسمو الروحي والمدارج والمعارف الربانية. الجرجاني، التعريفات، ص243.

(3) ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص642؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 13/ 5؛ ابن العماد، شذرات الذهب، 4/ 290.

(4) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 6/ 340.

(5) البنداري، سنا البرق الشامي، ق1/ 358؛ وقد استبعد ابن خلدون في مقدمته أن يكون للإمام الغزالي مثل هذا الكتاب رغم ما ينسبونه إليه. المقدمة، ص696.

باسم "**روح الملح**"، وهو أول من استخرج نترات الفضة "**حجر جهنم**"، وثاني كلوريد الزئبق "**السليماني**"، وحامض النيتروهيدروكلوريك "**الماء الملكي**" والذي كان يستخدم في إذابة الذهب، كما استخدم ثاني أوكسيد المنغنيز في صناعة الزجاج، وقام باستحضار مركبات الزئبق وكربونات البوتاسيوم وغيرها من المركبات[1].

ونظرا لأهمية الكيمياء فمن البدهي أن يتواصل الاهتمام به في العصور التالية، وعلى قدر تعلق الأمر بمصر في العصر الأيوبي نجد بروز عدد من العلماء ممن اهتموا بهذا العلم لاسيما مما له علاقة بصناعة العقاقير والأدوية وكيفية تركيبها[2].

كما توصل العلماء في ذلك العصر إلى عدد من الاختراعات في المواد الحربية، وعرفوا النيران الحربية "**الإغريقية**" واستعملوها في حروبهم، وبهذا الصدد ذكر المؤرخ ابن شداد عن شاب دمشقي اسمه علي بن عريف النحاسي تمكن أثناء حصار الصليبيين لمدينة عكا سنة 585هـ/ 1198م من الدخول إلى هذه المدينة المحاصرة وشرع بتحضير مزيج من المستحضرات الكيمياوية في قدور خاصة مهيئة لهذا الغرض وبعد إتمام عملية المستحضر رميت بواسطة المنجنيقات على المواقع الصليبية وتم بواسطتها إحراق عدد من الأبراج[3].

كذلك اهتم المسلمون بما يعرف بـ"**الكيمياء الصناعية**" أي استخدام المواد والعمليات الكيمياوية في خدمة الصناعة، فقد عمل كثيرون في صناعات ذات صلة بالكيمياء كصناعة الزيوت والصابون والعطور والأصباغ ودباغة الجلود، فضلا عن صناعة التعدين واستخراج المعادن كالنحاس الذي كان يستخدم في سك النقود[4]، كما عرفوا الحديد وسبكه، والرصاص والنفط والقار والكلس[5] إلى ما هنالك من

(1) بدوي، موسوعة الحضارة، 1/ 277؛ مرحبا، الجامع، ص319ـ320.

(2) المنذري، المصدر السابق ، 2/ 172؛ ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق ، ص579،584،628،767.

(3) النوادر السلطانية، ص121؛ وانظر: ابن خلدون، العبر، 5/ 321؛ الحنبلي، شفاء القلوب، ص162ـ163.

(4) المناوي، النقود والمكاييل والموازين، تحقيق رجاء محمود السامرائي (بغداد: 1981)، ص102.

(5) الهروي، التذكرة الهروية، ص84.

الصناعات ذات الصلة بالكيمياء.

سادسا: علم الموسيقى

وهو العلم الذي يعنى بتأليف الألحان والإيقاعات[1]، ويسمى مؤلف الألحان **بالموسيقار**، وهي كلمة يونانية[2].

لقد احتلت الموسيقى والغناء مكانا مهما وبدا الاهتمام به جليا في العصر العباسي لاسيما في المجتمعات التي مالت فيها الحياة إلى الدعة والترف فازدهرت الألحان وتنوعت الأنغام بسبب ما عرف عن الشعوب الأخرى التي دخلت في الإسلام من أنواع جديدة في اللحن والإيقاع فكان لابد من مواكبة التطور في الغناء والموسيقى[3].

وتواصل الاهتمام بالموسيقى والغناء في العصر الأيوبي، وحظي المجيدون لهذا الفن كل تقدير وعناية، كما شغف به بعض السلاطين الأيوبيين وأمرائهم، فعلى سبيل المثال دأب الملك العزيز عثمان على حضور المجالس التي كان يستدعى إليها المغنون والأدباء[4].

وعرف عن الملك الكامل ولعه بالموسيقى والغناء وذكر السبكي في طبقاته أنه كان مغرما بمغنية اسمها "**عجيبة**" كانت تتردد إلى مجالسه لتغني له "**بالجنك**[5] **على**

(1) الفارابي، كتاب الموسيقى الكبير، تحقيق غطاس خشبة (القاهرة: د/ ت)، ص15 (المحقق)؛ اخوان الصفا، رسائل اخوان الصفا، 1/ 49.

(2) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص136؛ الإنطاكي، تذكرة أولي الألباب، 3/ 488.

(3) عن تطور الموسيقى والغناء واهتمام الخلفاء العباسيين به ينظر: المسعودي، مروج الذهب، 4/ 131ـ139؛ نوفل محمد نوري، الأعياد والمناسبات ووسائل الترفيه في بغداد في العصور العباسية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة الموصل، 1996؛ ص143ـ150.

(4) الأندلسي، الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة، ص22ـ23.

(5) الجنك : كلمة فارسية وهي إحدى آلات الطرب عند الفرس.

الدف[1].

ويبدو أن افتتان الملك الكامل بالشعر قاده للاهتمام بالموسيقى والغناء سيما وأن هناك تداخلا بين الغناء والشعر والموسيقى، فإذا ما غرم الإنسان بجانب أغرم بالجانبين الآخرين.

ويذكر أن اهتمام المسلمين بالموسيقى الصوتية "**الغناء**" فاق اهتمامهم بموسيقى الآلة لوحدها ويعود ذلك حسب رأي المستشرق **هنري فارمر** إلى مدى تذوقهم للشعر[2].

ولم تقتصر مجالس الغناء بمصر على تلك التي كان يعقدها الملوك في قصورهم، بل وجدت كذلك المجالس الغنائية العامة التي كانت تعقد في الميادين والساحات العامة ويحضرها الناس من أجل التنزه والترفيه، وذكر العماد الأصفهاني أنه حضر بعضا منها بالقاهرة[3].

وما يعكس اهتمام الناس في ذلك العصر بالموسيقى والغناء مناظر الطرب والغناء المرسومة على العديد من التحف المعدنية الأيوبية، وكذلك التحف الخزفية والتي ظهرت عليها رسوم الموسيقيين مع آلاتهم الموسيقية المختلفة مثل العود والقيثارة والدف والناي وغيرها من الآلات بالإضافة إلى مناظر رجال البلاط من حيث ظهور الأمير الجالس على العرش يحيط به الحراس والخدم والمغنون[4].

ونظرا لسلوك الأيوبيين المحافظ وتمسكهم بشعائر الدين الإسلامي فقد تميزت المجالس الغنائية في عهدهم عما سواها كونها كانت منزهة عن الفسق والفجور وكل ما يمكن أن يتعارض مع الشرع الحنيف.

كما أن دعم الأيوبيين للفقهاء ساهم في بروز عدد من الفقهاء ممن اتخذوا

---

(1) طبقات الشافعية، 8/ 65.

(2) ينظر: تراث الإسلام، ترجمة جرجيس فتح الله (أربيل: 2000)، 2/ 522.

(3) البنداري، سنا البرق الشامي، ق1/ 233.

(4) سالم، الفنون الإسلامية في العصر الأيوبي، 2/ 107.

مواقف متشددة من الغناء والموسيقى إلى حد تحريمه[1] سيما من الفقهاء الحنابلة كالفقيه الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي الذي اعتبر الموسيقى والغناء من المنكرات التي يجب محاربتها، وعندما علم بأن بعض أبناء صلاح الدين قد عملت لهم آلات الطرب وحملت إليهم في بعض البساتين قام بكسرها، فجاءه رسول القاضي يأمره بالمشي ليناظره في الدف والشبابة فقال له الحافظ عبد الغني "**ذلك حرام عندي ولا أمشي إليه إن كان له حاجة يجيء هو**"[2].

كما يعزى إلى القاضي شرف الدين محمد بن عبد الله بن عين الدولة (ت639هـ/ 1241م) رفضه لشهادة الملك الكامل في إحدى القضايا التي تطلب فيها حضوره وعندما استفسر الملك الكامل عن سبب رفض شهادته أجاب القاضي ابن عين الدولة: "**كيف أقبلك و(عجيبة) تطلع إليك بجنكها كل ليلة وتنزل**"[3].

ورغم المواقف المتشددة من الموسيقى والغناء فإن تأثيرها وسلطانها على المسلمين كان كبيرا، ولم يكن بالإمكان الاستغناء عنه بالمرة لكونه من الفنون التي تلطف المشاعر، وترهف الأحاسيس، وتسمو بالنفوس، وتبعث فيها الراحة والبهجة[4].

وعلى هذا الأساس رافقت الموسيقى والغناء كل مرحلة من مراحل الحياة في المجتمع، ولجأ إليه الناس عند الفرح والسرور، وفي الأعراس والولائم والدعوات، وعند الحزن والمصائب، وفي الأسفار والحضر، وعند الراحة والتعب، وفي مجالس

---

(1) تباينت مواقف المذاهب الإسلامية من الموسيقى والغناء هل هي مباحة أم هي من المحظورات. للتفاصيل عن هذه المواقف ينظر: الغزالي، إحياء علوم الدين، 2/ 247ـ265؛ الألباني، تحريم آلات الطرب (دمشق: 1375هـ)، ص34 وما بعدها؛ عبد الإله يوسف الجديع، أحاديث ذم الغناء والمعازف في الميزان (الكويت: 1986).

(2) الذهبي، تذكرة الحفاظ، 4/ 1377؛ ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، 4/ 13.

(3) السبكي، طبقات الشافعية، 8/ 65.

(4) المسعودي، مروج الذهب، 4/ 134.

الملوك، ومنازل عامة الناس[1].

كما احتلت الموسيقى جانبا مهما في حياة المتصوفة الذين نظروا إليها بأنها وسيلة من وسائل الكشف ـ الوحي ـ وعن طريق الأنغام والإيقاعات الموسيقية نظم الدراويش في كثير من الأحيان إيقاعات الذكر[2].

كذلك اهتم بها الأطباء المسلمون وادخلوها في علاج المرضى سيما أولئك الذين يعانون من أمراض نفسية، وهذا ما يفسر لنا كثرة الأطباء الذين مارسوا فن الموسيقى أو كانوا على إلمام به، واعتبر البعض سماع الموسيقى بأنها من الأهمية بمكان بحيث لا يمكن الاستغناء عنه وذلك: "**لتعلقها بالنفس التي هي من أشرف أجزاء البنية**"[3].

ومن أطباء مصر الذين كان لهم إلمام بالموسيقى الموفق بن شوعة اليهودي، فمع براعته في مهنة الطب، كان خفيف الروح وكان يقول الشعر، ويلعب بآلة القيثارة، وسبق له أن دخل في خدمة السلطان صلاح الدين لما كان بمصر وعلت منزلته عنده[4].

كما كانت للموسيقى أهمية عسكرية وضمت الجيوش الأيوبية فرقا خاصة للموسيقى العسكرية التي كان لها دور هام في السوق الحربي، وفي استعراضات الجيوش وإثارة الحماس في نفوس المقاتلين[5]، وغدا الاهتمام بالموسيقى العسكرية واضحا من قبل الأيوبيين سيما السلطان صلاح الدين الذي ما أن مال الأمر إليه في مصر حتى قام بتنظيم ديوان **الطبلخاناه**[6]، ورتب نوابها[1]، وكان لهذا الديوان حسبما

---

(1) اخوان الصفا، رسائل اخوان الصفا، 1/ 185؛ عاشور، دراسات، ص267.

(2) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 5/ 373؛ بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص236.

(3) الإنطاكي، ذيل تذكرة الألباب، 3/ 488.

(4) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص581.

(5) القلقشندي، صبح الأعشى، 4/ 8.

(6) **الطبلخاناه**: ومعناه بيت الطبل ويشتمل على الطبول والأبواق والمزامير وتوابعها من الآلات ويتولى ذلك أمير من أمراء العشرات يعرف بـ"أمير علم" القلقشندي، صبح الأعشى، 4/ 13.

ذكره القلقشندي "**مهتار متسلم لحواصلها يعرف بمهتار الطبلخاناه، وله رجال تحت يده ما بين دبندار، وهو الذي يضرب على الطبل، ومنفر، وهو الذي يضرب بالبوق، وكوسي وهو الذي يضرب بالصنوج من النحاس بعضها على بعض وغير أولئك من الصناع**"[2].

وجرت العادة أن تضرب على هذه الآلات الموسيقية في مناسبات مختلفة، وبإيقاعات مخصوصة، وكانت الطبول والكوسات تدق بالقلعة كل ليلة مرتين بعد صلاة العشاء وقبل الفجر[3]، كما كانت الأجواق الموسيقية في صحبة السلاطين والقادة في الأسفار والحروب[4].

وكان لكل مناسبة إيقاعها الخاص، فقد كانت هناك إيقاعات خاصة حين تدعو الحالة إلى حشد العسكر حيث يبدأ أصحاب الصنوج والكوسات بالضرب، كما كانت هناك إيقاعات خاصة ببشائر النصر فحين وصل الخبر في الخامس من شوال سنة 587هـ/ 1191م بأن الأسطول الأيوبي استولى على مراكب الإفرنج التي كانت تحمل أكثر من خمسمائة شخص فرح المسلمون بذلك "**وضربت بشائر النصر ونعق بوق النصر**"[5].

ونظرا لأهمية الموسيقى فإنها أصبحت إحدى المواد التي اعتنى بها كثير من العلماء على اختلاف اهتماماتهم العلمية نذكر منهم: الطبيب احمد بن علي بن محمد المعروف بالرشيد الأسواني وكان ضالعا بعلوم الطب والفلك والهندسة والموسيقى[6]. وأبا الحسن علي بن أبي عبد الله النقاش (ت 574هـ/ 1178م) وكان من كبار

(1) المقريزي، المواعظ والاعتبار، 2/ 233؛ حسين، الجيش الأيوبي، ص167.

(2) ينظر ، صبح الأعشى ، 4/ 13.

(3)المصدر نفسه ، 4/ 8.

(4)المصدر نفسه ، المصدر نفسه، 4/ 7.

(5) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص196؛ حسين، الجيش الأيوبي، ص167.

(6) ياقوت، معجم الأدباء، 4/ 51؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، 1/ 160؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 7/ 220؛ السيوطي، بغية الوعاة، ص146؛ ابن العماد، شذرات الذهب، 4/ 197.

موسيقي القرن 6هـ/ 12م[1] وممن تخرج عليه أمين الدين أبو زكريا يحيى بن إسماعيل الأندلسي البياسي (ت 600هـ/ 1203م) الذي وصف كونه "**جيد اللعب بالعود، كما عمل الأرغن[2]، وحاول اللعب به**"[3].

ووصف الطبيب الشاعر فخر الدين رضوان بن محمد الساعاتي (ت604هـ/ 1207م) كونه خبيرا بعلم الموسيقى والشعر وله ديوان مشهور في أربعة مجلدات، نادم الملوك والسلاطين[4]، ووزر للملك المعظم عيسى بن الملك العادل صاحب دمشق وكان ينادمه ويلعب بالعود[5]. من قصائده التي كان يتغنى بها:

فؤادي وفودي بعد لمياء أشيب　　وقلبي على جمر الغضى يتقلب

إذا ماس غصن قلت قد مهفهف　　وإن لاح برق قلت كف مخضب[6]

ومن المشاهير أيضا: علي بن خليفة السابق ذكره الذي نشأ بمصر وبها تلقى معارفه في الطب والأدب، كما تلقى بها علم الموسيقى على جماعة منهم ابن الديجور المصري، وصفي الدين بن علي التبان، وشهاب الدين بن الحصن البغدادي[7]، وعندما عاد إلى الشام أحيا العديد من مجالس الغناء ونال إعجاب الملك الأمجد صاحب بعلبك، وكذلك الملك المعظم عيسى الذي اختاره نديما لا يفارقه في أكثر أوقاته[8].

---

(1) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص635ـ636.

(2) الأرغن ـ أو الأرغون البوقي ـ وهو من آلات النفخ الخشبية التي كانت تصنع من ثلاثة زقاق كبار يضم بعضها إلى بعض ويركب على رأس الزق الأوسط زق كبير ثم يركب على هذا الزق أنابيب صفر لها ثقب على نسب معلومة يخرج منها أصوات طيبة شجية. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص136.

(3) ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص637.

(4) ابن سعيد ، الغصون اليانعة، ص188.

(5) ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص662؛ ياقوت، معجم الأدباء، 11/ 142.

(6) ينظر: القصيدة كاملة: ابن سعيد ، المصدر السابق، ص122.

(7) ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق ، ص737.

(8) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه ، ص739.

كما نال إعجاب الملك الكامل محمد عند حضوره لإحدى مجالس الغناء عند أخيه الملك المعظم مما حدا به إلى إعطائه خلعة كاملة وخمسمائة دينار مصرية تكريما له[1]. وقد أفرد ابن أبي أصيبعة ترجمة مطولة له في طبقاته وقال عنه: "**أنه لم يكن في زمانه من يعرف الموسيقى واللعب بالعود مثله ولا أطيب صوتا منه**"[2]. كما أورد نماذج من شعره الذي كان يتغنى به نذكر منه:

يا صاحبي سلا الهوى وذراني ... ماذا تريدا من مشوق عاني

لا تسألاه عن الفراق وطعمه ... إن الفراق هو الممات الثاني

نادى الحداة دنا الرحيل فودعوا ... ففجعت في قلبي وفي خلاني

وسرت ركائبهم وقد غسق الدجى ... فأضاء ممن سار في الأصغان

وبكيت وجدا بعد ذاك فلم أجد ... أني وقد صار اللقاء أماني[3]

وترك علي بن خليفة العديد من المؤلفات في الطب والحساب وغيرها من العلوم منها: "**مقالة في نسبة النبض وموازنته إلى الحركات الموسيقارية**"[4].

ونظرا لمكانة مصر المرموقة في العصر الأيوبي ولكونها كانت تمثل جبهة الأيوبيين العريضة الواسعة. وإذا ما علمنا حاجة الدولة إلى تطور علم الموسيقى لما له من أهمية عسكرية في أيام السلم والحرب حيث كان للموسيقى والموسيقار دور أساسي في تجميع الجيوش والإعلان للحرب والتدريب وما إلى ذلك، ومن خلال تشجيع الحكام الأيوبيين للموسيقى لذلك فقد رحل العديد من محبي الموسيقى إلى مصر لأجل زيادة الكسب والحصول على الدعم، ومن أولئك الذين رحلوا إلى مصر وتلقوا بها معارفهم الموسيقية نذكر إسماعيل بن إبراهيم الماردييني السابق ذكره[5].

(1) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه ، ص739.

(2) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه ، ص737؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ص280.

(3) ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق ، ص746.

(4) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه ، ص750.

(5) الصفدي، الوافي بالوفيات، 9/ 66؛ كحالة، معجم المؤلفين، 1/ 356؛ حمدان، أعلام الحضارة،

كما أن تشجيع السلاطين الأيوبيين للموسيقى واهتمامهم بها دفع بهواة ذلك العلم للسفر إلى مناطق بعيدة من أجل تطوير مواهبهم وكمثال على ذلك سافر العلامة المصري علم الدين قيصر المشهور بتعاسيف إلى الموصل من أجل تلقي علم الموسيقى على شيخها كمال الدين أبي الفتح موسى بن يونس بن منعة (ت 639هـ/ 1241م)[1]، وذكر أنه قرأ عليه أكثر من أربعين كتابا في علم الموسيقى في فترة وجيزة لم تتعد ستة أشهر[2].

وعرف عن القاضي فخر الدين عثمان بن علي الأنصاري (ت 719هـ/ 1319م) كونه فقيها فاضلا تولى قضاء قوص مدة، وكان له إلمام بالعربية والأدب، كما كان **"يشارك في علم الموسيقى، ويطبق الألحان على الكلام تطبيقا حسنا"**[3].

= 1/ 152.

(1) ينظر: ترجمته: ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص410ـ412؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، 5/ 311ـ318؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ص294ـ295.

(2) ابن خلكان، المصدر السابق، 5/ 316، الصائغ، الملك الكامل، ص181.

(3) الصفدي، أعيان العصر، 2/ 1071.

الفصل الخامس

المراكز التعليمية والثقافية

أولاً: الكتاتيب

ثانيا: المساجد والجوامع

ثالثاً: المدارس

أ. المدارس الشافعية

ب. المدارس المالكية

جـ. المدارس الحنفية

د. المدارس المشتركة

رابعاً: دور الحديث

خامساً: الخوانق والأربطة والزوايا

سادساً: البيمارستانات

سابعاً: المكتبات وخزائن الكتب



الفصل الخامس

المراكز التعليمية والثقافية

أولى الأيوبيون اهتماماً ملحوظاً بالمراكز التعليمية وفي مقدمتها المدارس التي كان لها دور رائد في النهضة الفكرية التي شهدتها مصر باعتبارها مقراً للعلماء ومرتعاً خصباً تجري فيه مختلف الفعاليات والأنشطة العلمية، ومن أهم تلك المؤسسات نذكر:

أولاً ـ الكتاتيب (مراكز التعليم الأولي):

كان نظام التعليم عند المسلمين يمر بسلسلة متصلة من المراحل الدراسية تبدأ عادةً بالكتاتيب ومفردها "كتاب" أو "مكتب" وهي المراكز التي تهتم بتعليم الصبيان[1]، مبادئ الدين وفي مقدمتها قراءة القرآن الكريم وحفظه لأنه يعد أساس التعليم الذي درج عليه المسلمون في جميع الأمصار الإسلامية[2].

كما يتعلم الصبيان في تلك المكاتب أوليات الحساب والنحو وبعض الأشعار، وتلقى عليهم دروس في التاريخ لاسيما في السيرة النبوية وقصص الأنبياء فضلاً عن توجيههم نحو الفضائل والتحلي بالأخلاق الحميدة كطاعة الوالدين والانقياد لأمرهما بالسمع والطاعة إلى ما هنالك[3].

وانتشرت الكتاتيب بمصر خلال العصر الأيوبي كغيرها من بلاد المسلمين، وتحدث الرحالة ابن جبير عن بعضها وأشار أن تعليم القرآن الكريم فيها كان يجري بأسلوب الحفظ والتلقين وليس بالكتابة تنزيها لكتاب الله عز وجل عن ابتذال الصبيان

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، 1/ 699.

(2) ابن خلدون، المقدمة، ص740 ؛ علوان ، صلاح الدين ، 167.

(3) الشيزري، نهاية الرتبة، ص103، ابن بسام، نهاية الرتبة، ص161.

له بالإثبات والمحو، أما تعليم الكتابة والخط فكان يجري بواسطة تكتيبهم للأشعار[1].

واعتاد بعض معلمي الصبيان على عقد مجالسهم بالمساجد[2] على الرغم من التوصيات الكثيرة التي وردت في كتب الحسبة والتي نصّت على أنه: "**لا يجوز تعليم الصبيان في بيوت الله لأن النبي ﷺ أمر بتنزيه المساجد من الصبيان والمجانين لأنهم يسودون حيطانها وينجّسون أرضها إذ لا يحترزون من البول وسائر النجاسات**"[3] لذلك غالباً ما كان معلمو الصبيان يعقدون حلقات الدرس في بيوتهم[4] أو في حوانيت عملهم بالأسواق[5]، أو بالقرب من المساجد[6]، ولكن ليس في المساجد إذ كان يُخشى دخول الصبية إليها على غير طهارة.

والهدف الأساس لإنشاء الكتاتيب هو لتعليم أبناء المسلمين لاسيما الأيتام والفقراء ومن انقطعت بهم السبل من الغرباء[7]، وكان الأيوبيون سباقين في هذا المجال. من ذلك أن تعهد صلاح الدين بتعليم أبناء المسلمين وأجرى عليهم نفقة كافية وأشار ابن جبير إلى تلك الرعاية المتميزة بقوله: "**وللأيتام من الصبيان محضرة كبيرة بالبلد لها وقفٌ كبير يأخذ منه المعلم ما يقوم به وينفق منه على الصبيان ما يقوم بهم وبكسوتهم**"[8].

ومن الجدير بالذكر أن الكتاتيب لم تكن جميعها تحت إشراف الدولة أو من إنشائها بل كان بعضها مؤسسات خاصة بأصحابها يعلّمون فيها الأطفال وليس للدولة دخل في إنشائها أو الإشراف عليها ويتولى عادة آباء الأولاد دعمها عن طريق

---

(1) رحلة ابن جبير، ص191؛ شلبي، تاريخ التربية، ص47.

(2) المنذري، التكملة، 3/ 398؛ 532؛ ابن الجزري، غاية النهاية، 1/ 560.

(3) الشيزري، المصدر السابق ، ص103؛ ابن بسام، المصدر السابق ، ص161.

(4) ابن العماد، شذرات الذهب، 6/ 30.

(5) الشيزري، المصدر السابق، ص103، ابن بسام، المصدر السابق، ص161.

(6) ابن سعيد ، الغصون اليانعة، ص19.

(7) Eliseeff Op.cit , Vol., 3, P., 810.

(8) رحلة ابن جبير، ص191.

دفع الأجور للمعلم لقاء تعليم أولادهم وأصبح إنشاؤها تقليداً متبعاً طيلة العصرين الأيوبي والمملوكي[1].

ولما كان دور الكتاتيب مهماً في تأسيس القاعدة العلمية والتربوية للتلاميذ فقد اشترط العلماء في معلم الصبيان شروطاً خاصة يجب توافرها كأن يكون على منزلةٍ رفيعة من الخلق والأدب والدين، أميناً على أطفال المسلمين لا يستخدم أحداً منهم في قضاء حوائجه وأشغاله الشاقة أو التي فيها إهانتهم[2].

ولمعلم الصبيان أن يستعين بالعصا لتقويم الأخلاق إذا لزم الأمر على أن لا يكون الضرب: "**بعصا غليظة تكسر العظم ولا رقيقة تؤلم الجسم، بل تكون وسطاً ... ويعتمد بضربه على اللوايا والأفخاذ وأسافل الرجلين لأن هذه المواضع لا يُخشى منها**"[3].

وكان يساعد المعلم في عمله شخص يدعى بـ"**العريف**" وهو أشبه بالمعيد في المدرسة وربما كان في المكتب الواحد أكثر من مؤدب وعريف لاسيما إذا كان عدد التلاميذ كبيراً[4].

والملاحظ أن تخرّج الصبيان في الكتاتيب لم يكن بوقت واحد لأنهم لم يكونوا بدرجة واحدة من الكفاءة، لذلك كان بعضهم يسبق البعض الآخر في تخرجه، وكان أكثر المعلمين من **المقرئين**، كما كان من بينهم **الفقهاء والمحدثون والأدباء وعلماء النحو**. وامتهن بعضهم هذه المهنة عملاً إضافياً إلى جانب مهنهم الأصلية تطوعاً لوجه الله تعالى، بينما امتهنها آخرون رغبةً في الحصول على الأجر لاسيما أولئك الذين يعانون الفقر وكانوا بحاجة إلى الأجور لإدامة معيشتهم[5].

(1) المقريزي، السلوك، 2/ 4.

(2) ابن بسام، المصدر السابق، ص162.

(3) ابن بسام، المصدر نفسه ، ص162، عاشور، مصر في عصر دولة المماليك، ص192.

(4) ربما تجاوز عدد التلاميذ في المكتب الواحد بضع مئات وربما اقتصر عددهم على عدد محدود لا يتجاوز ثلاثين طالباً. ينظر: ياقوت، معجم الأدباء، 4/ 272؛ الصفدي، نكت الهميان، ص251؛ مصطفى، المدن في الإسلام، 2/ 690.

(5) منير أحمد، تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس الهجري، ترجمة سامي الصقال (الرياض: 1981)، ص52.

ومن مشاهير معلمي الصبيان بمصر نذكر: المقرئ أبا القاسم عبد الغني بن علي بن إبراهيم النحاس (ت595هـ/ 1198م)[1] وكان مؤدباً بزقاق القناديل[2]، والمقرئ أبا العلى مرتفع بن حسين السراج المؤدب (ت604هـ/ 1207م)[3]، والنحوي الأديب ورد بن أبي المكارم بن عبد الغالب بن سلامة (ت617هـ/ 1220م) وكان يؤدب الصبيان بمكتبه بالقاهرة[4].

وأبا زكريا يحيى بن علي بن سلامة المؤدب (ت624هـ/ 1226م) وكان حسب وصف المصادر "**لا يمل ولا يزجر من التعليم**"[5]. والفقيه أبا العباس أحمد بن العزيز القرشي المخزومي (ت632هـ/ 1234م) وكان يؤدب الصبيان في المسجد الذي يؤم به الناس بالقاهرة[6]. والشيخ أبا محمد عبد الله بن محمد بن يوسف الأندلسي (ت635هـ/ 1237م) قدم مصر بعد سنة 580هـ/ 1184م وأقام بالقاهرة مدة يعلم الصبيان[7].

واتخذ المقرئ أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم عبد الرحمن المصري (ت636هـ/ 1238م) من **مسجد المنارة** بالفسطاط مكاناً لتعليم الأطفال[8]. أما الشيخ المقرئ أبو الطاهر إسماعيل بن إبراهيم بن علي الزفتاوي الشافعي (ت637هـ/ 1239م) فقد تولى تدريس الصبية بمسجد الإمام الشافعي[9].

ومن معلمي الكتاتيب أيضاً: المقرئ المفسر منصور بن سرار بن عيسى

---

(1) المنذري، التكملة لوفيات النقلة، 1/ 324.

(2) ويسمى أيضاً بزقاق القنديل. وبها منازل الأشراف وعلى أبوابهم علقت القناديل ومنها جاءت التسمية. ابن دقماق، الانتصار عقد الأمصار، 4/ 13-14.

(3) المنذري، المصدر السابق، 2/ 144.

(4) المنذري، المصدر نفسه ، 3/ 28.

(5) المنذري، المصدر نفسه، 3/ 209.

(6) المنذري، المصدر نفسه، 3/ 398؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ص79.

(7) المنذري، المصدر السابق، 3/ 470.

(8) المنذري، المصدر نفسه ، 3/ 515.

(9) المنذري، المصدر نفسه، 3/ 532.

الأنصاري السابق ذكره، وكان من حذاق المقرئين بمصر، نظّم أرجوزة في القراءات وصنف تفسيرا للقرآن[1]. والشيخ المحدث زين الدين أبو محمد الحسن بن عبد الكريم الغماري المصري (ت712هـ/ 1312م) وكان قد اتخذ من منزله مكاناً لتعليم الأطفال القراءة والكتابة[2]. بالإضافة إلى آخرين[3].

ولئن كان أبناء العامة يتعلمون في الكتاتيب فإن أبناء الأمراء والخاصة كان يُحضر لهم مؤدبون إلى قصور آبائهم وكان منهج دراستهم هو منهاج الكتاتيب نفسه إلا أنه يضاف إليها مواد أخرى يُشارك الأب أو ولي الأمر في وضعها لتكون ملائمة لابنه لكي يكون مؤهلاً لتحمل الأعباء في المستقبل ومن بين المواد التي قد تضاف إلى منهاج تعليمهم التدريب على الرمي وركوب الخيل (**الفروسية**) والسباحة[4].

وقد حرص الأيوبيون وأمراؤهم على اختيار المؤدبين ذوي الكفاءة لتعليم أبنائهم وأغدقوا عليهم الأموال والمناصب وكثيراً ما كان يفرد لهم جناح خاص بالقصر أو تخصص لهم داراً مستقلة بجوار القصر الذي يسكنه الأمير[5].

وكانت وظيفة المؤدب بخلاف معلمي الصبيان من الوظائف الجذابة للغاية التي تضع من يشغلها في مكانة عالية وتخلع عليه حلة من الجلال.

وممن تولى تعليم أبناء الخاصة نذكر: الأديب الشاعر النحوي نجم الدين بن مجاور يوسف بن الحسين (ت601هـ/ 1204م) اختاره السلطان صلاح الدين مؤدباً لابنه العزيز وكان في بداية أمره معلماً للصبيان وله مكتب على باب جامع دمشق[6]. ثم تحسنت أحواله بعد اتصاله بالبيت الأيوبي وأصبح ممن يحضر المجالس الخاصة

---

(1) الداوودي، طبقات المفسرين، 22/ 338-339؛ ابن الجزري، غاية النهاية، 2/ 312.

(2) الصفدي، أعيان العصر، 2/ 582؛ ابن العماد، شذرات الذهب، 6/ 30.

(3) المنذري، المصدر السابق ، 3/ 321، 323، 565...

(4) ابن الأثير، اللباب، 3/ 267.

(5) أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، 1/ 267.

(6) ابن سعيد ، المصدر السابق، ص19.

بالملك العزيز عثمان الذي أغدق عليه الأموال[1]، كما استوزره في نيابته عن أبيه بمصر ثم فوّض إليه جميع أمور دولته لما آل إليه الأمر بعد موت صلاح الدين وكان ابن المجاور "**أهلاً لذلك لما جمع من الفضائل والآداب ومكارم الأخلاق**"[2].

ومن مشاهير المؤدبين بمصر أيضاً: الشيخ نجيب بن بشارة بن محرز بن رحمة السعدي الشافعي (ت613هـ/ 1216م) تولى تعليم أبناء الأمراء منهم ولد القاضي الفاضل وكذلك ولد الوزير صفي الدين بن شكر[3].

ثانياً – الجوامع والمساجد:

اضطلعت الجوامع و المساجد بدور كبير في إذكاء الحركة الثقافية في البلاد الاسلامية، فكانت تعج بالمصلين وطلاب العلم ، وكان منهم الماهر في علم القراءات أو التفسير ، كما كان منهم النابغ في النحو والصرف والعروض وأوزان الشعر ، لذلك أصبح وجودها في المدينة الإسلامية ضرورة ملحة بحكم الوظائف المتعددة التي اضطلعت بها، فهي إلى جانب كونها أماكن دينية مقدسة أنشئت لغايات دينية، كانت مركزاً للعديد من النشاطات السياسية والاجتماعية والاقتصادية[4]، فضلاً عن كونها المعاهد الأولى للتعليم عند المسلمين ومراكز للاشعاع الفكري والحضاري على مر العصور[5].

ولم تكن الحلقات العلمية في المساجد مقصورة على العلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه بل تعدتها إلى سواها من العلوم كدراسة العلوم الاجتماعية وعلوم اللغة العربية[6] وغيرها، وذكر الموفق البغدادي أن درساً في الطب كان يُلقى في الجامع

(1) ابن سعيد ، المصدر نفسه، ص22.

(2) ابن سعيد ، المصدر نفسه، ص19.

(3) المنذري، المصدر السابق ، 2/ 366؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ص166.

(4) حسين مؤنس، المساجد (الكويت: 1981)، ص34؛ مصطفى، المدن في الإسلام، 2/ 186.

(5) خالد خليل حمودي، "نشأة المدارس في العصر الإسلامي"، مجلة آفاق عربية، ع(1)، بغداد، 1978، ص112؛ النبراوي، تاريخ النظم، ص224.

(6) المنذري، التكملة، 1/ 470، 2/ 99، 3/ 213، 613؛ الذهبي، العبر، 3/ 84، 135، 139، 201؛

الأزهر في منتصف نهار كل يوم[1]، مما يدل على دور المساجد في تبني العلوم والعمل على ازدهارها.

ولأهمية المسجد في حياة المسلمين فإنها كانت في مقدمة المؤسسات التي استرعت انتباه الرحالة المسلمين فعلى سبيل المثال ذكر ابن جبير في رحلته العديد من الجوامع منها تسعة في مصر فضلاً عن ذكره للمساجد فيها دون أن يتمكن من حصرها لكثرتها فعند حديثه عن الإسكندرية مثلاً قال: "**إنها أكثر بلاد الله مساجد وتقدير الناس لها مختلف فمنهم المكثر والمقلل فالمكثر ينتهي في تقديره إلى اثني عشر ألف مسجد، والمقلل ما دون ذلك لا ينضبط فمنهم من يقول ثمانية آلاف ومنهم من يقول غير ذلك**"[2].

كذلك أشار ابن جبير بالرعاية المتميزة التي أولاها الأيوبيون للمساجد والجوامع باعتبارها المراكز الثقافية والدينية ومراكز تجمع المسلمين ومن خلالها يتعرف الشعب على أنشطة أمرائهم، ومنها يشاد بهم وبأعمالهم، وجاء عنه قوله: "**وما من جامع من الجوامع ولا مسجد من المساجد ... ولا مدرسة من المدارس إلا وفضل السلطان يعم جميع من يأوي إليها ويلزم السكنى فيها تهون عليه في ذلك نفقات بيوت الأموال**"[3].

وذكر العبدري أنه ما حل بلداً إلا وقصد الجامع أولاً ليتعرف على الشيوخ وطلبة العلم فيجد فيهم الصاحب والأهل ، وكان إكرام الناس له يصل إلى حد أن بعضهم كان يترك عمله ومصالحه ليعينه ويرافقه طيلة مدة إقامته[4].

ومن الملاحظ أن المساجد بمصر في العصر الأيوبي لم تكن لتختلف عن المدارس في الكثير من الوظائف والمهام التي تشابهت إلى حد يقرب من التطابق، بمعنى أن

= السيوطي، بغية الوعاة، ص168، 233، 293، 308، 416.

(1) ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق ، ص689.

(2) رحلة ابن جبير، ص47.

(3)المصدر نفسه، ص53.

(4) رحلة العبدري، ص280.

المساجد كانت مكاناً للعبادة والدرس في حين صارت المدارس مكاناً للدرس والعبادة على أن المساجد اضطلعت بدور اجتماعي أكبر كونها أخذت على عاتقها تحويل القيم والمبادئ الإسلامية إلى سلوك واقعي فكانت بمثابة الممثل الحقيقي لروح الإسلام[1].

كما كانت بمثابة مركز ترابط الجماعة الإسلامية يجتمع فيه المسلمون على اختلاف طبقاتهم للعبادة، فضلاً عن كونها ملجأ للفقراء والمعوزين ودور ضيافة للمسافرين والغرباء بخاصة طلبة العلم[2].

وتزخر كتب التاريخ والتراجم بأخبار العلماء والفقهاء الذين اتخذوا من المساجد أمكنة ملائمة يتزودون بالعلوم والمعارف، وفي رحاب المساجد نبغ الكثير من العلماء الأفذاذ من الفقهاء والمحدثين واللغويين والمؤرخين وغيرهم من رجال الفكر.

واستمرت المساجد والجوامع تؤدي رسالتها الدينية بالإضافة إلى كونها معاهد تعليمية حتى بعد ظهور المدارس وانتشارها بمصر، وفيما يلي ذكر لأهم المساجد والجوامع ممن اشتهرت بحلقاتها العلمية خلال الحقبة موضوع البحث:

أ- الجوامع:

ونعني بها المساجد الجامعة التي تقام فيها صلاة الجمعة وكانت في مقدمة المراكز الدينية التي حظيت برعاية الأيوبيين وعنايتهم ، وجرت العادة أن يقام جامع واحد فقط في المدينة الاسلامية للدلالة على وحدة المسلمين ، وعندما اتسعت المدينة بساكنيها جوز الفقهاء بإنشاء أكثر من جامع في المدينة الواحدة ، ولعل من أشهر الجوامع بمصر في الحقبة موضوع الدراسة :

- جامع عمرو بن العاص:

واشتهر باسم **الجامع العتيق** لكونه أول جامع يبنى بمصر (الفسطاط) بعد الفتح الإسلامي لها، ويقال له أيضاً **تاج الجوامع**[3] ويرجع بناؤه إلى الوالي عمرو بن العاص

(1) عثمان، المدينة الإسلامية، ص359.

(2) خسرو، المصدر نفسه، ص106؛ ابن جبير، رحلته، ص51، 52؛ لوبون، حضارة العرب، ص515.

(3) ابن دقماق، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ق1/ 59؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار، 2/ 246.

سنة 21هـ/ 642م[1]، وكان بناؤه أول الأمر بسيطاً، ولم يكن لـه صـحن متـسع وأقـيم سقف مسجده على أعمدة من جذوع النخل ثم وسع الجامع وأعيـد بنـاؤه أكثـر مـن ست عشر مرة كان أولها سنة 53هـ/ 672م على يد والي مـصر الأمـوي مـسلمة بـن مخلد الأنصاري[2].

وفي العصر الفاطمي أصبح الجامع العتيق مقراً لقاضي القضاة الشيعي[3]، وقام الفاطميون بتجديده والزيادة في مساحته وبنائه أكثر من مرة لعـل أشـهرها تلـك الـتي شُرع العمل بها سنة 387هـ/ 997م بناءً على أمر الخليفـة الحـاكم بـأمر الله الفـاطمي الذي أطلق نحو ألفي دينار لإعادة ترميمه والزيادة في بنائه وفرشـه وتزيينـه بـأكثر مـن مائة قنديل فضي كانت تضاء مساء كل يوم[4].

ولما دخل الصليبيون مصر سنة 564هـ/ 1168م أمر شاور وزير الخليفة العاضد الفاطمي بإحراق المدينة فأصيب الجامع ببعض الأذى وتشعث بنـاؤه وبياضـه بـسبب الحريق[5]. وما أن تملك صلاح الدين مصر حتى أعاد إليه رونقه وأمـر بتجديـد بنائـه سنة 568هـ/ 1172م[6]، كما رصد له الكثير من الأوقاف والأموال ، وذكر ابن جـبير أن لهذا الجامع "**من الفائدة نحو الثلاثين ديناراً مصرية في كل يـوم تتفـرق في مـصالحه ومرتبات قومته وسدنته وأئمته والقراء**"[7].

ومن خلال رصد الدور الذي اضطلع به الجامع العتيق يمكن القول أنـه أصـبح بمثابة قلب الفسطاط الديني والفكري طيلة العـصر الأيـوبي، حيـث كانـت تقـام فيـه

(1) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد (بيروت: 1960)، ص237؛ ابن دقماق، الانتصار، ق1/ 62.

(2) ابن دقماق، الانتصار، ق1/ 62؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار، 2/ 247.

(3) خسرو، المصدر السابق ، ص107.

(4) خسرو، المصدر السابق ، ص106-107؛ الداوداري، كنز الدرر، 6/ 261.

(5) القزويني، آثار البلاد، ص236-237؛ ويذكر الداوداري أن النصارى هـم الـذين تـسببوا في إحـراق الجامع بسبب الجور الذي وقع عليهم من الفاطميين. ينظر: كنز الدرر، 7/ 39.

(6) ابن دقماق، الانتصار، ق1/ 69؛ المقريزي، المواعظ، 2/ 251.

(7) رحلة ابن جبير، ص51.

الصلوات وتعقد فيه مجالس القضاء الأعلى ومجالس الفقه والحديث والآداب[1]، ولم يكن الجامع ليخلو في "**أي وقتٍ من أوقات الليل والنهار من طلاب العلم والغرباء**"[2]. وشملت حلقات العلم فيها مختلف فروع الثقافة المعروفة، وكان بالجامع أكثر من زاوية لتدريس الفقه من أشهرها **زاوية الإمام الشافعي** (ﷺ) التي يُعتقد أن الإمام الشافعي درّس بها فعرفت به[3]، وأطلق عليها أيضاً "**الزاوية الصلاحية**" نسبة إلى صلاح الدين الأيوبي[4].

وبها أيضاً الزاوية المجدية نسبة إلى واقفها مجد الدين البهنسي الشافعي (ت628هـ/ 1230م) وزير الملك الأشرف موسى بن العادل ورصد لها أوقافا عدة بمصر والقاهرة، واعتبر تولي التدريس فيها من المناصب الجليلة[5].

ومن كبار الفقهاء الذين تصدروا تدريس الفقه الشافعي نذكر: الفقيه أبي الفتح محمد بن محمود الطوسي الشافعي[6]، وأبا الحسن علي بن هبة الله بن سلامة المصري المعروف بابن الجميزي[7]، وأبا التُقى صالح بن بدر بن عبد الله الزفتاوي (ت630هـ/ 1232م)[8]، وعبد الرحمن بن أبي الحسن القرمسيني[9] (ت634هـ/ 1236م)[10]، وقاضي القضاة وجيه الدين عبد الوهاب بن الحسين

---

(1) محمد عبد الله عنان، مصر الإسلامية، تاريخ الخطط المصرية (القاهرة: 1969)، ص240.

(2) خسرو، سفرنامة، ص106.

(3) ابن بطوطة، رحلته، ص56؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار، 2/ 255.

(4) القلقشندي، صبح الأعشى، 4/ 40.

(5) ابن دقماق، الانتصار، ق1/ 100؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار، 2/ 256.

(6) المنذري، التكملة لوفيات النقلة، 1/ 365.

(7) أبو شامة، الذيل، ص187؛ ابن الصابوني، تكملة اكمال، ص298-299؛ ابن دقماق، الانتصار، ق1/ 100.

(8) المنذري، التكملة، 3/ 352؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ص362.

(9) قرمسين بالفتح ثم السكون وتسمى أيضا كرمنشاه بلد معروف بينه وبين همدان ثلاثون فرسخا قرب الدينور ، ياقوت معجم البلدان 4/ 330.

(10) المنذري، التكملة، 3/ 432.

البهنسي (ت685هـ/ 1286م)[1]، وآخرين لا حصر لهم[2].

ومما يدل على نشاط الحركة العلمية في جامع عمرو بن العاص أن حلقات التدريس فيه لم تقتصر على العلوم الدينية من فقه وقراءات وتفسير وإنما كان الجامع من أهم مراكز دراسة علوم العربية لاسيما النحو طيلة العصر الأيوبي، ومن كبار النحويين الذين كان لهم نشاط فيه نذكر: عثمان بن علي الصقلي النحوي المذكور آنفا[3]، والعلامة عبد الله بن بري[4]، وأبا الخير سلامة بن عبد الباقي (ت590هـ/ 1193م)[5]، وأبا الحسن يحيى بن عبد الله الأنصاري النحوي (ت623هـ/ 1226م)[6].

كما حلّ به عدد من علماء النحو المغاربة مثل أبو محمد عبد العزيز بن سحنون الغماري الذي قدم مصر سنة 568هـ/ 1172م وتصدر تدريس العربية بالجامع إلى حين وفاته سنة 624هـ/ 1226م[7] وكذلك أبو الحسن يحيى بن عبد المعطي الزواوي النحوي الشهير[8].

- **جامع الأزهر:**

وهو أقدم الجوامع الفاطمية وأشهرها في القاهرة شيده جوهر الصقلي قائد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله بعد دخوله مصر وتم افتتاحه في السابع من رمضان

(1) ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، 2/ 38-39.

(2) المنذري، التكملة، 1/ 186، 193، 220، 470، 2/ 67، 108، 162، 3/ 214، 285، 294، 320، 327، 436، 516؛ الذهبي، العبر، 3/ 104، 135؛ ابن الجزري، غاية النهاية، 1/ 310، 379...

(3) اليماني، إشارة التعيين، ص203.

(4) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 21/ 136؛ العبر، 3/ 84؛ السبكي، طبقات الشافعية، 7/ 121.

(5) الصفدي، نكت الهميان، ص160.

(6) المنذري، التكملة، 3/ 193.

(7) السيوطي، بغية الوعاة، ص308.

(8) الذهبي، العبر، 3/ 201؛ اليافعي، مرآة الجنان، 4/ 53؛ السيوطي، بغية الوعاة، ص416.

سنة 361هـ/ 972م[1] وأصبح منذ ذلك اليوم مسجد الفاطميين الرسمي الذي تقام فيه صلاة الجمعة فضلاً عن كونه مركزاً علمياً اهتم بتخريج الفقهاء الشيعة[2]، لذلك تعهد الخلفاء الفاطميون بتجديده واعماره في أوقات مختلفة[3]، وأصبح في عهدهم يمثل جامعة علمية كبرى[4].

وكانت إيرادات الأزهر تعتمد على مصدرين رئيسيين هما الأوقاف أو الأحباس والصدقات العامة مما كان يوهب له في مختلف المواسم والمناسبات، وأول من تولى التدريس فيه في العصر الفاطمي: القاضي أبو الحسن بن النعمان بن محمد (ت374هـ/ 984م)[5].

وعندما قامت الدولة الأيوبية سعى صلاح الدين إلى إزالة كل الآثار المذهبية للدولة الفاطمية، وبناءً على ذلك أفتى قاضي القضاة الكوردي صدر الدين عبد الملك بن درباس سنة 568هـ/ 1871م بتفرغ جامع الأزهر لمهمة التعليم وتخريج الطلاب، وتم الاكتفاء بإقامة الخطبة في جامع الحاكم بأمر الله حيث في كل بلد مسجد جامع واحد يتفرغ فيه للخطابة وذلك لأن الجامع الأخير أوسع رحاباً[6]، ومنذ ذلك التاريخ بقي الأزهر متفرغاً للشؤون العلمية لا تقام فيه خطبة الجمعة حتى عهد الملك الظاهر بيبرس حيث أعيدت إليها صلاة الجمعة والخطبة ثانية وذلك في الثامن عشر من ربيع الآخر سنة 665هـ/ 1266م[7].

(1) المقريزي، المواعظ والاعتبار، 2/ 273؛ ابن اياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور (مصر: 1311هـ)، 1/ 46.

(2) M.A ,Shaban., Islamic History (London: 1970), Vol. 2, P. 128.

(3) للتفاصيل ينظر: المقريزي، المواعظ والاعتبار، 2/ 273-275.

(4) القصري، مظاهر الثقافة، ص242؛ زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، جـ4/ 16.

(5) المقريزي، المواعظ والاعتبار، 2/ 274؛ الداوداري، كنز الدرر، 8/ 122؛ مؤنس، المساجد، ص205.

(6) المقريزي، المصدر نفسه ، 2/ 275.

(7) ابن كثير، البداية والنهاية، 13/ 248-249؛ المقريزي، السلوك، 2/ 42؛ المواعظ والاعتبار، 2/ 275؛ الداوداري، كنز الدرر، 8/ 121.

ومن الجدير بالذكر أن تغيير مكان الخطبة في العصر الأيوبي بعيداً عن جامع الأزهر مسألة طبيعية لأن الخطبة كانت دينية سياسية، والأزهر يعبّر عن الواقع السياسي الديني للفاطميين. واستمرار الخطبة فيه يعني تبعية الأيوبيين للفاطميين وتغيير مكان الخطبة دلالة على الوعي السني للأيوبيين ورغبتهم الأكيدة بالإعلان عن كون سياستهم ودولتهم تختلف عن الدولة الفاطمية القديمة.

على أن قطع الأيوبيين للخطبة من الأزهر لم يعطل صفة الأزهر التعليمية حيث ظل الجامع محتفظاً بكثير من هيبته العلمية القديمة، وكان يضم دائماً من الطلاب العدد الكثير وذلك لاتساع مجال الدراسة التي شملت العلوم الدينية واللغوية والطب والفلك والرياضيات وغيرها من العلوم، لذلك قصده الطلاب من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، ومن العلماء البارزين الذين وفدوا عليه في العصر الأيوبي نذكر: العالم الطبيب الرحالة موفق الدين البغدادي الذي قدم مصر سنة 589هـ/ 1193م و"**تصدر في الأزهر لتدريس الطب والفلسفة والمنطق**"[1].

وتصدر النحوي نصر بن محمد بن عبد الله الموصلي البغدادي (ت630هـ/ 1232م) لتدريس العربية[2]، أما الفقيه أبو العباس أحمد بن أبي القاسم بن عنان المالكي (ت640هـ/ 1242م) فتولى تدريس علم الكلام وانتفع به جماعة كبيرة[3].

- جامع الأقمر:

أنشأه المأمون البطائحي وزير الخليفة الآمر بأحكام الله الفاطمي سنة 519هـ/ 1125م، ويقع في شارع أمير الجيوش قرب باب الفتوح في حي الجمالية

(1) ابن أبي أصيبعة، المصدر لسابق ، ص591.

(2) السيوطي، بغية الوعاة، ص413.

(3) المنذري، التكملة، 3/ 613؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ص44.

بالقاهرة[1]. والجامع بسيط في تخطيطه فهو يتكون من بيت صلاة يشتمل على أربعة أروقة (بلاطات) عمودية، وله صحن مكشوف مربع ويحيط به سور عريض[2].

وذكر المقريزي أن بجامع الأقمر "**درس من قديم الزمان**"[3]، وأشهر المواد التي كانت تدرّس فيه الفقه الشافعي، والنحو، ومن الشيوخ الذين تولوا التدريس فيه خلال العصر الأيوبي: القاضي الفقيه أبو عمرو عثمان بن محمد بن أبي علي بن موسى الكوردي الحميدي الشافعي (ت620/ 1223م) قدم مصر وتولى قضاء دمياط ثم ناب عن قاضي القضاة عبد الملك بن درباس ودرّس بجامع الأقمر والمدرسة السيفية[4].

والفقيه أبو القاسم خلف بن أبي المجد الأنصاري الشافعي (ت630هـ/ 1232م) تصدر لتدريس الفقه مدة[5]. والفقيه أبو عمرو عثمان بن سعيد بن كثير الصنهاجي الشافعي (ت639هـ/ 1241م)[6].

- جامع الظافر (الأفخر)[7]:

ويقع في القاهرة داخل باب زويلة[8] في السوق الذي كان يعرف بسوق السراجين، أنشأه الخليفة الفاطمي الظافر بنصر الله سنة 543هـ/ 1148م ورتّب له حلقة تدريس وفقهاء ومتصدرين لقراءة القرآن[9].

---

(1) المقريزي، اتعاظ الحنفا، 1/ 77.

(2) المقريزي، المواعظ والاعتبار، 2/ 290؛ مؤنس، المساجد، ص257.

(3) المقريزي، المصدر السابق ، 2/ 290.

(4) المنذري، المصدر السابق ، 3/ 97؛ الاسنوي، طبقات الشافعية، 2/ 186.

(5) المنذري، المصدر السابق، 3/ 390؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ص84.

(6) المنذري، المصدر السابق ، 3/ 578.

(7) وأطلق عليه في العصر المملوكي اسم "جامع الفاكهاني"، ينظر: المقريزي، المواعظ والاعتبار، 2/ 293؛ ابن إياس، بدائع الزهور، 1/ 66.

(8) اليافعي، مرآة الجنان، 3/ 225.

(9) المقريزي، المواعظ والاعتبار، 2/ 293.

ومن الشيوخ الذين تولوا التدريس فيه خلال العصر الأيوبي: الفقيه المقرئ عساكر بن علي بن إسماعيل المصري (ت581هـ/ 1185م)[1]، والفقيه أبو الحسن علي بن نصر الله الشافعي (ت635هـ/ 1237م) وبقي مواظباً على التدريس بالجامع حتى وفاته[2]. والمقرئ أبو التقى صالح بن خلف بن أحمد الجهني الشافعي (ت638هـ/ 1240م)[3]، والمقرئ إبراهيم بن الحسين بن علي التميمي (ت662هـ/ 1263م)[4].

- **جامع العطارين:**

ويقع في الإسكندرية وكان يعرف أيضاً **بالجامع الجيوشي** نسبة إلى أمير الجيوش بدر الدين الجمالي الذي أنشأه سنة 477هـ/ 1084م[5].

وقد استمر هذا الجامع في تأدية رسالته العلمية خلال العصر الأيوبي، وكان واحداً من المراكز العلمية المهمة التي شهدتها الإسكندرية[6]، ومن الشيوخ الذين تصدروا التدريس فيه: الفقيه أبو المعالي محمد بن أبي الفضل يوسف بن سعد الله بن نجا المخيلي المالكي[7]، والعالم الأديب المفسر أحمد بن محمد بن منصور الجذامي الإسكندري المالكي[8].

- **جوامع أخرى:**

تباينت الجوامع في أدوارها العلمية، وكان نشاط بعضها محدوداً للغاية في الحقبة

---

(1) ابن الجزري، غاية النهاية، 1/ 512.

(2) المنذري، المصدر السابق ، 3/ 476؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ص233.

(3) المنذري، المصدر السابق ، 3/ 564.

(4) ابن الجزري، غاية النهاية، 1/ 12.

(5) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 5/ 119.

(6) سالم، تاريخ الإسكندرية، ص61، علوان ، صلاح الدين ، 168.

(7) المنذري، التكملة لوفيات النقلة، 3/ 529.

(8) السيوطي، بغية الوعاة، ص168.

موضوع البحث مثل **جامع ابن طولون**(1) الذي خصّصه السلطان صلاح الدين مأوى للغرباء المغاربة الذين كانوا يمرّون بمصر في طريقهم إلى الديار المقدسة "**يسكنون ويحلقون فيه [أي يقيمون حلقات العلم والدرس والعبادة] وأجرى عليهم الأرزاق في كل شهر**"(2).

كما تراجع النشاط العلمي في جوامع أخرى مثل **جامع الحاكم بأمر الله**(3)، و**جامع راشدة**(4)، واقتصر نشاط الكثير منها على ما كانت تعقده من حلقات لقراء القرآن الكريم ولم تتمكن من منافسة جامع عمرو بن العاص أو الأزهر الذي تميز باتساع مجال الدراسة فيه وبكثرة من ارتاده من الشيوخ وطلبة العلم.

بـ المساجد:

وتميزت ببساطة بنائها لذلك كانت كثيرة الانتشار بمصر(5) على خلاف الجوامع التي تميّزت ببنائها الفخم.

ولم تكن المساجد تحتاج أكثر من غرفة تكبر أو تصغر لأداء الصلوات الخمس وهي تخلو في الغالب من وجود المنبر(6)، وقد عرفت الكثير منها بأسماء واقفيها أو العلماء الذين تولوا فيها الإمامة أو التدريس مدة طويلة.

ولكونها محلاً للعبادة والتعليم فقد ألحق بالكثير منها مكتبة أو خزانة ضمت

---

(1) ويقع على جبل يشكر في الجهة الجنوبية من القاهرة وينسب بناؤه إلى أحمد بن طولون سنة 263هـ/ 877م. للمزيد ينظر: الكندي، تاريخ ولاة مصر، ص172؛ الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص29-30؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار، 2/ 266؛ مؤنس، المساجد، ص255.

(2) ابن جبير، رحلته، ص53؛ عاشور، دراسات، ص298.

(3) وكان يعرف أيضاً بجامع الأنور والجامع الكبير ويقع بالقاهرة خارج باب الفتوح، شيده الخليفة العزيز بالله الفاطمي سنة 380هـ/ 990م وأتم بناءه الحاكم بأمر الله سنة 403هـ/ 1012م؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار، 2/ 277؛ الداوداري، كنز الدرر، 6/ 269.

(4) أمر ببنائه الحاكم بأمر الله سنة 393هـ/ 1002م؛ ابن دقماق، الانتصار، ق1/ 78؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار، 2/ 282؛ الداوداري، كنز الدرر، 6/ 269.

(5) ابن جبير، رحلته، ص247؛ ابن بطوطة، رحلته، ص66؛ ابن دقماق، الانتصار، ق1/ 116.

(6) مصطفى، المدن في الإسلام، 2/ 188.

عدداً من المصاحف والكتب الدينية، ومن أشهر المساجد المصرية التي اضطلعت بأدوار ونشاطات علمية خلال العصر الأيوبي نذكر: **مسجد نجم الدين أيوب** والد صلاح الدين، أنشأه بالقاهرة خارج باب النصر سنة 566هـ/ 1170م وجعل إلى جانبه حوض ماء للسبيل[1]. ومسجد الشيخ نجم الدين الخبوشاني الواعظ الشافعي وكان مجاوراً لدار الوزارة بالقاهرة[2].

ومن مساجد القاهرة: المسجد المنسوب إلى الفقيه المقرئ أبي عبد الله محمد الشافعي المعروف بابن البناء (ت591هـ/ 1194م) الذي انقطع فيه مدة طويلة حتى عرف المسجد به[3].

ومسجد الفقيه أبي الفضل محمد بن يوسف بن علي الغزنوي (ت599هـ/ 1202م) وتصدر فيه تدريس الفقه الحنفي[4].

ومن مساجد القاهرة أيضاً: **مسجد الأمير فخر الدين جهاركس** (ت608هـ/ 1211م) وهو من أمراء الدولة الصلاحية وقد بنى مسجده بالقاهرة بالقيسارية الكبرى المنسوبة إليه[5]، ومسجد الأمير موسك ومن الشيوخ الذين تولوا التدريس فيه المقرئ النحوي أبو الجود غياث بن فارس المنذري السابق ذكره[6]. والمسجد المنسوب إلى الفقيه أبي محمد عبد الصمد بن طاهر الشافعي (ت632هـ/ 1234م)[7].

كما وجدت بالفسطاط عدد من المساجد منها على سبيل المثال: **مسجد المنارة** الذي يعد من أقدم المساجد فيها، وفيه حلقة لتعليم الصبيان، ومن العلماء الذين تولوا

---

(1) مبارك، الخطط التوفيقية، 6/ 135.

(2) المنذري، المصدر السابق ، 2/ 198؛ ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص581.

(3) المنذري، المصدر السابق، 1/ 221.

(4) المنذري، المصدر نفسه ، 1/ 448.

(5) ابن كثير، البداية والنهاية، 13/ 63.

(6) الذهبي، العبر، 3/ 139؛ اليافعي، مرآة الجنان، 4/ 5.

(7) المنذري، المصدر السابق، 3/ 390.

الإمامة والتدريس فيه: الشيخ محمد بن أبي القاسم عبد الرحمن التنيسي الشافعي (ت636هـ/ 1238م)[1]، **ومسجد القرون**[2]، **ومسجد سوق وردان**، وتصدر فيه عدد من العلماء منهم المقرئ أبو حفص عمر بن نعمة بن يوسف المصري (ت584هـ/ 1188م) الذي تصدر لإقراء القرآن الكريم مدة طويلة[3]، كما تصدر فيه الفقيه أبو عبد الله محمد بن طغان بن بدر الشافعي (ت604هـ/ 1207م) مدة[4].

ومسجد **العفيف أبي محمد عبد الله بن الأرسوفي** ومن الذين درسوا فيه القاضي أبو المنصور القاسم بن علي بن شريف الشافعي (ت627هـ/ 1229م)[5]، والمسجد المعروف بالفقيه أبو علي الحسين بن رشيق الربعي المالكي (ت632هـ/ 1234م)[6] ومساجد أخرى لا حصر لها[7].

ثالثاً ـ المدارس:

لم تكن المدارس قد انشئت في مصر لأول مرة إلا بعد القرن السادس الهجري/ الثاني عشر للميلاد ، وهي كغيرها من المراكز العلمية المذكورة آنفا من مكونات العمارة الإسلامية المهمة[8]. وكانت بداية ظهورها في المشرق الإسلامي خلال القرن 5هـ/ 11م[9]. وشكل وجودها مرحلة متطورة في سلسلة التطورات التي

(1) المنذري، المصدر نفسه ، 3/ 515.

(2) المنذري، المصدر نفسه، 3/ 91.

(3) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، 4/ 215.

(4) المنذري، المصدر السابق، 2/ 124.

(5) المنذري، المصدر نفسه ، 3/ 271؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ص265.

(6) المنذري، المصدر السابق، 3/ 387.

(7) ينظر على سبيل المثال: المنذري، المصدر نفسه، 1/ 186، 221، 304، 2/ 17، 18، 266، 269، 280، 387، 467، 477، 3/ 96، 189، 275، 283، 451، 453، 516...

(8) للمزيد عن مكونات العمارة الإسلامية ينظر: عثمان، المدينة الإسلامية، ص316 وما بعدها.

(9) أول مدرسة أنشأت في العالم الاسلامي هي مدرسة حسان بن محمد النيسابوري قبل سنة 349هـ وبعدها مدرسة ابن حيان البستي في نيسابور أيضا قبل سنة 354هـ، للمزيد ينظر ناجي معروف ، علماء النظاميات ومدارس المشرق الاسلامي (بغداد : 1973).

مرّت بها حركة التعليم في المجتمع الإسلامي، ولم يكن ظهورها مفاجئاً بل جاء تطوراً منطقياً لوظيفة المسجد لذلك لم تختلف المدارس بالجملة عن هيئة المساجد إلا في فترة متأخرة،كانت الكثير من المدارس لا تخلو من وجود بيت للصلاة، ومن وجود إمام ومؤذن للقيام بالصلوات الخمسة، كما أقيمت في بعضها صلاة الجمعة كالمدرسة الصاحبية بالقاهرة[1]. حيث كان كلاهما مكاناً للعبادة والدراسة معاً، غير أن المدرسة تميّزت عن المسجد بخواص معينة أهمها: أن المدرّس بها معين من قبل الجهة المشرفة على خلاف المدرس بالمسجد الذي يجلس في أي مسجد يشاء ويدرس ما يشاء من الموضوعات إذ أنه غير معين من أية جهة.

ويكون عدد الطلبة في المدرسة محدوداً أما المسجد فليس كذلك، وما يميّز المدرسة أيضاً وجود الإيوان "**قاعة المحاضرات**" ومساكن المدرسين والطلبة وما يتبعها من مرافق أخرى[2] فهي أشبه ما تكون بالجامعات في الوقت الحاضر[3].

وعلى الرغم من أن الأيوبيين لم يكونوا مبتكرين لنظام المدارس وإنما كانوا محاكين لما شاهدوه قبل قدومهم إلى مصر إلا أن توسعهم في إنشاء المدارس بحد ذاته جاء مظهراً قوياً لرقي الحياة العلمية في عهدهم.

كما أنه دليل على مدى دعمهم للعلم فقد تنافس الأيوبيون وأمراؤهم ووزراؤهم في إنشاء المدارس[4] باعتبارها وسيلة من وسائل التصدي ومقاومة الدعوات المضادة لهم ، وكذلك لنشر الفكر السني والدعاية لفكر **السنة والجماعة**.

ويذكر أن الفاطميين بمصر لم يتخذوا مؤسسات تشبه المدارس[5]، وتركز التعليم

---

(1)المقريزي، المواعظ والاعتبار، 2/ 371؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية (بيروت: 1983)، 1/ 113؛ أمين، المسجد وأثره في تطور التعليم، ص9.

(2) شلبي، تاريخ التربية، ص114؛ آل ياسين، الحياة الفكرية، ص216.

(3) عاشور، مصر والشام في عصر الأيوبيين، ص121؛ الكروي، المرجع، ص427.

(4) ابن جبير، رحلته، ص193.

(5) القلقشندي، صبح الأعشى، 3/ 413.

عندهم في الجوامع والمساجد ، أما التدريس في مكان منفصل عن الجامع -أي في المدارس-فلم يكن معروفا حيث من المعروف أن المدارس نشأت في النصف الثاني من القرن 5هـ/ 11م كالمدرسة النظامية في نيسابور وبغداد ، أما نشوء المدارس في بقية العالم الاسلامي فأكثره كان في القرن 6هـ/ 12م مثلا أول مدرسة أنشئت في أربل كانت مدرسة القلعة سنة 533هـ/ 969م .

وتركز جهد الفاطميين في مجال التعليم والدعاية الفكرية في عدد من الجوامع لاسيما في القاهرة التي كانت مركز الدعوة الفاطمية، وكان **الجامع الأزهر** بالإضافة إلى **دار العلم** التي أنشأها الخليفة الحاكم بأمر الله سنة 395هـ/ 1005م مقرات لداعي الدعاة الفاطمي، كما كانت مراكز نشطة للدعاية الفاطمية[1]. على أن محاولاتهم وجهودهم باءت بالفشل حيث لم يتقبل المصريون الفكر الفاطمي واعتبروه طارئاً على بلادهم[2].

وهيأت الاضطرابات السياسية التي شهدتها مصر في نهاية العصر الفاطمي حالة من الانتعاش للفكر السني ممثلة بمذاهبه المعروفة، وشهد النصف الأول من القرن 6هـ/ 12م إنشاء مدرستين سنيتين بالإسكندرية الأولى **المدرسة الحافظية (العوفية)**، والثانية **مدرسة (ابن السلار)** وقد سبق ذكرهما.

وعندما تولى صلاح الدين الوزارة للعاضد أخر الخلفاء الفاطميين عمل على الاهتمام بالعلم والتعليم، وكانت تغذوه رغبةً جامحة في ضرورة نشر الفكر السني بمصر لذلك اهتم بإنشاء المدارس بشكل لم يسبق له مثيل ولم تنتشر إلا بمجيئه[3].

وكما هو معروف فإن صلاح الدين بدأ أولى خطوات التغيير بمصر سنة

(1) المقريزي، المواعظ والاعتبار، 2/ 341؛ هاينز هالم، الفاطميون، ص115.

(2) كروزيه، تاريخ الحضارات، 3/ 211؛ رمضان، تاريخ المدارس، ص102.

(3) ابن واصل، مفرج الكروب، 1/ 197-198؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 6/ 54؛ القلقشندي، صبح الأعشى، 3/ 390.

565هـ/ 1170م عندما اتخذ عدداً من الإجراءات ضد الفاطميين في مقدمتها إبطاله الأذان على طريقتهم[1].

ثم تلتها إجراءات أخرى كإبطال "**مجالس الدعوة**" بالجامع الأزهر[2]، وكذلك عزله قضاة مصر من الفاطميين وتوليه قضاة من الشافعية بدلاً عنهم[3].

كما قام ببناء عدد من المدارس منها اثنتين للشافعية في القاهرة، ومدرسة ثالثة للمذهب المالكي في الفسطاط، ومدرسة رابعة للمذهب الحنفي، وأكثر من الإنفاق عليها ويروي الرحالة ابن جبير أنه: "**ما من مدرسة من المدارس إلا وفضل السلطان عليه يعمّ جميع من يأوي إليها ويلزم السكنى فيها، وتهون عليه في ذلك نفقات بيوت الأموال**"[4].

ويبدو واضحاً أن المدارس كانت إحدى الدعائم الأساسية التي بنى عليها صلاح الدين دولته في مصر على المستويين السياسي والديني وهناك أسباب عديدة حدت به للاهتمام بإنشاء المدارس والإكثار منها في مصر على وجه الخصوص ولعل من أبرزها حبه للدين الإسلامي وسعيه لمحاربة الأفكار المخالفة لفكره السني ، وفوق ذلك اعتبر صلاح الدين بناء تلك المدارس مما يقرب إلى الله تعالى فكان نزيهاً في دعوته وسلوكه فلم "**ينسب إلى نفسه شيء منها**"[5].

وإضافة إلى ما سبق فإن إنشاء المدارس يؤدي إلى توطيد وترسيخ الحكم الأيوبي

(1) الحنبلي، شفاء القلوب، ص74؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، 1/ 317؛ ايليسف، الشرق الإسلامي، ص438.

(2) كانت بداية الدعوة الفاطمية في الجامع الأزهر سنة 365هـ/ 975م ففي صفر من ذلك العام جلس داعي الدعاة الفاطمي علي بن النعمان بن محمد (ت374هـ/ 984م) في الجامع المذكور وأملى على الحضور مختصراً في الفقه المعروف (بالاقتصار) فكانت هذه أول حلقة للدرس في هذا الجامع. ينظر: المقريزي، المواعظ والاعتبار، 2/ 341؛ اتعاظ الحنفا، 1/ 227.

(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 11/ 366؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، 1/ 319؛ الحنبلي، شفاء القلوب، ص74؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، 2/ 77.

(4) رحلة ابن جبير، ص53.

(5) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 6/ 55؛ الحنبلي، شفاء القلوب، ص73.

في مصر على اعتبار أن المدارس هي من وسائل المقاومة الفكرية حيث بالإضافة إلى كونها مكاناً للدراسة والتحصيل العلمي فهي بمثابة قلاع فكرية لنشر الفكر السني، كما أنه في الوقت ذاته وسيلة لتخريج موظفين أكفاء أمناء ومخلصين للدولة الجديدة وفق الفكر السني[1].

ومن الدوافع الأخرى التي دفعت بالأيوبيين إلى إنشاء المدارس والإكثار منها هو ما عرف عنهم من الاهتمام بالعلم والعلماء، وهكذا فقد كان العصر الأيوبي بداية عهد جديد في مصر ازدهر فيه عنصران من عناصر العمارة الإسلامية الأولى: **المدارس**، والثاني: **بناء الأسوار والقلاع**[2].

ولم تكن الحروب المستمرة وانشغال الأيوبيين بها لتثنيهم عن بناء المدارس والتي ازداد عددها بشكل ملحوظ، حتى أصبح إنشاءها تقليداً متبعاً لدى رجال الدولة وأمرائها، وكذلك الأثرياء الذين تسابقوا على إنشائها والإنفاق عليها بسخاء رغبةً في مرضاة الله[3].

كما كانت المدارس ملاجئ يلجأ إليها الفقراء والغرباء لكي يتلقوا فيها علوم دينهم ودنياهم[4]، لذلك حرص الأيوبيون على الاهتمام بها فكانوا يجهزونها بكل ما تحتاج إليه من نفقات كرواتب المدرسين ومصاريف تأثيثها بالإضافة إلى وجبات الطعام التي كانت تقدم للطلبة وعمد الأيوبيون في كثير من الأحيان إلى تخصيص وقف خاص بكل مدرسة لتغطية نفقاتها[5].

وكان للأوقاف دور كبير في حياة المدارس إذ كفلت لطلاب العلم حياة هادئة ورواتب شهرية، ومخصصات سنوية في المواسم والأعياد، كما حددت معظم الأوقاف لطلبتها مقررات مختلفة من الطعام كالخبز واللحم والحلوى إلى ما هنالك، فضلاً عن

(1) نياتي، تاريخ إفريقيا العام، مج 4/ 375؛ عاشور، مصر والشام، ص119.

(2) زكي محمد حسن، فنون الإسلام (بيروت: 1981)، ص68؛ النبراوي، تاريخ النظم، ص271-272.

(3) ابن جبير، رحلته، ص193.

(4) ابن جبير، المصدر نفسه، ص51.

(5) غوانمة، إمارة الكرك الأيوبية، ص346.

تقاضي المدرسين والمعيدين ومن كان يقوم بالخدمة فيها مرتبات خاصة[1].

وتنوعت المدارس التي أنشئت في ذلك العصر فكان منها ما أنشئ لتدريس الحديث، ومنها ما اختص لتدريس أحد المذاهب السنية بعينها، وكانت أكثر المدارس بمصر للشافعية ثم للمالكية، فالحنفية، بينما كان أكثرها في بلاد الشام للحنفية ثم للشافعية ثم للحنابلة فالمالكية[2]، ولم تظهر في مصر مدرسة خالصة للحنابلة طيلة العصر الأيوبي، وأشار المقريزي بهذا الصدد أن مذهبا أبي حنيفة وأحمد بن حنبل لم يكن لهما ذكر في مصر إلا في آخر الدولة الأيوبية[3]، لذلك لا عجب أن ينحصر تدريسهما في مدارس قليلة كالمدرسة الصالحية حيث يدرّسان مع بقية المذاهب السنية، وكانت أغلب المدارس التي ظهرت في مصر وعموم المشرق الإسلامي أحادية المذهب، أما المدارس المشتركة التي كانت تضم أكثر من مذهب فإنها ظهرت في فترة لاحقة[4].

ويمكن القول أن الحركة التعليمية في المدارس كانت مقيدة بالاتجاه الذي يرسمه منشؤها وكان المنهاج الدراسي لأغلب المدارس الأيوبية قد ركّز على دراسة الفقه مع إضافة بعض العلوم التي لها صلة به كالحديث والتفسير وعلوم اللغة، وكانت المدارس قد أنشئت لتكون مراكز للعلوم الدينية إلا أن الوضع ما لبث أن تغير حتى غدت مراكز لدراسة ألوان المعارف الأخرى كالطب والعلوم الرياضية والفلك والتاريخ ولكن على نطاق ضيق أو ثانوي[5].

واشترط الأيوبيون لدراسة بعض العلوم كالفلسفة والمنطق أن تقترن

---

(1) الداوداري، كنز الدرر، 7/ 281؛ النعيمي، المدارس، 1/ 119؛ عاشور، مصر في عصر، ص296.

(2) عيسى، حلب في العهد الأيوبي، ص126-127.

(3) المواعظ والاعتبار، 2/ 343.

(4) ناجي معروف، علماء النظاميات ومدارس المشرق الإسلامي (بغداد: 1973)، ص222.

(5) ناظم رشيد، "التعليم في ظل الدولتين الزنكية والأيوبية"، مجلة آداب الرافدين جامعة الموصل، ع(10)، 1979، ص275؛ العريني، الشرق الأدنى، ص222.

دراستها مع العلوم الدينية وعدم تدريسها بشكل مستقل[1]، لأنهم اعتبروها من العلوم المضللة لعقول المسلمين ، وكثيراً ما اتهموا أصحابها بالزندقة والكفر[2]. مما دفع ببعض العلماء إلى تدريسها في بيوتهم بعيداً عن الأنظار خوفاً من الملاحقة[3].

وراعى الأيوبيون في بناء مدارسهم الأغراض التعليمية وعدد المذاهب ومساكن الطلبة والمعيدين فضلاً عن خزانات الكتب وغيرها من المرافق الضرورية، ولكي ينتظم عمل المدارس هيأت لها الكوادر العلمية والإدارية فكان لكل منها مدرسها ومعيدها وإمامها ومؤذنها فضلاً عن الخدمة وسواهم[4].

وجرت العادة عند الفراغ من بناء مدرسة أن يحتفل بافتتاحها بحضور السلطان أو من ينوب عنه من كبار رجال الدولة من الأمراء والقضاة وكبار أعيان البلد[5]. كما جرى التقليد أن يقوم مؤسس المدرسة بتعيين مدرس تقع عليه مهمة إلقاء الدروس يعاونه في ذلك معيد أو أكثر[6].

ويمكن تقسيم المدارس بمصر حسب مناهجها المذهبية إلى أربعة أقسام رئيسة:

أ- المدارس الشافعية:

وتعد المدرسة **(الناصرية)**[7] نسبةً إلى الناصر صلاح الدين أقدم المدارس

---

(1) السبكي، طبقات الشافعية، 8/ 101.

(2) أبو شامة، الذيل، ص32؛ الذهبي، سير أعلام، 23/ 143؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 13/ 218؛ النعيمي، الدارس، 1/ 140-141.

(3) أبو شامة، الذيل، ص216.

(4) النعيمي، الدارس، 1/ 279.

(5) النعيمي، الدارس، 1/ 119؛ العريني، مصر في عصر دولة المماليك، ص193.

(6) يأتي دور المعيد بالأهمية دون المدرس وعليه تقع مهمة تلاوة المحاضرة بعد انتهاء الدرس وإفهامها لمن لم يستوعبها من الطلبة. ابن جماعة، تذكرة السامع، ص150؛ المقريزي، درر العقود الفريدة، ق1/ 179؛ حتي، تاريخ العرب مطول، ص498.

(7) هناك مدرستين أخرتين في مصر أطلقت عليهما هذه التسمية وهما: المدرسة الصلاحية قرب ضريح

الأيوبية بمصر (الفسطاط) أنشأها سنة 566هـ/ 1170م عندما كان وزيراً للخليفة العاضد و تقع بجوار جامع عمرو بن العاص **(الجامع العتيق)**، وكان مكانها داراً للشحنة تسمى دار المعونة يحبس فيه من يُراد عقوبته فأمر السلطان صلاح الدين بهدمها وشيد مكانها مدرسةً للشافعية[1]، رغبةً منه في التمهيد لعودة مصر إلى أحضان المذهب السني.

وقد عرفت هذه المدرسة بأسماء أخرى منها **مدرسة ابن زين التجار** نسبة إلى الفقيه الشافعي أحمد بن المظفر بن الحسين الملقب بابن زين التجار (ت591هـ/ 1194م) الذي كان أول من درّس بها[2]. كما عرفت **بالمدرسة الشريفية** نسبةً إلى نقيب الأشراف وقاضي العسكر الشريف شمس الدين محمد بن الحسين العلوي (ت650هـ/ 1252م) الذي تولى تدريسها حيناً[3]، ومن العلماء الذين تصدروا التدريس فيها كذلك:

الفقيه محمد بن هبة الله الحموي المنعوت بالتاج (ت599هـ/ 1202)[4] والقاضي الكوردي إسحق بن عبد الملك بن عيسى بن درباس الماراني (ت613هـ/ 1216م)[5] والفقيه عبد الرحمن بن أبي عبد الله محمد بن إسماعيل المنعوت بالضياء

الإمام الشافعيﷺ حيث كانت تسمى أحياناً بـ**(الناصرية)** ومدرسة أخرى بجوار القبة المنصورية شرقها وقد بنيت في العهد المملوكي. ينظر: المقريزي، درر العقود الفريدة، ق2/ 197 هامش (5) المحقق.

(1) ابن الأثير، الكامل، 11/ 366؛ البنداري، سنا البرق الشامي، ق1/ 107؛ سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، جـ8، ق1/ 283؛ القلقشندي، صبح الأعشى، 3/ 391؛ المقريزي، المواعظ، 2/ 363؛ اتعاظ الحنفا، 3/ 319.

(2) المنذري، التكملة، 1/ 232؛ الاسنوي، طبقات الشافعية، 2/ 99؛ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، 1/ 451.

(3) المقريزي، المواعظ والاعتبار، 2/ 364؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 6/ 55؛ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، 1/ 451؛ ابن اياس، بدائع، ص58.

(4) المنذري، المصدر السابق، 1/ 458؛ الذهبي، تاريخ، ص415.

(5) المنذري، المصدر السابق، 2/ 381؛ الذهبي، المصدر نفسه، ص131.

(ت616هـ/ 1219)[1]، والفقيه مظفر بن إسماعيل بن علي التبريزي (ت621هـ/ 1224م)[2]، وكذلك القاضي كمال الدين أبو العباس أحمد بن شيخ الشيوخ صدر الدين الجويني (ت640هـ/ 1242م)[3].

ومن المدارس الشافعية المنسوبة إلى صلاح الدين **المدرسة الصلاحية**[4] بمصر الفسطاط بجوار ضريح الإمام الشافعي (ﷺ) وكان بناؤها سنة 572هـ/ 1176م[5]، وصفها السيوطي بأنها: "**من أعظم مدارس الدنيا على الإطلاق**"[6]، كما وصفت أيضاً بأنها "**تاج المدارس**"[7] وأشار الرحالة ابن جبير (ت614ه/ 1217م) إليها أثناء قدومه إلى مصر، وكانت لا تزال في طور الإنشاء وأبدى إعجابه بها وقال بأنها: "**مدرسة لم يعمر بهذه البلاد مثلها، ولا أوسع مساحةً ولا أحفل بناءً يخيّل لمن يتطوف بها أنها بلد مستقل بذاته ... والبناء فيها حتى الساعة والنفقة عليها لا تحصى**"[8] ويضيف أن السلطان لم يكن ليبخل بمال على عمارتها بل كان يقول للمشرف على بنائها الشيخ نجم الدين الخبوشاني "**زد احتفالاً وتأنقاً وعلينا بمؤنة ذلك كله**"[9]. ووقف عليها جملة وقوف منها حمام وحوانيت بجوارها[10].

---

(1) المنذري، المصدر السابق، 2/ 467؛ الاسنوي، طبقات الشافعية، 2/ 311؛ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، 1/ 386.

(2) المنذري، المصدر السابق، 3/ 134؛ السبكي، طبقات الشافعية، 8/ 373.

(3) المنذري، المصدر السابق، 3/ 598.

(4) هناك مدارس أخرى بهذا الاسم منسوبة إلى صلاح الدين إحداها في القدس، والأخرى بدمشق. ينظر: ابن واصل، مفرج الكروب، 4/ 142.

(5) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 11/ 440-441؛ أبو شامة، الروضتين، 1/ 268؛ ابن واصل، مفرج الكروب، 2/ 55؛ أبو الفداء، المختصر، 2/ 139؛ المقريزي، السلوك، 1/ 172؛ الحنبلي، شفاء القلوب، ص93.

(6) حسن المحاضرة، 2/ 257.

(7) المقريزي، حسن المحاضرة، 2/ 257؛ غانم، العلماء بين الحرب والسياسة، ص16.

(8) رحلة ابن جبير، ص50.

(9) ابن جبير، رحلته، ص50.

(10) المصدر نفسه، ص50.

وتعد المدرسة الصلاحية من أهم المدارس التي درّست المذهب الشافعي لذلك تصدر التدريس فيها نخبة من كبار فقهاء الشافعية في ذلك العصر منهم: الفقيه نجم الدين الخبوشاني وهو أول من تولى التدريس فيها[1] بتفويض من صلاح الدين الذي "**شرط له من المعلوم كل شهر أربعين ديناراً**"[2] ويروي أبو شامة المقدسي أنه بعد وفاة الخبوشاني تنافس جماعة من العلماء من أجل التدريس فيها وكان أن ظفر الشيخ صدر الدين بن الحسن بن شيخ الشيوخ الجويني (ت617هـ/ 1220م) بذلك بعد أن شفع له الملك العادل أبو بكر عند أخيه صلاح الدين وذلك في أواخر سنة 588هـ/ 1192م[3]. ثم توارثها أبناؤه من بعده ومنهم: الشيخ عماد الدين عمر بن صدر الدين بن حمويه (ت636هـ/ 1238م)[4]، والقاضي كمال الدين أحمد بن صدر الدين بن حمويه (ت640هـ/ 1242م)[5].

وممن تولى التدريس في المدرسة الصلاحية أيضاً: الفقيه أبو الفتح نصر بن محمد بن مقلد الشيزري (ت598هـ/ 1201م)[6]، والعلامة سيف الدين علي بن محمد الأمدي السابق ذكره[7]، والفقيه أبو البيان نبأ بن سعد الله بن مروان الحموي (ت665هـ/ 1266م)[8]. والشيخ تقي الدين بن العيد[9].

---

(1) البنداري، سنا البرق الشامي، ق1/ 241؛ أبو شامة، الروضتين، 1/ 268؛ ابن واصل، مفرج الكروب، 2/ 55؛ ابن الفرات، تاريخ، 2/ 49-50.

(2) المقريزي، المواعظ والاعتبار، 2/ 400؛ السيوطي، حسن المحاضرة، 2/ 257.

(3) الروضتين، 2/ 195؛ وأنظر: ابن واصل، مفرج الكروب، 2/ 55؛ الذهبي، العبر، 3/ 175؛ ابن كثير، البداية، 13/ 93؛ اليافعي، مرآة الجنان، 4/ 32؛ السبكي، طبقات الشافعية، 8/ 97.

(4) أبو شامة، الذيل، ص167؛ الذهبي، العبر، 3/ 228؛ السبكي، طبقات الشافعية، 8/ 342.

(5) المنذري، المصدر السابق، 3/ 598؛ الغساني، العسجد المسبوك، ص515.

(6) المنذري، التكملة، 1/ 440؛ الاسنوي، طبقات، 2/ 28؛ ابن الفرات، تاريخ، 2/ 244.

(7) ابن كثير، البداية والنهاية، 13/ 141؛ السبكي، طبقات الشافعية، 8/ 307؛ اليافعي، مرآة الجنان، 4/ 59.

(8) ابن الصابوني، تكلمة اكمال، ص71.

(9) السيوطي، حسن المحاضرة، 2/ 203.

وكانت هذه المدرسة قد أصابها الإهمال بعد زوال الدولة الأيوبية وحسبما ذكره المقريزي فإنها قد خلت من مدرس ثلاثين سنة واكتفى فيها بالمعيدين وهم عشرة فلما كانت سنة 678هـ/ 1279م وليّ تدريسها قاضي القضاة تقي الدين محمد بن رزين الحموي(1).

ومن المدارس الشافعية المشهورة مدرسة **منازل العز**(2) بالقاهرة وتعرف أيضاً **بالمدرسة التقوية** نسبةً إلى منشئها الأمير المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه (ت587هـ/ 1191م) وأوقف عليها مجموعة من الأوقاف من بينها حمام الذهب المجاور لها، والفندق المعروف بالنخلة كما أوقف عليها جزيرة الروضة(3). وللأمير تقي الدين مدرستين أُخرتين بالفيوم جعل إحداهما للشافعية(4)، والأخرى للفقهاء المالكية ورصد لهما وقوفاً كثيرة(5) إلا أنهما كانتا أقل شأناً من المدرسة الأولى(6).

ومن العلماء الذين درّسوا في مدرسة **منازل العز**: الفقيه شهاب الدين محمد بن محمود الطوسي (ت596هـ/ 1199م)(7)، وكان له عدد من المعيدين من بينهم الفقيه عبد الرحمن بن أبي عبد الله بن إسماعيل (ت616هـ/ 1219م)(8) والشيخ بهاء الدين

---

(1) المواعظ والاعتبار، 2/ 400-401.

(2) **منازل العز**: بنتها السيدة تغريد أم العزيز بالله الفاطمي وكانت بمثابة قصر الخلفاء الفاطميين معدة لنزهتهم. وقد اشتراها تقي الدين عمر سنة 566هـ/ 1170م ثم وقفها مدرسة للشافعية. ابن دقماق، الانتصار، ق1/ 93؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار، 2/ 364.

(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 11/ 366؛ البنداري، سنا البرق الشامي، ق1/ 110؛ ابن واصل، مفرج الكروب، 1/ 199؛ القلقشندي، صبح الأعشى، 3/ 390؛ ابن الوردي، تاريخ، 2/ 77.

(4) الصفدي ، تاريخ الفيوم ، ص60.

(5) الصفدي ، المصدر نفسه ، ص177.

(6) كما نسبت إليه مدارس أخرى في بلاد الشام منها: **المدرسة التقوية** في دمشق و**المظفرية** في حماة، وبنى مدرسة أخرى بالرها. ينظر: المقريزي، المواعظ، 2/ 364-365؛ السلوك، 1/ 220؛ عيسى، حماة، ص142.

(7) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، جـ8، ق2/ 475؛ أبو شامة، الذيل، ص19؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 21/ 387؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 13/ 24؛ اليافعي، مرآة الجنان، 3/ 369.

(8) المنذري، التكملة، 2/ 467-468؛ الاسنوي، طبقات الشافعية، 2/ 311؛ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، 1/ 386.

علي بن هبة الله (ت649هـ/ 1251م)[1].

ومن مدرسيها كذلك: قاضي القضاة عبد الرحمن بن عبد العلي الملقب بالعماد وبقي فيها حتى وفاته سنة 624هـ/ 1226م[2]، وجاء بعده ابنه أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المنعوت بالشرف (ت629هـ/ 1231م)[3]، كما درّس فيها الخطيب فخر الدين عبد العزيز بن عماد الدين بن عبد العلي (ت:687هـ/ 1288م)[4].

وشيد الأمير قطب الدين خسرو بن تليل بن شجاع الهذباني[5] – أحد أمراء صلاح الدين – **المدرسة القطبية** بالقاهرة سنة 570هـ/ 1174م وأوقفها على الفقهاء الشافعية، وكانت تقع بخط سويقة الصاحب بداخل درب الحرير بالقاهرة[6]. ومن شيوخها نذكر: الفقيه أبا الفتح نصر بن مقلد الشيزري (ت598هـ/ 1201م)[7]، والفقيه عبد القادر بن أبي عبد الله محمد البغدادي (ت634هـ/ 1236م)[8]، والشيخ نصير الدين المبارك بن يحيى المصري (ت669هـ/ 1270م)[9]، والشيخ شرف الدين يعقوب بن عبد الرحمن (ت665هـ/ 1266م)[10]، والفقيه أحمد بن عبد الوهاب بن خلف المعروف بابن بنت الأعز الشافعي (ت699هـ/ 1299م)[11]، والفقيه أحمد بن محمد بن عامر الأندلسي (ت689هـ/ 1290م) وكان قد تولى الإعادة فيها[12].

---

(1) أبو شامة، الذيل، ص187.

(2) المنذري، التكملة، 3/ 211؛ اليافعي، مرآة الجنان، 4/ 46؛ المقريزي، المواعظ، 2/ 364.

(3) المقريزي، المواعظ، 2/ 364.

(4) الكتبي، عيون التواريخ، 21/ 429.

(5) وهو ابن أخ أبي الهيجاء الهذباني صاحب اربل. ينظر: ابن تغري بردي، النجوم، 6/ 16.

(6) المقريزي، المواعظ، 2/ 365.

(7) المنذري، المصدر السابق، 1/ 440.

(8) المنذري، المصدر نفسه ، 3/ 455؛ الذهبي، سير أعلام، 23/ 25؛ السبكي، طبقات الشافعية، 8/ 279.

(9) السبكي، طبقات الشافعية، 8/ 367؛ الاسنوي، طبقات، 2/ 72؛ ابن قاضي شهبة، طبقات، 1/ 477.

(10) السبكي، المصدر السابق، 8/ 359؛ الاسنوي، المصدر السابق، 2/ 82.

(11) الصفدي، أعيان العصر، 1/ 164؛ ابن العماد، شذرات الذهب، 5/ 444.

(12) السيوطي، بغية الوعاة، ص159.

وأنشأ الأمير فخر الدين أبو نصر إسماعيل الجعفري الزيني (ت613هـ/ 1216م) **المدرسة الشريفية** بالقاهرة، وكانت في البداية مسكناً له فعمّرها مدرسة للشافعية سنة 612هـ/ 1215م ووقف عليها كل أملاكه[1]، وممن درّس فيها: الفقيه مظفر بن عبد الله بن علي بن الحسين المصري (ت612هـ/ 1215م)[2] والقاضي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الحسين العلوي[3].

وأنشأ شرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزي قبيل وزارته سنة 636هـ/ 1238م **المدرسة الفائزية** وأوقف عليها الحمام المجاور وبعض الحوانيت بقربها[4]. وكان القاضي محي الدين عبد الله بن قاضي القضاة شرف الدين محمد بن عين الدولة أول من درّس فيها[5]، وممن تولى التدريس فيها كذلك النحوي فتح بن موسى بن حماد (ت663هـ/ 1264م)[6].

ومن المدارس الشافعية أيضاً: **المدرسة الهكارية**[7] بالقصر وهي منسوبة إلى واقفها الأمير جمال الدين بن خشترين الهكاري، وكان القاضي الكوردي أبو عمرو عثمان بن عيسى بن درباس الماراني (ت602هـ/ 1205م) أول شيوخها[8]. كما درّس فيها الفقيه أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الحلبي الأسدي (ت622هـ/ 1263م)[9]

---

(1) المقريزي، المواعظ والاعتبار، 2/ 273؛ العقود الفريدة، ق1/ 178 هامش (5)؛ مبارك، الخطط التوفيقية الجديدة، 6/ 19.

(2) المنذري، التكملة، 2/ 343؛ الاسنوي، طبقات الشافعية، 2/ 243.

(3) المقريزي، السلوك، 1/ 478.

(4) ابن دقماق، الانتصار، ق1/ 92؛ المقريزي، المواعظ، 2/ 365.

(5) ابن دقماق، المصدر السابق، ق1/ 92.

(6) السبكي، المصدر السابق، 8/ 19؛ الاسنوي، المصدر السابق، 2/ 249؛ السيوطي، بغية الوعاة، ص372.

(7) هناك مدرسة أخرى بهذا الاسم في القدس منسوبة إلى الأمير بدر الدين محمد بن أبي القاسم الهكاري (ت614هـ/ 1217م). ابن كثير، البداية، 13/ 78.

(8) المنذري، المصدر السابق، 2/ 90؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، 3/ 42؛ الذهبي، سير أعلام، 22/ 291؛ اليافعي، مرآة الجنان، 4/ 3.

(9) السبكي، طبقات الشافعية، 8/ 17-18؛ الاسنوي، طبقات الشافعية، 1/ 76.

والفقيه أحمد بن عبد الوهاب بن خلف (ت699هـ/ 1299)[1]، والقاضي أحمد بن عبد الرحيم بن علي بن القاضي الفاضل (ت643هـ/ 1245م)[2].

كما وجدت بمصر عدد من المدارس التي بناها العامة والأثرياء من التجار مثل **مدرسة ابن الأرسوفي** المنسوبة إلى التاجر العسقلاني عفيف الدين بن محمد الأرسوفي (ت593هـ/ 1196م)[3].

ب- المدارس المالكية:

ومن أشهرها **المدرسة القمحية** بالقاهرة أنشأها صلاح الدين سنة 566هـ/ 1170م[4]، وكان مكانها عند قيسارية يباع فيها الغزل فأمر بهدمها وأنشأ مكانها مدرسة للمالكية، ورتّب فيها أربعة مدرسين، وقد عرفت بالقمحية لأن صلاح الدين أوقف عليها ضيعة بالفيوم تعرف بالخبوشية كانت مشهورة بمحصولها من القمح الذي يفرّق على الطلبة والقائمين عليها[5].

وكانت لهذه المدرسة التي تعد ثاني مدرسة للمالكية بمصر بعد المدرسة الحافظية التي سبق ذكرها دور كبير في نشر المذهب المالكي، وتصدّر التدريس فيها نخبة من مشاهير فقهاء المالكية منهم:

الفقيه أبو البركات هبة الله بن عبد المحسن الأنصاري (ت589هـ/ 1193م)[6] وأعقبه من بعده ابنه: أبو الحسن علي بن أبي البركات هبة الله (ت599هـ/ 1202م)[7]، والفقيه أبو المنصور ظافر بن الحسين الأزدي الاسكندراني

---

(1) الصفدي، أعيان العصر، 1/ 164؛ السبكي، طبقات، 8/ 23؛ ابن العماد، شذرات الذهب، 5/ 444.

(2) الصفدي، الوافي بالوفيات، 7/ 57.

(3) المقريزي، المواعظ، 2/ 367؛ غرايبة، جهود صلاح الدين، ص307.

(4) البنداري، سنا البرق الشامي، ق1/ 107؛ ابن واصل، مفرج الكروب، 1/ 198؛ ابن دقماق، الانتصار، ق1/ 95؛ القلقشندي، صبح الأعشى، 3/ 390.

(5) ابن دقماق، الانتصار، ق1/ 95؛ المقريزي، المواعظ، 2/ 364؛ اتعاظ الحنفا، 3/ 319.

(6) المنذري، المصدر السابق، 1/ 194.

(7) المنذري، المصدر نفسه ، 1/ 444؛ الذهبي، تاريخ، ص403.

الذي بقي قائماً على التدريس حتى وفاته سنة 597هـ/ 1200م وتخرج عليه جماعة من الشافعية والمالكية، وذكر المنذري أنه كان يجلس للتدريس في أول النهار ثم يجيء بعد الظهر للمناظرة، ويأخذ درساً بعد العصر ثم يجلس للمناظرة بعد العشاءين[1]، وأعقبه ابنه أبو الحسن علي بن أبي منصور بن ظافر المنعوت بالجمال (ت613هـ/ 1216م)[2].

ومن شيوخها كذلك: الفقيه أبو محمد عبد الله بن نجم بن شاس (ت616هـ/ 1219م) وكان شيخ الطائفة المالكية بمصر وله مؤلفات منها: **الجواهر الثمينة في مذهب أهل المدينة**[3]. والفقيه الزاهد أبو العباس أحمد بن أبي الحسن علي القسطلاني (ت636هـ/ 1238م)[4]، والفقيه أبو الحرم مكي بن داود بن هلال السعدي (ت639هـ/ 1241م)[5].

ومن المدارس المالكية: **المدرسة العادلية**، ويقال لها كذلك مدرسة **ابن شاس** أقامها الملك العادل أبو بكر لتدريس الفقه المالكي وتقع في القاهرة بجوار الربع العادلي وفوّض تدريسها لقاضي القضاة أبي علي الحسين بن شاس فعرفت به[6].

كما شيّد الوزير الصاحب صفي الدين عبد الله بن علي بن شكر (ت622هـ/ 1225م) – وزير الملك العادل – **المدرسة الصاحبية** بالقاهرة وكان مكانها من جملة دار الوزير الفاطمي يعقوب بن كلس فجعلها وقفاً للمالكية والحق بها خزانة كتب[7]، وممن درّس بها: الحافظ شرف الدين أبو الحسن علي بن أبي المكارم

(1) المصدر السابق، 1/ 387-388؛ الذهبي، العبر، 3/ 118؛ الكتبي، فوات، 3/ 26.

(2) المنذري، المصدر السابق، 2/ 376؛ الذهبي، سير أعلام، 22/ 60-61.

(3) الذهبي، العبر، 3/ 170؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 13/ 86.

(4) المنذري، المصدر السابق، 3/ 508؛ الذهبي، العبر، 3/ 226.

(5) المنذري، المصدر السابق، 3/ 575؛ الذهبي، تاريخ، ص393.

(6) الداوداري، كنز الدرر، 7/ 265؛ المقريزي، المواعظ، 2/ 375؛ مبارك، الخطط التوفيقية الجديدة، 6/ 36.

(7) المنذري، المصدر السابق، 3/ 157؛ الذهبي، سير أعلام، 22/ 294؛ الكتبي، فوات الوفيات، 2/ 193؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 6/ 280 هامش (4)؛ المقريزي، المواعظ، 2/ 371.

(ت611هـ/ 1214م)[1]، وابنه أحمد بن أبي الحسن علي بن أبي المكارم (ت613هـ/ 1216م)[2] والفقيه أبو عبد الله محمد بن أبي حفص عمر بن أبي عبد الله الغساني (ت627هـ/ 1229م)[3].

كما تولى تدريسها ابن الوزير صفي الدين أبي الحسن علي (ت632هـ/ 1234م)[4]، والفقيه وجيه الدين القيرواني (ت633هـ/ 1235م)[5]، ولعل من أشهر الكتب الفقهية التي تم اعتمادها ضمن مناهج هذه المدرسة كتاب "**البصائر**" في الفقه المالكي وهو من تأليف الوزير الصاحب صفي الدين نفسه[6].

ومن مدارس المالكية كذلك: **مدرسة ابن رشيق** بالقاهرة بخط حمام الريش وكانت قد أقيمت بدعم من إحدى الجاليات الإفريقية عند نزولها بمصر سنة 612هـ/ 1244م حيث دفعوا مبلغاً من المال للقاضي علم الدين بن رشيق - أحد فقهاء المالكية بمصر - لإنشاء مدرسة خاصة لهم، فقام هذا الفقيه ببنائها وتولى التدريس والإمامة فيها[7]. وأصبحت لهذه المدرسة سمعة في بلاد السودان جنوب الصحراء ونالت الدعم من قبل الجاليات السودانية الذين واظبوا على إرسال الأموال إليها سنوياً[8].

وأنشئت في الإسكندرية عدد من المدارس المالكية من بينها: **مدرسة ابن الأنجب** نسبة إلى مدرسها الفقيه المالكي ابن الأنجب (ت621هـ/ 1224م)[9].

---

(1) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 22/ 66-67؛ العبر، 4/ 155؛ تذكرة الحفاظ، 4/ 1390؛ ابن كثير، البداية، 13/ 68؛ اليافعي، مرآة الجنان، 4/ 18.

(2) المنذري، المصدر السابق، 2/ 361؛ الذهبي، المصدر السابق، ص129.

(3) المنذري، المصدر السابق، 3/ 266؛ الذهبي، المصدر السابق، ص271.

(4) المنذري، المصدر السابق، 3/ 392؛ الذهبي، المصدر السابق، ص121.

(5) ابن واصل، مفرج الكروب، 5/ 108-109.

(6) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، جـ8، ق2/ 677.

(7) ابن دقماق، الانتصار، ق1/ 96؛ المقريزي، المواعظ، 2/ 365.

(8) المقريزي، المصدر نفسه ، 2/ 365؛ محمد، دولة كانم الإسلامية، ص83.

(9) بدوي، الحياة العقلية، ص55.

والمدرسة **المنسوبة إلى الشيخ الزكي التاجر**، وتصدر التدريس فيها: الفقيه أبي الحسن علي المقدسي (ت611هـ/ 1214م)[1]، والفقيه علي بن إسماعيل الصنهاجي (ت616هـ/ 1219م)[2]، وعبد الرحمن بن عبد المجيد الملقب بالجمال الصفراوي (ت636هـ/ 1238م)[3].

والمدرسة **القوصية المالكية** ومدرسها الفقيه مجد الدين علي بن وهب بن مطيع (ت667هـ/ 1268م)[4].

ج- المدارس الحنفية:

وأول مدرسة أنشئت لتدريس هذا المذهب هي **المدرسة السيوفية** التي بناها السلطان صلاح الدين سنة 572هـ/ 1176م وأوقف عليها اثنين وثلاثين دكاناً، وكانت هذه المدرسة من جملة دار الوزير الفاطمي المأمون البطائحي، وعرفت بالسيوفية لأن سوق السيوفيين كان يقع على بابها حسبما ذكره المقريزي[5]، وقد ظلت المدرسة قائمة إلى آخر الحروب الصليبية، ومن شيوخها نذكر: الفقيه الحنفي عبد الله بن محمد الجريري البغدادي المعروف بابن الشاعر (ت584هـ/ 1188م)[6]، والفقيه عبد الوهاب بن يوسف بن علي الدمشقي (ت599هـ/ 1202م)[7]، والفقيه أبو الجود عبد الغني بن علي الأنصاري المنعوت بالرضي (ت604هـ/ 1207م)[8] والفقيه أحمد بن فضل بن حُليف الحميري (ت611هـ/ 1214م)[9]، وجعفر بن أبي علي بن إبراهيم الدميري

---

(1) ابن خلكان، المصدر السابق، 3/ 290.

(2) المنذري، المصدر السابق، 2/ 478؛ الذهبي، تاريخ، ص280.

(3) الذهبي، العبر، 3/ 227؛ سير أعلام النبلاء، 23/ 42.

(4) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، 2/ 423.

(5) المواعظ والاعتبار، 2/ 365؛ السيوطي، حسن المحاضرة، 2/ 203؛ مبارك، الخطط التوفيقية، 6/ 19.

(6) المنذري، المصدر السابق، 1/ 109.

(7) المنذري المصدر نفسه ، 1/ 447؛ الذهبي، تاريخ، ص394.

(8) المنذري المصدر السابق، 2/ 139.

(9) المنذري المصدر نفسه، 2/ 316.

(ت623هـ/ 1226م)[1]، وعلي بن أحمد بن محمود المعروف بابن الغزنوي (ت633هـ/ 1235م)[2].

ومن تولى الإعادة فيها نذكر: الفقيه أبا إسحاق إبراهيم بن أبي محمد الأنصاري الحنفي (ت642هـ/ 1244م)[3]، والمقرئ لؤلؤ بن أحمد بن عبد الله الدمشقي الضرير (ت672هـ/ 1273م)[4].

ومن مدارس الحنفية أيضاً: **المدرسة الازكشية** وقام ببنائها الأمير سيف الدين أيازكوج الأسدي (ت599هـ/ 1202م) – مملوك أسد الدين شيركوه وأحد أمراء صلاح الدين – وكان بناؤها سنة 592هـ/ 1195م وتعد المدرسة الثانية التي تدرّس الفقه الحنفي بمصر[5]. ومن شيوخها نذكر: الفقيه أبو الربيع سليمان بن أبي بكر بن أميرك النيسابوري الأصل المصري الدار (ت638هـ/ 1240م)[6]، وآخرون تصدروا التدريس فيها في الفترة المملوكية[7].

ولم يقف شرف إقامة المدارس على السلاطين والأمراء وإنما تعدى ذلك إلى الأميرات من البيت الأيوبي اللاتي تنافسن في بناء المدارس تقرباً إلى الله تعالى وأوقفن عليها الأوقاف الجزيلة للإنفاق عليها، ومن هذه المدارس: **المدرسة العاشورية** بالقاهرة بحارة زويلة وهي منسوبة إلى الست عاشوراء بنت ساروح الأسدي زوجة الأمير يازكوج الأسدي وكان مكانها داراً للطبيب اليهودي ابن جميع كاتب الأمير بهاء الدين قراقوش فقامت الست عاشوراء بشرائها منه وبعد اكتمال بنائها أوقفتها على دراسة الفقه الحنفي[8].

---

(1)المنذري المصدر نفسه، 3/ 390؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، 4/ 268.

(2)المنذري المصدر السابق ، 3/ 415؛ الذهبي، تاريخ، ص138.

(3)المنذري ، المصدر السابق، 3/ 637.

(4) السيوطي، بغية الوعاة، ص383.

(5) ابن دقماق، الانتصار، ق1/ 94–95؛ المقريزي، المواعظ، 2/ 367.

(6)المنذري ، المصدر السابق ، 3/ 566؛ الذهبي، تاريخ، ص344.

(7) ابن دقماق، الانتصار، 1/ 95.

(8) المقريزي، المواعظ، 2/ 368؛ غرايبة، جهود صلاح الدين، ص307.

ومن شيوخها نذكر: الفقيه النحوي عبد الرحمن بن محمد بن عبد العزيز اللخمي الذي بقي فيها حتى وفاته سنة 643هـ/ 1245م[1] ولما كانت المدرسة تقع في زقاق تسكنه أغلبية يهودية لذلك بقي نشاطها محدوداً.

ومن مدارس الحنفية كذلك: **المدرسة الغزنوية في** القاهرة، بناها أحد المماليك التابعين لنجم الدين أيوب وهو الأمير صارم الدين قايماز بن عبد الله النجمي (ت596هـ/ 1199م)[2] وكان مقرباً من صلاح الدين وهو الذي تسلم القصر الفاطمي عندما مات العاضد فحصّل أموالاً جزيلة وكان كثير الصدقات[3]، بنى مدرسته في القاهرة عند سويقة أمير الجيوش وفوّض تدريسها للفقيه المقرئ أبي الفضل أحمد بن يوسف الغزنوي (ت599هـ/ 1202م) فعرفت به[4].

د- المدارس المشتركة:

إلى جانب المدارس أحادية المذهب أنشئت في مصر عدد من المدارس المشتركة أو التي اختصت بدراسة أكثر من مذهب فقهي، ومن بين هذه المدارس نذكر: **المدرسة الفاضلية** بالقاهرة بدرب ملوخيا وهي منسوبة إلى القاضي الفاضل بجوار داره، وكان بناؤها سنة 580هـ/ 1184م، واختصت بتدريس الفقهين الشافعي والمالكي[5]، وهي من أعظم مدارس القاهرة وأجلها، وكان فيها قاعة للإقراء، كما كانت تضم مكتبة ضخمة حتى قيل أنه كان بها نحو مئة ألف مجلد من سائر العلوم[6]، ومن شيوخها نذكر: الفقيه النحوي المقرئ أبي القاسم بن فيرة بن خلف الشاطبي[7]، والقاضي الفقيه أبي القاسم بن

---

(1) الداوودي، طبقات المفسرين، 1/ 290.

(2) المقريزي، المواعظ، 2/ 390؛ مبارك، الخطط التوفيقية، 6/ 28.

(3) ابن كثير، البداية والنهاية، 13/ 23؛ النعيمي، الدارس، 1/ 441.

(4) المقريزي، المواعظ، 2/ 390.

(5) سبط ابن الجوزي، مرآة، جـ8، ق2/ 473؛ ابن كثير، البداية، 13/ 24؛ المقريزي، المواعظ، 2/ 366.

(6) المقريزي، المواعظ، 2/ 366؛ درر العقود الفريدة، ق2/ 332؛ هامش (2)؛ العريني، الشرق الأدنى، ص221.

(7) أبو شامة، الذيل، ص7؛ الصفدي، نكت الهميان، ص229؛ ابن الجزري، نهاية، 2/ 20.

أبي الخير سلامة بن يوسف بن علي الإسكندراني (ت603هـ/ 1206م) ووصف كونه كان "**محباً لطلبته متفقداً لأحوالهم ساعياً فيما يعود بنفعهم**"[1]، والفقيه النحوي أبا الجود غياث بن فارس بن مكي المنذري (ت605هـ/ 1208م)[2]، والفقيه أبا البركات محمد بن أبي عبد الله بن أبي الخير سلامة بن يوسف الإسكندراني (ت620هـ/ 1223م)[3]، والمقرئ أبا النما زيادة بن عمران بن زيادة الضرير (ت629هـ/ 1231م)[4]، والمقرئ النحوي أبو الحسن علي بن عبد الصمد بن محمد المعروف بابن الرماح (ت633هـ/ 1235م)[5] والمقرئ أبو الحسن علي السعدي (ت665هـ/ 1266م)[6].

كما درّس فيها العلامة الكوردي عثمان بن عمر جمال الدين أبو عمرو بن الحاجب النحوي الشهير[7]، والنحوي محمد بن أحمد بن سُحمان الأندلسي المشهور بالشريش (ت685هـ/ 1286م)[8]، والفقيه عثمان بن عبد الكريم بن أحمد الصنهاجي (ت674هـ/ 1275م)[9].

وفي عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل شيدت **المدرسة الصالحية** بالقاهرة بين القصرين –احد أحياء القاهرة- وكان موضعها في جملة القصر الكبير الشرقي، وكان بداية الشروع ببنائه في ثالث عشر من ذي الحجة سنة 639هـ/ 1241م حيث تم تهيئة المكان وقطع ما بها من أشجار النخيل، وتم التفرغ من بنائه سنة 641هـ/ 1243م[10].

---

(1)المنذري ، المصدر السابق ، 2/ 98؛ الذهبي، تاريخ، ص132-133.

(2) الصفدي، نكت الهميان، ص225؛ الذهبي، العبر، 3/ 139؛ ابن تغري بردي، النجوم، 6/ 196.

(3)المنذري ، المصدر السابق ، 3/ 106.

(4) الذهبي، تاريخ، ص315؛ ابن الجزري، غاية النهاية، 1/ 296.

(5)المنذري ، المصدر السابق ، 3/ 415؛ الذهبي، العبر، 3/ 216؛ ابن الجزري، غاية النهاية، 1/ 549.

(6) الذهبي، العبر، 3/ 313؛ اليافعي، مرآة الجنان، 4/ 125؛ ابن العماد، شذرات، 5/ 320.

(7) ابن كثير، البداية والنهاية، 13/ 176؛ ابن الجزري، غاية النهاية، 2/ 508؛ السيوطي، بغية الوعاة، ص323.

(8) ابن كثير، البداية والنهاية، 13/ 308؛ السيوطي، بغية الوعاة، ص18؛ الداوودي، طبقات المفسرين، 2/ 77.

(9) السبكي، طبقات الشافعية، 8/ 336؛ الاسنوي، طبقات، 1/ 153.

(10) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، جـ8، ق2/ 737؛ الداوداري، كنز الدرر، 7/ 347؛ ابن كثير، البداية، 13/ 157؛ الغساني، العسجد المسبوك، ص502؛ المقريزي، المواعظ، 2/ 374.

وذكر المقريزي أن الملك الصالح نجم الدين رصد لبناء مدارسه الكثير من الأموال، واستخدم عدداً كبيراً من الأسرى الافرنج لتشييد عمائر هذه المدرسة[1]، التي وصفت كونها من أجمل مدارس القاهرة[2] وتعد الأولى من نوعها في مصر وقفها على المذاهب السنية الأربعة، وهي أول مدرسة في مصر تشمل دروساً أربعة في مكان واحد، وكانت تضم أربعة إيوانات لكل مذهب إيوان خاص به[3]، لذلك يُشار إليها أحياناً باسم "**المدارس الصالحية**"[4]، فكانت أشبه ما تكون بجامعة أو "**قلعة للعلماء**" حسب تعبير المصادر[5]، ولا تزال بعض آثارها باقية حتى اليوم[6].

وبقيت المدرسة الصالحية شأنها شأن أغلب المدارس الأيوبية تمارس نشاطها العلمي حتى بعد زوال الدولة الأيوبية ومجيء المماليك، والسبب في ديمومتها أن السلطة لم تنتقل إلى المماليك فجأة وإنما بالتدريج، ثم أن نظام الوقف الإسلامي كفل للمنشآت الخيرية نوعاً من الاستقلال والقدرة على البقاء مهما تغيرت السلطات ومن ثم فقد بقيت المدارس لبقاء أوقافها التي تستمد منها كيانها ووجودها.

وممن تولى التدريس في المدرسة الصالحية خلال العصر الأيوبي نذكر: الفقيه عز الدين بن عبد السلام وكان قد قدم مصر سنة 639هـ/ 1241م وحظي بتكريم الملك

---

(1) السلوك، 2/ 373.

(2) السيوطي، حسن المحاضرة، 2/ 204.

(3) المقريزي، المواعظ، 2/ 374؛ صلاح الدين الشريف، الحكم الأيوبي في الشرق الأوسط، ص128؛ سينموفا، صلاح الدين، ص105؛ عاشور، مصر والشام، ص120.

(4) لم يكن الملك الصالح نجم الدين مبتدعاً لهذا النوع من المدارس، إذ سبقه في ذلك قيام المدرسة المستنصرية ببغداد سنة 631هـ/ 1233م إلا أن الفرق بينهما أن المدرسة المستنصرية لم يكن بها سوى إيوانين اثنين أما المدرسة الصالحية فكانت تضم أربعة إيوانات لكل مذهب إيوان خاص به. ينظر: المقريزي، المواعظ، 2/ 374؛ سعادة ماهر محمد، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون (القاهرة: 1976)، 2/ 12؛ رمضان، تاريخ المدارس، ص156.

(5) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص463؛ ابن اياس، بدائع الزهور، ص68.

(6) حسن، فنون الإسلام، ص70؛ شريف يوسف، المدخل لتاريخ العمارة العربية الإسلامية وتطورها (بغداد: 1980)، ص123.

الصالح نجم الدين الذي فوّض إليه تدريس الفقه الشافعي بمدرسته[1]. ومن شيوخها أيضاً: قاضي القضاة أبو عبد الله محمد بن عبد الملك (ت646هـ/ 1248م)[2]، والفقيه شرف الدين يحيى بن فضل الله (ت661هـ/ 1262م)[3]، والفقيه الشافعي عبد الرحمن بن أبي الحسن بن يحيى الدمنهوري (ت664هـ/ 1265م)[4]، والفقيه عبد الوهاب بن خلف بن بدر الملقب بابن بنت الأعز (ت665هـ/ 1266م)[5]، كما درّس فيها الفقيه المالكي شرف الدين عمر بن عبد الله السبكي (ت669هـ/ 1270م)[6].

ومن الفقهاء الحنفية نذكر: القاضي صدر الدين سليمان بن أبي العز بن عطاء الأذرعي (ت677هـ/ 1278م)[7]، في حين تصدّر لتدريس الفقه الحنبلي نخبة من العلماء منهم: القاضي شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد بن سرور المقدسي (ت676هـ/ 1277م) وكان شيخ الحنابلة بمصر وهو أول من درّس بالمدرسة الصالحية من الحنابلة[8].

ومن المدارس المشتركة: **المدرسة القطبية** بالقاهرة في أول حارة زويلة، أنشأتها الأميرة الجليلة عصمة الدين مؤنسة خاتون المعروفة بدار إقبال العلائي (ت693هـ/ 1293م) ابنة الملك العادل أبي بكر وشقيقه الأفضل قطب الدين أحمد وإليه نسبت المدرسة[9]. وكانت الأميرة قد أوصت قبل وفاتها ببناء مدرسة للفقه وعلوم القرآن لذلك اشترت وقفاً جعلت إيراده يصرف على هذه المدرسة التي

(1) أبو شامة، الذيل، ص216؛ ابن تغري بردي، النجوم، 7/ 208؛ الذهبي، العبر، 3/ 299؛ السبكي، طبقات، 8/ 211؛ ابن العماد، شذرات، 5/ 302.

(2) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 23/ 228؛ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، 1/ 456.

(3) أبو شامة، الذيل، ص228-229.

(4) السبكي، طبقات الشافعية، 8/ 189؛ ابن العماد، شذرات، 5/ 344.

(5) الاسنوي، طبقات الشافعية، 1/ 78؛ ابن قاضي شهبة، طبقات، 1/ 469.

(6) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، 2/ 461.

(7) السخاوي، الذيل، ص150-151.

(8) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، 3/ 279؛ ابن رجب، طبقات الحنابلة، 4/ 294.

(9) المقريزي، المواعظ والاعتبار، 2/ 368.

أصبحت مركزاً للفقه الشافعي والحنفي إلى جانب كونها داراً لقراءة القرآن[1]، وممن تصدّر فيها: الفقيه ظهير الدين جعفر بن يحيى بن جعفر المخزومي (ت682هـ/ 1283م)[2].

ومن المدارس المشتركة أيضاً: **المدرسة السيفية** بالقاهرة التي شيدها الأمير طغتكين بن أيوب (ت596هـ/ 1196م) - أخو صلاح الدين - وكان بناؤها في وزارة صفي الدين بن شكر[3]، ومن شيوخها: الفقيه أبو الحجاج يوسف القفصي المنعوت بالفخر (ت603هـ/ 1206م)[4]، والفقيه أبو العباس أحمد بن فضل الحميري (ت611هـ/ 1214م)[5].

كما درّس فيها عدد من الفقهاء الكورد نذكر منهم: القاضي أبا طاهر إسحاق بن عبد الملك بن عيسى بن درباس الماراني (ت613هـ/ 1216م)[6]، والفقيه أبا عمرو عثمان بن محمد بن أبي علي بن موسى الكوردي المنعوت بالعماد (ت650هـ/ 1223م) وكان قد جمع بين قضاء دمياط والتدريس بالمدرسة السيفية[7]. والقاضي أبا إبراهيم إسماعيل بن أبي القاسم عبد الملك بن عيسى بن درباس (ت624هـ/ 1226م)[8].

وشيد الأمير فخر الدين أبو الفتح عثمان بن قزل[9] **المدرسة الفخرية** بالقاهرة

---

(1) المقريزي، المواعظ، 2/ 368؛ مبارك، الخطط التوفيقية، 6/ 35.

(2) الاسنوي، طبقات الشافعية، 1/ 153؛ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، 2/ 27؛ المقريزي، السلوك، 2/ 181.

(3) المقريزي، المواعظ، 2/ 368؛ مبارك، الخطط التوفيقية، 6/ 18-19.

(4)المنذري ، المصدر السابق ، 2/ 99.

(5)المنذري ، المصدر نفسه، 2/ 316.

(6) المنذري، المصدر نفسه، 2/ 381؛ الذهبي، تاريخ، ص131.

(7)المنذري، المصدر السابق ، 3/ 97؛ الاسنوي، طبقات الشافعية، 2/ 186.

(8)المنذري، المصدر السابق، 3/ 208؛ الذهبي، تاريخ، ص167.

(9) من أمراء الملك الكامل محمد بن العادل له مواقف بر كثيرة وكانت ولادته بحلب سنة 561هـ/ 1165م أما وفاته فكانت بحران سنة 629هـ/ 1231م. الذهبي، تاريخ، ص331؛ المقريزي، السلوك، 1/ 366؛ النعيمي، الدارس، 1/ 327.

سنة 622هـ/ 1225م وتولى التدريس فيها عدد من الفقهاء الشافعية والحنفية نذكر منهم: الفقيه إسماعيل بن إبراهيم بن غازي الماراني الحنفي (ت637هـ/ 1239م) وكان بصيراً بعلم الكلام والمنطق والطب والنحو[1]، والفقيه الشافعي أبو القاسم عبد الكريم المنعوت بابن البندار (ت627هـ/ 1229م)[2].

والمدرسة **الصيرمية** بالقاهرة، وهي منسوبة إلى الأمير جمال الدين شويخ بن صيرم الكاملي (ت636هـ/ 1238م) وكان بناؤها سنة 636هـ/ 1238م[3].

والمدرسة **المسرورية** بالقاهرة بحارة الأمراء قام ببنائها مسرور الخادم أحد خدام القصر في الدولة الفاطمية، ثم اختص بالسلطان صلاح الدين وتقدم عنده، وكان قد أوصى أن تحول داره بعد وفاته إلى مدرسة[4]. ومن شيوخها: الفقيه محي الدين أبو المكارم محمد بن عبد الله بن علوان الشافعي (ت672هـ/ 1273م)[5].

ومن المدارس المشتركة أيضاً: **مدرسة بني مزيبل** ولا نعرف عنها سوى ما ذكره ابن دقماق أن بانيها رجل كوردي وهو مدفون في قبة بجانب بابها[6]. ولعله الفقيه المقرئ الضرير أبو إسحاق إبراهيم بن مزيبل بن نصر الشافعي (ت597هـ/ 1200م) الذي أورد المنذري ترجمته وقال أنه درّس بالمدرسة المعروفة به في مصر مدة طويلة[7].

والمدرسة **القوصية** بالقاهرة بالقرب من درب ملوخيا أنشأها أحد ولاة قوص[8]، وممن درّس بها: الفقيه أبو الحسين يحيى بن أبي السعادات منصور بن يحيى

---

(1)المنذري، المصدر السابق ، 3/ 525؛ الذهبي، تاريخ، ص301.

(2)المنذري، المصدر السابق، 3/ 263.

(3) المقريزي، المواعظ، 2/ 378؛ الصائغ، الملك الكامل، ص175.

(4) القلقشندي، صبح الأعشى، 3/ 401؛ المقريزي، المواعظ، 2/ 378؛ مبارك، الخطط التوفيقية، 6/ 37.

(5) المقريزي، المواعظ، 2/ 378؛ السلوك، 2/ 87.

(6) الانتصار لواسطة عقد الأمصار، 1/ 96.

(7) التكملة، 1/ 403؛ الذهبي، تاريخ، ص279.

(8) المقريزي، المواعظ، 2/ 378؛ مبارك، الخطط التوفيقية، 6/ 35.

اليماني الشافعي (ت631هـ/ 1233م)[1]، والقاضي أبو الفضائل لقمان بن حسن بن بهرام بن بديل الشافعي (ت638هـ/ 1240م)[2]. وأنشأ التاجر الإسكندراني منصور بن حباسة المنعوت بالوجيه مدرسة بالإسكندرية عرفت به[3]، وقد فات المقريزي ذكرها في خططه وربما تعمّد ذلك لقلة لعدم أهميتها.

كما وجدت العديد من المدارس خارج مدينتي القاهرة والإسكندرية في مدن مثل أسوان وقوص واسنا إلا أنها كانت أقل شأناً من تلك التي أنشئت في القاهرة والإسكندرية لذلك فإن المصادر غالباً ما أشارت إليها بإشارات عابرة ومن تلك المدارس نذكر: **المدرسة الفائزية** بأسيوط وسبقت الإشارة إليها ضمن الحديث عن المدارس الشافعية، **والمدرسة النجيبية** بمدينة قوص ومنشؤها النجيب بن هبة الله التاجر القوصي (ت622هـ/ 1225م) وكان تاجراً ثرياً بنى مدرسته بقوص سنة 607هـ/ 1210م وكانت تضم مكتبة فيها جملة كتب قيمة[4]. **والمدرسة الأفرمية** بقوص وممن درّس بها الفقيه جلال الدين أحمد بن عبد الرحمن الدشناوي (ت677هـ/ 1278م)[5]، والفقيه أحمد بن موسى بن محمد القوصي (ت701هـ/ 1301م)[6]، **والمدرسة النجمية اللمطية** في منية بني خصيب ومن شيوخها: الفقيه علي بن خلف بن علي التلمساني (ت599هـ/ 1202م)[7]، والفقيه أبو الفضائل بن إسماعيل المالكي (ت611هـ/ 1214م)[8]، **ومدرسة أسوان** ومن شيوخها إسماعيل بن محمد بن حسان الأنصاري الشافعي (ت597هـ/ 1200)[9]، والفقيه أحمد بن محسن

(1) المنذري، المصدر السابق، 3/ 368؛ الذهبي، تاريخ، ص75.

(2)المنذري، المصدر السابق، 3/ 561.

(3)المنذري، المصدر نفسه ، 3/ 589؛ الذهبي، المصدر السابق، ص393.

(4)المنذري، المصدر السابق، 3/ 163؛ الذهبي، تاريخ، ص125.

(5) الاسنوي، طبقات الشافعية، 1/ 667؛ ابن قاضي شهبة، طبقات، 1/ 460.

(6) الصفدي، أعيان العصر، 1/ 239.

(7) الذهبي، تاريخ، ص402-403.

(8)المنذري، المصدر السابق، 2/ 321.

(9) الذهبي، تاريخ، ص382.

بن مكي الأنصاري البعلبكي (ت699هـ/ 1299) الذي تصدر التدريس فيها مدة طويلة[1]. **ومدرسة دمياط** ومن شيوخها قاضي القضاة عبد السلام بن أبي الحسن بن منصور الدمياطي (ت619هـ/ 1222م)[2]، **والمدرسة المعزية** باسنا ومن شيوخها القاضي بهاء الدين هبة الله بن سيد الكل القفطي الشافعي (ت697هـ/ 1297م)[3].

رابعاً ـ دور الحديث:

ونعني بها المؤسسات التعليمية التي تخصصت لدراسة الحديث وما يتعلق به لكونه يمثل المصدر التشريعي الثاني بعد القرآن ومن أشهرها بمصر المدرسة الكاملية بالقاهرة والتي جاء بناؤها بناءً على رغبة الملك الكامل محمد الذي كان مولعاً بعلم الحديث "**معظماً للسنة النبوية وأهلها راغباً في نشرها والتمسك بها**"[4]، ويرجع إنشائها إلى سنة 621هـ/ 1224م[5]. ولم تكن أول مدرسة أنشئت لدراسة الحديث وإنما سبق إنشاؤها مدارس اخرى بالموصل واربيل ومدن أخرى[6].

ويذكر أن **المدرسة الكاملية** لم تتخصص لدراسة الحديث وحده وإنما اتبع ذلك

---

(1) الصفدي، أعيان العصر، 1/ 184.

(2)المنذري، المصدر السابق، 3/ 71؛ الاسنوي، طبقات الشافعية، 1/ 237.

(3) الاسنوي، طبقات، 2/ 169؛ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، 2/ 59الداوودي، طبقات المفسرين، 2/ 349.

(4) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 6/ 230.

(5) الداوداري، كنز الدرر، 7/ 265؛ القلقشندي، صبح الأعشى، 3/ 414.

(6) من مدارس الحديث التي سبق انشاؤها نذكر دار الحديث المهاجرية في الموصل (قبل سنة 585هـ) ، ودار الحديث التي أنشأها مظفر الدين كوكبري في الموصل قبل (594هـ) كما أنشأ مظفر الدين مدرسة أخرى للحديث في اربيل سميت بدار الحديث المظفرية ثم تلا ذلك إنشاء مدارس أخرى في تكريت ودمشق وربما كانت دار الحديث الكاملية في القاهرة هي السادسة أو الخامسة من حيث الترتيب ، للمزيد ينظر المنذري ، المصدر السابق ، ص12، ابن المستوفي ، تاريخ اربيل ، ق2 ، ص196. محسن محمد حسين ، اربيل في العهد الأتابكي ، ص66-67، حسام الدين النقشبندي ، خطط اربيل في كتاب ابن المستوفي، مجلة أبحاث الانسانية ، ع(1) كانون الثاني 1989، ص148.

بدراسة الفقه وعلوم العربية[1]. وهي ثاني مدرسة للحديث بعد تلك التي بناها نور الدين محمود زنكي في دمشق[2].

وأوقف الملك الكامل محمد على مدرسته جملة من الوقوف للصرف من ريعها على المدرسة ومنتسبيها، منها الربع الذي بجانبها على باب الخرنشف، كما بنى فيها منازل لسكنى المدرسين والطلبة وألحق بها خزانة كتب[3].

وكان أول المتصدرين للتدريس فيها: الحافظ أبو الخطاب عمر بن علي بن دحية السابق ذكره[4]. ثم ما لبث أن عزله الكامل فحلّ أخوه أبو عمرو عثمان بن علي (ت634هـ/ 1236م) بدلاً عنه[5]. ثم أعقبه الحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري الذي انقطع للتدريس فيها نحو عشرين سنة مكباً على العلم والإفادة[6].

وممن تولى مشيختها أيضاً: الحافظ محي الدين أبو بكر محمد بن إبراهيم الأنصاري (ت662هـ/ 1263م) وكان أحد الأئمة المشهورين بالعلم[7]. والحافظ أبا الحسن يحيى بن علي الأموي الذي تولى مشيختها سنة 660هـ/ 1261م[8]، والشيخ

(1) المقريزي، المواعظ والاعتبار، 2/ 375؛ الصائغ، الملك الكامل، ص174.

(2) ابن واصل، مفرج الكروب، 1/ 284؛ الذهبي، العبر، 3/ 223؛ ابن قاضي شهبة، الكواكب الدرية، ص39؛ السيوطي، حسن المحاضرة، 2/ 203.

(3) المقريزي، المواعظ والاعتبار، 2/ 203.

(4) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، جـ8، ق2/ 698؛ أبو شامة، الذيل، ص142؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، 4/ 1422.

(5) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 23/ 27؛ ابن كثير، البداية، 13/ 146؛ السيوطي، بغية الوعاة، ص322.

(6) اليافعي، مرآة الجنان، 4/ 107؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 7/ 63؛ المقريزي، السلوك، 1/ 502.

(7) أبو شامة، الذيل، ص230؛ الكتبي، فوات الوفيات، 3/ 245؛ الذهبي، العبر، 3/ 305؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 7/ 216.

(8) ابن كثير، البداية والنهاية، 3/ 306؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار، 2/ 375؛ ابن العماد، شذرات الذهب، 5/ 311.

تاج الدين علي بن محمد المعروف بابن القسطلاني (ت665هـ/ 1266م) تولاها حتى وفاته[1]. وشرف الدين محمد بن حسن بن عمر بن دحية (ت667هـ/ 1268م)[2]، والنجيب أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم الحراني التاجر (ت672هـ/ 1273م)[3].

خامساً. الخانقاهات والأربطة والزوايا[4]:

كما نشطت الحركة العلمية في الخوانق والزوايا، وحظي نزلاؤها من الصوفية والزهاد بالكثير من الرعاية والدعم من قبل الأيوبيين الذين أجروا لهم الأرزاق والجرايات وكل ما من شأنه أن يكفل لهم حياةً رغيدة، ووفد إلى مصر خلال ذلك العصر عدد كبير من مشايخ الصوفية من أرجاء العالم الإسلامي وآثر الكثير منهم البقاء في مصر وكانوا موضع ترحيب وقبول المجتمع المصري ولهم الكلمة النافذة و"**كانوا أشبه بالملوك**"[5] لكثرة احترام الناس والتفافهم حولهم وكان أمرهم مطاعاً وكلمتهم مسموعة مما جعل سلاطين الدنيا تحسدهم على ما هم فيه في الدنيا وما قد

---

(1) الذهبي، العبر، 3/ 313؛ الكتبي، فوات الوفيات، 3/ 310-311؛ اليافعي، مرآة الجنان، 4/ 124؛ السيوطي، حسن المحاضرة، 2/ 204.

(2) الصفدي، الوافي بالوفيات، 2/ 353.

(3) الذهبي، العبر، 3/ 324؛ المقريزي، السلوك، 2/ 88؛ ابن العماد، شذرات الذهب، 5/ 336.

(4) الخوانق: مفردها خانقاه أو خانكاه، وهي كلمة فارسية تعني البيت أو المكان الذي يأكل فيه الملك، وهي حسبما أشار المقريزي مستحدثة في الإسلام منذ القرن 5هـ/ 11م وأصبحت تطلق على المكان الذي يقيم فيه الصوفية للعبادة. أما الرباط: فتعني المكان المخصص للمرابطة في الثغور لجهاد العدو، كما تعني المكان الذي يجتمع فيه الزهاد للتعبد، والى جانب الربط كانت هناك أماكن أصغر منها وهي الزوايا - وهي أشبه ما تكون بالمسجد الصغير أو المصلى - وقد ترادفت هذه المصطلحات الثلاثة مع بعضها، ويشير ابن جبير أن الرباطات في بلاد الشام وعموم المشرق يسمونها (الخوانق). ينظر: رحلته، ص199؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار، 2/ 414؛ 427؛ درر العقود الفريدة، ق1/ 62 هامش(1)، غربال، الموسوعة العربية الميسرة، 1/ 750؛ 861؛ رزق، خانقاوات الصوفية في مصر، 1/ 321-322.

(5) رحلة ابن جبير، ص199.

يحصلون عليه من أجر الآخرة يوم القيامة. ويُعزى إلى السلطان صلاح الدين بناؤه أول خانقاه في مصر وهي **الخانقاه الصلاحية**(1)، أو المعروفة بدار **سعيد السعداء**(2)، في القاهرة سنة 569هـ/ 1270م ورصد لها وقفاً كبيراً من بينها بستان الحبانية بجوار بركة الفيل خارج القاهرة، وقيسارية الشراب بالقاهرة. وناحية دهمرو من البهنساوية(3). وكانت الأكثر شهرة بين خانقاوات مصر طيلة القرنين السادس والسابع الهجريين، ويشير المنذري أنه كان يطلق عليها اسم **(الخانقاه)** مجرداً لشهرتها(4). كما أسهب المقريزي في الحديث عنها، ويتضح من حديثه أن الخانقاه الصلاحية بقيت عامرة طيلة العصر المملوكي حيث بلغ عدد نزلاؤها نحو ثلاثمئة من الزهاد والمنقطعين في سبيل الله(5).

وكانت هذه الخانقاه تتكون من مدخل بسيط يؤدي إلى صحن كبير مكشوف تتعامد عليه أربعة إيوانات، وبعض خلاوي أشبه بالحواصل في إيوانها الشمالي الغربي.

ومن كبار مشايخ الصوفية الذين انقطعوا فيها للعبادة والعلم نذكر: الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري (ت592هـ/ 1195م)(6)، والشيخ محمد بن محمود الطوسي الشافعي وكان قد قدم مصر سنة 579هـ/ 1183م ونزل بالخانقاة الصلاحية وتردد إليه

---

(1) هناك خانقاه أخرى بهذا الاسم منسوبة إلى صلاح الدين بناها في القدس سنة 585هـ/ 1189م. ينظر: النعيمي، الدارس، 2/ 138.

(2) سعيد السعداء: أحد خدام القصر الفاطمي واسمه قنبر وكانت داره بخط رحبة باب العيد بالقاهرة، فلما آلت سلطة مصر إلى صلاح الدين رأى أن يجعل هذه الدار ملجأ يأوي إليه المتصوفة، وأوقف عليها وقوفاً كثيرة. المقريزي، المواعظ والاعتبار، 2/ 415؛ درر العقود الفريدة، ق1/ 82 هامش (1)؛ الحنبلي، شفاء القلوب، ص189.

(3) المقريزي، المواعظ والاعتبار، 2/ 415؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 6/ 55؛ بيلي، حياة صلاح الدين، ص223.

(4) التكملة لوفيات النقلة، 2/ 79.

(5) المواعظ والاعتبار، 2/ 415-416؛ سليم، عصر سلاطين المماليك، 3/ 61.

(6) المنذري، المصدر السابق لوفيات النقلة، 1/ 250-251.

الفقهاء وطلبة العلم أثناء مدة إقامته فيها[1]. وأبو منصور عبد الجبار بن خورشيد القرمسيني (ت601هـ/ 1204م)[2]، ومحمد بن سعيد بن الحسين المأموني (ت603هـ/ 1206م)[3]، وأحمد بن عمر بن محمد الخيوقي (ت618هـ/ 1221م) - من إحدى قرى خوارزم - وأشتهر كونه فقيهاً ومفسراً وله رسائل في التصوف وتفسير للقرآن في اثني عشر مجلداً[4]، وآخرين لا حصر لهم[5].

ويلاحظ أن أغلب المنقطعين بالخانقاه الصلاحية كانوا من **المشارقة** أو ممن اصطلح على تسميتهم أحياناً بـ"**الأعاجم**"[6] لكونهم "**أهل أدب ومعرفة بطريقة التصوف**"[7].

ولم تكن الخانقاه الصلاحية لتختلف عن المدارس في كونها تمثل مؤسسة تعليمية معتبرة تصدّر التدريس فيها نخبةً من مشاهير علماء وشيوخ ذلك العصر من أبرزهم أسرة شيخ الشيوخ صدر الدين أبو الحسن محمد بن حمويه الجويني والذي ولاّه صلاح الدين مشيخة الخانقاه والتدريس بالمدرسة الصلاحية[8]

ثم توارثها أبناؤه من بعده حتى عرفت أسرته بـ"**شيخ الشيوخ**" وهو اللقب الذي أطلق على من تصدّر إدارة الخانقاه الصلاحية ومنهم الفقيه عماد الدين عمر بن صدر الدين بن حمويه (ت636هـ/ 1238م)[9]، والقاضي كمال الدين أحمد بن صدر الدين بن حمويه[10]، والفقيه تاج الدين بن عمر بن حمويه

(1) المنذري، المصدر السابق، 1/ 364.

(2) المنذري، المصدر نفسه ، 2/ 79.

(3) ابن الدبيثي، ذيل تاريخ بغداد (بغداد: 1974)، 1/ 282.

(4) الداوودي، طبقات المفسرين، 1/ 58-59.

(5) المنذري، المصدر السابق، 2/ 198، 353، 396، 3/ 159، 562...

(6) المنذري، التكملة، 1/ 250.

(7) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص56-57.

(8) أبو شامة، الذيل، ص125.

(9) المنذري، التكملة، 3/ 506ـ507؛ ابن تغري بردي، النجوم، 6/ 312ـ314.

(10) المنذري، التكملة، 3/ 598.

(ت642هـ/ 1244م)[1]، وابنه سعد الدولة الخضر بن تاج الدين عبد الله بن عمر (ت674هـ/ 1275)[2].

ولا يخفى أن أبناء أسرة شيخ الشيوخ قد لعبوا دوراً كبيراً في تاريخ الدولة الأيوبية فبالإضافة إلى جهدهم الواضح في النشاط الديني والعلمي وتوليهم وظائف القضاء والتدريس فقد كان لهم أيضاً دور في مضمار الحرب والسياسة[3].

ولم تكن الخانقاه الصلاحية هي الوحيدة التي أنشئت في مصر حيث أشارت المصادر التاريخية إلى خوانق أخرى بإشارات عابرة كالخانقاه التي أمر بإنشائها الأمير تقي الدين عمر -السابق ذكره- في الفيوم[4].

وكانت تعقد بالخوانق حلقات الدرس لاسيما فيما يتعلق بالعلوم الشرعية من فقه وحديث وتفسير، فضلاً عن كونها مراكز اعتكاف وإيواء يلجأ إليها الغرباء ومن انقطعت به السبل فكانت بذلك أماكن للعلم والعبادة معاً قامت بأدوار دينية واجتماعية وثقافية هامة في حياة المجتمع الإسلامي. وجاء اهتمام الأيوبيين بها رغبة منهم في إفساح المجال أمام أبناء الطبقات الدنيا للإقبال على العلم والتعلم لذلك لا غرو إذا علمنا أن الكثير من مفكري وعلماء ذلك العصر كانوا من الحرفيين أو الفقراء[5].

أما بالنسبة إلى الربط والزوايا فقد انتشرت في أرجاء مصر وكانت أكثر من أن تحصى، حيث تنافس الأثرياء وأهل الخير في بنائها وكان أكثر نزلائها من الفقراء أو الغرباء، وعُرفت الكثير منها بأسماء واقفيها أو من انقطعوا إليها وأقيمت بعضها بالقرب من الجوامع أو بالقرب من المزارات والأضرحة والمشاهد[6].

---

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، 13/ 165.

(2) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 7/ 251.

(3) للتفاصيل ينظر: ابن واصل، مفرج الكروب، 5/ 169-170؛ المقريزي، السلوك، 1/ 382.

(4) النويري، الإلمام، 4/ 53.

(5) عاشور، مصر في عصر، ص188.

(6) المنذري، التكملة، 3/ 411؛ 611.

ومن الربط والزوايا التي تعود إلى ذلك العصر نذكر: رباط الأمير فخر الدين بن عثمان بن قزل (ت629هـ/ 1231م) – من أمراء الملك الكامل – وكان يقع بسفح جبل المقطم[1]، ورباط الشيخ صفي الدين الحسين بن علي بن أبي المنصور المالكي (ت682هـ/ 1283م) بالفسطاط[2]، ورباط سليمان نسبة إلى الشيخ أحمد بن أحمد بن سليمان البطائحي (ت691هـ/ 1291م) وكان يقع بحارة الهلالية خارج باب زويلة[3]- بناه بدر الدين الجمالي- ، ورباط الهكاري في الإسكندرية أنشأه محمد بن الأمير زيد الدين أبو المفاخر عبد الله الهكاري الإسكندري متولي ثغر الإسكندرية وكان أديبا عالما توفي سنة 683هـ/ 1284م ودفن في رباطه[4].

ومن الزوايا نذكر: زاوية ابن منظور التي كانت تقع خارج القاهرة بخط البركة وعرفت بالشيخ جمال الدين محمد بن أحمد بن منظور الكناني الشافعي (ت696هـ/ 1296م)[5]، وزاوية عبد الله بن أبي حمزة الأندلسي (ت675هـ/ 1276م)[6]، وزاوية القصري نسبة إلى الشيخ محمد بن موسى القصري المغربي قدم القاهرة وانقطع بزاويته حتى وافاه الأجل سنة 633هـ/ 1235م[7] بالإضافة إلى زوايا أخرى عديدة لم نقف على أسماء عدد منها كما لم يتم التحقق من زمن بناء بعضها الآخر **كزاوية الكوردي** نسبة إلى الشيخ يوسف الكوردي بوسط البكارة بجامع الشاميين[8].

---

(1) ابن الصابوني، تكملة اكمال، ص161.

(2) المقريزي، المواعظ والاعتبار، 2/ 428.

(3) المقريزي، المواعظ، 2/ 428.

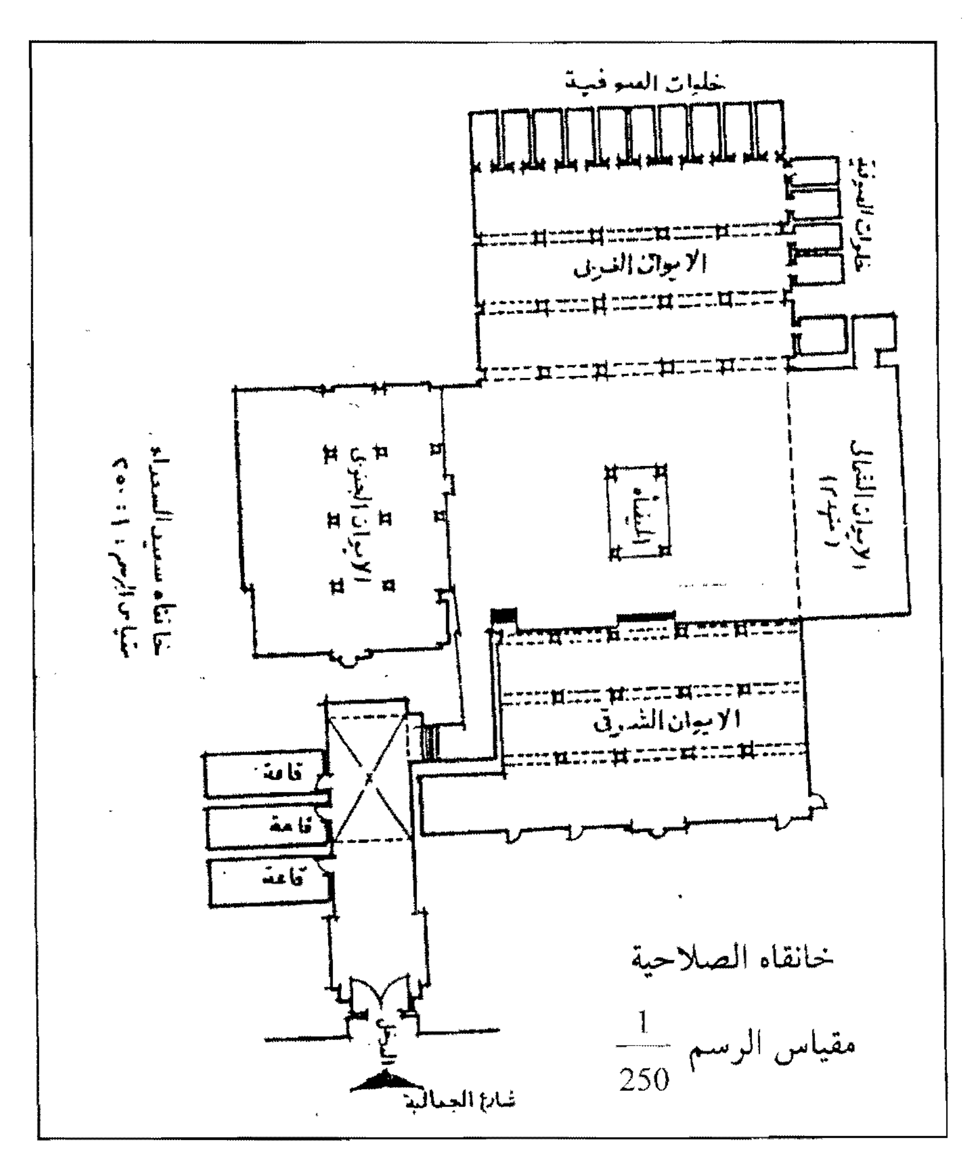
(4) سالم، تاريخ الإسكندرية، ص132.

(5) المقريزي، المواعظ، 2/ 431؛ مبارك، الخطط التوفيقية، 6/ 48.

(6) مبارك، الخطط التوفيقية، 6/ 101.

(7) المقريزي، المواعظ، 2/ 434؛ مبارك، الخطط التوفيقية، 6/ 113.

(8) ابن دقماق، الانتصار، 1/ 103؛ مبارك، الخطط، 6/ 114.



نقلاً عن: رزق- خانقاوات الصوفية $\frac{1}{153}$.

سادساً- البيمارستانات[1]:

وتعد من المنشآت العامة التي تُعنى بتقديم الخدمات العلاجية والطبية للمرضى، وقد عرفت المدينة الإسلامية المارستان منذ وقت مبكر حيث واكب إنشاؤها النمو العمراني فيها[2]. ثم تطورت مع تطور المجتمع الإسلامي وزيادة اهتمامه بالنواحي الطبية ولم تعد مهمتها لتقتصر على تقديم العلاج للمرضى، بل أصبحت أيضاً عبارة عن مراكز تعليمية يتلقى فيها طلبة الطب علومهم النظرية والتطبيقية[3].

وحرصاً من الأيوبيين على إقامة مجتمع سليم مُعافى لمواجهة الأخطار الناجمة عن انتشار الأوبئة والأمراض الفتاكة التي تهدد كيان المجتمع وتمزق أوصاله لذا اهتموا بعلوم الطب ومؤسساته التعليمية والخدمية ورصدوا لها أموالاً كثيرة لكي تقوم بدورها الاجتماعي المنشود بالعطف والعناية بالمرضى، وترافق بناء البيمارستانات مع المدارس وغيرها من المؤسسات العامة[4].

ومن الأسباب التي دعت الأيوبيين للعناية بالمستشفيات والخدمات الصحية عموماً هو حث الشريعة الإسلامية على حفظ صحة الإنسان وضرورة العناية بها. كما أن كثرة عمليات الجهاد ضد الغزاة الصليبيين كان يتطلب بلا شك عناية بالبيمارستانات والاهتمام بعلم الطب وبناء الأبنية الخاصة بالعلاج.

---

(1) **البيمارستان**: بفتح الراء وسكون السين، كلمة فارسية مركبة من كلمتين (بيمار) وتعني المريض، و(**ستان**) بمعنى مكان أو دار ومعناها مكان المرضى وتقابل حالياً المستشفى. ينظر: ابن واصل، مفرج الكروب، 2/ 55، هامش (المحقق)، عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى (القاهرة: 1972)، ص109؛ عيسى، تاريخ البيمارستانات، ص4.

(2) عثمان، المدينة الإسلامية، ص249.

(3) المقريزي، المواعظ والاعتبار، 2/ 406؛ مايرهوف، العلوم والطب، تراث الإسلام، 2/ 512؛ راشد، موسوعة تاريخ العلوم، 3/ 119.

(4) أبو شامة، الروضتين، 1/ 268؛ اليافعي، مرآة الجنان، 3/ 351؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، 2/ 85.

وسعى الأيوبيون إلى تجهيز بيمارستاناتهم بكل ما تحتاج إليه وألحقوا بها صيدليات، وخزائن للكتب الطبية[1]، كما عينوا لكل منها ناظراً أو مديراً يشرف على إدارتها واشترطوا فيمن يتولى هذا المنصب العفة والكفاءة والأمانة والصدق وأن يتابع أحوال المرضى لتوفير ما يحتاجونه وما يكتب لهم من أدوية[2].

وكانت البيمارستانات تقدم خدماتها الصحية لكافة أفراد المجتمع مجاناً بغض النظر عن أوضاعهم المعيشية، ورتبهم الاجتماعية حيث كانت المستشفيات ممولة بواسطة عائدات المؤسسات الخيرية المعروفة بأوقاف الدولة[3].

وضمت البيمارستانات الأيوبية عادة قاعات مركزية عديدة مع حجرات عديدة متاخمة كالمطبخ وغرف المؤن والصيدلية، وغرف سكن المستخدمين بالإضافة إلى مكتبة في بعض الأحيان وأماكن أخرى أعدت خصيصاً لعلاج الأمراض المختلفة.

وحرصاً على تنفيذ مبادئ الشريعة الإسلامية التي تحث على عدم الاختلاط بين الجنسين لحماية الأخلاق ، قسمت البيمارستانات إلى قسمين منفصلين: أحدهما خاص بالنساء والآخر للرجال[4]، ولعل من أشهر البيمارستانات في مصر تلك التي بناها السلطان صلاح الدين وهي:

أ ـ البيمارستان الناصري بالقاهرة:

شرع السلطان صلاح الدين في بنائه سنة 572هـ/ 1176م، وخصّص لإنشائه إحدى قاعات القصر الفاطمي ووقف عليه جملة وقوف[5]، وجاء اختياره لهذا

---

(1) ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص628.

(2) القلقشندي، صبح الأعشى، 4/ 197-198.

(3) راشد، موسوعة تاريخ العلوم، 3/ 1191.

(4) ابن جبير، رحلته، ص52؛ راشد، موسوعة تاريخ، 3/ 791.

(5) ابن الأثير، الكامل، 11/ 441؛ سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، جـ8، ق1/ 338؛ البنداري، سنا البرق الشامي، ق1/ 241؛ أبو شامة، الروضتين، 1/ 268؛ المقريزي، السلوك، 1/ 172.

المكان بناءً على توافر الشروط الصحية فيه[1]. وكذلك بعده عن الضوضاء[2].

وكان يضم أقساماً ثلاثة أحدها مخصص للرجال، والآخر للنساء، أما الثالث فكان مخصصاً للأمراض العقلية والمجانين[3].

وجاء عن ابن جبير في وصفه هذا المارستان: "**ومما شاهدناه من مفاخر هذا السلطان، المارستان الذي بمدينة القاهرة، وهو قصر من القصور الرائعة حسناً واتساعاً، أبرزه لهذه الفضيلة تاجراً واحتسابا، وعين قيماً من أهل المعرفة ووضع لديه خزائن العقاقير ومكّنه من استعمال الأشربة وإقامتها على اختلاف أنواعها ووضعت في مقاصير ذلك القصر أسرة يتخذها المرضى مضاجع كاملة الكسى، وبين يدي ذلك القيّم خدمة يتكفلون بتفقد أحوال المرضى بكرةً وعشية فيقابلون من الأغذية والأشربة بما يليق بهم ... والسلطان يتطلع هذه الأحوال كلها بالبحث والسؤال ويؤكد في الاعتناء والمثابرة عليها غاية التأكيد**"[4].

ب ـ مارستان الإسكندرية:

وهو الآخر من إنشاء صلاح الدين أمر بإقامته عند توجهه إلى الإسكندرية في شوال سنة 577هـ/ 1181م لسماع الحديث على الفقيه أبي طاهر بن عوف، وأفرد له أوقافاً في الفيوم ومبلغ مائتا ألف دينار[5]. كما عين له أطباء وخدم وفراشين لتقديم الرعاية الطبية والعلاجية للمرضى والضعفاء من الغرباء لاسيما من المغاربة الذين اكتظت بهم الإسكندرية[6].

---

(1) القلقشندي، المصدر السابق، 3/ 417.

(2) التكريتي، الإسناد الطبي، ص175.

(3) ابن جبير، رحلته، ص52.

(4) رحلة ابن جبير، ص52.

(5) المقريزي، السلوك، 1/ 187.

(6) ابن جبير، المصدر السابق، ص46.

جـ مارستان الفسطاط:

لم تشر المصادر إلى سنة بنائه، إلا أنه كان يتمتع بنفس الأهمية والمكانة التي تمتع بها مارستان القاهرة[1].

ومن الملاحظ أن علوم الطب قد اتصلت بالبيمارستان وفيها جرت الكثير من التجارب الطبية . إلا أن ما يهمنا ويعنينا من ذلك هو نشاطها النظري، فقد كانت تضم قاعات دراسية وخزائن للكتب يرجع إليها الأطباء وطلابهم في دراساتهم ذات الصلة بالحالات المرضية التي يعالجونها، فعلى سبيل المثال ذكر ابن أبي أصيبعة عدداً من الأطباء الذين كانوا يترددون إلى البيمارستان الناصري وغيره ليمارسوا مهنتهم في علاج المرضى، وكذلك التباحث مع طلبتهم وإلقاء الدروس النظرية عليهم، ومن هؤلاء نذكر على سبيل المثال: الطبيب رضي الدين أبو الحجاج يوسف بن حيدرة الرحبي، ولد بجزيرة ابن عمر سنة 534هـ/ 1139م وسافر إلى بغداد ودمشق ثم استقر به المقام بالقاهرة واجتمع بالسلطان صلاح الدين وحسن موقعه عنده وأطلق له في الشهر ثلاثين ديناراً لقاء عمله وتردده إلى البيمارستان الناصري[2].

وممن خدم بالبيمارستان الناصري أيضاً: الطبيب نفيس الدين هبة الله بن صدقة الكولمي (ت636هـ/ 1236م) وكان متقناً لصناعة الكحل والجراحة ولشهرته ولاّه الملك الكامل محمد رئاسة الطب بمصر[3].

أما المدارس الطبية فلم نجدها في مصر طيلة العصر الأيوبي والمدرسة الوحيدة التي تحدثت عنها المصادر هي **المدرسة المهذبية** بالقاهرة خارج باب زويلة بناها الطبيب مهذب الدين أبو سعيد محمد بن أبي الوحش في سنة 684هـ/ 1285م[4].

ويبدو أن عدم وجود مدارس متخصصة بالطب يرجع إلى أن الطب علم نظري

(1) ابن جبير، المصدر نفسه ، ص52؛ الدباغ، المشرق العربي خلال رحلة ابن جبير، ص197.

(2) ينظر: عيون الأنباء، ص672.

(3) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص586 وأنظر، ص583، 584، 628.

(4) المقريزي، المواعظ والاعتبار، 2/ 397؛ مبارك، الخطط التوفيقية، 6/ 41.

وعملي لذلك ظلّت البيمارستانات هي الأماكن المفضلة لدى دارسي وممارسي علم الطب حيث تكون الدراسة والممارسة العملية داخل المستشفى مما يزيد في نجاح مهنة الطب ويعمل على تقدمها كما هو الحال في العصر الحديث حيث أن معظم كليات الطب تقع ضمن المستشفيات أو بالقرب منها.

سابعاً- المكتبات وخزائن الكتب:

كان لازدهار الحركة الفكرية في مصر ورعاية الأيوبيين لها أثر في تزايد أعداد المكتبات وتطورها، حيث احتوت أغلب دور العبادة والعلم من مساجد ومدارس خزائن للكتب لتكون عوناً لطلبة العلم، ويمكن تمييز نوعين من المكتبات:

أ- المكتبات العامة:

وارتبط إنشاؤها في كثير من الأحيان بدور العبادة والعلم وكانت خزائن الكتب فيها أشبه ما تكون بالمكتبات العامة فقد كان دخولها مسموحاً به لمن يرغب دون عائق[1].

وجرت العادة أن يودّع الناس في المساجد عدداً من نسخ القرآن الكريم وغيرها من الكتب الدينية والنافعة كوقف لفائدة المطالعين والمصلين[2]، وكثيراً ما كانت المكتبات مراكز علمية تعقد فيها مجالس العلم، ويحضرها الطلاب والفقهاء لقراءة الكتب والمطالعة والنسخ[3].

وكان الأيوبيون قد ورثوا المكتبات التي سبق أن أقامها الفاطميون في مصر ومن أشهرها خزانة الكتب بالقصر الفاطمي التي أنشأها الخليفة الحاكم بأمر الله وألحقها بدار العلم سنة 395هـ/ 1005م[4].

ولشهرة هذه المكتبة فقد أسهب المؤرخون في الحديث عنها وعما كانت تحويه

(1) شلبي، تاريخ التربية، ص193.

(2) حمادة، المكتبات في الإسلام، ص82.

(3) المقريزي، اتعاظ الحنفا، 2/ 56؛ حمودي، نشأة المدارس، ص113.

(4) المقريزي، المصدر السابق ، 2/ 56.

من نفائس الكتب[1]، وما حل بها بعد سيطرة صلاح الدين على القصر الفاطمي سنة 567هـ/ 1171م، حيث اتهم بمصادرة وبيع أكثرها وإتلاف البعض الآخر لاسيما تلك التي لها علاقة بالفكر الفاطمي أو بعلوم الفلسفة والمنطق والتي لا تتوافق مع فكر الدولة الأيوبية وتوجهاتها[2]. وكان المشرف على ذلك كله الأمير بهاء الدين قراقوش متولي القصر من قبل صلاح الدين[3].

وتروي بعض المصادر أن عملية بيع الكتب وإفراغ المكتبة من محتوياتها استمرت نحو عشرين سنة[4] وأن الكثير من كتبها قد بيع بأسعار زهيدة[5].

ويبدو أن مثل هذه الروايات مبالغ فيها وتحتاج إلى أكثر من تحليل وذلك لأن إفراغ أكبر مكتبة بالعالم من كتبها لا يستغرق أسبوعاً واحداً وإن شئت فقل شهراً واحداً. ومثل هذه الرواية دلالة على استقامة الأيوبيين وصلاح الدين الذين لم يتسلطوا على الشعب المصري ولم يرغموه على أي شيء وكان التغيير الفكري يجري دون قهر وكلما ازداد إقبال الناس على التغيير الفكري ازداد البعد عن كتب الفكر الفاطمي مما جعلها تفرغ خلال عشرين سنة عن محتواها الفاطمي لتكون ضمن فقه السنة والجماعة.

وظهر تقدير الأيوبيين للمكتبات من خلال عنايتهم بدور العبادة والعلم وإدراكهم أن عمل تلك المؤسسات لا يكتمل دون وجود مكتبات أو خزائن للكتب يرجع إليها الطلاب والمدرسون ويعتمدون عليها في تحصيلهم المعرفي ولعل من أبرز المكتبات العامة التي أنشئت في ذلك العصر: مكتبة **المدرسة الفاضلية** تلك المدرسة التي أسسها القاضي الفاضل بجوار داره في القاهرة سنة 580هـ/ 1184م وأوقف عليها

---

(1) للتفاصيل ينظر: مدخل الأطروحة، ص21ـ22.

(2) هالم، الفاطميون وتقاليدهم في التعليم، ص143.

(3) أبو شامة، الروضتين، 1/ 268.

(4) ابن واصل، مفرج الكروب، 1/ 203؛ نيوباي، صلاح الدين وعصره، ص70.

(5) البنداري، سنا البرق الشامي، ق1/ 234.

جملة عظيمة من الكتب التي كانت بحوزته من سائر العلوم[1]. فقد عرف عنه أنه كان "مغرماً بالكتابة والكتب"[2] مجتهداً في تحصيلها من سائر البلاد[3] ويدفع فيها مبالغ باهظة وكان له نساخ ومجلدون يعملون طوال الوقت، وتنوعت الكتب التي بحوزته من أدب وتاريخ وفقه ولغة وغيرها من صنوف المعرفة وكان لديه نحو خمس وثلاثون نسخة من كتاب الحماسة[4].

ومن بين الكتب النادرة التي سعى القاضي الفاضل الحصول عليها: ديوان شعر الأديب أبي نصر أحمد بن يوسف المنازي (ت437هـ/ 1045م) صاحب ديوان الرسائل في الدولة الدوستكية المروانية[5] وكذلك حضوره لمكتبة القصر الفاطمي وشراؤه لعدد كبير من كتبها بلغت حسب تقديرات المصادر نحو مائة ألف مجلد وقفها فيما بعد على مدرسته بالقاهرة[6]. وقد آلت معظم كتب هذه المكتبة إلى الضياع سنة 694هـ/ 1294م في غضون المجاعة التي أصابت مصر فباع طلاب المدرسة ما كان بها من الكتب وكانوا "يبيعون كل مجلد برغيف"[7].

ومن بين النسخ النادرة التي كانت في تلك المكتبة ما ذكره المقريزي أنها كانت تحوي في عهده على مصحف الخليفة الراشدي عثمان بن عفان (ﷺ) والذي قيل أن القاضي الفاضل حصل عليه مقابل دفعه مبلغاً قدره نيف وثلاثين ألف دينار[8].

---

(1) المنذري، المصدر السابق، 3/ 115؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار، 1/ 409.

(2) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 21/ 343؛ المقريزي، المصدر نفسه ، 2/ 367.

(3) ابن كثير، البداية والنهاية، 13/ 26؛ الغساني، العسجد المسبوك، ص257؛ المقريزي، المواعظ، 2/ 367؛ ابن العماد، شذرات، 4/ 325.

(4) المقريزي، المصدر السابق ، 2/ 367؛ رمضان، تاريخ المدارس، ص209.

(5) ابن خلكان، وفيات الأعيان، 1/ 144؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 12/ 54؛ عبد الرقيب يوسف، الدولة الدوستكية في كردستان الوسطى (أربيل: 2001)، 2/ 62.

(6) ابن الفوطي، مجمع الآداب، 2/ 489؛ المقريزي، المواعظ، 2/ 366.

(7) المقريزي، المصدر السابق، 2/ 366؛ حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، ص430؛ الباز، العريني، تاريخ الشرق الأدنى، ص229.

(8) ينظر: المواعظ، 2/ 366؛ رمضان، تاريخ المدارس، ص209.

ومن بين المكتبات العامة: المكتبة التي أوقفها الوزير الصاحب صفي الدين عبد الله بن علي بن شكر (ت622هـ/ 1225م) على مدرسته الصاحبية[1]، ولم تكن المساجد والمدارس لتخلو في الغالب من مكتبة تتبعها مزودة بمجموعة من الكتب كبيرة أو صغيرة تبعاً لمكانة المسجد أو المدرسة والأوقاف المرصودة عليها[2]. ويشير المنذري إلى التاجر أبي محمد عبد العزيز المعروف بابن الرافدة (ت610هـ/ 1213م) أنه لما جدد المسجد الذي بسوق بربر بالقاهرة جعل فيها خزانة كتب حسنة[3].

ومن بين المكتبات الأيوبية الشهيرة بمصر: المكتبة التي عني بها الملك الكامل محمد بن العادل في القلعة بالقاهرة، وكانت بالأصل تؤلف مكتبة القاضي الفاضل التي آلت ملكيتها بعد وفاته إلى ابنه الأشرف أحمد قبل أن يأمر الملك الكامل بوضع اليد على داره ويأمر بنقل مكتبته إلى القلعة وذلك في يوم الثاني عشر من رجب سنة 626هـ/ 1228م لتصبح نواة مكتبة كبرى ضمّت عدداً كبيراً من الكتب والمجلدات النفيسة وقدّر عددها بنحو ثمانية وستين ألف مجلد، ومن جملة الكتب التي حوتها: كتاب "**الايك والغصون**" لأبي العلاء المعري في نحو ستين مجلداً[4]. وممن تولى إدارتها: الشيخ محمد بن إبراهيم بن أبي القاسم الميدومي (ت683هـ/ 1284م)[5].

ومن المكتبات العامة أيضاً تلك التي كانت تلحق بالترب والمشاهد والخوانق حيث جرت العادة أن يلحق بهذه المراكز الدينية مكتبة صغيرة لقراءة القرآن وغيرها من الكتب.

وكان النظام المتبع في تلك المكتبات أنها كانت مفتوحة أمام الجميع ، ويستطيع أن يحصل بنفسه على الكتاب الذي يرغب وإذا ماضل الطريق إليه استعان بأحد

---

(1) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 22/ 294؛ المقريزي، المواعظ، 2/ 371.

(2) حمادة، المكتبات، ص82.

(3) التكملة لوفيات النقلة، 2/ 280.

(4) المقريزي، السلوك، 1/ 355؛ عاشور، مصر والشام، ص121؛ زكي، قلعة صلاح الدين، ص44-45؛ الصائغ، الملك الكامل، ص192.

(5) السيوطي، بغية الوعاة، ص5.

المناولين الذين في المكتبة[1] ولم يكن المسلمون في ذلك العصر قد توصلوا بعد إلى الطريقة الحديثة في وضع الكتب وترتيبها على الرفوف، بل كانوا يضعونها مستلقية الواحدة فوق الأخرى وكان على من يقوم بترتيبها أن لا يضع القطع الكبيرة فوق ذوات الصغيرة كيلا تتساقط[2].

ومن أجل المحافظة على الكتب وحمايتها من التلف اهتموا بتجليدها واستخدموا في ذلك الجلود وأحياناً صفائح الذهب المرصع بعضها بالأحجار الكريمة في تغليف المصاحف، وقل استخدام البردي لهذا الغرض، وامتازت جلود الكتب بزخارفها الجميلة من الرسوم الهندسية ورسوم النباتات وبعض الطيور والحيوانات والرسوم الأدمية[3].

ب ـ المكتبات الخاصة:

إلى جانب ما سبق تبارى أهل العلم والأدب في اقتناء الكتب وإقامة مكتبات خاصة بهم في بيوتهم وهي ما يمكن أن نسميه **بالمكتبات الأكاديمية**[4]، وكانت واسعة الانتشار فقلما نجد عالماً أو أديباً دون أن تكون له خزانة كتب خاصة به يرجع إليها في مطالعاته وميدان اهتمامه، وضمّت خزائن بعضهم آلاف الكتب فعلى سبيل المثال كان للطبيب أبي الوفاء المبشر بن فاتك وكان من أفاضل علماء مصر وأعيانها خزانة كتب تحوي كتباً كثيرة جداً وكان صاحبها - حسب رواية ابن أبي أصيبعة - مفتوناً بالكتب "**يقضي أكثر أوقاته في مطالعتها ولا يفارقها وليس له دأب إلا المطالعة والكتابة ويرى أن ذلك أهم ما عنده**"[5].

واشتهر الحافظ السلفي كونه مغرماً بجمع الكتب ينفق في شرائها ما يحصل عليه

---

(1) شلبي، تاريخ التربية، ص150.

(2) ابن جماعة، تذكرة السامع، ص172؛ الكروي، المرجع، ص443.

(3) سالم، الفنون الإسلامية في العصر الأيوبي، 2/ 75.

(4) الكروي، المرجع في الحضارة، ص455.

(5) ينظر: عيون الأنباء، ص560.

من المال[1] وأشار الذهبي أن السلفي لم يكن لديه الوقت الكافي للتفرغ لصيانة كتبه من التعفن الذي أصابها بسبب نداوة بلده الإسكندرية[2].

ومن العلماء الذين شغفوا بتحصيل الكتب واقتنائها المحدث تاج الدين محمد بن عبد الرحمن المسعودي (ت584هـ/ 1188م)[3]، والطبيب موفق الدين أسعد بن الياس المشهور بابن المطران الذي عرف بهمته العالية في تحصيل الكتب وكانت خزانته تحوي ما يناهز عشرة آلاف مجلد أغلبها متعلقة بالطب[4].

وحصّل الفقيه عبد الرحمن بن الحسين القرشي (ت600هـ/ 1203م) كتباً كثيرة في الحديث والفقه وكان له مكتب في مصر يؤدب فيه الصبيان[5].

كما عرف عن الأمير عضد الدين أبي الفوارس مرهف بن أسامة بن منقذ (ت613هـ/ 1216م) بأنه كان شغوفاً بالكتب لاسيما الأدبية منها[6]. وكان كثير الاجتهاد في تحصيلها، ويسبق لياقوت الحموي أنه التقى به في داره بالقاهرة سنة 611هـ/ 1214م وباعه بعضاً من كتبه[7]. ويبدو شغفه بالكتب واضحاً من خلال حُزنه وحسرته على ما فقده من الكتب أثناء عودة أسرته من مصر ووقوعها بأيدي الإفرنج، فرغم أنه خسر الكثير من المال إلا أنه لم يأسف عليه قدر أسفه على الكتب المفقودة وعددها نحو أربعة آلاف مجلد[8].

ووصف القاضي الفقيه عبد الكريم بن علي بن الحسن اللخمي البيساني (ت621هـ/ 1224م) – وهو أخ القاضي الفاضل بأن له: "**هوس مفرط في تحصيل**

---

(1) الذهبي، تذكرة للحفاظ، 4/ 1303.

(2) تذكرة الحفاظ، 4/ 1303؛ اليافعي، مرآة الجنان، 3/ 306.

(3) الذهبي، العبر، 3/ 88؛ سير أعلام النبلاء، 21/ 173؛ ابن العماد، شذرات الذهب، 5/ 281.

(4) ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص655.

(5) المنذري، المصدر السابق، 2/ 50-51.

(6) ياقوت، معجم الأدباء، 5/ 243؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 21/ 167.

(7) ابن الفوطي، مجمع الآداب، 1/ 420.

(8) ابن منقذ، الاعتبار، ص45؛ ابن الفوطي، مجمع الآداب، 1/ 421.

الكتب وعنده نحو مئتي ألف كتاب[1]وهو رقم مبالغ فيه إلا أنه دليل واضح على اهتمامه بالكتب كما حصّل الفقيه محمود بن عبد الله بن محمد الرومي الحنفي (ت632هـ/ 1234م) **أصولاً وكتباً كثيرة**[2].

وعرف المقرئ عبد الله بن علي بن محمد الفاسي (ت635هـ/ 1237م) أنه كانت لديه همة في تحصيل الكتب **وحصل منها جملة حسنة**[3]، أما المحدث العشاب أحمد بن محمد بن مفرج الاشبلي فقد كانت له الرحلة الواسعة **وكان كثير الكتب جماعاً لها من كل فن من فنون المعرفة**[4]، وكان لدى القاضي أبي الحسن علي بن يوسف القفطي السابق ذكره **من الكتب النفيسة ما لم يجمعه أحد من أبناء جنسه**[5]. ووجد في خزانة الوزير الطبيب أمين الدين أبي الحسن بن غزال السامري السابق ذكره ما يناهز عشرة آلاف مجلد من الكتب النفيسة من سائر العلوم[6] وكان لصاحبها همة عالية في جمعها واقتنائها وفي خدمته عدد من النساخ يكتبون له ما يرغب ومن بين الكتب التي كانت بحوزته تاريخ ابن عساكر الكبير في نحو ثمانين سفراً[7]. ومن ينظر في كتب التاريخ والتراجم يجد من هذه الأمثلة وسواها ما لا حصر لها[8].

ويلاحظ أن الكتب وما حوته من مادة كانت إحدى أهم الوسائل التي ساهمت في نشر العلم والمعرفة طيلة العصر الأيوبي، فضلاً عن كونها وسيلة من وسائل الترفيه

---

(1) ابن الصابوني، تكملة اكمال، ص10؛ الذهبي، سير أعلام، 21/ 343؛ الغساني، العسجد المسبوك، ص401؛ ابن العماد، شذرات، 4/ 324.

(2) المنذري، المصدر السابق، 3/ 386؛ الذهبي، تاريخ، ص113.

(3) المنذري، المصدر السابق، 3/ 494.

(4) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان (القاهرة: 1973)، 1/ 207-208.

(5) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص282.

(6) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، جـ8، ق2/ 784-785.

(7) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص725.

(8) ينظر على سبيل المثال: المنذري، التكملة، 3/ 386؛ الذهبي، سير أعلام، 21/ 446؛ تذكرة الحفاظ، 4/ 374؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 2/ 11؛ السيوطي، بغية الوعاة، 6.

النافعة التي حرص عامة الناس وخاصتهم على اقتنائها وإهدائها فيما بينهم[1]. وكذلك إعارتها لمن يرغب حيث استحسن العلماء إعارة الكتب لما فيه نشر العلم خاصة، وإفادة الناس عامة حتى عدّ من صفات العلماء المحمودة[2].

ولعل احد الأسباب المهمة التي ساهمت في انتشار خزائن الكتب وتطورها هو التوسع في صناعة الورق وازدهار تجارة الكتب حيث برزت طبقة أو فئة من النساخ "**الوراقة**" الذين احترفوا نسخ الكتب وتجليدها وإعدادها للبيع[3].وكان من يمارس تجارة الكتب يلقب **بالكتبي**[4]، ووجد في كل مدينة سوق للكتاب تعرض فيه نفائس الكتب لعل من أشهرها سوق الكتب في القاهرة[5]، وكثيراً ما درّت هذه التجارة على محترفيها أموالاً طائلة[6]. وكان على من يمارس هذه المهنة أن يكون عارفاً بأنواع الكتب وقيمتها وأثمانها[7].

وقد حرص الأيوبيون أن تكون لسوق الكتب والوراقة محتسب ومهمته مراقبة ما يردها من الكتب الممنوعة أو المحظورة كبعض الكتب الفلسفية أو تلك التي يعتقد أنها تتعارض مع الدين الإسلامي والتوجهات الفكرية للدولة الأيوبية. وممن تولى ذلك المنصب الشريف محاسن بن الصوري (ت663هـ/ 1264م) الذي كان محتسب سوق الكتب بالقاهرة[8].

---

(1) ابن واصل، مفرج الكروب، 4/ 119.

(2) ابن جماعة، تذكرة السامع، ص168.

(3) الفرد هيسيل، تاريخ المكتبات، ترجمة شعبان خليفة (الرياض: 1980)، ص54؛ حمادة، المكتبات، ص86.

(4) الحبال، وفيات المصريين، ص9؛ المنذري، التكملة، 2/ 201، 422؛ 3/ 511؛ الذهبي، العبر، 3/ 301؛ الصفدي، أعيان العصر، 1/ 37.

(5) أبو شامة، الذيل، ص234.

(6) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، جـ8، ق1/ 288؛ لطفي نصار، وسائل الترفيه في مصر في عصر سلاطين المماليك (القاهرة: 1999)، ص34.

(7) الصفدي، نكت الهميان، ص98؛ آل ياسين، الحركة الفكرية، ص202.

(8) أبو شامة، الذيل، ص234.

ومن العلماء الذين مارسوا تجارة الكتب في مصر القاضي الوجيه ناصر بن أبي الحسن علي بن خلف الأنصاري المشهور بابن صورة الكتبي (ت607هـ/ 1210م) وكان سمساراً في الكتب وله في ذلك حظ كبير، وكان يمارس عملية البيع والشراء في دهليز (سرداب) بداره في مصر حيث يجتمع عنده في يومي الأحد والأربعاء أعيان الفضلاء والعلماء[1]، وسبق أن أوكلت إليه بيع الكتب بمكتبة القصر الفاطمي حسبما ذكره المقريزي[2]، كما أنه تولى بيع مكتبة الحافظ السلفي بعد وفاته[3].

وممن مارس تجارة الكتب كذلك: عبد القوي بن أبي الحسن بن ياسين الكتبي (ت615هـ/ 1218م)[4]، وأحمد بن المفيد بن عبد القوي الكتبي المجلد (ت636هـ/ 1238م)[5]، والحسن بن أبي المعالي سيف بن علي المصري الورّاق (ت637هـ/ 1239م)[6]. والحسن بن علي بن منتصر الإسكندراني الكتبي (ت661هـ/ 1262م)[7]، وكذلك إبراهيم بن أبي بكر بن عبد العزيز الكتبي المشهور بالفاشوشة (ت700هـ/ 1300م) كان يتجر بالكتب توجه في أيام الملك الكامل محمد بن العادل إلى مصر في تجارتها[8].

كما بيعت في تلك الأسواق مستلزمات الكتابة مثل الأقلام التي تخصّص في صناعتها بعض الأشخاص كأبي صابر حامد بن أبي القاسم بن روزبة الأهوازي (ت612هـ/ 1215م) وكان مشهوراً بصنع الأقلام وبيعها في مصر[9].

---

(1) المنذري، المصدر السابق، 2/ 201؛ حمادة، المكتبات، ص80.

(2) المواعظ والاعتبار، 1/ 409؛ هالم، الفاطميون، ص143.

(3)المنذري، المصدر السابق، 2/ 201.

(4)المنذري، المصدر نفسه، 2/ 422.

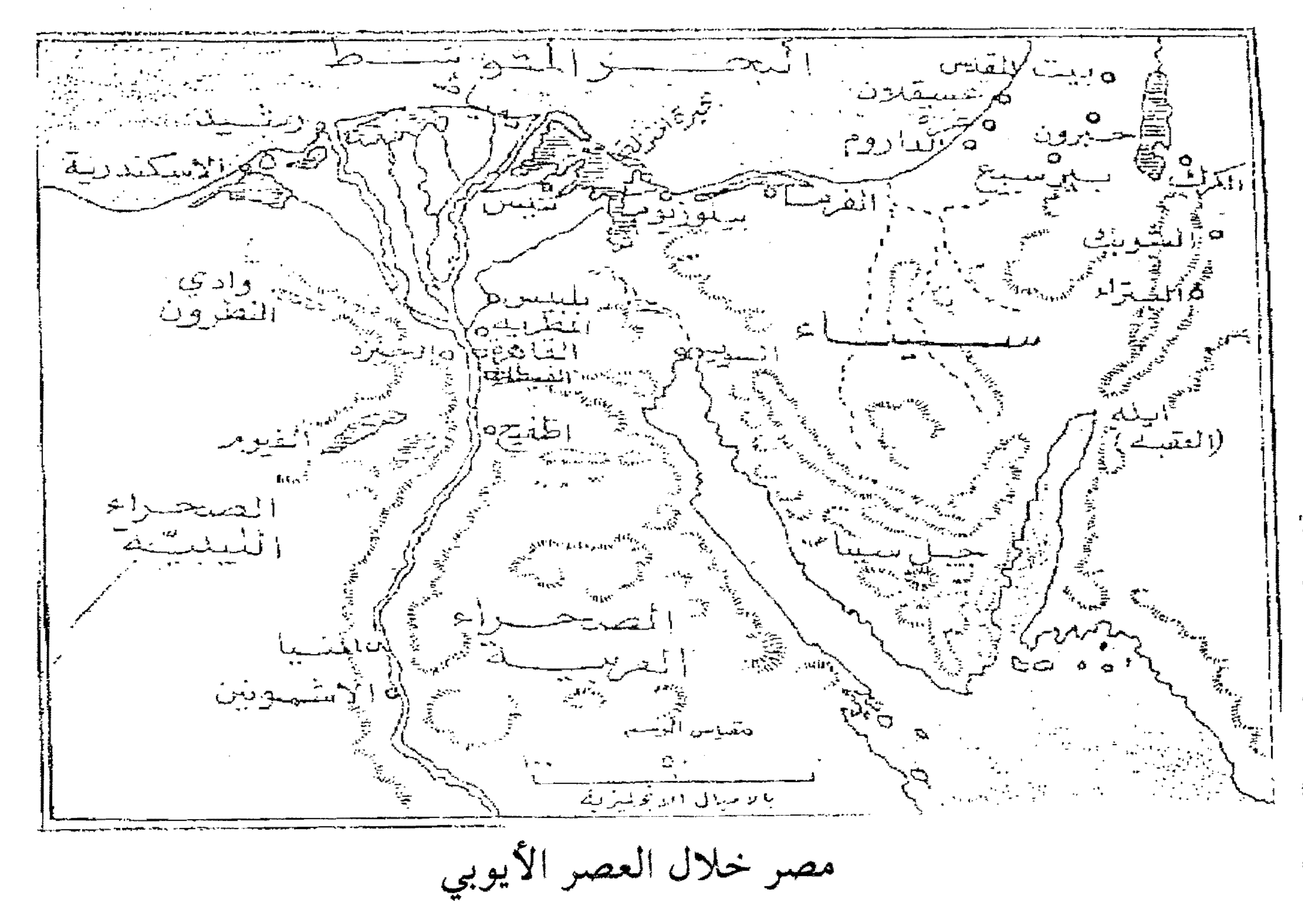
(5)المنذري، المصدر نفسه، 3/ 511؛ الذهبي، تاريخ، ص260-261.

(6)المنذري، المصدر السابق ، 3/ 538؛ الذهبي، المصدر نفسه، ص304.

(7) الذهبي، العبر، 3/ 301؛ ابن العماد، شذرات الذهب، 5/ 305.

(8) الصفدي، أعيان العصر، 1/ 37.

(9)المنذري، المصدر السابق ، 2/ 345.



مصر خلال العصر الأيوبي

الخــاتمة

بعد استقراء واقع وطبيعة الحياة الفكرية في مصر خلال العصر الأيوبي يمكن استنتاج الآتي:

1) احتلت مصر موقعاً ريادياً في منظور السياسة الأيوبية وكان لها قصب السبق على غيرها من البلاد في الكثير من الميادين لاسيما الفكرية منها، وكانت مصر بمثابة (المعقل) الأخير للحضارة الإسلامية بعد أن حماها الله من هجمات الصليبيين والمغول.

2) دخلت مصر في طور حضاري جديد بعد قيام الدولة الأيوبية، ذلك أن الأيوبيين أقاموا دولتهم على أنقاض الدولة الفاطمية التي استطاعت بوسائلها المختلفة أن تبسط سلطانها السياسي والروحي في هذه المنطقة من العالم الإسلامي لحقبة طويلة من الزمان، وكان مبرر قيام الدولة الأيوبية هو دورها التاريخي في مواجهة الهجوم الصليبي بعد أن ضعفت قدرة الفاطميين عن ذلك، وكان هذا الدور التاريخي هو الذي أضفى عليها الشرعية في نظر رعاياها، كما كان مبرر وجودها واستمرارها.

3) إن الازدهار والتطور الفكري الذي شهدته مصر في العصر الأيوبي كان امتداداً لما سبق في الكثير من جوانبه لاسيما في ميادين العلوم العقلية الصرفة مما يؤكد سمة التواصل العلمي عبر الحقب التاريخية وبشكل عام تابع الأيوبيون الخط الحضاري الذي سار عليه أسلافهم، فهي بالحقيقة حلقة متصلة من حلقات الحضارة الإسلامية، وبشكل خاص تعد دولتهم امتداداً لدولة نور الدين محمود من جميع النواحي السياسية والاقتصادية والثقافية ولا غرو فقد تتلمذ مؤسسها على يد نور الدين محمود زنكي وتأثر به وتأدب بأدبه.

4) شجع الأيوبيون الكورد وأمراءهم الحركة الفكرية في أغلب جوانبها من خلال مساهماتهم المباشرة في الكثير من الميادين العلمية والأدبية، وكذلك دعمهم وتشجيعهم المتواصل للعلم والعلماء، ورصدهم الأموال السخية على المؤسسات العلمية من مساجد ومدارس وخانقاوات وسواها.

5) شهدت مصر في العصر الأيوبي كغيرها من البلاد الإسلامية اهتماماً استثنائياً بالعلوم الدينية من حديث وفقه وتفسير وذلك بسبب طبيعة المرحلة التي مرّت بها مصر وعموم المنطقة وما واجهته من تحديات خاصة التحدي الصليبي الذي حتم على الأيوبيين أن يولوا أهمية استثنائية لتلك العلوم لما لها من دور خطير في حشد طاقات المسلمين في مواجهة الصليبيين.

6) نشطت وتنامت حركة الرحلات العلمية من مصر وإليها، وأصبحت البلاد المصرية بحكم موقعها وتاريخها حلقة وصل بين مشرق العالم الإسلامي ومغربه، ووفد إليها في العصر الأيوبي عدد كبير من مشاهير العلماء على اختلاف اختصاصاتهم سعياً في طلب العلم ولقاء الشيوخ والإفادة منهم، وأثر بعضهم البقاء في مصر مما هيأ مناخاً جيداً لتلاقح الأفكار وازدهار العلوم. كما كان لتلك الرحلات دورها في تعزيز وتقوية (الرابطة الإسلامية) بين مصر وغيرها من الدول الإسلامية حتى أصبح من الصعوبة بمكان التمييز بين المصريين وغيرهم من أبناء الأقطار الأخرى ولم يكن هناك ما يمكن أن نسميه (بالوطنية القومية).

7) كانت الصفة (الموسوعية) هي الغالبة على العلماء، كما أن الكثير منهم لم يكونوا يتكسبون بالعلم، بل عملوا إلى جانب مهنهم الأصلية.

8) تمتع العلماء بمكانة اجتماعية عالية بين العامة والخاصة وكانت لهم كلمتهم النافذة والمسموعة لدى الأيوبيين باعتبارهم يمثلون قادة الرأي العام وإليهم أوكلت المناصب القيادية الهامة كالوزارة، وقيادة الجيوش وتولي دواوين الدولة، كما جمع بعضهم بين أكثر من وظيفة ومنصب واعتبر العصر الأيوبي من العصور الزاهية التي مرّت على الأمة الإسلامية حيث وقف الأيوبيون جنباً إلى جنب مع العلماء

في بناء صرح حضارة كان قد أفل نجمها وانطمست معالمها وأصبحت القاهرة والإسكندرية وغيرها من مدن مصر تمتلئ بطلاب العلم.

9) كانت المدارس من أبرز المؤسسات العلمية التي نالت اهتمام الأيوبيين وتنافسوا في إنشائها باعتبارها ابتكاراً سنياً، وكانت إحدى الوسائل المهمة لنشر الفكر السني بمصر.

10) تصدّرت مدينتا القاهرة والإسكندرية وغيرهما من مدن مصر في قيادة الحركة العلمية في ذلك العصر، وكانت الإسكندرية إحدى أبرز المحطات والمراكز الثقافية التي استقبلت الوافدين لاسيما من المغاربة.

11) كان لحرية الفكر والتسامح التي انتهجها الأيوبيون في مصر أبلغ الأثر في ازدهار الحركة الفكرية، كما فسح المجال أمام غير المسلمين من أهل الذمة (اليهود والنصارى) للمساهمة في إثراء الحركة العلمية في البلاد، وكان للكثير منهم قصب السبق في بعض الميادين سيما في ميدان الطب والعلوم العقلية.

12) شارك العلماء الكورد إخوانهم المسلمين في مصر بإسهاماتهم العلمية والأدبية، وبرز فيهم عدد من المشاهير ممن ذاع صيتهم كأبي عمرو بن الحاجب النحوي، واشتهرت الأسرة المارانية كونها إحدى الأسر الكوردية العريقة التي ساهم أبناؤها في دفع الحركة الفكرية من خلال نتاجاتهم العلمية وتوليهم للعديد من المناصب القضائية والتدريس وسواها.

13) عاشت مصر خلال العصر الأيوبي مرحلة إبداع وابتكار كما كانت مرحلة انبعاث للكثير من جوانب التراث العلمي الإسلامي الذي سبق مدة البحث، حيث عمل العلماء على اختلاف تخصصاتهم واهتماماتهم على بعث الحياة في الكثير من المؤلفات من خلال الشرح والتعليق والاختصار والإضافة إلى آخره من أشكال النشاط العلمي.

14) وأكبت الحياة الفكرية الأحداث السياسية والعسكرية التي عاشتها مصر والمنطقة عموماً، وشارك العلماء في حركة الجهاد فعلياً انسجاماً مع ما تمليه عليهم عقيدتهم الإيمانية في الذود عن الوطن والمقدسات.

15) كانت الروابط العلمية والثقافية بين إقليمي مصر والشام على أشدها خلال العصر الأيوبي، ولم تكن الحروب لتشكل عائقاً أمام حركة التنقل والتفاعل بين الإقليمين، وعاش الكثير من العلماء في كلا الإقليمين لذلك يصعب تحديد هوياتهم اللهم إلا إذا حددنا هذا الانتساب بمكان الميلاد.

ملحق (1)

الأيوبيون في مصر[1]

.1	الملك الناصر صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن نجم الدين أيوب بن شادي بن مروان (توفي في 27 صفر سنة 589هـ/ 1193م).	564هـ/ 1168م
.2	الملك العزيز [الأول] عماد الدين أبو الفتح عثمان بن صلاح الدين (توفي في 27 محرم سنة 595هـ/ 1198م)	أعلن استقلاله سنة 591هـ/ 1195م
.3	الملك المنصور ناصر الدين محمد	مستهل صفر 595هـ/ 1198م
.4	الملك العادل [الأول] سيف الدين أبو بكر احمد (صاحب دمشق) توفي 27 جمادى الآخرة سنة 615هـ/ 1218م	596هـ/ 1199م
.5	الملك الكامل [الأول] ناصر الدين أبو المعالي محمد (صاحب دمشق) توفي في 22 رجب سنة 635هـ/ 1237م	جمادى الآخرة 615هـ/ 1218م
.6	الملك العادل [الثاني] سيف الدين أبو بكر (صاحب دمشق) — عزل في 8 ذي الحجة سنة 637هـ/ 1239م	رجب 635هـ/ 1237م
.7	الملك الصالح نجم الدين أيوب (صاحب دمشق) توفي بالمنصورة في 15 شعبان سنة 647هـ/ 1249م	ذو الحجة 637هـ/ 1239م
.8	الملك المعظم تورانشاه [الرابع] قتل في 29 محرم سنة 648هـ/ 1250م	شعبان 647هـ/ 1249م

(1) نقلا عن زامباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، أخرجه زكي محمد حسن وحسن احمد محمود (القاهرة: 1951)، ص150ـ151.

ملحق رقم (2)

جدول بأسماء المدارس الأيوبية في مصر التي وردت في الاطروحة مرتبة حسب التسلسل الأبجدي

ت	اسم المدرسة	منشئها	تاريخ الإنشاء	مكانها	التخصص	أبرز شيوخها
1	مدرسة ابن الأرسوفي	التاجر عفيف الدين بن محمد الأرسوفي (ت593هـ/ 1196م)	570هـ/ 1174م	القاهرة	المذهب الشافعي	-
2	المدرسة الأزكشية	الأمير سيف الدين ايازكوج بن عبد الله الأسدي (ت599هـ/ 1202م)	592هـ/ 1202م	القاهرة	المذهب الحنفي	الفقيه سليمان بن أبي بكر النيسابوري المصري (ت638هـ/ 1240م)
3	مدرسة أسوان	-	-	أسوان	المذهب الشافعي	إسماعيل بن محمد بن حسان الأنصاري
4	المدرسة الأفرمية	-	-	قوص	-	قاضي القضاة جلال الدين أحمد بن عبد الرحمن الدشناوي (ت677هـ/ 1278م)
5	مدرسة ابن الأنجب	الفقيه ابن الأنجب المالكي (ت621هـ/ 1224م)	-	الإسكندرية	المذهب المالكي	-
6	المدرسة التقوية	الأمير تقي الدين عمر (ت587هـ/ 1191م) السابق ذكره	-	الفيوم	المذهب الشافعي	-
7	المدرسة التقوية	الأمير تقي الدين عمر	-	الفيوم	المذهب المالكي	-
8	مدرسة ابن حديد	-	-	القاهرة	المذهب المالكي	الفقيه أحمد بن محمد بن سلامة المالكي (ت645هـ/ 1247م)
9	مدرسة دمياط	-	-	دمياط	-	عبد السلام بن أبي الحسن منصور الكناني الدمياطي (ت619هـ/ 1222م)
10	مدرسة ابن رشيق	القاضي علم الدين بن رشيق بدعم من الجاليات الإفريقية	612هـ/ 1244م	القاهرة	المذهب المالكي	القاضي علم الدين بن رشيق المالكي
11	مدرسة زكي التاجر	الشيخ زكي التاجر	-	القاهرة	المذهب المالكي	الفقيه أبو الحسن علي المقدسي (ت611هـ/ 1214م)

ت	اسم المدرسة	منشئها	تاريخ الإنشاء	مكانها	التخصص	أبرز شيوخها
12	المدرسة السيفية	الأمير طغتكين بن أيوب (ت596هـ/ 1196م) (أخو صلاح الدين)	في بداية ق7هـ/ 13م	القاهرة	المذهبين الشافعي والحنفي	الفقيه أبو الحجاج يوسف القفصي (ت603هـ/ 1206م)
13	المدرسة السيوفية	السلطان صلاح الدين الأيوبي	572هـ/ 1176م	القاهرة بقرب سوق السيوفيين	المذهب الحنفي	الفقيه عبد الله بن محمد الجريري المعروف بابن الشاعر (ت584هـ/ 1188م)
14	المدرسة الشريفية	الأمير فخر الدين أبو نصر إسماعيل الجعفري الزيني (ت 613هـ/ 1216م)	612هـ/ 1215م	القاهرة	المذهب الشافعي	الفقيه مظفر بن عبد الله المصري (ت612هـ/ 1215م)
15	المدرسة الصاحبية	الوزير الصاحب صفي الدين عبد الله بن علي بن شكر (ت622هـ/ 1225م)	-	القاهرة	المذهب المالكي	الفقيه شرف الدين أبو الحسن علي بن أبي المكارم (ت611هـ/ 1214م)
16	المدرسة الصالحية	الملك الصالح نجم الدين أيوب	639هـ/ 1247	القاهرة	المذاهب السنية الأربعة	الفقيه عز الدين بن عبد السلام (ت660هـ/ 1261م)
17	المدرسة الصلاحية	السلطان صلاح الدين الأيوبي	572هـ/ 1176م	مصر (الفسطاط)	المذهب الشافعي	الفقيه نجم الدين الخبوشاني (ت587هـ/ 1191م)
18	المدرسة الصيرمية	الأمير جمال الدين شويخ بن صيرم الكاملي (ت636هـ/ 1238م)	636هـ/ 1238م	القاهرة	المذهبين الشافعي والحنفي	-
19	المدرسة العادلية أو مدرسة ابن شاس	الملك العادل أبو بكر (أخو صلاح الدين)	-	القاهرة	المذهب المالكي	قاضي القضاة أبو علي الحسن بن شاس (أول من درس بها وعرفت به)
20	المدرسة العاشورية	الست عاشوراء بنت ساروح الأسدي زوجة الأمير ايازكوج الأسدي	-	القاهرة	المذهب الحنفي	الفقيه النحوي عبد الرحمن بن محمد اللخمي (ت643هـ/ 1245م)
21	المدرسة الغزنوية	الأمير صارم الدين قايماز بن عبد الله النجمي (ت596هـ/ 1199م) من مماليك نجم الدين أيوب	-	القاهرة	المذهب الحنفي	الفقيه أحمد بن يوسف الغزنوي (ت599هـ/ 1202م) وعرفت به

ت	اسم المدرسة	منشئها	تاريخ الإنشاء	مكانها	التخصص	أبرز شيوخها
22	المدرسة الفائزية	الوزير شرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزي	قبيل توليه الوزارة سنة 636هـ/ 1238	القاهرة	المذهب الشافعي	القاضي محي الدين عبد الله بن شرف الدين محمد بن عين الدولة
23	المدرسة الفاضلية	القاضي الفاضل (ت596هـ/ 1199م)	580هـ/ 1184م	القاهرة	المذهبين الشافعي والمالكي	الفقيه النحوي المقرئ أبو القاسم بن فيرة الشاطبي (ت590هـ/ 1193م)
24	المدرسة الفخرية	الأمير فخر الدين عثمان بن قزل (ت629هـ/ 1231م) من أمراء الملك الكامل	622هـ/ 1225م	القاهرة	المذهبين الشافعي والحنفي	الفقيه إسماعيل بن إبراهيم الماراني الحنفي (ت637هـ/ 1239م)
25	المدرسة القطبية	الأمير قطب الدين خسرو بن تليل بن شجاع الهذباني (أحد أمراء صلاح الدين)	570هـ/ 1174م	القاهرة	المذهب الشافعي	الفقيه نصر بن مقلد الشيزري (ت598هـ/ 1201م)
26	المدرسة القطبية	الأميرة عصمت الدين مؤنسة خاتون المعروفة بدار إقبال العلائي (ت693هـ/ 1293م)	-	القاهرة	المذهبين الشافعي والحنفي	الفقيه ظهير الدين جعفر بن يحيى المخزومي (ت682هـ/ 1283م)
27	المدرسة القمحية	السلطان صلاح الدين الأيوبي	566هـ/ 1170م	القاهرة	المذهب المالكي	الفقيه عبد الله بن شاس (ت616هـ/ 1219م)
	المدرسة القوصية	أحد أمراء قوص	-	قوص	المذهب الشافعي	أبو الحسن يحيى بن منصور اليماني 631هـ/ 1233م
28	المدرسة الكاملية	الملك الكامل محمد بن العادل	621هـ/ 1224م	القاهرة	علوم الحديث النبوي	المحدث أبو الخطاب عمر بن علي بن دحية (ت633هـ/ 1235م)
29	مدرسة بني مزيل	الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن مزيل الشافعي (ت597هـ/ 1200م)	-	القاهرة	المذهب الشافعي	الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن مزيل الشافعي (ت597هـ/ 1200م)
30	المدرسة المسرورية	مسرور الخادم أحد خدام القصر الفاطمي ومن الذين اختصوا بصلاح الدين	-	القاهرة	المذهبين الشافعي والحنفي	القاضي محي الدين محمد بن عبد الرحمن الشافعي (ت672هـ/ 1273م)

ت	اسم المدرسة	منشئها	تاريخ الإنشاء	مكانها	التخصص	أبرز شيوخها
31	المدرسة المعزية	–	–	دمياط	المذهب الشافعي	قاضي القضاة عبد السلام بن أبي الحسن بن منصور الكناني الدمياطي (ت619هـ/ 1222م)
32	مدرسة منازل العزل	الأمير المظفر تقي الدين عمر	566هـ/ 1170م	القاهرة	المذهب الشافعي	الفقيه شهاب الدين محمد بن محمود الطوسي (ت596هـ/ 1199م)
33	المدرسة الناصرية أو ابن زين التجار	السلطان صلاح الدين الأيوبي	566هـ/ 1170م	مصر (الفسطاط)	المذهب الشافعي	الفقيه أحمد بن المظفر بن الحسين الملقب بابن زين التجار (ت591هـ/ 1194م)
34	المدرسة النجمية	–	–	منية بني خصيب	المذهب المالكي	الفقيه علي بن خلف التلمساني المالكي (ت599هـ/ 1202م)
35	المدرسة النجيبية	النجيب بن هبة الله التاجر القوصي (ت622هـ/ 1210م)	607هـ/ 1210م	قوص	–	الفقيه مجد الدين بن وهب بن دقيق العيد (ت702هـ/ 1302م)
36	المدرسة الوجيهية	التاجر منصور بن حباسة الإسكندراني المنعوت بالوجيه	–	الإسكندرية	–	–
37	المدرسة الهكارية	الأمير جمال الدين بن خشترين الهكاري	نهاية ق6هـ/ 12م	القاهرة	المذهب الشافعي	الفقيه أبو عمرو عثمان بن عيسى بن درباس الماراني (ت602هـ/ 1205م) أول من درّس بها



المراجع

القرآن الكريم

اولاً : المصادر المخطوطة

- ابن الشعار الموصلي، أبو البركات كمال الدين بن أبي بكر، (ت 654هـ/ 1256م).

* **عقود الجمان في شعراء هذا الزمان**، مخطوطة مايكروفلم في كلية التربية، جامعة الموصل، مصورة عن النسخة الأصلية المحفوظة في مكتبة أسعد أفندي بأستانبول رقم 2323/ 2330.

- ابن فضل الله العمري، شهاب الدين احمد بن يحيى (ت749هـ/ 1348م).

* **مسالك الابصار وممالك الأمصار**، طبع بالتصوير من مخطوطة 2797/ 2/ ص احمد الثالث، طوبقا بوسراب، استانبول، ج27، والمخطوطة موجودة في المجمع العلمي العراقي، بغداد، تحت رقم 290/ 300.

- مجهول، مؤلف

* **ذكر الدولة الايوبية وغيرها**، نسخة مصورة عن نسخة مكتبة الاوقاف بالموصل، رقم 1/ 17زيواني .

ثانياً : المصادر المطبوعة :

- ابن الاثير، علي بن محمد بن عبد الكريم (ت 630هـ/ 1232م) .

* **التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل**، تحقيق . عبد القادر احمد طليمات، مصر الجديدة، جامعة عين الشمس، 1963.

* **اللباب في تهذيب الانساب**، بغداد، مكتبة المثنى، د/ ت .

* **الكامل في التاريخ**، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر (ج 11- 1979) (ج12-1982).

- ابن الاثير، ضياء الدين محمد بن عبد الكريم (ت 637هـ/ 1239م) .

* **رسائل ابن الاثير**، تحقيق، انيس المقدسي، بيروت، دار العلم للملايين، 1959 .

- ابن الاثير، مجد الدين مبارك بن محمد بن عبد الكريم (ت606هـ/ 1209م).

* **جامع الاصول من احاديث الرسول**، تحقيق، محمد حامد الفقي، بيروت، دار احياء التراث العربي، ط3، 1983.

- اخوان الصفا

* **رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا**، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، 1957.

- الادنوي، احمد بن محمد (ت في القرن 11هـ/ 17م)

* **طبقات المفسرين**، تحقيق، سليمان بن صالح الخزي، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ط1، 1997.

- الازرقي، ابراهيم بن عبد الرحمن بن ابو بكر (ت: ؟)

* **تسهيل المنافع في الطب والحكمة المشتمل على شفاء الاجسام وكتاب الرحمة**، القاهرة، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني، د/ ت .

-ابن الازرق، ابو عبد الله محمد بن علي (ت: 896هـ/ 1490م)

* **بدائع السلك في طبائع الملك**، تحقيق . د. محمد بن عبد الكريم، تونس، الدار العربية للكتاب، د/ ت .

- الاسنوي، جمال الدين عبد الرحيم (ت 772هـ/ 1370م)

* **طبقات الشافعية**، تحقيق ، كمال يوسف الحوت، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1987.

- الاصفهاني، عماد الدين محمد بن محمد الكاتب (ت:597هـ/ 1200م) .

خريدة القصر وجريدة العصر، (بداية قسم شعراء الشام)، تحقيق، د. شكري فيصل، دمشق، المطبعة الهاشمية، 1968(ق3، ج6)، (قسم شعراء مصر، تحقيق، شوقي ضعيف، احمد امين بك، القاهرة، 1951) (ق4، ج1-2) .

* **ديوان عماد الدين الاصفهاني،** جمعة وحققه وقدم له . د. ناظم رشيد، مطبعة جامعة الموصل، 1983.

* **الفتح القسي في الفتح القدسي،** تحقيق، محمد محمود صبيح، مصر، الدار القومية للطباعة والنشر، 1965.

- الاصفهاني، ابو بكر احمد بن الحسين بن مهران (ت 381هـ/ 991م)

* **الغاية في القراءات العشر،** تحقيق، محمد غياب الجنباز، الرياض، دار الشواف للنشر والتوزيع، ط2، 1990 .

- ابن أبي أصيبعة، احمد بن القاسم (ت 668هـ/ 1269م).

* **عيون الانباء في طبقات الاطباء، تحقيق** . نزار رضا ، بيروت، دار الثقافة، ط2، 1979.

- الآمدي، سيف الدين ابو الحسن علي بن محمد (ت: 685هـ/ 1286م) .

* **غاية المرام في علم الكلام،** تحقيق، حسن محمود عبد الله، القاهرة، مطابع الاهرام التجارية، 1971.

- الأنباري، أبي البركات كمال الدين بن عبد الرحمن بن محمد (ت 577هـ1188م).

* **نزهة الألباء في طبقات الأدباء،** تحقيق إبراهيم السامرائي، الأردن، الزرقاء، مكتبة المنار، ط3، 1985.

- الانطاكي، داؤد بن عمر (ت:1008هـ/ 1599م)

* **تذكرة أولي الالباب والجامع للعجب العجاب،** تحقيق، احمد شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2000.

- ابن اياس، محمد بن احمد الحنفي المصري (ت930هـ/ 1523م)

* **تاريخ مصر المشهور ببدائع الزهور في وقائع الدهور،** القاهرة، المطبعة الاميرية، ط1، 1311.

- البخاري، ابو عبد الله محمد بن اسماعيل (ت:256هـ/ 869م)

* **صحيح البخاري**، تحقيق، محب الدين الخطيب ومحمد فؤاد عبد الباقي بيروت، دار احياء التراث العربي، د/ ت .

- البدليسي، الامير شرفخان بن شمس الدين (ت:101هـ/ 1601م)

* **شرفنامة**، ترجمة، محمد جميل الملا روزبياني، اربيل، مؤسسة موكريان للطباعة والنشر، 2001.

- ابن بسام، محمد بن احمد (من اعيان القرن 9هـ/ 15م)

* **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، تحقيق، حسام الدين السامرائي، بغداد، مطبعة المعارف، 1968.

- البستي، ابو حاتم محمد بن حبان التميمي(ت:354هـ/ 965م)

* **مشاهير علماء الامصار واعلام فقهاء الاقطار**، تحقيق، مرزوق علي ابراهيم، بيروت، مؤسسة الكتاب الثقافية، ط1، 1987 .

- ابن بشكوال، ابو القاسم خلف بن عبد الملك (ت: 578هـ/ 1182م)

* **كتاب الصلة**، القاهرة، الدار المصرية للتاليف والترجمة، 1966، (ق1،2) .

-ابن بطوطة، محمد بن ابراهيم اللواتي (ت 779هـ/ 1377م)

* **رحلة ابن بطوطة المسماة (تحفة النظار في غرائب الامصار)**، تحقيق، طلال حرب، بيروت، دار الكتب العلمية، د/ ت .

- البغدادي، موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف (ت: 629هـ/ 1231م).

* **الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بارض مصر**، تحقيق . د. علي محسن مال الله، بغداد، منشورات دار الحكمة للنشر والتوزيع، 1987.

* **كتاب الاربعين الطبية المستخرجة من سنن ابن ماجة وشرحها**، تحقيق، كمال يوسف، بيروت، مؤسسة الكتب اثقافية، ط1، 1985.

* **الطب من الكتاب والسنة**، تحقيق . د.عبد المعطي أمين قلعجي، بيروت، دار المعرفة، ط2، 1988.

- البنداري، قوام الدين الفتح بن علي (ت : 642هـ/ 1244م)

* **سنا البرق الشامي وهو (مختصر البرق الشامي للعماد الاصفهاني)**، تحقيق، د. رمضان ششن، بيروت، دار الكتاب الجديد، ط1، 1971 (ق1) .

- ابن البيطار، ضياء الدين عبد الله بن احمد (ت: 646هـ/ 1248م)

* **الجامع لمفردات الادوية والاغذية**، بغداد، مكتبة المثنى، د/ ت .

- البيهقي، ظهير الدين (ت : 565هـ/ 1169م)

* **تاريخ حكماء الاسلام**، عني بنشره وتحقيقه . محمد كرد علي، دمشق، مطبعة المفيد الجديدة، 1976.

- التطيلي، الرحالة، بنيامين بن يونة النباري الاندلسي (ت : 569هـ/ 1173م)

* **رحلة بنيامين**، ترجمة عن العبرية . عزرا حداد، بغداد، المطبعة الشرقية، ط1، 1945.

- ابن تغري بردي، جمال الدين ابو المحاسن يوسف (ت: 874هـ/ 1469م) .

* **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة**، مطابع كوستاتسوماس وشركاؤه، د/ ت .

* **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي**، (ج3، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ط1، 1956)، (ج3، تحقيق، نبيل محمد عبد العزيز، القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1985) (ج4، تحقيق، محمد محمد آمين، القاهرة، 1986) .

- التهانوي، محمد علي بن محمد (ت بعد 1158هـ/ 1745م).

* **كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، تحقيق، د. محمد علي دحروج، بيروت، مكتبة لبنان، ط1، 1996.

-الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر البصري (ت :255هـ/ 868م)

***البيان والتبيين**، تحقيق -فوزي عطوي، بيروت، دار صعب، 1968 .

-ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد بن سعيد الكناني (ت:614هـ/ 1217م)

***رحلة ابن جبير**، بيروت، دار الكتاب اللبناني، د/ ت .

-الجرجاني، علي بن محمد بن علي (ت: 816هـ/ 1413م)

*كتاب التعريفات، تحقيق -ابراهيم الابياري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط3، 1996.

-ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد الدمشقي (ت:833هـ/ 1429م) .

*غاية النهاية في طبقات القراء، عني بنشره .ج. برجستراسر، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 1980.

*النشر في القراءات العشر، تحقيق -علي محمد الضباع، بيروت، دار الفكر، د/ ت .

-ابن جماعة، بدر الدين محمد بن ابراهيم (ت: 733هـ/ 1332م)

*تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، تحقيق .محمد هاشم الندوي، حيدر اباد الدكن، الهند، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، 1354هـ .

-ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت: 392هـ/ 1004م)

*التصريف الملوكي، مصر، د/ ت .

*الخصائص، تحقيق -محمد علي النجار، بيروت، دار الهدى للطباعة والنشر، ط2،د/ ت.

-ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت:597هـ/ 1200م) .

*كتاب التبصرة، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 1993 .

*المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق .محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، د/ ت .

*المصباح المضيء في خلافة المستضيء، تحقيق . ناجية عبدالله ابراهيم، بغداد، مطبعة الشعب، 1977 .

-ابن الحاجب، أبو عمرو جمال الدين عثمان بن عمر الكردي (ت:646هـ/ 1248).

*الكافية في النحو، بيروت، دار الكتب العلمية، 1985 .

***الأمالي النحوية (أمالي القرآن الكريم)**، تحقيق .هادي حسن حمودي، بيروت، مكتبة النهضة العربية، ط1، 1985.

-حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني (ت: 1067هـ/ 1656م)

***كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، بيروت، دار الفكر، 1994 .

-الحبّال، أبو اسحاق ابراهيم بن سعيد (ت: 482هـ/ 1089م)

***وفيات المصريين (375-456هـ)**، تحقيق . أبو عبد الله محمود بن محمد الحداد، الرياض، دار العاصمة، ط1، 1408م.

-ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي (ت: 852هـ/ 1448م)

***الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة**، بيروت، دار الجيل، 1993.

***فتح المنّان بمقدمة لسان الميزان**، إعداد ودراسة . محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت، دار احياء التراث العربي، ط1، 1995.

-الحسيني، أبو بكر بن هداية الله (ت: 1014هـ/ 1605م)

***طبقات الشافعية**، تحقيق . عادل نويهض، بيروت، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط2، 1979 .

-الحنبلي، ابو البركات أحمد بن ابراهيم (ت: 876هـ/ 1471م)

***شفاء القلوب في مناقب بني أيوب**، تحقيق . ناظم رشيد، بغداد، وزارة الثقافة والفنون، دار الحرية للطباعة، 1978 .

-الحموي، أبو الفضائل محمد بن علي بن عبد العزيز (ت:644هـ/ 1246م)

***التاريخ المنصوري، تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان**، تحقيق. د. أبو العيد دودو، دمشق، مطبعة الحجاز، 1981.

-الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت: 710هـ/ 1494م)

***الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق . د.إحسان عباس، بيروت، دار السراج للطباعة، ط2، 1980.

-الخزرجي، موفق الدين أبو الحسن علي بن الحسن (ت: 812هـ/ 1409م)

***العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية**، عني بتصحيحه . محمد بن علي الأكوع الحوالي، مصر مطبعة الهلال، ط2، 1983 .

-خسرو، ابو معين ناصر الدين القبادياني (ت:481هـ/ 1088م)

***سفرنامة**، ترجمة وتقديم . د. أحمد خالد البدلي، الرياض، مطابع جامعة الملك سعود، ط1،1983 .

-الخطيب البغدادي، أحمد بن علي (ت: 463هـ/ 1070م)

***تاريخ بغداد أو مدينة السلام**، بيروت، دار الكتاب العربي، د/ ت .

***الكفاية في علم الرواية**، تحقيق، د.أحمد عمر هاشم، بيروت، دار الكتاب العربي، ط2،1986، 1988 .

-ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله (ت: 776هـ/ 1374م)

***الاحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق . محمد عبد الله عنان، القاهرة، الشركة المصرية للطباعة والنشر، ط2، 1973 .

-ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت: 808هـ/ 1405م)

***المقدمة**، بيروت، دار الفكر، ط2، 1988 .

* تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، دار الفكر، 1979.

-ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت: 681هـ/ 1282م)

***وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق، إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 1970.

-الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف (ت: 387هـ/ 997م)

***مفاتيح العلوم**، القاهرة، مطبعة الشرق، 1342هـ .

-الداوداري، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك (ت: 734هـ/ 1333م)

***كنز الدرر وجامع الغرر**، جـ6 الموسوم : "**الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية**"، تحقيق، صلاح الدين المنجد، القاهرة، 1961.

*جـ7 المسمى : "**الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب**"، تحقيق، سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، 1972 .

*جـ8 **الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية**، تحقيق . اولرخ هارمان، القاهرة، 1971 .

-الداوودي، شمس الدين محمد بن علي بن أحمد (ت: 945هـ/ 1538م)

***طبقات المفسرين**، بيروت، دار الكتب العلمية، د/ ت .

-ابن الدبيثي، جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد (ت: 637هـ/ 1239م)

***ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد**، تحقيق، بشار عواد معروف، بغداد، مطبعة دار السلام، 1974 .

-ابن دحية، أبو الخطاب عمر بن حسن الاندلسي (ت: 633هـ/ 1235م)

***المطرب في أشعار أهل المغرب**، تحقيق-ابراهيم الابياري وحامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي، القاهرة، المطبعة الأميرية، 1954 .

-ابن دقماق، ابراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي (ت:809هـ/ 1406م)

***الانتصار لواسطة عقد الأمصار**، تحقيق-لجنة احياء التراث العربي، بيروت، دار الآفاق الجديدة، د/ ت .

-الدميري، محمد بن موسى بن عيسى (ت: 808هـ/ 1405م)

***حياة الحيوان الكبرى**، اعتنى بتصحيحه عبد اللطيف سامر بتية، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1995 .

-الديار بكري، حسين بن محمد بن الحسن (ت: 966هـ/ 1556م)

***تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس**، بيروت، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع، د/ ت.

-الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت: 748هـ/ 1347م)

***الاعلام بوفيات الاعلام**، تحقيق-مصطفى بن علي عوض وربيع أبو بكر عبد الباقي، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، 1993 .

***الأمصار ذوات الآثار**، تحقيق- قاسم علي سعد، بيروت، دار البشائر الاسلامية للطباعة والنشر، 1986.

***تذكرة الحفاظ**، بيروت، دار التراث العربي، 1958 .

***كتاب دول الاسلام**، تحقيق- فهم محمد شلتوت ومحمد مصطفى ابراهيم، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974 .

***تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام**، تحقيق- عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 1997 .

***سير أعلام النبلاء**، تحقيق- بشار عواد معروف، ومحي هلال السرحان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط11،1998 .

***العبر في خبر من غبر**، تحقيق- أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية، 1985 .

***المشتبه في الرجال واسمائهم وأنسابهم**، تحقيق- علي محمد البجاوي، بيروت، دار إحياء الكتب العربية، 1962 .

***المعين في طبقات المحدثين**، تحقيق- دهمام عبد الرحيم سعيد، عمّان، دار الفرقان، ط1، 1984 .

***المختار من تاريخ ابن الجزري المسمى "حوادث الزمان وأبنائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه"**، تحقيق- خضير عباس المنشداوي، جامعة بغداد، دار الكتاب العربي، 1988.

-الرازي، أبو بكر محمد بن زكريا (ت: 313هـ/ 925م)

***كتاب الحاوي في الطب**، حيدر اباد الدكن، الهند، ط1، (ج4-1957)، (ج7-19164).

-ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد (ت: 795هـ/ 1392م)

***الذيل على طبقات الحنابلة**، القاهرة، 1953.

-الزبيدي،المرتضى محمد بن عبد الرزاق (ت: 1205هـ/ 1790م)

***ترويح القلوب في ذكر ملوك بني أيوب**، تحقيق- صلاح الدين المنجد، بيروت، دار الكتاب الجديد، ط2، 1983 .

-الزركشي، محمد بن عبد الله (ت: 794هـ/ 1391م)

***البرهان في علوم القرآن**، تحقيق- محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة، دار احياء الكتب العربية، 1957 .

-الزمخشري، محمود بن عمر (ت: 538هـ/ 1143م)

***ربيع الأبرار ونصوص الأخيار**، تحقيق- سليم النعيمي، بغداد، مطبعة العاني، 1980.

-ابن الساعي، أبو طالب علي بن انجب تاج الدين الخازن (ت: 674هـ/ 1275م)

***الجامع المختصر في عنوان التواريخ والسير**، عني بنشره وتصحيحه . مصطفى جواد، بغداد، المطبعة السريانية الكاثوليكية، 1934-(ج7) .

- سبط بن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي (ت: 654هـ/ 1256م)

***مرآة الزمان في تاريخ الأعيان**، حيدر اباد الركن، الهند، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، (جـ8، ق1، 1951)، (جـ8، ق2، 1952) .

-السبكي، تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي (ت: 771هـ/ 1369م)

***طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق- عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، القاهرة، دار احياء الكتب العربية، 1970 .

-السجستاني، أبي داؤد سليمان بين الأشعث (ت: 275هـ/ 888م)

***سنن أبي داؤد**، فهرسة: كمال يوسف الحوت، بيروت، دار الجنان، ط1، 1998 .

ابن اسحق، حنين (ت: 264هـ/ 877م)

*كتاب العشر مقالات في العين، القاهرة، المطبعة الأميرية، 1928 .

-السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت: 902هـ/ 1496م)

*الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، بيروت، دار الكتاب العربي، 1983 .

- ابن سعيد ، ابو الحسن علي بن موسى بن محمد الأندلسي (ت:685هـ/ 1286م)

* الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة، تحقيق، ابراهيم الابياري، القاهرة، مطبعة دار المعارف، ط2، 1967.

* المغرب في حلي المغرب، وضع حواشيه، خليل المنصور، بيروت، دار الكتب العلمية، 1997.

-السكاكي، يوسف بن أبي بكر محمد بن علي (ت: 626هـ/ 1228م)

*مفتاح العلوم، تحقيق- أكرم عثمان يوسف، جامعة بغداد، دار الرسالة، ط1، 1981.

-السلفي،الحافظ صدر الدين أبي طاهر أحمد بن محمد (ت: 576هـ/ 1180م)

*معجم السفر، تحقيق -بهيجة الحسني، بغداد، دار الحرية للطباعة، 1978 .

-السمرقندي، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (ت: 255هـ/ 868م)

*سنن الدارمي، تحقيق- فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العليمي، بيروت، دار الكتاب العربي، 1987 .

-السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت: 562هـ/ 1166م)

*الأنساب، تقديم وتعليق- عبد الله عمر البارودي، بيروت، دار الجنان، 1988 .

* أدب الإملاء والاستملاء، بيروت، دار الكتب العلمية، 1981.

-ابن سناء الملك، أبو القاسم هبة الله بن جعفر السعدي (ت: 608هـ/ 1211م).

- ديوان ابن سناء الملك ، حققه - محمد ابراهيم نصر تحت عنوان ابن سناء الملك حياته وشعره ، القاهرة، دار الكتاب العربي، 1968 .

-ابن سورة، أبو عيسى محمد بن عيسى (ت: 297هـ/ 909م)

***الجامع الصحيح أو سنن الترمذي**، بيروت، دار الكتب العلمية، 1987 .

-ابن سينا، أبو علي الحسين بن علي (ت: 428هـ/ 1036م)

***القانون في الطب**، بغداد، مكتبة المثنى، د/ ت .

-السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: 911هـ/ 1505م)

***بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، بيروت، دار المعرفة، د/ ت .

*طبقات المفسرين، طهران، 1960 .

***الاتقان في علوم القرآن**، مصر، شركة ومطبعة عيسى البابي الحلبي وأولاده، ط3، 1951.

***تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي**، تحقيق- عزت علي عطية وموسى محمد علي، القاهرة، دار الكتب الحديثة، مطبعة حسان، 1980 .

***تاريخ الخلفاء**، تحقيق- محمد محي الدين عبد الحميد، بغداد، مطبعة منير، ط3، 1987.

***المختار من كتاب حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة**، اختيار محمد محمود صبيح، مراجعة . أحمد أحمد بدوي، القاهرة، وزارة الثقافة والارشاد القومي، د/ ت .

* **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، شرح وتعليق -محمد جاد المولى بك ومحمد أبو الفضل ابراهيم، وعلي محمد البجاوي، بيروت، 1987 .

-الشاطبي، القاسم بن فيرة بن خلف (ت: 590هـ/ 1193م)

***حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع**، تحقيق- محمد علي خلف الحسيني، لاهور، نشريات اسلام اردوبازار، 1937 .

-أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل (ت: 665هـ/ 1266م)

***الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، بيروت، دار الجيل، د/ ت .

*تراجم رجال القرنين السادس والسابع الهجريين المعروف بالذيل على الروضتين،

عني بنشره، السيد عزت العطار الحسيني، بيروت، دار الجيل، ط2، 1974 .

-ابن شاهنشاه الأيوبي، المنصور محمد بن تقي الدين عمر (ت: 617هـ/ 1220م)

***مضمار الحقائق وسر الخلائق**، تحقيق-حسن حبشي، القاهرة، عالم الكتب، 1968 .

-ابن الشحنة، محب الدين محمد (ت: 884هـ/ 1479م)

***الدرّالمنتخب في تاريخ مملكة حلب**، وقف على طبعه وعلق حواشيه -يوسف اليان سركيس الدمشقي، بيروت، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، 1909 .

-ابن شداد، بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع (ت: 632هـ/ 1234م)

***النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين)**، تحقيق -جمال الدين الشيال، الإسكندرية، ط1، 1964 .

-ابن الشعار، كمال الدين أبو البركات المبارك (ت: 654هـ/ 1256م)

***قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان المشهور بـ ((عقود الجمان في شعراء هذا الزمان))**، تحقيق- نوري حمودي القيسي ومحمد نايف الدليمي، مراجعة- عبد الوهاب محمد العدواني، جامعة الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر، ط1، 1992، (ج3) .

-الشعراني، أبو المواهب عبد الوهاب بن علي (ت: من أعيان القرن 10هـ/ 16م)

***الطبقات الكبرى المسماة لواقح الأنوار في طبقات الأخيار**، بيروت، دار الفكر، د/ ت .

- الشهرزوري، شمس الدين محمد بن محمود (ت بعد 687هـ/1288م).

* **نزهة الأرواح وروضة الأفراح في تاريخ الحكماء والفلاسفة**، اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه خورشيد احمد ايم، حيدر آباد الدكن (الهند: 1976).

-الشيرازي، أبو اسحق ابراهيم بن علي (ت: 476هـ / 1083م)

***طبقات الفقهاء**، تحقيق وتقديم -إحسان عباس، بيروت، دار الرائد العربي، ط2، 1981.

-الشيزري، عبد الرحمن بن عبد الله بن نصر (ت: 589هـ/ 1193م)

***المنهج المسلوك في سياسة الملوك**، تحقيق- علي عبد الله الموسى، الزرقاء، 1987 .

***نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، قام بنشره السيد الباز العريني، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1946 .

-ابن الصابوني، جمال الدين محمد بن علي (ت: 680هـ/ 1281م)

***تكملة اكمال الاكمال في الانساب والأسماء والألقاب**، تحقيق وتعليق- مصطفى جواد، بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1957 .

-الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت: 764هـ/ 1362م)

***الوافي بالوفيات**، اعتناء .هلموت ريتر، بفيسبادن، دار النشر، فراند شتايز، 1961 .

***أعيان العصر وأعوان النصر**، تحقيق- فالح أحمد اليكور، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، 1998 .

***نكت الهميان في نكت العميان**، وقف على طبعه، أحمد زكي بك، مصر، المطبعة الجمالية، 1911 .

-ابن الصلاح، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (ت:643هـ/ 1245م)

***علوم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح**، تحقيق- نور الدين عتر، دمشق، دار الفكر، ط3، 1984 .

***طبقات الشافعية**، تحقيق-محي الدين علي نجيب، بيروت، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، 1992.

-الصوري، وليم (ت:580هـ/ 1184م)

***الحروب الصليبية**، ترجمة- حسن حبشي، القاهرة، 1995 .

-ابن الطقطقي، محمد علي بن طباطبا (ت: 709هـ/ 1309م)

***الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية**، تحقيق- عبد القادر محمد مايو، حلب، دار الفكر العربي، 1997 .

-الطهراني، العلامة اغابزركك (ت:)

*طبقات اعلام الشيعة (الانوار الساطعة في المائة السابعة)، تحقيق- علي تقي منزوي، بيروت، دار الكتاب العربي، 1972 .

- الطوسي، خوجة نصير الدين.

* تحرير أصول أوقليدس، القسطنطينية، د.ت.

-الظاهري، غرس الدين خليل بن شاهين (ت: 873هـ/ 1468م)

*زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، اعتنى بتصحيحه -بولس راويس، باريس، المطبعة الجمهورية، 1894 .

-العامري، أبو الحسن محمد بن يوسف (ت: 381هـ/ 991م)

*الأعلام بمناقب الاسلام، تحقيق- أحمد عبد الحميد غراب، القاهرة، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، 1967 .

-العبدري، أبو عبد الله محمد بن علي بن أحمد (ت: 700هـ/ 1300م)

*رحلة العبدري، تحقيق- علي ابراهيم الكردي، دمشق، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1999 .

-ابن العبري، غريغوريوس الملطي (ت: 685هـ/ 1286م)

*تاريخ مختصر الدول، وقف على طبعه ووضع حواشيه الأب انطوان صالحاني اليسوعي، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ط2، 1958 .

*تاريخ الزمان، نقله الى العربية، الأب -اسحق أرملة، قدم له د. جان موريس فييه، بيروت، دار المشرق، 1986 .

-ابن العديم، كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد (ت: 660هـ/ 1261م)

*زبدة الحلب من تاريخ حلب، وضع حواشيه -خليل المنصور، بيروت، دار الكتب العلمية، 1996 .

-ابن عساكر، أبو القاسم بن الحسين بن هبة الله الدمشقي (ت: 571هـ/ 1175م)

*المعجم المشتمل على ذكر أسماء شيوخ الأئمة النبل، تحقيق- سكينة الشهابي، دمشق، دار الفكر، 1981.

-العليمي، أبو اليمن مجير الدين (ت: 928هـ/ 1521م)

*الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تقديم- محمد بحر العلوم، النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية، 1968

-ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي (ت: 1089هـ/ 1678م)

*شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت، دار الكتب العلمية، د/ ت .

-ابن العميد، جرجيس أبي الياس بن أبي المكارم (ت: 672هـ/ 1273م)

*أخبار الأيوبيين، دمشق، المعهد الفرنسي، 1958 .

-الغبريني، أبو العباس أحمد بن عبد الله (ت: 704هـ/ 1304م)

*عنوان الدراية فيمن عرف ببجاية من العلماء في المائة السابعة، تحقيق- عادل نويهض، بيروت، 1969

-الغزالي، الامام أبو حامد محمد بن محمد (ت: 505هـ/ 1111م)

*إحياء علوم الدين، بيروت، دار القلم، ط3،د/ ت .

-الغساني، اسماعيل بن العباس بن رسول (ت: 803هـ/ 1400م)

*العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق- شاكر محمود عبد المنعم، بيروت، دار التراث الاسلامي للطباعة والنشر،1970 .

-الغساني، الملك المظفر يوسف بن عمر بن رسول (ت: 694هـ/ 1294م)

*المعتمد في الأدوية المفردة، صححه وفهرسه -مصطفى السقا، القاهرة، ط2، 1951 .

-الفارابي، أبو نصر محمد بن طرخان (ت: 339هـ/ 950م)

*إحصاء العلوم، تحقيق وتقديم- عثمان أمين، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ط3،1968.

*كتاب الموسيقى الكبير، تحقيق وشرح- غطاس عبد الملك خشية، القاهرة، دار

الكاتب العربي، د/ ت .

-الفارسي، أبو علي الحسن بن عبد الغفار (ت: 377هـ/ 987م)

***الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد**، تحقيق- كامل مصطفى الهنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية، 2001 .

-أبو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل بن شاهنشاه (ت: 732هـ/ 1321م)

***تاريخ أبي الفداء المسمى (المختصر في أخبار البشر)**، علق عليه ووضع حواشيه، محمود دبوب، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1997 .

-ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (ت: 807هـ/ 1404م)

***تاريخ ابن الفرات، عني بتحرير نصه ونشره**، حسن محمود الشماع، جامعة البصرة، دار الطباعة الحديثة، 1969،1970 .

- ابن فرحون، برهان الدين ابراهيم (799هـ / 1396م) .

* **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تحقيق محمد الأحمدي، القاهرة، 1977.

-ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت: 749هـ/ 1348م)

***مسالك الابصار ومالك الامصار، (السفر الثامن -طوائف الصوفية)**، تحقيق- بسام محمد بارود، أبو ظبي، المجمع الثقافي، 2001 .

***التعريف بالمصطلح الشريف**، بيروت، دار الكتب العلمية، 1988 .

-ابن الفوطي، كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد (ت: 723هـ/ 1323م)

***كتاب الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة**، تحقيق- بشار عواد معروف وعماد عبد السلام رؤوف، بيروت، دار الغرب الاسلامي، 1997 .

***تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقاب**، تحقيق- محمد الكاظم، طهران، وزارة الثقافة والتراث الاسلامي، ط1، 1416هـ .

-ابن قاضي شهبة، محمد بن أبي بكر (ت: 874هـ/ 1469م)

*الكواكب الدرية في السيرة النورية، تحقيق- محمود زايد، بيروت، دار الكتاب الجديد، 1971 .

-ابن قاضي شهبة، تقي الدين بن أحمد (ت: 851هـ/ 1447م)

*طبقات الشافعية، اعتنى بتصحيحه وعلق عليه -عبد العليم خان، بيروت، دار الندوة الجديدة، 1987 .

- القاضي الفاضل، أبو علي عبد الرحيم بن القاضي الأشرف بهاء الدين العسقلاني (596هـ/ 1199م).

* رسائل القاضي الفاضل، دراسة وتحقيق علي نجم عيسى (الموصل: 2001)،

- القرشي، محي الدين أبي محمد عبد القادر (775هـ/ 1373م).

* الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، حيدر آباد الدكن، الهند، 1332.

-القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري (ت: 671هـ/ 1272م)

*الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآي الفرقان، بيروت، دار احياء التراث العربي، 1985 .

-القرطبي، أبو عمران موسى بن عبيد الله الاسرائيلي (ت: 605هـ/ 1208م)

*شرح أسماء العقار، نشره وصححه وراجعه على النسخة الوحيدة المخطوطة باستانبول- د. ماكس مايرهوف، بغداد، مكتبة المثنى، د/ ت .

-القرماني، أحمد بن يوسف بن أحمد (ت: 1019هـ/ 1610م)

*أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، بيروت، عالم الكتب، د / ت .

-القزويني، جمال الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن (ت: 739هـ/ 1238م)

*الايضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق- محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت، الشركة العالمية للكتاب، ط2، 1989 .

-القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت: 682هـ/ 1283م)

*آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، دار صادر، 1960.

-ابن القف، أمين الدولة يعقوب بن اسحق الكركي (ت: 685هـ/ 1286م)

***العمدة في الجراحة**، حيدر اباد الدكن، الهند، دائرة المعارف العثمانية، د / ت .

-القفطي، الوزير جمال الدين علي بن يوسف (ت: 646هـ/ 1248م)

***أنباه الرواة على أنباه النحاة** ، تحقيق- محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، 1950-1952 .

***تاريخ الحكماء**، بغداد، مكتبة المثنى، د / ت .

-ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة (ت: 555هـ/ 1160م)

*ذيل تاريخ دمشق، تحقيق- آمدروز، بيروت، مطبعة الاباء اليسوعيين، 1908 .

-القلقشندي، أحمد بن علي (ت: 821هـ/ 1418م)

***صبح الأعشى في صناعة الانشا**، شرح وتعليق- محمد حسين شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، 1987 .

-ابن قنفذ، أبو العباس أحمد بن حسن (ت: 809هـ/ 1406م)

***كتاب الوفيات**، تحقيق- عادل نويهض، بيروت، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط4، 1983.

-القنوجي، صديق بن حسن خان (ت: 1307هـ/ 1889م)

***أبجد العلوم**، تحقيق- أحمد شمس الدين، بيروت، منشورات محمد علي بيضون، 1999.

-ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبو بكر الدمشقي (ت: 751هـ/ 1350م)

***الطب النبوي**، تحقيق- شعيب الارنووط وعبد القادر الأرنووط، بيروت، مؤسسة الرسالة،ط16، 1991 .

-الكتبي، محمد بن شاكر (ت: 764هـ/ 1362م)

***فوات الوفيات والذيل عليها**، تحقيق- احسان عباس، بيروت، دار صادر، 1973 .

***عيون التواريخ**، تحقيق- نبيلة عبد المنعم داؤد وفيصل السامر، بغداد، دار الحرية،

. 1984

-ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل بن عمر (ت: 774هـ/ 1372م)

***البداية والنهاية**، بيروت، دار الفكر، د / ت .

- الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف (ت 350هـ/ 961م).

* **ولاة مصر**، بيروت، 1987.

-ابن مالك، أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله الاندلسي (ت: 672هـ/ 1273م)\

***ألفية ابن مالك في النحو والصرف**، جمعها الحاج موسى محمد بن محمد الدغستاني، الجماميز، المطبعة النموذجية، 1984 .

-الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت: 450هـ/ 1058م)

***الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، خرج أحاديثه وعلق عليه - خالد عبد اللطيف السبع العلمي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط2، 1994 .

-مجهول، مؤلف (ق 6هـ/ 12م)

***الاستبصار في عجائب الأمصار**، نشر وتعليق- سعد زغلول عبد الحميد، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، 1986 .

-مجهول، مؤلف (ق 4هـ/ 10م)

***حدود العالم من الشرق الى الغرب**، تحقيق- يوسف الهادي، القاهرة، الدار الثقافية للنشر، 1999 .

-ابن المستوفي، شرف الدين أبي البركات المبارك بن أحمد (ت: 637هـ/ 1239م)

***تاريخ اربل المسمى "نباهة البلد الخامل بمن ورده من الأماثل"**، تحقيق -سامي بن السيد خماس الصقار، بغداد، المكتبة الوطنية، 1980 .

-المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسن (ت: 346هـ/ 957م)

***مروج الذهب ومعادن الجوهر**، بيروت، دار الأندلس للطباعة والنشر، ط4، 1981 .

ابن المعمار، محمد بن أبي المكارم البغدادي، (ت 642هـ/ 1244م).

* **كتاب الفتوة**، تحقيق مصطفى جواد ومحمد تقي الدين الهلالي، بغداد، مكتبة المثنى، 1958.

-المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد (ت: 375هـ/ 985م)

***أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، بيروت، 1987 .

-المقدسي، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة (ت: 689هـ/ 1290م)

***مختصر منهاج القاصدين**، تحقيق- شعيب الارنووط وعبد القادر الارنووط، دمشق، مكتبة دار البيان،ط4، 1991 .

-المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت: 845هـ/ 1441م)

***إتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا**، تحقيق- محمد حلمي أحمد، القاهرة، لجنة إحياء التراث الاسلامي، 1973 .

***السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق- محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، 1997 .

***المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية**، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، د / ت

***درر العقود الفريدة في تراجم الاعيان المفيدة**، تحقيق- عدنان درويش ومحمد المصري، دمشق، 1995 .

- ابن الملقن، سراج الدين أبي حفص عمر بن علي (ت 804-1415م).

* **طبقات الأولياء**، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، 1998م.

-ابن مماتي، شرف الدين المهذب بن مينا المصري (ت: 606هـ/ 1188م)

***قوانين الدواوين**، تحقيق عزيز سوريال عطية، القاهرة، 1943 .

-المناوي، زين الدين محمد عبد الرؤوف (ت: 952هـ/ 1545م)

***الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**، تحقيق- محمد أديب الجادر، بيروت، دار صادر، ط1، 1999 .

-المنذري، زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي (ت: 656هـ/ 1258م)

***التكملة لوفيات النقلة**، تحقيق- بشار عواد معروف، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط4، 1988.

***الترغيب والترهيب من الحديث الشريف**، تحقيق- مصطفى محمد عمارة، القاهرة، دار الحديث، 1987 .

-ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت: 711هـ/ 1311م)

***لسان العرب المحيط**، قدم له- عبد الله العلايلي، بيروت، دار لسان العرب، د/ ت.

-ابن منقذ، مؤيد الدولة أبو مظفر اسامة بن مرشد (ت: 584هـ/ 1188م)

***كتاب الاعتبار**، حرره- فيليب حتي، بيروت، الدار المتحدة للطباعة والنشر، 1981 .

-النابلسي ، فخر الدين أبي عثمان بن أميرك (ت بعد 643هـ/ 1243م)

***تاريخ الفيوم وبلاده ، بيروت ، دار الجيل ، 1974.**

-ابن النديم، أبو الفتح محمد بن اسحق (ت: 385هـ/ 995م)

***الفهرست**، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر 1978 .

-النعيمي، عبد القادر بن محمد (ت:978هـ/ 1570م)

***الدارس في تاريخ المدارس**، بيروت، دار الكتب العلمية، 1990 .

***دور القرآن في دمشق**، تصحيح وتعليق- صلاح الدين المنجد، بيروت، دار الكتاب الجديد، ط3، 1982 .

-النووي، أبو زكريا يحيى الدمشقي (ت: 676هـ/ 1277م)

***رياض الصالحين**، تحقيق- شعيب الارنووط،بيروت، مؤسسة الرسالة، ط20، 1991.

-النويري، محمد بن قاسم بن محمد (ت: بعد 775هـ/ 1373م)

***كتاب الالمام بالاعلام فيما جرت به الاحكام والامور المقضية في وقعة الاسكندرية،** تحقيق- عزيز سوريال عطية، حيدر اباد الدكن، الهند، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ط1،1973 .

-الهروي، علي بن أبي بكر (ت: 611هـ/ 1212م)

***التذكرة الهروية في الحيل الحربية،** تحقيق- مطيع المرابط، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، 1972.

***كتاب الاشارات الى معرفة الزيارات،** اعتنى بتحقيقه-جانين سورديل، دمشق، 1953.

-ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (ت: 697هـ/ 1297م)

***مفرج الكروب في أخبار بني أيوب،** تحقيق- جمال الدين الشيال، القاهرة، مطبعة فؤاد الاول، 1953 (ج1) (ج4-5) تحقيق- حسنين محمد ربيع، القاهرة، مكتبة دار العلم، 1972.

-ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر (ت: 749هـ/ 1348م)

***تاريخ ابن الوردي،** بيروت، دار الكتب العلمية، 1996 .

- ابن الوكيل، يوسف الملواني (ت 1131هـ/1719م)

* **تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب،** تحقيق محمد الششناوي، القاهرة، دار الآفاق العربية، 1999.

-اليافعي، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي (ت: 768هـ/ 1366م)

***مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعبر من حوادث الزمان،** وضع حواشيه- خليل منصور، بيروت، دار الكتب العلمية، 1997 .

-ياقوت، شهاب الدين بن عبد الله الحموي (ت: 626هـ/ 1228م)

***معجم الأدباء،** بيروت، دار الفكر، ط3، 1980.

***معجم البلدان،** بيروت، دار صادر، د / ت .

-اليماني، عبد الباقي بن عبد المجيد (ت: 743هـ/ 1342م)

***إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين**، تحقيق- عبد المجيد دياب، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، 1986 .

-اليمني، عمارة بن أبي الحسن (ت: 569هـ/ 1173م)

***النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية**، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط2، 1991 .

-اليونيني، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد (ت:726هـ/ 1325م)

***ذيل مرآة الزمان**، حيدر اباد الدكن، الهند، ط1، (مج1-1954)، (مج2-1955) (مج3-1960) .

ثالثاً ـ المراجع العربية والمعرّبة

- احمد، منير الدين.

***تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس الهجري**، ترجمة سامي الصقار، 1981.

-ادريس، محمد محمود

***دراسات في التاريخ والحضارة الاسلامية**، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر، 1984 .

-اسماعيل، محمود

***تاريخ الحضارة العربية والاسلامية**، الكويت، مكتبة الفلاح، ط2، 1990 .

-اسماعيل، شعبان، محمد

***المدخل لدراسة القرآن والسنة والعلوم الاسلامية**، القاهرة، مطبعة التقدم، 1980 .

-الألباني، محمد ناصر الدين

***تحريم آلات الطرب أو الرد بالوحيين وأقوال أئمتنا على ابن حزم ومقلديه المبيحين للمعازف والغناء وعلى الصوفيين الذين اتخذوه قربة ودينا**، دمشق، مكتبة الدليل، 1375هـ

-آل ياسين، محمد مفيد

***الحياة الفكرية في العراق في القرن السابع الهجري**، بغداد، الدار العربية للطباعة، 1979.

-الأمين، الأمين الصادق

***موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية**، الرياض، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، 1998.

-ايلسيف، نيكيتا

***الشرق الاسلامي في العصر الوسيط**، ترجمة-منصور أبو الحسن، بيروت، دار الكتاب الحديث، 1986

-الباشا، حسن

***الالقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق والاثار**، القاهرة، 1989 .

-باقر، طه

***مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، بغداد، شركة التجارة والطباعة المحدودة، 1956 (جـ2-ق1) .

-بدوي، أحمد أحمد

***الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام**، القاهرة،دار نهضة مصر للطبع والنشر، 1954

-بدوي، عبد الرحمن وآخرون

***موسوعة الحضارة العربية الاسلامية**، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1995.

-أبو بدر، شاكر أحمد

***الحروب الصليبية والأسرة الزنكية**، بيروت، الجامعة اللبنانية، 1972 .

-برصوم، اغناطيوس افرام الأول

* **اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية**، حلب، ط2، 1956 .

-برنال، جون ديز موند

***العلم في التاريخ**، ترجمة- علي ناصف، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط1،1981 .

-بروكلمان، كارل

* **تاريخ الشعوب الاسلامية**، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، ط4، 1965 .

***تاريخ الأدب العربي**، ترجمة -عبد الحليم النجار، القاهرة، دار المعارف، ط2، 1969.

-بيطار، أمنية

***تاريخ العصر الأيوبي**، جامعة دمشق، دار الطباعة الحديثة، 1981 .

-بيلي، أحمد

***حياة صلاح الدين الأيوبي**، المطبعة الرحمانية، ط2، 1926 .

-التفتازاني، أبو الوفا الغنيمي

***مدخل الى التصوف الاسلامي**، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر، ط2،1976 .

-التكريتي، راجي عباس

***الاسناد الطبي في الجيوش العربية الاسلامية**، بغداد، دار الحرية للطباعة، 1984 .

-التكريتي، محمود ياسين

***الأيوبيون في شمال الشام والجزيرة**، بغداد، دار الرشيد للنشر، 1981 .

-الثامري، إحسان ذنون

***الحياة العلمية زمن السامانيين التاريخ الثقافي لخراسان وبلاد ما وراء النهر في القرنين الثالث والرابع للهجرة**، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، 2001 .

-جب، هامتلون، ا.ر

***صلاح الدين الأيوبي، دراسات في التاريخ الاسلامي**، ترجمة -يوسف ايبش، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1973 .

***دراسات في حضارة الاسلام**، ترجمة -احسان عباس ومحمد يوسف نجم ومحمود زايد، بيروت، دار العلم للملايين، ط2، 1974 .

***علم التاريخ**، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1980 .

-الجديع، عبد الله يوسف

***أحاديث ذم الغناء والمعازف في الميزان**، الكويت، مكتبة دار الأقصى، 1986 .

-جمهرة من المستشرقين باشراف سير توماس آرنولد

***تراث الاسلام**، ترجمة وتعليق- جرجيس فتح الله، أربيل، ط5، 2000 .

-جولد تسيهر، أجناس

***العقيدة والشريعة في الاسلام**، ترجمة- محمود يوسف موسى، وعلي حسن عبد القادر وعبد العزيز عبد الحق، القاهرة، دار الكتب الحديثة، ط2، 1959 .

-حتي، فيليب و د.أدورد جرجي، وجبرائيل جبور

***تاريخ العرب (مطول)**، بيروت، دار الكشاف للنشر والتوزيع، ط2، 1953 .

-حسن، ابراهيم حسن

***تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب**، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط3، 1964 .

-حسن، زكي محمد

***فنون الاسلام**، بيروت، دار الرائد العربي، 1981 .

***الفن الاسلامي في مصر**، بيروت، دار الرائد العربي، 1981 .

***كنوز الفاطميين**، بيروت، دار الرائد العربي، 1981 .

-حسين، محسن محمد

***الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين**، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1986 .

-حمادة، محمد ماهر

***دراسة وثيقة للتاريخ الاسلامي ومصادره من عهد بني أمية حتى الفتح العثماني لسورية ومصر 40-922هـ**، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1988 .

*المكتبات في الاسلام، نشأتها وتطورها ومصائرها، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط3، 1981.

-حمزة، عبد اللطيف

* **الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول، القاهرة**، دار الفكر العربي، ط8، 1968 .

-حميدان، زهير

***أعلام الحضارة العربية الإسلامية في العلوم الأساسية والتطبيقية**، دمشق، 1995، 1996 .

-الخربوطلي، علي حسني

***الحضارة العربية الاسلامية**، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1975.

-خطاب، فرات فائق

***الكحالة عند العرب**، بغداد، دار الحرية للطباعة، 1975 .

-خليل، عماد الدين

***التفسير الاسلامي للتاريخ**، بغداد، ط4، 1986 .

*نور الدين محمود (541-569هـ) رحلة في تكوين حاكم مسلم، بغداد، 1979 .

***مدخل الى موقف القرآن الكريم من العلم**، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1983 .

***دائرة المعارف الاسلامية**،إعداد أحمد الشنتناوي وآخرون ، بيروت، دار المعرفة، 1933.

-الدوميلي، AL Domieli

***العلم عند العرب وأثره في تطور العلم الحديث،** ترجمة -عبد الحليم النجار، ومحمد يوسف موسى، القاهرة، دار القلم، 1962 .

-دي بور، ت.ج

***تاريخ الفلسفة في الاسلام،** ترجمة- محمد عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة، 1938 .

-ديموبين، موريس .غ

***النظم الاسلامية،** ترجمة- صالح الشماع وفيصل السامر، بغداد، مطبعة الزهراء، 1952.

-الذهبي، محمد حسين

***التفسير والمفسرون،** القاهرة، دار الكتب الحديثة، ط2، 1976 .

-رزق، عاصم محمد

***خانقاوات الصوفية في مصر في العصرين الايوبي والمملوكي (567-923هـ/ 1171-1517م)،** القاهرة، مكتبة مدبولي، 1997 (ج1) .

-رمضان، عبد العظيم

***تاريخ المدارس في مصر الاسلامية (أبحاث ندوة المدارس في مصر الاسلامية التي أعدتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة من 22-25 حزيران 1991)،** القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992 .

-رمضان، هويدا عبد العظيم

***المجتمع في مصر الاسلامي (من الفتح العربي الى العصر الفاطمي)،** القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994 (ج2).

-رنسيمان، ستيفن

***تاريخ الحروب الصليبية،** ترجمة السيد الباز العريني، بيروت، دار الثقافة،1967،1969.

-زابوروف، ميخائيل

***الصليبيون في الشرق**، ترجمة- الياس شاهين، موسكو، دار التقدم، 1986 .

-زامباور، المستشرق ادوارد فون.

***معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي**، اخراج-زكي محمد حسن باك وحسن أحمد محمود، القاهرة، مطبعة جامعة فؤاد الأول، 1951 .

-زكي، عبد الرحمن

***قلعة صلاح الدين وما حولها من الآثار**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1971 .

-زكي، محمد أمين

***مشاهير الكرد وكردستان في الدور الاسلامي**، ترجمة-الآنسة كريمته، القاهرة، مطبعة السعادة، 1947 .

-زيدان، جرجي

***تاريخ آداب اللغة العربية**، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، 1996 .

-سالم، عبد العزيز صلاح

***الفنون الاسلامية في العصر الأيوبي**، القاهرة، ط1، 1999 .

-سالم، السيد عبد العزيز

***تاريخ الاسكندرية وحضارتها في العصر الاسلامي حتى الفتح العثماني**، مصر، دار المعارف، 1961 .

-السامرائي، خليل ابراهيم

***دراسات في تاريخ الفكر العربي**، جامعة الموصل،1983 .

-سرور، محمد جمال

***مصر في عصر الدولة الفاطمية**، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1960 .

-سزكين، فؤاد

*محاضرات في تاريخ العلوم العربية الاسلامية، فرانكفورت، معهد تاريخ العلوم العربية والاسلامية، 1984 .

*تاريخ التراث العربي، ترجمة- محمود فهمي حجازي، قم، بهمن، 1983 .

-سليم، محمود رزق

*عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، القاهرة، المطبعة النموذجية، ط2، 1962.

-سميلر . سي

*الحروب الصليبية، ترجمة -سامي هاشم، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1982 .

-سيد الأهل، عبد العزيز

*أيام صلاح الدين ، بيروت، مطابع دار الكتب، 1961 .

-سيمنوفا، ل . ا

*صلاح الدين والمماليك في مصر، ترجمة -حسن بيومي، القاهرة، 1998 .

-الشابي، علي

*مباحث في علم الكلام والفلسفة، تونس، دار بوسلامة، للطباعة، 1977 .

-الشريف، صلاح الدين

*الحكم الأيوبي في الشرق الأوسط ، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1967.

-الشكري، جابر عزيز ومحمود الضياء

*تاريخ العلم (الكيمياء)، بغداد، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، 1981.

-شلبي، أحمد

*التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1967، (جـ5).

*تاريخ التربية الاسلامية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط5، 1976 .

-أبو شهبة، محمد محمد

***دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين**، القاهرة، مجمع البحـوث الإسلامية، 1985

-الشيال، جمال الدين

***دراسات في التاريخ الاسلامي**، بيروت، دار الثقافة، 1981 .

-الصائغ، سليمان

***تاريخ الموصل**، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، 1928،(ج2) .

-الصابوني، محمد علي

***البيان في علوم القرآن**، بيروت، دار الارشاد للطباعة والنشر والتوزيع، 1970 .

-الصالح، صبحي

***النظم الأسلامية ، نشأتها وتطورها**، بيروت، دار العلم للملايين، ط4، 1978 .

***علوم الحديث ومصطلحه**، طهران، مكتبة الحيدرية، 1417هـ .

***مباحث في علوم القرآن**، بيروت، دار العلم للملايين، ط7، 1972 .

- صقر، عبد البديع.

* **التجويد وعلوم القرآن**، بيروت، 1984.

-صليبا، جميل

***المعجم الفلسفي**، بيروت، مكتبة دار الكتاب اللبناني، 1982 .

-ضيف، شوقي

***عصر الدول والامارات**، (مصر)، القاهرة، دار المعارف، ط2، 1990 .

- طوقان، قدري حافظ.

* **تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك**، القاهرة، دار الشروق، د.ت.

-عاشور، سعيد عبد الفتاح

***مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك**، بيروت، النهضة المصرية، 1959 .

***مصر في عصر دولة المماليك البحرية**، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1959 .

-عاشور، سعيد عبد الفتاح وسعد زغلول عبد الحميد وأحمد مختار العبادي

***دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية العربية**، الكويت، منشورات ذات السلاسل، ط2، 1986 .

- عاصي، حسين.

***المؤرخ أبو شامة وكتابه الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، بيروت، دار الكتب العلمية،ط1، 1991 .

-عامر، فاطمة مصطفى

***تاريخ أهل الذمة في مصر الاسلامية من الفتح العربي الى نهاية العصر الفاطمي**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2000، (ج2) .

-عبد الرحمن، حكمت نجيب

***دراسات في تاريخ العلوم عند العرب**، بغداد، 1977 .

-عبد المهدي، عبد الجليل حسن

***المدارس في بيت المقدس في العصرين الأيوبي والمملوكي، دورها في الحركة الفكرية**، عمان، مكتبة الأقصى، 1981، (جـ1) .

***الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى في العصرين الأيوبي والمملوكي**، عمان، مكتبة الأقصى، 1980.

-عثمان، عبد الستار

***المدينة الاسلامية**، الكويت، عالم المعرفة، 1988 .

-العريني، السيد باز

***الشرق الأدنى في العصور الوسطى (الأيوبيون)**، بيروت، دار النهضة العربية، 1967

-علام، نعمت إسماعيل

***فنون الشرق الأوسط**، القاهرة، دار المعارف، ط2، د / ت .

-علوان ، عبد الله ناصح

***صلاح الدين الأيوبي بطل حطين ومحرر القدس من الصليبيين** ، 532-589هـ ، القاهرة 1983م.

-عليان، رشدي، وقحطان عبد الرحمن الدوري

***أصول الدين الاسلامي**، بغداد، دار الحرية للطباعة، 1977 .

-عنان، محمد عبد الله

***الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية**، القاهرة، ط2، 1959 .

***مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية**، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط2، 1969 .

-عيسى، أحمد

***تاريخ البيمارستانات في الإسلام**، بيروت، دار الرائد العربي، ط2، 1981 .

-الغامدي، عبد الله سعيد محمد

***صلاح الدين والصليبيون، استرداد بيت المقدس**، مكة المكرمة، دار الندوة، 1985 .

-غانم، حامد زيان

***العلماء بين الحرب والسياسة في العصر الأيوبي "أسرة شيخ الشيوخ"**، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر، 1978 .

-غوانمة، يوسف درويش

***إمارة الكرك الأيوبية**، عمان، 1980 .

-فارس، أحمد محمد

***النداء في اللغة والقرآن**، بيروت، دار الفكر اللبناني، 1989 .

-فرشوخ، محمد أمين

***المدخل إلى علوم القرآن والعلوم الاسلامية**، بيروت، دار الفكر العربي، 1990 .

-فروخ، عمر

***تاريخ العلوم عند العرب**، بيروت، دار العلم للملايين، 1970 .

***الحضارة الانسانية وقسط العرب فيها**، بيروت، دار لبنان للطباعة، ط3، 1983 .

- الفكيكي، أديب توفيق.

* الوقاية من مرض التدرن، بغداد، 1976.

-فياض، عبد الله

***الاجازات العلمية عند المسلمين**، بغداد، مطبعة الارشاد، ط1، 1967 .

-قاسم، قاسم عبدة

***ماهية الحروب الصليبية**، الكويت، 1990 .

-القصري، محمد فائز

***مظاهر الثقافة الاسلامية وأثرها في الحضارة**، دمشق، مطبعة زيد بن ثابت، 1979 .

-قلعجي، قدري

***صلاح الدين الأيوبي، قصة الصراع بين الشرق والغرب خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للميلاد**، بيروت، دار الكاتب العربي، ط5، 1979 .

-كاشف، سيدة اسماعيل

***صلاح الدين الأيوبي بطل وحدة الصف العربي الاسلامي وبطل الجهاد في سبيل الله**، بيروت، عالم الكتب، 1986 .

-كب، ستانوود

***المسلمون في تاريخ الحضارة**، ترجمة- محمد فتحي عثمان، الرياض، الدار السعودية للنشر والتوزيع، 1982 .

-كحالة، عمر رضا

***التاريخ والجغرافية في العصور الاسلامية**، دمشق، المطبعة التعاونية، 1972 .

***معجم المؤلفين**، تراجم مصنفي الكتب العربية، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1993 .

-كراتشكوفسكي، اغناطيوس يوليانوفتش

***تاريخ الأدب الجغرافي العربي**، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، الادارة الثقافية في جامعة الدول العربية، د / ت .

-كروزيه، موريس

***تاريخ الحضارات العام (القرون الوسطى)**، ترجمة- يوسف أسعد داغر، بيروت، منشورات عويدات، 1965 (مج3) .

-الكروي، ابراهيم سلمان وعبد التواب شرف الدين

***المرجع في الحضارة العربية الاسلامية**، الكويت، دار السلاسل، ط2، 1987 .

-الكيالي، سامي

***السهروردي**، القاهرة، دار المعارف، 1966 .

-كيلاني، محمد سيد

***الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي في مصر والشام**، القاهرة، مطبعة دار الكتاب العربي، د / ت .

-لوبون، غوستاف

***حضارة العرب**، ترجمة- عادل زعتر، بيروت، ط4، 1964 .

-ماجد، عبد المنعم

***تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى**، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، 1972 .

-مال الله، علي محسن عيسى

***أدب الرحلات عند العرب في المشرق، نشأته وتطوره حتى نهاية القرن الثامن الهجري**، بغداد، مطبعة الارشاد، 1978 .

-مبارك، علي باشا

***الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة**، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، 1987 (جـ1 – 6) .

- محمد، سوادي عبد.

*** الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في بلاد الجزيرة الفراتية خلال القرن 6هـ/ 12م**، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، 1989.

-محمد، سعاد ماهر

***مساجد مصر وأولياؤها الصالحون**، القاهرة، مطابع الأهرام التجارية، 1976 .

-مرحبا، محمد عبد الرحمن

***الجامع في تاريخ العلوم عند العرب**، بيروت، منشورات عويدات، ط2، 1988 .

-المرصفي، سعد

***المستشرقون والسنة**، الكويت، مكتبة المنار، ط1، 1994 .

-مرعشلي، نديم واسامة مرعشلي

***الصحاح في اللغة والعلوم**، تجديد صحاح الجوهري، بيروت، دار الحضارة العربية، د/ ت.

-مصطفى، شاكر

***المدن في الاسلام حتى العصر العثماني**، الكويت، دار ذات السلاسل، 1988، (جـ2) .

-مصطفى، محمود

***أهدى سبيل إلى علمي الخليل العروض والقافية**، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده بميدان الأزهر، ط13،1974 .

-المطوي، محمد العروسي

***الحروب الصليبية في المشرق والمغرب**، تونس، دار الكتب الشرقية، 1954 .

-المعاضيدي، خاشع وآخرون

***الوطن العربي والغزو الصليبي**، بغداد، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي،1981.

-معروف، ناجي

***علماء النظاميات ومدارس المشرق الاسلامي**، بغداد، مطبعة الارشاد، 1973 .

-مقبل، فهمي توفيق

***الفاطميون والصليبيون**، بيروت، الدار الجامعية للطباعة والنشر، 1980 .

- مكرم، عبد العال سالم.

* **المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن من الهجرة**، القاهرة، دار الشروق، 1980.

-مؤنس، حسين

***نور الدين محمود**، سيرة مجاهد صادق، القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر،1959.

***المساجد**، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، 1981 .

-موسى، محمد نايف

***تاريخ الفقه الاسلامي**، القاهرة، مطبعة المعرفة، 1964 .

-غربال، محمد شفيق

***الموسوعة العربية الميسرة**، بيروت، دار الجيل، 1995 .

- الموسوي، موسى.

* **من السهروردي إلى الشيرازي**، بيروت، 1979.

-الميداني، عبد الرحمن حسن حبكة

***أسس الحضارة الاسلامية ووسائلها**، بيروت، دار القلم، ط2، 1980 .

-النبراوي، فتحية

*****تاريخ النظم والحضارة الاسلامية**، جدة، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط4، 1987.

-نصّار، لطفي أحمد

* **وسائل الترفيه في مصر في عصر سلاطين المماليك**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999 .

-النقاش، زكي

*****العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والفرنج خلال الحروب الصليبية**، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1957 .

-نليتو، السنيور كرلو

*****علم الفلك عند العرب في القرون الوسطى**، بغداد، مكتبة المثنى نقلا عن طبعة روما ، د/ ت

-نوري، دريد عبد القادر

*****سياسة صلاح الدين الأيوبي في بلاد مصر والشام والجزيرة**، بغداد،مطبعة الرشاد،1976.

-نيوباي، ب .هـ

*****صلاح الدين وعصره**، ترجمة -ممدوح عدوان، دمشق، دار الجندي للنشر، 1993 .

-نياتي،ج . ت

*****تاريخ أفريقيا العام**، أفريقيا من القرن الثاني عشر الى القرن السادس عشر، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، 1988 .

-هالم، هاينز

*****الفاطميون وتقاليدهم في التعليم**، ترجمة-سيف الدين القصير، دمشق، دار المدى،1999.

-هرنشو، ج

*علم التاريخ، ط2، بيروت، دار الحداثة، 1982 .

-هيسيل، الفرد

*تاريخ المكتبات، ترجمة-شعبان عبد العزيز خليفة، الرياض، دار المريخ للنشر،ط2، 1980.

-ويست، انتوني

*الحروب الصليبية، ترجمة- شكري محمود نديم، بغداد، شركة النبراس للنشر والتوزيع، 1967 .

-يوسف، شريف

*المدخل لتاريخ العمارة العربية الاسلامية وتطورها، بغداد، دار الحرية للطباعة،1980.

-يوسف، عبد الرقيب

*الدولة الدوستكية في كردستان الوسطى، أربيل، دار آراس للطباعة والنشر، ط2،2001.

رابعاً ـ المراجع الفارسية

-سجادي، سيد جعفر

*فرهنك لغات واصطلاحات فلسفي، باهتمام-حسام الدين قهاري، تهران، 1338هـ.

-شاندور، آلبر

*صلاح الدين الأيوبي، ترجمة الى الفارسية، محمد قاضي، انتشارات زرين، بهار شمالي، ط4، 1375 هـ .

-كياهان، بهمنيان دكن بيوند

*دانشنامة جهان إسلام، زير نظر : علا معلي حداد عادل، تهران، 1379 هـ .

خامساً الرسائل الجامعية

-أحمد، عبد الجبار حامد

***الحياة الفكرية في الموصل في القرنين الرابع والخامس الهجريين**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1992 .

- آميدي، كرفان محمد

* **الملك الأشرف موسى بن الملك العادل الأيوبي، دوره وأثره في الدولة الأيوبية، 576ـ635هـ/ 1180ـ1237م**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة صلاح الدين، 1999.

-حسن ، درويش يوسف

***الاسرة الشهرزورية ودورها السياسي والحضاري** 489-630هـ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة صلاح الدين ، اربيل 1998م.

-خضر، مهدي قادر

***الأمن في مصر والقاهرة في العصر الأيوبي (567-655هـ/ 1171-1255م)**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة صلاح الدين، 2002 .

-خلف، غانم عبد الله

***الحياة العلمية في بلاد الشام على عهد الايوبيين**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل،1995 .

-الدباغ، محمد نزار حميد طه

***المشرق العربي الاسلامي من خلال رحلة ابن جبير، الأحوال السياسية والعمرانية، (578-581هـ/ 1182-1185م)**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة الموصل، 2001 .

-الدوسكي محسن ابراهيم احمد

***تجريد الموضوعات لإبن الجوزي للإمام ابراهيم ابن عثمان بن عيسى بـن دربـاس الماراني الكردي** ، دراسة وتحقيق . رسالة ماجستير غير منشورة كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، جامعة دهوك ، 2002م.

-الزيادة، حاكم مالك

***ابن بري وجهوده اللغوية مع تحقيق كتاب اللباب في الرد على ابن الخشاب،** أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1981 .

-سلطان، سلطان جبر

***الدور السياسي للعلماء المسلمين أبان الحروب الصليبية،** رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1999 .

-الصائغ، ذكرى عزيز محمد صالح

***عصر الملك الكامل الأيوبي،** رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1988 .

-عبد الرحمن، ناصر عبد الرزاق

***صلاح الدين الأيوبي في الدراسات الاستشراقية،** رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1992 .

-عيسى، علي نجم

***حماة في العهد الايوبي (570-658هـ/ 1174-1259م)،** رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة، 1990.

***حلب في العهد الأيوبي، (579-658هـ/ 1183-1258م)،** أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1998 .

- مجيد، ميسون هاشم.

*** أوضاع بلاد الشام قبيل الغزو الصليبي،** أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1996.

-محمد، آكو برهان

***الحياة العلمية في ديار بكر وجزيرة ابن عمر من القرن (5-7هـ/ 11-13م)**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة صلاح الدين، 2000 .

-محمد، شوكت عارف

***دولة كانم الاسلامية، دراسة في الجوانب السياسية والاقتصادية**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1996 .

- نوري، نوفل محمد

***الأعياد والمناسبات ووسائل الترفيه في بغداد في العصور العباسية**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة الموصل، 1996 .

سادساً البحوث والدوريات

-أمين، حسين

*"**المسجد وأثره في تطور التعليم**"، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، ع(5)، تموز 1981 .

-أمين محمد محمد

*"**علاقات دولتي مالي وسنغاي بمصر في عصر سلاطين المماليك" (1250-1517م)**، مجلة دراسات أفريقية، القاهرة، ع(4)،1975 .

-بدوي، عبد الرحمن

*"**أبحاث المستشرقين في تاريخ العلوم عند العرب**"، مجلة عالم الفكر، بيروت، مج(9)، ع(1)،نيسان، 1978 .

-الجومرد ، جزيل عبد الجبار

*"**الاسرة الايوبية ودورها في تثبيت حكم صلاح الدين في مصر**" ، مجلة التربية والعلم ، جامعة الموصل ، كلية التربية ع(8) ايلول 1989م.

-حسين، محسن محمد

* "العز الضرير الاربيلي"، مجلة المجمع العلمي الكردي، بغداد، مج(5)، 1977.
* "جيش صلاح الدين الأيوبي"، مجلة المورد، مج(6)، ع(4)، 1987 .
-حمودي، خالد خليل
* "نشأة المدارس في العصر الاسلامي"، مجلة آفاق عربية، بغداد،ع(1)،أيلول،1978.
-رشيد، ناظم
* "التعليم في ظل الدولتين الزنكية والأيوبية في الشام"، مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل، ع(10)، آذار، 1979 .
* "النشاط العلمي والأدبي في عهد الاسرة الايوبية"، مجلة المورد، بغداد، مج(16)، ع(4)، 1987 .
-صالح، أحمد عزت عثمان
* "العلاقات الثقافية في العالم الاسلامي في العصور الوسطى"، مجلة الفيصل، الرياض، ع(116)، تشرين الأول،1986 .
-العامري، محمد بشير حسن
* "ولع صلاح الدين الأيوبي بالمؤلفات التاريخية والعسكرية"، مجلة دراسات تاريخية، بغداد، ع(3)، 2001 .
-علي، آزاد
* "بعض الأسس النظرية للصناعات الحربية في العهدين الأيوبي والمملوكي"، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، ع(29-30)، آذار وحزيران، 1988 .
-غرايبة، محمد ارحّيل
* "جهود صلاح الدين الأيوبي في إحياء المذهب السني في مصر والشام (564-589هـ)"، مجلة الحكمة، السعودية، المدينة المنورة، ع(12)، 1418 هـ .
-قاسم، قاسم عبدة

* "**تطور مناهج البحث في الدراسات التاريخية**" مجلة عالم الفكر، الكويت، ع(40)،1989.

-محمد، شوكت عارف

* "**تطور نظام الحسبة في العصر الايوبي**"، مجلة جامعة دهوك، مج(5)،ع(2)، كانون الأول،2002 .

-محمد، محمود الحاج قاسم

* "**الطب والمستشفيات في عصر صلاح الدين الأيوبي**"، مجلة دراسات تاريخية، بغداد، ع(3)، تموز - أيلول 2001 .

-معروف، ناجي

* "**ابن فتوح الهمذاني الاسكندراني مؤرخ الاسكندرية المتوفي (673هـ/ 1274م**"، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج(25)، بغداد، 1974 .

-النقشبندي ، حسام الدين علي غالب

*"خطط اربيل في كتاب ابن المستوفي(تاريخ اربيل)" ، مجلة ابحاث العلوم الانسانية ، جامعة صلاح الدين ، اربيل ، ع(1) ، كانون الثاني 1989م.

-موسى، جلال

* "**الطب والأطباء**"، مجلة عالم الفكر، مج(9)، ع(1)، نيسان، 1978 .

-الوهابي، قيس

* "**أثر العرب في تقدم علم الرياضيات**" مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد، مج(25)، 1974.

سابعاً ـ المراجع الأجنبية

Clery, O.Helen.

The peqasus Book of Eygpt Edited by partrizk pringle London: 1968

Eisseeff, Nikita

***Nur AD-Din un Granad pring Musulmum De Syrie Autemps DES coisades** (Damas: 1967).

***Encyclopedia Britannic**, (ART Ayybids) London, 1966.

***Encyclopaedia of Islam,** (London , 1971):-

a. Art: " Ibn Abi Usaybia", by Vernet, j, Vol.3.

b. Art:"Abu Shama", by Hilmy Ahmed, Vol.1.

c. Art:"Ibn Barri", by H.Fleish, Vol.3.

Lane pool (S.).

***Saldin and the fall of the kingdom of Jerusalem** (London: 1898).

Mayer, Hans

***The crusades**, Great Britain, London: 1965.

Stevenson (W.R.)

***The crusades in the east**. Cambridge, 1907.


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الحياة الفكرية
في مصر
خلال العصر الأيوبي





عمان - شارع الملك حسين - مجمع الفحيص التجاري
تلفاكس: ٠٠٩٦٢ ٦ ٤٦٤٧٥٥٠ - خلوي: ٠٠٩٦٢ ٧٩ ٥٢٦٥٧٦٧
ص.ب: ٧١٢٧٧٣ عمان ١١١٧١ - الأردن
بغداد - شارع السعدون - عمارة فاطمة
تلفاكس: ٠٠٩٦٤ ١ ٨١٧٠٧٩٢
خلوي: ٠٠٩٦٤ ٧٥٠٤٦١٦٩٨٨ ٠٠٩٦٤ ٦٦٢٥٤٩٢٤٥
٠٠٩٦٤ ٧٩٠١٤٠٣٢٢٥ ٠٠٩٦٤ ٧٧٠٢١٥٢٧٥٥
E-mail: dardjlah@yahoo.com